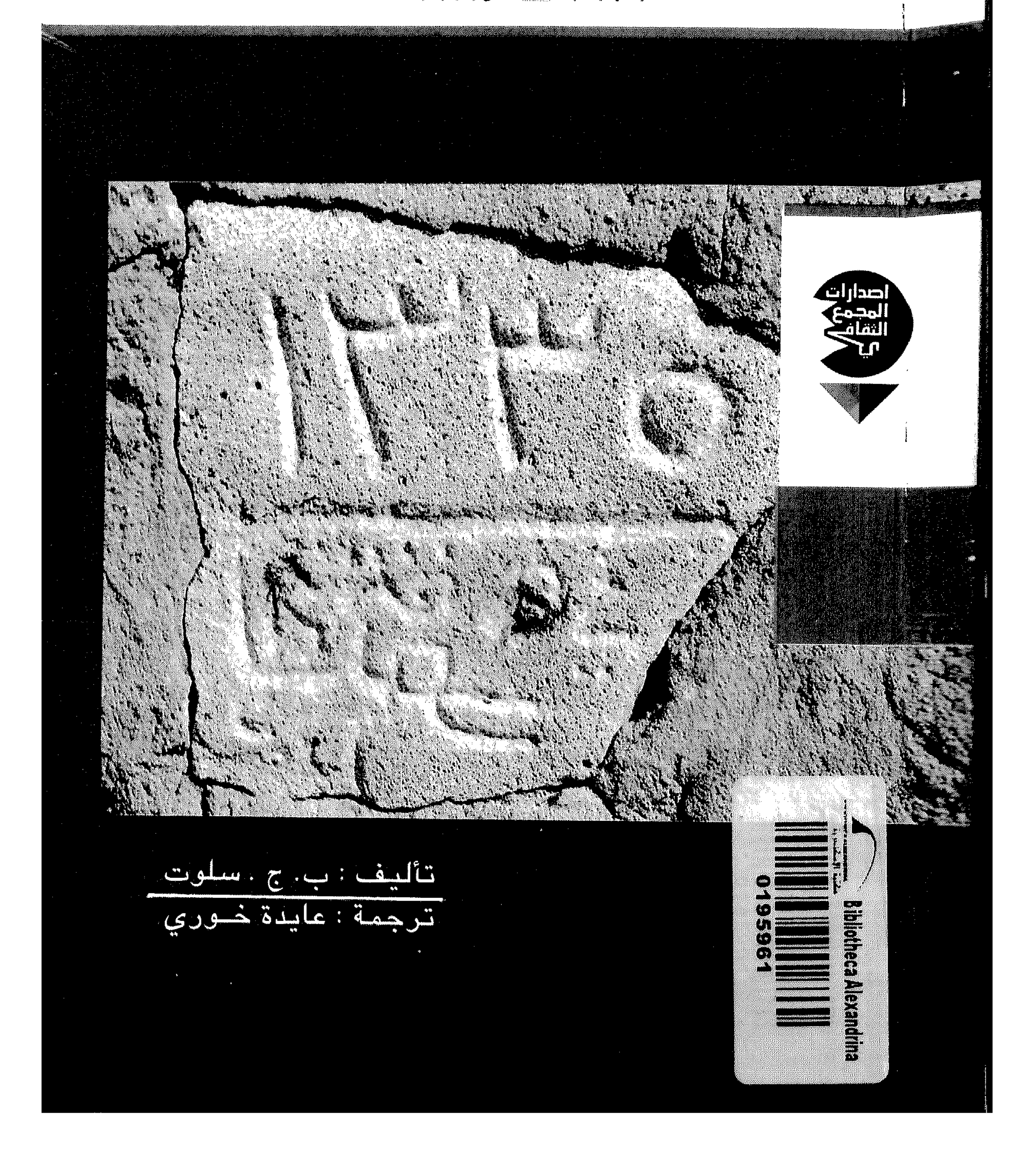
THE ARABS OF THE GULF 1602 - 1784

عـــرب الخليـــج

١٦٠٢ • ١٧٨٤



تأليف : ب. ج. سلوت

ترجمة : عايدة خوري



Originally published in English:

B. J. Slot

The Arabs of the Gulf 1602-1784

an alternative approach to the early history of the Arab Gulf States
and the Arab peoples of the Gulf, mainly based on sources of the
Dutch East India Company
Leidschendam 1993
I.S.B.N. 90-9005872-9

عـرب الخلـيـج

في ضوء مصادر شركة الهند الشرقية الهولندية
١٦٠٢ - ١٧٨٤

تأليف: ب. ج. سلوت

ترجمة: عايدة خوري

مراجعة: د. محمد مرسي عبد الله

الطبعة الأولى
١٩٩٣م

الفهرس

الفصل الأول
جغرافية الخليج التاريخية

الفصل الثاني
القوى السياسية والاقتصادية في الخليج والدول الأجنبية
دراسة شاملة للتركيبة السياسية بين عام١٦٠٠وعام١٧٨٤

الفصل الثالث
تدهور القوة البرتغالية في الخليج

الفصل الرابع
سيطرة عرب عمان والهولنديين والإنكليز

الفصل الخامس
التوسع العربي

الفصل السادس
الحرب بين فارس وعمان

الفصل السابع
الأزمة الأفغانية والقبائل العربية

الفصل الثامن
حروب نادر شاه في عمان

الفصل التاسع
سيطرة العرب

الفصل العاشر
تدهور القوة الأوروبية

كلمة المجمع الثقافي

يسر المجمع الثقافي أن يقدّم للباحثين والقراء في منطقة الخليج والوطن العربي الترجمة العربية لكتاب «عرب الخليج» للدكتور سلوت مدير مؤسسة الأرشيف الوطني الهولندي، ويمثل هذا الكتاب الثمرة الأولى لمشروع جمع الوثائق الهولندية الذي يضطلع به مركز الوثائق والدراسات بالمجمع الثقافي.

إن كتاب «عرب الخليج» الذي استغرق تأليفه ست سنوات هو دراسة قيمة ومرجع تاريخي هام عن عرب الخليج في القرنين السابع عشر والثامن عشر، وتكمن أهميته في أنه يقدم من خلال الوثائق حقائق ومعلومات جديدة لبروز زعامات وقيادات استطاعت إنشاء مدن جديدة وإمارات سياسية مزدهرة في منطقة الخليج، مثل آل نهيان في أبوظبي، والقواسم في رأس الخيمة، وآل صباح في الكويت، وآل خليفة في البحرين، وآل ثاني في الدوحة.

ويأمل المجمع الثقافي أن يصدر قريباً كتاباً مماثلاً في الأهمية عن عرب الخليج في القرن السادس عشر.

محمد أحمد السويدي

الأمين العام

المقدمة

يعالج كتاب «عرب الخليج» موضوعاً معقّداً نوعاً ما، وذلك أن فترة تاريخ الخليج في العصر الحديث تشبه أوبرا إيطالية في العصر الذهبي، وهذا يعني حشداً من الأحداث دون ارتباط في سرد القصة ومسرحاً مليئاً بالشخصيات التي ترتدي أفضل الملابس وتصدر أصواتاً مزعجة مع غزارة في العواصف. ويصل التعقيد إلى درجة مؤسفة حتى ليصعب إبراز القصة على المسرح ثانية. وما نعنيه هنا أن ما كتب في التاريخ كان مجرّد أجزاء من مهرجان مسرحي تاريخي مركّب. وتُعتبر محاولة جمع الأجزاء المتفرقة معاً لوناً من المغامرة. ولكن تلك هي الطريقة الوحيدة لتقديم مفهوم صحيح عن تاريخ العرب في جميع المناطق الساحلية في الخليج وهي حالياً إيران والعراق والكويت والمملكة العربية السعودية والبحرين وقطر والإمارات العربية المتحدة وعمان في الفترة الواقعة بين عام ١٦٠٠ ـ ١٧٨٤. فقد انقسم هؤلاء العرب إلى عدد من الوحدات الصغيرة كان لكل منها تاريخها الخاص ومن الصعب فهم وكتابة هذا التاريخ لندرة المصادر الصحيحة والدقيقة.

وقد يكون العنوان التالي البديل المناسب للكتاب وهو «القبائل والتجار ومكاتب الرسوم» وذلك لأن معظم الكتاب يعالج هذه المواضيع الثلاثة. ففيه الحديث عن القبائل والتوتُّر الدائم المتمثّل في رغبة البدو في نيل الحرية والمحاولات المستمرة والمختلفة لتوحيدهم من أجل هدف مشترك. وفي الكتاب حديث عن التجار ورجال القبائل والأغراب. ومن الممكن أن يكون رجال القبائل هم الأكثر أهمية، ولكننا نستقي من الأغراب المعلومات لكتابة التاريخ من خلال مراسلاتهم. كما يعالج الكتاب أيضاً مكاتب الرسوم وهي في البرتغالية الفندقة (Al Fandega) المأخوذة من الكلمة العربية «الفندق» حيث كان على التجار تسديد الضرائب. كانت هذه المكاتب قائمة في الفترة الواقعة ما بين ١٦٠٠ ـ ١٧٨٤، وهي الفترة التي تمثّل نمو

الدول العربية ذات الأساس القبلي كقوى إقليمية في المنطقة التي كانت «مملكة هرمز» في السابق تسيطر عليها، كما تمتاز هذه الفترة بعدّة محاولات قامت بها بعض القوى الأوروبية لتضع قدمها في المنطقة. ويركّز هذا الكتاب على سكان السواحل والبحر من العرب والتجار الأوروبيين، وليس على القوّتين الإسلاميتين العظميين بلاد فارس والامبراطورية العثمانية.

ونحن نعتمد كثيراً على المصادر الأوروبية التاريخية لمعرفة هذه الفترة. فالمصادر العربية والفارسية قليلة تفتقر كثيراً إلى الدقة في استخدام الهيكل التاريخي الذي توضحه الوثائق الأوروبية. وقد تمكنّا فقط من استخدام المصادر العربية الأولية والمطبوعة.

وخلافاً لمعظم المؤلفين في تاريخ الخليج، اعتمدنا كمصدر رئيسي على الأرشيف الهولندي بدلاً من الأرشيف البريطاني. وقد يبدو الأمر في البداية غير منطقي، ولكن يجب الأخذ بعين الاعتبار أن شركة الهند الشرقية الهولندية كانت في معظم الفترة التي يغطيها هذا الكتاب، أقوى قوة آوروبية في المنطقة، وأنها تبعاً لأسلوبها البيروقراطي قد أصدرت كمية كبيرة من الأعمال الكتابية، فيما كانت شركة الهند الشرقية الإنكليزية فترة طويلة أصغر بكثير. ومهما يكن فإن المصادر الهولندية، بالإضافة إلى كونها غنية بالمعلومات لم تكتب باللغة الهولندية فقط، ولكن فيها إشارات عديدة إلى الشؤون العربية المحلية، ولديها مجلدات عديدة مخصصة بالأمور المتعلقة بالإحصائيات الاقتصادية والبحرية. ومن المهم توفير تلك المادة لمؤرخي المنطقة. ومع ذلك فقد تم أيضاً استخدام المعلومات من خلال المصادر البريطانية والبرتغالية والفرنسية المطبوعة وغير المطبوعة.

والمشكلة في السجلات الهولندية أنها في تلك الفترة فيما يتعلق بالخليج كانت بشكل أساسي أوراق عمل وليست سجلات إدارية سياسية أو استعمارية. ومن الممكن العثور صدفة على المزيد من المعلومات في تلك الأوراق. فالهدف من وجود شركة الهند الشرقية الهولندية كان تجارياً وليس من أجل التوسع الإقليمي.

وكان الممثلون الهولنديون المحليون يواجهون معارضة كبيرة من قبل دوائر الحكم

الهولندية في حال تخطيهم حدود تلك السياسة. وتوحي المناقشات الدائرة في مثل هذه المناسبات إلى فهم طبيعة التدخل الأوروبي في الخليج في مرحلة ما قبل الاستعمار في القرنين السابع عشر والثامن عشر. وهنالك اختلاف كبير بين نشاطات شركات الهند الشرقية في ذلك الوقت عن مسألة بناء الامبراطورية الحديثة التي ظهرت في الخليج أوائل القرن التاسع عشر في صورة فرض السيطرة البريطانية على العلاقات القائمة مع الدول العربية في المنطقة.

يصف الفصل الأول من هذا الكتاب جغرافية المنطقة التاريخية. أما الفصل الثاني فيصف الوضع السياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي يتعلق بالقوى التي لها علاقة بالمنطقة وهي الفرس والأتراك العثمانيون والقبائل العربية والقوى الأوروبية. وتحتوي باقي الفصول من الثالث وحتى العاشر على سجل تاريخي بحيث تصف كيف أُلزم البرتغاليون على فسح المجال أمام العرب والفرس والأوروبيين. كما تصف تلك الفصول انبثاق البناءات السياسية الجديدة في الخليج من خلال المواجهة بين الشعوب الإسلامية والأوروبيين. وفيما يتعلق بعرب المنطقة، فقد انتهى كل ذلك إلى كيان يشبه كثيراً الوضع الحديث.

وتختلف الآراء والوسائل في كتاب التاريخ كاختلافها في المواضيع الأخرى. فمنذ بضع سنوات فقدت آوروبا كبرياءها واعتزازها بماضيها الاستعماري. وأصبح المؤرخون الأوروبيون أكثر انفتاحاً من حيث الآراء الخاصة المتعلقة بالدول التي تأثرت بالتوسع الأوروبي المشكوك فيه. وقد اتضح أمامنا أن تاريخ آسيا بين القرن السادس عشر والقرن العشرين لم يكن فقط تاريخ التنافس الأوروبي للسيطرة على ثرواتها.

وكان المؤرخون الأوروبيون، وخلال فترة كبيرة، غالباً ما يتفقون مع زملائهم الآسيويين بأن التدخل الأوروبي كان مجرد حادثة ثانوية في تاريخ آسيا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر. وقد ظل بعض المؤرخين الأوروبيين الذين عالجوا موضوع التوسع الاستعماري لفترة أكثر تحفظاً من العديد من زملائهم من الأوروبيين، ولكنهم كانوا يدركون أيضاً الآراء الحديثة.

والمشكلة في كتابة تاريخ القبائل العربيـة في منطقة الخليج في القرنين السابع عشر والثامن عشر هي أنه نتيجة لعدم ثبات بيئة تلك القبـائل وقلة ما تركت من سجلات أن أصبح من الضروري الاعتمـاد أكثر على مـا كتبه مندوبو التـوسع الأوروبي في المنطقة من وجهـات نظر لكتابة تاريخ الأحداث المحلية. وهذا يعني أنهـا آراء نموذجية متكررة للموظفين في عهد الاستعمـار. ولا يمكن اعتبار تاريخ السياسة الأوروبية في الخليج خـلال القرنين الـسادس عـشر والسـابع عـشر، تاريخاً للتـوسع الاستـعمـاري الأوروبي (باستثناء الوضع البرتغالي) إذ كـان معـظم الأوروبيين في الخليج في ذلك الوقت موظفين مـسؤولين في شـركتي الهند الشرقـية الهولندية والإنـكليزية وهؤلاء لا يقومـون بأكثـر من دور بسيط ومتـواضع في تلك المنطقة حـيث كان هدفـهم تجارياً ودبلوماسياً ولـيس من أجل التوسع الاستعماري. ومن حين لآخـر كان يحدث حرب بين الأوروبيين والسكان المحليين، ولكن كل هذا كان عـبـارة عن مناوشـات حربيـة نتـيجـة التنافس التـجـاري. ولم يطمح الهـولنديون أو الإنكليـز في ذلك الوقت لبناء امبراطورية في الخليج.

ونظراً لقلة توفّر المصادر المحلية المناسـبة فإنّ المؤرخ يضطر للنظر إلى تاريخ الخليج من خلال السجلات الأوروبية. وهذا يعني أنه حـين نقرأ هذه السجلات فإنّ علينا أن نفـهم منطقـهم وفكرهم الذي كـان يحـرك تصـرفاتهم وأفـعـالهم. لهـذا من المهم إذن التـمعّن في خلفـيّات الوجود الأوروبي في المـنطقة والتـعمّق في دراسـة شـخـصـيـات المندوبين من الناحية الاجتـماعية للتمكّن من تقييم تقـاريرهـم المتعلقة بالأحداث بطرق سليـمـة. ويتـضـمن هذا الكـتـاب محـاولات مـخـتـصـرة في هذا المجـال. ولكن من الضروري إجراء دراسات أكثر تفصيـلاً في المستقبل، وإعطاء مزيد من الاهتمام بتلك النقاط.

وتميل الكتابة التاريخية القديمة ولا سيـما الإنكليزية منها إلى اعتبار تاريخ الخليج في العصر الحـديث ما هو إلاّ تمهيد لمجد القرن التـاسع عشر الحقيقي، ولقـد كان اهتمام المؤرخين الهـولنديين قليـلاً في هذا المجـال لأن شركـتـهم كانـت تحاول تجنّب التـورط عسكرياً في تلك المنطـقة ولم تحصل بالتالي على الـشهرة والمجد في هذه النـاحـية. ولم

يتمّ كلياً تفهّم مدى أهمية المنطقة لفترة طويلة في الاقتصاديات الداخلية لكل من الشركتين الإنكليزية والهولندية. إنّ هذا الكتاب يجب أن يكون عودة إلى الأسلوب القديم في التاريخ الأوروبي الرسمي في بعض المجالات، وهذا ليس بسبب الميزات الوراثية لهذا الأسلوب، بل لأن سجل الأحداث العربية في المنطقة وقتذاك يعتمد على معلومات الشركتين الهولندية والإنكليزية إلى درجة كبيرة بسبب عدم وجود مصادر عربية تمكن مقابلة معلوماتها مع المعلومات الأوروبية. وليس من الخطأ في هذه الحالة الخاصة اتخاذ وجهة النظر التقليدية في دراسة تاريخ القرنين السابع عشر والثامن عشر، ولقد كانت وجهات النظر الهولندية وغيرها من وجهات النظر الأوروبية في ذلك الوقت يتفق إلى حد بعيد مع مصالح واهتمامات العديد من القبائل العربية.

وكثيراً ما كان بعض مؤرخي الخليج القدماء وخاصة الإنكليز، يتّهمون بالتحيّز ضد العرب. ولهذا الاتهام مبرّراته، ولكن من الضروري أن نضع بعين الاعتبار الظروف المحيطة به. فقد كان العديد من هؤلاء المؤرخين محترفين ومسؤولين استعماريين لقد تدربوا على إدراك مهمة بلدهم في تهدئة المنطقة وإبعاد السكان عما اعتبروه قرصنة. وكانت الوثائق الإنكليزية التي استخدموها كمصادر تُكتب غالباً بأسلوب عاطفي وعدواني كالوثيقة المشار إليها في هذا الكتاب. أما الوثائق الهولندية فقد كتبها مندوبون تجاريون يميلون نسبياً إلى الوصف الهادئ بأسلوب تجاري. وبالتالي أصبح من السهل وضع هذا الكتاب بطريقة مختلفة.

وقد طرح مجال هذا الكتاب مشكلة كبيرة. إذ لم يسبقه أي كتاب آخر قبله في تحديد تاريخ الخليج بأكمله من وجهة نظر عربية. وكذلك ليس هناك أي سجلات عن تاريخ الدول العربية المنفردة أو الوحدات القبلية في المنطقة باستثناء بعض الأعمال عن عمان. لذلك انحصرت مهمتنا في محاولة جمع الإشارات الصغيرة الواردة في المصادر ووضعها في خلفية الأحداث العامة في الخليج التي تتعلق غالباً بأحداث في منطقة أكبر بكثير.

من أهم الحقائق الأساسية التي تحدد إلى مدى بعيد أحداث الخليج، الافتقار لحدود ثابتة في منطقة يفصل بين قبائلها وتجمّعات سكانها مساحات خالية من البحر

والصحراء. ولعلّ التنافس للسيطرة على هذه الامتدادات كان السبب الأساسي للحروب الصغيرة والكبيرة القائمة في المنطقة من حين لآخر. ولقد كان من الصعب نتيجة لوجود تلك المساحات الفارغة إنشاء وحدات إقليمية أكبر أو إذا أمكن تأسيسها فغالباً ما تكون ضعيفة. والسبب الآخر في نشأة العديد من الصراعات في المنطقة وجود تنافس عنيف للسيطرة على المصدر الأساسي المحلي للثراء في المنطقة وهو الطريق التجاري بين الهند والبحر الأبيض المتوسط عبر الخليج. ولما كانت هذه الوحدات السياسية تقع في مواقع حساسة وتمارس فيها التجارة مثل هرمز أو مسقط فقد كان أصحابها يحصلون على الرسوم الجمركية أو الضرائب. وكان البرتغاليون قد سيطروا في البداية على الطريق بأكمله من جزيرة هرمز الاستراتيجية. ولقد سيطر الإنكليز والهولنديون بعد نهاية النفوذ البرتغالي على جزء من التجارة. أما العرب فلم يتنازعوا خلال الفترة التي يعالجها هذا الكتاب على ذلك الجزء من التجارة. وقد قُسّمت باقي الأجزاء بين فئات عربية مختلفة والتجار الهنود، حيث كان التجار العرب والسوراتيون يتقاسمون النزاع عليه، وكذلك كانت مغاصات اللؤلؤ أيضاً مصدراً للثراء ولكن بنسبة أقل، وكانت القبائل العربية تتنازع للسيطرة عليها. هذا التنافس على التجارة من جهة وعلى مغاصات اللؤلؤ من جهة أخرى بالأضافة إلى الانقلابات التي نتجت عن المصاعب في توحيد التجمعات القبلية شكّلت جميعها خلفية أحداث التاريخ العنيفة التي وضحتها المصادر المتوفرة.

وقد ينشأ لدى المرء انطباع بأن القرنين السابع عشر والثامن عشر يمثّلان فترة أزمة اقتصادية وديمغرافية. وتوضّح مصادر العصور الوسطى كما يبدو أن هذه المساحات الكبيرة وخاصة ساحل شبه الجزيرة العربية كانت قبل عام ١٦٠٠ أكثر كثافة سكانياً وأكثر ازدهاراً مما كانت عليه فيما بعد. بينما تشير مصادر أوائل القرن الثامن عشر لأسباب غير واضحة إلى فراغ كبير هناك. وقد يعود ذلك إلى التغيّرات المناخية التي تؤثّر كثيراً مهما صغرت على المناطق مثل سواحل الخليج التي تجد صعوبة في توفير سبل معيشتها. ومن الممكن أن يكون قد رافق الأحوال الغريبة (التي تتمثل بفصول الشتاء القاسية البرودة في القرنين السادس عشر والسابع عشر) المسجّلة في نصف

الكرة الأرضية الشمالي، تقلّبات في كمية الأمطار في شبه الجزيرة العربية، ولكن ليس لدينا أبحاث تثبت هذا. ويبدو أن الجزء الثاني من القـرن الثامن عشر يمثّل فـترة تزايد السكان العرب في الأماكن الساحلية من الخليج.

وسوف يبـيّن هذا الكتاب ولادة الكيانات السياسية العربيـة الحديثة المؤقتـة منها والمستمرّة. وفي آخر سنة من الفترة التي يغطّيها هذا الكتاب، نجد أنه قد تأسست عدة كيـانات كمـا تشكّل النمط الأسـاسي للبناء السيـاسي الفعلي. وهنا ظهـرت كل من عمـان، ونواة دولة الإمارات العربية المتحـدة، والبحرين وقطر والكويـت في شكلها الحالي. وأما منطقة البـصرة العثـمانية فـقد تقلّصت لتصبح في حدودها الحـالية. من ناحية أخـرى لم تظهر في بعض الأجزاء كيانات مـحدّدة أما سواحل نجد والحسـا فقد أخذت بناءها السيـاسي النهائي في القرن الحـاضر. هذا بينما عانت الوحـدات العربية التي كانت تمارس استـقلالها إلى حدّ ما على الجـزر وعلى ساحل بلاد فارس الجنوبي من حالة فـقر سيـئة إلى درجة أن إيران سيـطرت عليها في خـلال القرن التاسع عـشر وأوائل القرن العشرين. وهكذا فإنّ هذا الكتاب يوضّح أصول دول الخليج الحديثة كما يعالج الوحدات السياسية التي فشلت في تحقيق وجود لها.

لقـد قمت بـتأليف هذا الكتـاب بناءً على اقـتـراح مركـز الوثائق والدراسـات في أبوظبي حيث حـصلت على الكثير من التـشجيع والمسـاعدة في شتى المجـالات. وقد راجع الكتاب كل من الدكتـور محمد مرسي عـبد الله، مدير المركز، والسيـدة فروكة هيرد بي، والسيد إدوارد هنـدرسون والسيدة مارشا أوين جيـرودي، وقد قدّموا بعض الاقـتراحـات البنّاءة. كمـا حصلـت من المركز على مـواد من مجـمـوعة الميكروفـيلم وتلقيـت من مكتبة المركـز المساعـدة في الحصـول على بعض المعلومات، وقـد أمدّني سمـوّ الشيخ الدكـتور سلطان بن محـمد القـاسمي حاكم الشـارقة، بمسـاعدة كبـيرة ومهـمة. وقد استـفدت من سـعة اطلاعـه وخبرته وأجـابني على الكثيـر من الأسئلة. كـذلك ساعـدني في الحـصول على مـجـموعـة ميـكروفيلم تحـتـوي على معلومـات أساسية، وقدّم لي مواد من مخزون الكمبيوتر وكل هذا جعل من الممكن تأليف كتاب يعتمد على غابة المصادر المتناثرة الصغيرة.

وفي البحرين تمكّنتُ من الاطلاع على مجموعة الميكروفيلم في مركز الوثائق التاريخي كما تلقيت معلومات مفيدة من معالي الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة رئيس المركز ومن الدكتور أبي حسين مديره. وفي البرتغال أتقدم بالشكر خاصة إلى الدكتور أنطونيو دياز فارنها في جامعة لشبونة والدكتور ايزاو سانتوس من أرشيف ألترامار. وفي الأرشيف الوطني في جاكرتا تلقيت مساعدة من السيدة يونيتا سيتومبول. كذلك ساعدني الدكتور آل حميدان من جامعة الملك سعود في الرياض في فهم بعض المواد الصعبة. وفي وزارة الخارجية في باريس تلقيت مساعدة من السيد جان باتبدات. وفي ليون في المعهد الهولندي لشؤون الشرق الأدنى تلقيت مساعدة من الدكتور إي فان دونزل. وأخيراً أتقدم بالشكر الجزيل لزملائي في الأرشيف العام في لاهاي ولابدّ من ذكر العاملين في قسم التصوير وبصورة خاصة أولئك الذين قاموا بتحضير عدد كبير من الصور والنسخ.

الفصل الأول

جغرافية الخليج التاريخية



الخرائط القديمة والمعلومات الجغرافية:

لم تقم دراسات وافية حتى الآن حول تفاصيل جغرافية الخليج التاريخية. ويرتبط مدى معلوماتنا بالوسائل الملاحية التي كان يتبعها البحارة في ذلك الوقت. نحن نعرف الأماكن الواقعة في طريق رحلات السفن التجارية معرفة وافية، ولكن ليس لدينا أية معلومات عن الأماكن الأخرى.

إن المنطقة التي نتناولها في هذا الكتاب هي ساحل الخليج الشمالي ابتداء من رأس جاسك على الساحل الإيراني، ومن مسقط على الساحل العربي. ويمتد الطريق البحري، وهو الوسيلة الأساسية التي تربط هذه المنطقة بالعالم الخارجي، من وسط خليج عمان صعوداً إلى الممر الواقع بين رأس مسندم وجزيرة لارك. وكانت السفن تبحر من هناك على طول ساحل الجسم، وتشرف على جزر طنب وفرور ثم تسير متبعة جانب ساحل جزيرة قيس وهندرابي وسطوار، وتعبر رأس نابند وتتخذ أخيراً الطريق الواقعة على بعد كبير من رأس بردستان. وليس هناك ما يذكر بعد ذلك عن معظم الأماكن الواقعة على ساحل الخليج الشمالي سوى القليل جداً الذي يأتي عرضاً هنا وهناك. ويُعتبر بندر عباس الميناء الوحيد الذي كانت تمرّ به السفن بصورة منتظمة. أما جزيرتا الجسم وهرمز فكانتا توصفان لأسباب عسكرية فقط(١). وليس لدينا إلا مصادر قليلة جداً ومختصرة عن الأماكن الأخرى.

وأما الساحل الجنوبي، فهناك بكل تأكيد مصادر قليلة تتحدّث عنه. فقد جعلت مغاصات اللؤلؤ الكبيرة الدخول إلى الساحل الواقع بين البحرين ورأس الخيمة صعباً جداً. ولم يعلم البحارة الأوروبيون عن وجود أي طريق يُستخدم للاقتراب من الساحل الواقع غرب رأس الخيمة. ولقد قامت البعثات الهولندية باكتشاف المنطقة الواقعة بين رأس الخيمة ومسقط حيث كان من الممكن دخول السفن الأوروبية إليها وذلك في عام ١٦٤٤ - ١٦٤٥ وفي عام ١٦٦٦.

وقد وصلتنا بعض التقارير الجغرافية عن منطقة الخليج. إلا أن معظمها، وخاصة الأقدم منها، مختصرة جداً. وهذه التقارير القديمة لا تعطي تفصيلات إحصائية. وفي مثل هذه الحالة نعتمد على بعض الإشارات التي نعثر عليها عرضاً ضمن الوثائق

التاريخية. ويعتبر التقرير الذي وضعه تاجر المجوهرات البندقي جاسبارو بالبي عام ١٥٨٠، أقدم تقرير جغرافي مفصّل وصل إلينا. ويحتوي هذا التقرير على وصف جيد لهرمز كما يذكر عدداً كبيراً من أسماء الأماكن الواقعة على ساحل شبه الجزيرة العربية(٢). ويعتبر التقرير الذي وضعه البرتغالي بيدرو تيشيرا النص الرئيسي في النصف الأول من القرن السابع عشر(٣). يلي ذلك السجلات والنصوص الأخرى التي تتعلق بالبعثات الهولندية إلى داخل الخليج وإلى شبه جزيرة مسندم في عام ١٦٤٤ - ١٦٤٥(٤). وقد قدّمت البعثة الهولندية إلى عمان عام ١٦٦٧ وصفاً مفصّلاً عن ساحلها(٥). وقدمت تلك البعثات مساهمة كبيرة وفعّالة في رسم الخرائط للخليج(٦). ويُعتبر الكتاب الذي وضعه الفرنسي كاري أول سجل مفصّل عن عرب ساحل الخليج الشمالي(٧). ولدينا من القرن الثامن عشر التقارير التي وضعها عام ١٧٥٦ الهولنديان المقيمان في جزيرة خارج فان كنيبهاوزن وفان دير هلست. وسوف نشير فيما بعد إلى هذا التقرير تحت اسم تقرير كنيبهاوزن، وكذلك التقرير الذي وضعه الرحّالة الدانماركي نيبور، وقد اعتمدت معلوماته بصورة أساسية، كما يبدو، على المعلومات التي قدّمها له الموظفون الهولنديون في جزيرة خارج(٨). وأخيراً يمكن استخدام المصادر الأخرى إذا أخذنا بعين الاعتبار التغيرات التي حدثت في غضون ذلك(٩). وتساعد مثل هذه التقارير الأحدث في تفسير المعلومات الموجزة التي جاءت في التقارير القديمة.

وتستحق مصادر رسم الخرائط الاهتمام أيضاً، وذلك لأنها قد تشير إلى وجود بعض الأماكن وإلى معرفة النواحي الجغرافية كما هي أو كما كانت موجودة. ومن الضروري في البداية التمييز بين الخرائط البحرية والخرائط الجغرافية، إذ لا نجد في المجموعة الأولى وهي الخرائط البحرية سوى القليل من أسماء الأماكن المعروفة والواقعة على السواحل، كما أنها تلتزم بقدر الإمكان بالمعلومات المؤكدة. أما المجموعة الثانية، فتعتمد كثيراً على الكتب الجغرافية القديمة. وهذه الكتب بعيدة تماماً عن الدقة، إذ تضع أسماء الأماكن الواردة فيها بطريقة افتراضية في أماكن قريبة من مكانها الأصلي. وتكون النتيجة مذهلة، ولهذا جاءت الأسماء الواردة على الخرائط الجغرافية

للمواقع الساحلية في الخليج في أماكن غير أماكنها الأصلية (ومثال على ذلك كويكسمي وهو الاسم البرتغالي للجسم، فقد وضعت على الساحل الجنوبي بالقرب من جلفار)، أو أنها غير موجودة(١٠).

وسوف ندرس أولاً الخرائط البحرية. لا تُعتبر الرسومات التي صدرت في القرن السادس عشر ذات قيمة كبرى إذ أن أقدم الرسومات البرتغالية تحتوي على عدد قليل من أسماء الأماكن. ولكن كان هناك مدرسة برتغالية واحدة تهتم بعلم الخرائط البحرية وتعطي تفاصيل أكثر، ويعود الفضل في ذلك إلى الكاتب الهولندي جان هايجن فان لينسكوتن الذي نشر خريطة في هذا النوع في كتابه إيتينيراريو (Itinerario). ولقد حصل لينسكوتن على هذه الخريطة من رسّام برتغالي في جوا. وليس هناك نسخة برتغالية أصلية لهذه الخريطة، ووجودها آنذاك هام جداً(١١). وقد احتفظ مدراء شركة الهند الشرقية الهولندية سراً بالرسومات التي صدرت في القرن السابع عشر، وتم توزيعها ضمن دائرة محدودة جداً. وكان على قباطنة السفن إعادة هذه الرسومات في نهاية رحلاتهم، ولكن لم تطبع تلك الرسومات مرّة أخرى. ورغم ذلك فقد بقيت بعض مخطوطاتها. وتبيّن الدراسة المقارنة أنه كان يعتمد في ذلك العصر على الرسومات البرتغالية مع إدخال بعض التحسينات نتيجة مراقبات وملاحظات القباطنة الهولنديين(١٢).

ومع ذلك فشلت الاحتياطات السرية التي وضعتها شركة الهند الشرقية الهولندية، وتسربت المعلومات إلى ناشري الأطالس المطبوعة التي تتضمن هذه الرسومات البحرية. وتعتمد الرسومات الشبيهة بالرسومات الواردة في كتاب ثورنتون الشهير «القبطان الإنكليزي»، على الرسومات الأصلية بوضوح، رغم عدم توصّلها إلى مستوى الرسومات الأصلية(١٣). ولقد استمرت شركة الهند الشرقية الهولندية تعرقل في هولندا، ولمدّة طويلة، نشر الرسومات المفصلة عن سواحل آسيا. ولكن في عام ١٧٥٣، طبع الناشر الهولندي فان كولن خريطة للخليج تُعتبر أكثر الرسومات التي تمّ نشرها عن المنطقة تفصيلاً حتى الآن. وتعتمد هذه الخريطة على مخطوطات شركة الهند الشرقية الهولندية في القرن السابع عشر إلا أنها لم تصل إلى مستوى الدقّة

الهندسية التي امتازت بها(١٤). ومن الممكن أن تبين إحدى الرسومات المخطوطة الهولندية عام ١٧٦١ بعض التفصيلات الجديدة، إلا أنها لا تصل إلى مستوى الدقة التي تمتاز بها الرسومات القديمة(١٥). وعلى الرغم من أن فان لينسكوتن قد بيّن في رسوماته أن قطر شبه جزيرة، فقد فقدت هذه المعلومات بعد فترة. وهو أمر غريب. ولم تظهر قطر في رسومات شركة الهند الشرقية، وكذلك لم تظهر على الرسومات الأخرى الصادرة بين عام ١٦٦٠ وعام ١٨٢٠. وفي الواقع إن الرسومات الإنكليزية التي نشرت عام ١٨٢٠ كانت أول رسم بحري جديد منذ القرن السابع عشر(١٦).

ولقد وضعت الخرائط الجغرافية لاستعمال الدارسين والمهتمين. وتفتقر هذه الخرائط إلى الدقة المتيسرة في الرسومات البحرية. وكانت الخرائط الجغرافية عادة أكثر دقة من الرسومات البحرية. ولكننا لا يمكن أن نتجاهل كونها مصادر تاريخية. وتعتبر خريطة شبه الجزيرة العربية التي نشرها جاستالدي البندقي عام ١٥٧١ أول خريطة مفصّلة للخليج. وقد وضع على هذه الخريطة العديد من الأسماء في غير موضعها الأصلي كما أن فيها العديد من الأسماء الخيالية الزائفة(١٧). وكان قد وضع الرسامون المشهورون في أواخر القرن السادس عشر والسابع عشر هذه الخريطة، مع بعض التعديلات عليها، وهم: أورتيليوس، وميركاتور البلجيكيان، وهونديوس وبلاو الهولنديان. ويتميز العديد من هذه الخرائط بنقل أسماء الأماكن ونسخها كما هي. فجزيرة الجسم مثلاً قد تكون في مكانها الصحيح، ولكننا نجدها أيضاً على ساحل شبه الجزيرة العربية باسم كويكسمي(١٨). ولقد أصدر الهولندي فينجبونز والفرنسي سانسون في النصف الثاني في القرن السابع عشر خرائط ورد فيها بعض التحسينات الطفيفة. وقد استوحيا جزءاً من ذلك من الخرائط والرسومات البحرية وبعد الرجوع إلى الأعمال الجغرافية الأخرى كأعمال تيشيرا وبالبي. ولقد كانت الخرائط الجغرافية بعد ذلك شبيهة بالخرائط التي وضعها الهولندي فريدريك دي ويت، والفرنسي دي ليل وهي أقرب إلى الرسومات البحرية حيث كانت تحتوي على أسماء بضعة أماكن غير موجودة(١٩). أما هومان وأوتينز فقد اعتمدا أساساً على الخرائط التي وضعها دي ويت ودي ليل، ولكنهما أدخلا بعض التحسينات عليها. وتعتبر الخريطة الكبيرة

لبلاد فارس والامبراطورية العثمانية التي وضعها الأخوة أوتينز، أفضل ما صدر في مجال الخرائط الأوروبية التقليدية للخليج قبل نيبور(٢٠). ومع أنها لا تعتبر نموذجاً إبداعياً مبتكراً من الناحية الفنية، إلا أنها عمل تصنيفي متكامل جداً من حيث المعلومات الجغرافية. وتُظهر تلك الخرائط الأخيرة، تحسناً ملموساً في أشكال السواحل. وقد اتخذت معظم أسماء الأماكن الساحلية من الرسومات البحرية بينما أصبح الداخل أقلّ خرافة. والفضل في ذلك يعود إلى بعض الرحلات القديمة إلى مكة. ويمتدح تيبتس في كتابته عن تاريخ علم الخرائط في شبه الجزيرة العربية، الخريطة الفرنسية التي وضعها دانفيل. ولكن ثناءه هذا ليس مبرراً فيما يتعلق بسواحل الخليج إذ أن دانفيل يعتمد على نسخ قديمة من الخرائط(٢١). وفي النصف الثاني من القرن الثامن عشر ظهرت الخريطة التي وضعها نيبور وهي خريطة قيل أنها تعتمد على الرسومات والخرائط البحرية الانكليزية والتي قامت بدورها على مخطوطات لرسومات وخرائط بحرية هولندية. وتذكر الخريطة التي وضعها نيبور أيضاً أسماء العديد من القبائل التي كانت تعيش على سواحل الخليج(٢٢).

النظام السكاني:

كانت البلاد الواقعة على طول الخليج قليلة الكثافة السكانية. فقد كانت منطقة فقيرة ولا يصلح إلا القليل من أراضيها للزراعة. ونظراً لهذه الظروف الاقتصادية فقد كان معظم سكان المنطقة يعيشون حياة البداوة. أما الجزء الغربي من ساحل الجزيرة العربية، فهو عبارة عن صحراء تكثر فيها مناطق السبخة، وهذه قلما وفّرت مجالاً للحياة السكنية المستقرة ما عدا القليل من الواحات الواقعة في الداخل. ويقع على الساحل منها بضع مخيمات كان ينشئها مؤقتاً صيادو اللؤلؤ. وقد تطور معظمها لتصبح مقرات سكنية دائمة(٢٣).

ويقع إلى الشرق، حيث تقترب سلسلة جبال عمان من الساحل، بعض الأودية التي تنتهي بخلجان صغيرة حيث كانت تقام فيها أماكن سكن دائم للفلاحين وصيادي السمك واحتضنت هذه الأماكن مدناً وقرى متواضعة. وقد بُنيت في بعض

هذه المدن والقرى، الكبيرة منها بالذات، مساكن من الحجارة. وفيها حصن صغير للشيخ المحلي الذي يحكمها. وتحتوي الأماكن الأكثر فقراً على أكواخ بُنيت من سعف النخيل وعلى صحن صغير بني من طين اللبن. ويبدو أنه كانت بعض الأماكن الساحلية، حول منطقة مسندم بصورة خاصة، أكثر ثراءً وازدهاراً في القرن السادس عشر مما كانت عليه في فترات لاحقة.

ولم تختلف الحالة كثيراً عن ذلك في الجانب الشمالي من الخليج. ولكن كانت بعض المواقع أكثر كثافة سكانية في الأخرى وأكثر ثراء. فالمدن والقرى الصغيرة كانت أشبه بجزر يفصل فيما بينها البحر أو الجبال أو الصحراء ونظراً لافتقارها لسبل الاتصال فقد كان لكل منها تاريخها الخاص، وحياتها القبلية الخاصة وروح قوية نحو الاستقلال. ولم يثق أهلها بجيرانهم لأنهم لم يعرفوهم جيداً. ومع حالة الفقر التي كانوا يعانون منها، ومع وجود الخطر الكامن من جارتهم الكبرى، بلاد فارس، فقد حاولوا جاهدين ممارسة الحرية في تحركاتهم. وعندما كانوا يحسون بتفاقم الخطر عليهم، كان السكان يرحلون على سفنهم إلى أماكن أكثر أماناً(٢٤). وكان البدو يتنقلون بين هذه المدن والقرى إما بواسطة السفن، أو الجمال حيث كانوا ينضمون في كل مرّة إلى فئة مختلفة. ولا شك أنه كان من الصعب جداً جمع هذه القبائل المتفرقة وجعلها تتعاون مع بعضها البعض من أجل المصلحة العامة. وكانت المواصلات بينهم صعبة جداً. كما أن الحدود في الأماكن غير المسكونة لم تكن واضحة تماماً. وكان هذا ولا شك، السبب الرئيسي في قيام المنازعات المستمرة بين القبائل.

وكانت القبائل العربية تسكن المنطقة الساحلية من الخليج. أما الساحل الفارسي، فقد كان فيه القليل من السكان الفرس حيث كانوا يقيمون بصورة خاصة حول الموانئ الرئيسية وفي إقليم تانجستان. ولقد كان الميدائيون (الصابئة) وهم أقلية في شمال العراق بحيث لا يتعدون بضعة آلاف، الوحيدين من أبناء البلد الأصليين غير المسلمين بين السكان. أما المسيحيون في أوروبا، وبعض المسيحيين من الهند البرتغالية فقد سكنوا المنطقة بصورة مؤقتة. ولقد جذبت المؤسسات الأوروبية بعض

المواطنين العثمانيين والمسيحيين الفرس الذين عملوا كمترجمين أو سماسرة. وكان عدد الكنائس في المنطقة قليلاً جداً. ولكن كان هناك بعض الكنائس في المجمعات السكنية الرئيسية البرتغالية. أما البصرة فقد اعتبرت المدينة الوحيدة التي كان فيها عدد من السكان المسيحيين (أغلبهم من الأرمن). وقدمت الكنيسة الكاثوليكية في جزيرة خارج، خلال فترة حكم الهولنديين الخدمات الدينية لمجموعة اللاجئين من بلاد فارس والعراق. ولكن لم يكن لديها قاعدة محلية ثابتة. ولم تحاول قوى النفوذ البروتستانية إقامة مؤسسة دينية في المنطقة خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر(٢٥).

جغرافية الساحل الشمالي:

يتميز ساحل الخليج الشمالي، بين شط العرب، وحدود بلوخستان ببناء جغرافي وإحصائي معقد. وتتمثل ميزته الأساسية بأنه معزول عن داخل فارس أولاً بمنطقة سبخية تليها صحراء تمتد شرقاً من شط العرب إلى حوالي مئة كيلو متر ترتفع رويداً نحو سلسلة الجبال التي تمتد على طول الساحل. ويقطع هذه السلسلة الطولية أودية عرضية في أماكن قليلة مما يتيح الفرصة لظهور بعض الطرق الضيقة للصعود نحو داخل بلاد فارس. وقد أفسحت هذه الوديان المجال أيضاً أمام التجار والجنود للتحرك من الداخل إلى الساحل. وكان يُستخدم خلال المدة التي يعالجها هذا الكتاب ثلاث طرق هامة. ويلتف الطريق العربي منها داخل رأس السلسلة الساحلية بالقرب من بوشهر ثم يعبر سلاسل جبال أخرى قبل أن يصل إلى شيراز. وتقع الطريقان الآخران إلى أقصى الشرق. ويبدأ أولها من لنجة وبندر كنج مقابل أقصى غرب جزيرة الجسم ثم يعبر الجبال إلى لار ومن هناك يتجه نحو شيراز. وثمة طريقان آخران مقابل جزيرة هرمز عند بندر عباس يمر أحدهما عبر واد خلف سلسلة من التلال الساحلية متصلة بالطريق من بندر كنج إلى لار أما الطريق الآخر فيسير صعوداً إلى كرمان. وهناك أخيراً طريق موازٍ للساحل يربط بندر عباس بميناب وجاسك.

ولقد جعلت سلسلة الجبال الساحلية جميع المواصلات عبر الساحل مستحيلة. وكانت الطرقات عبر سلسلة الجبال المقفرة عرضة للمناوشات وحروب العصابات مما

جعل الانتقال من الداخل إلى المنطقة الساحلية صعباً. ويقع في الجزء الجبلي من الساحل، العديد من الخلجان الصغيرة. ولم يكن من السهل الوصول إلى ذلك الجزء براً. ولقد تمكن السكان والبحارة وصيّادو السمك، أن يستقروا ويعملوا هناك دون أن يواجهوا تدخلاً كبيراً من السلطات المركزية. وتمتد سلسلة من الجزر في الجزء الشرقي من الخليج ابتداءً من خط الطول ٥٣ وعلى طول الساحل الشمالي. وكان يقيم في هذه الجزر القبائل العربية التي تقيم على هذا الساحل. ولقد كان من الصعب على السلطات المركزية الفارسية الوصول إلى هذه الجزر لافتقارها إلى وسائل الملاحة الخاصة بها. وكان الفرس يستعيرون وسائل الانتقال إما من رؤساء القبائل العربية أو من الأوروبيين المقيمين والعاملين في بندر عباس عندما يرغبون في القيام بحملات في الخليج.

وتتعرّض منطقة شمال الخليج كثيراً للتغيرات الطبيعية والسياسية. فقد تغيّرت مجاري الأنهار، وكان الخط الساحلي يتحوّل نحو الجنوب الشرقي بسبب ترسب الطمي. ولهذا تحرّكت كذلك الحدود السياسية الفاصلة بين بلاد فارس والامبراطورية العثمانية بين القرنين السابع عشر والقرن العشرين. واتجهت الحدود في القرن السابع عشر ومعظم القرن الثامن عشر بين العراق العثمانية وبلاد فارس نحو الشرق أكثر مما هي عليه الآن: فبدلاً من شط العرب كانت خور موسى وقارون العمية أو شط العمي هي الحدود النهرية. وهذا يعني أن جزر خِضْر الواقعة بين شط العرب وباميشير (حيث يقع ميناء عبد الله الحديث) وقوبان بين باميشير وقارون العمية، هي مناطق عثمانية(٢٦).

وليس من الواضح تماماً متى أصبح شط العرب حدوداً نهرية. وخلال القرن السابع عشر كانت باميشير الطريق الأساسي للملاحة بين الخليج والبصرة وليس شط العرب لأنه كان ضحلاً. وكانت المياه في ذلك الوقت تصل إلى باميشير من أعلى شط العرب وليس من أعلى القارون كما هو الحال في الوقت الحاضر. فمياه أعلى القارون كانت تجري في ذلك الوقت بسلاسة إلى الخليج عن طريق قارون العمية وخور موسى(٢٧). ويذكر الرحالة الفرنسي ثفينوت (توفي عام ١٦٦٤)، أن السفن الكبيرة

كانت تبحر عبر باميشير، وكان البحارة يطلقون عليه اسم نهر هرمز فيما كان شط العرب الأسفل يُستخدم فقط للسفن الصغيرة المتجهة إلى الموانئ الواقعة على ساحل شبه الجزيرة العربية، وكان يسمى نهر البحرين أو نهر قطيف(٢٨). ولقد أصبح شط العرب الأسفل صالحاً لاستخدام السفن الأكبر حجماً في غضون القرن الثامن عشر(٢٩).

وكان للعثمانيين على جزيرة قوبان الواقعة بين باميشير وخور موسى وقارون العمية، بعض الحصون القائمة على الحدود وأهمها الدورق. ويجب أن لا نخلط بين هذا الاسم الذي أطلق على الحصن وبين المكان المدعو «دورق» الذي نراه على خرائط أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر ويسمى الآن الفلاحية. فهذا المكان يتجه أكثر إلى الداخل براً(٣٠). وكان الدورق، السابق ذكره، في البداية تحت سلطة باشا البصرة وقد أشير إليه بذلك في عام ١٦٣٣(٣١). وحوالي الخمسينات في القرن الثامن عشر احتل الدورق قبيلة بني كعب، حيث كان شيخهم يقيم فيه تحت اسم الفلاحية(٣٢). وحتى عام ١٧٦٧ ظلّ الفرس يعترفون بالدورق على أنها أراضٍ عثمانية(٣٣). وبعد عام ١٧٦٠ نشأت منازعات كثيرة بين بني كعب وبين حكومة البصرة العثمانية. وأصبحت هذه القبيلة قوة بحرية لها شأنها في الخليج وهددت الملاحة في البصرة. ولكن أصبح بنو كعب تدريجياً تابعين للفرس بعد أن لجأوا لمساعدتهم خلال مجرى الأحداث السابقة(٣٤). وأصبح ولاء القبيلة للفرس عاملاً هاماً بعد أن وضعت الحدود النهائية بين الامبراطورية العثمانية وبلاد فارس في القرن التاسع عشر.

وفي داخل البلاد حول نهر القارون منطقة الحويزة (أهواز) وهي منطقة عربية رغم أنها كانت تعتبر رسمياً إقليماً فارسياً. وكان يحكم تلك الإمارة التي تتمتع بالقوة عائلة المشاشة وهي تتميز بالانفتاح العقلي. وتعتبر المنطقة دويلة محايدة بين بلاد فارس والامبراطورية العثمانية(٣٥).

ويشكل الساحل الفارسي في شمال وجنوب الخليج إقليماً واحداً كبيراً هو إقليم فارستان وعاصمته شيراز. وفي أوقات أخرى، كان هناك عدد من الأقاليم الأخرى

الأصغر حجماً ويقيم حكامها في بوشهر ولار وشيراز.

وقد ظهر على خرائط القرن الثامن عشر بندر ماشور وهو يقع على امتداد الساحل الصغير القصير التابع لعربستان في الجانب الشمالي من خور موسى فوق الموقع الأساسي لبندر شهبور تقريباً (من الممكن أن يكون مقراً سكنياً حديثاً نسبياً) ويقول عنه كنيبهاوزن في عام ١٧٥٦ بأنه كانت تسكنه «القراصنة الذين كانوا يقومون بأعمال السلب في نهر البصرة». ولكنهم طردوا منه حتى أصبح ذلك المكان مهجوراً تقريباً في أيامه(٣٦). وكانت هنجيان المكان الآخر الهام نوعاً ما عند مصب النهر الذي يحمل الاسم نفسه (هنجيان)، ويشكّل الحدود الشرقية لمنطقة عربستان. وكان يسكن المكان عام ١٧٥٦ حسب ما قال كنيبهاوزن قبيلة يعود أصلها إلى مزيج من العرب والفرس. وقد سماها جوراجي. وكانت المنطقة زراعية ولا تعتمد على الملاحة(٣٧). وإلى الشرق من هنجيان امتداد قصير للساحل ينتهي بالقرب من خور تقع عليه مدينة بندر ديلم. ويصبح الساحل معروفاً أكثر، وذلك لأن البحارة الأوروبيين الذين كانوا يتجنبون المناطق الساحلية الضحلة في عربستان، كانوا يبحرون نحو الساحل بين ديلم ورأس بردستان. ولقد ظهرت ديلم على الخرائط والرسومات الهولندية المخطوطة منذ حوالي ١٦٥٠. كما ظهرت على رسومات برتغالية مخطوطة قبلها(٣٨). وقد سكنها عرب الخليفات الذين ذكروا لأول مرّة في وثيقة عثمانية عام ١٧٠١. وكان العتوب، وهم قبيلة تتكون من غواصي اللؤلؤ قد هاجروا من شبه الجزيرة العربية، وسكنوا هناك في نهاية القرن السابع قبل أن يرحلوا ثانية ويؤسسوا الكويت(٣٩). ولقد وصفهم كنيبهاوزن في عام ١٧٥٦ على أنهم صيادو سمك فقراء وأنهم يعملون أيضاً في الغوص وصيد اللؤلؤ. ولم تزدهر التجارة هناك بسبب الاضطرابات المستمرة والنزاعات بين الشيوخ المحليين. وكان طعان، وهو أحد الشيوخ الثلاثة، تاجراً يحاول أن يؤسس نشاطاً اقتصادياً في المنطقة(٤٠).

ويقع خلف ديلم قرب الساحل سلسلة جبال كوهي بانج وهي علامة هامة لدى البحارة الأوروبيين. أما جنفة التي تقع على بعد حوالي خمسة وسبعين كيلو متراً جنوبي الساحل من ديلم على خليج صغير، فقد ذكرها أول مرة كنيبهاوزن. وكانت

تقيم فيها قبيلة من الفلاحين الفرس، ولم يكن كنيبهاوزن معجباً بهم، إذ كان يصفهم بأنهم «أمة غادرة وخائنة بطبعها» كما يصفهم بالجشع والنهب. ففي أيام كنيبهاوزن كان حاكم جنفة العربي واسمه قائد حثير، يحاول تحويل التجارة في بندر ريج إلى جنفة. وكان يملك بعض السفن. كما لعب دوراً ملموساً في النشاط البحري بالخليج في الخمسينات من القرن الثامن عشر ١٧٥٠(٤١).

ويقع بندر ريج بعد جنفة وهو على بعد ثلاثين كيلو متراً منها. ويعتبر أول ميناء هام على ساحل الخليج الشمالي. وينتمي سكانه إلى قبيلة الزعاب، وهي من أصل عماني وكانت تسكن أيضاً على ساحل الخليج الجنوبي في جزيرة الحمرا بالقرب من جلفار. وكانت الشركات التجارية الأوروبية تقوم بالتجارة هناك في القرن السابع عشر. وكان يتمّ شراء القمح في ريج ويباع في أماكن أخرى مع شيء من الأرباح. ولقد تعامل الإنكليز معهم في عام ١٦٤٥. أما الهولنديون فقد وصلوا عام ١٦٨٨(٤٢). وفي حوالي عام ١٧٠٠ ازدهر الميناء. ولكن ما لبث أن انحدر بعد ذلك. وفي الخمسينات من القرن الثامن عشر، خطط الإنكليز لإقامة مقرّ لهم في ريج. ولقد تفاوتت الفرص كثيراً في هذا الموقع حيث كانت أحياناً تميل إلى إقبال دولي حسن بينما كانت المشاكل المحلية في حالات أخرى تسبب إعراضاً ملموساً. وكانت العائلة الحاكمة تميل إلى الثأر. مما أثر في ازدهار المكان(٤٣).

وقد تبعت جزيرتا خارج وخارجو حاكم بندر ريج وكان يسكن خارج قبيلة من البحارة يعملون قباطنة في السفن الأوروبية في الطريق الملاحي الذي يصلها بالبصرة. وكان الرحالة الأوروبيون يقومون بزيارة خارج منذ القرن السادس عشر إلا أن كتاباتهم عن المكان كانت مختصرة جداً(٤٤). وفي النصف الثاني من القرن الثامن عشر، عندما كانت المدن المحتفظة ببعض معاملاتها الاقتصادية مع الأوروبيين (البصرة وبندر عباس)، قد تعرضت للمخاطر، اهتمّ الأوروبيون في تثبيت أنفسهم على هذه الجزيرة. وكان الهولنديون بصفة خاصة قد فعلوا ذلك عام ١٧٥٥ حينما بنوا حصن مصلستين (Mosselsteyn) وقد بقيت آثاره حتى فترة قريبة. وبعد أن هاجم رئيس الزعاب الحصن الهولندي عام ١٧٦٥ حاول الإنكليز والفرنسيون الإقامة هناك ولكن

هذا لم يدم طويلاً(٤٥). أما جزيرة خارجو فكانت صغيرة ولم تكن ذات أهمية تذكر.

وفي جنوب هذا الساحل تقع منطقة هامة اقتصادياً ويتفرّع منها أحد الطريقين اللذين يصلان داخل بلاد فارس بالخليج. وظل هذا الطريق ولفترة طويلة خلال القرن السابع عشر، يلعب دوراً اقتصادياً محدوداً. إذ استخدم في نقل البضائع التي كانت ترسل فيما بعد إلى البصرة. وقد استمرت تلك التجارة طالما بقيت البصرة إمارة شبه مستقلة. واستخدم الأوروبيون الطريق الشرقي المؤدي إلى بندر عباس لممارسة تجارتهم مع بلاد فارس. وعندما بدأت شؤون بندر عباس تنحدر خلال القرن الثامن عشر، أصبح الطريق الغربي هاماً جداً للتجارة الأوروبية وصار منذ منتصف القرن الثامن عشر المخرج الرئيسي لتجارة بلاد فارس الدولية. وفي تلك المنطقة توجد مدينتان ريشهر وبوشهر.

تقع ريشهر على رأس يمتد من الخليج وهي مدينة قديمة ما لبثت أن تدهورت أحوالها خلال القرن السابع عشر، ولكنها ظهرت على الخرائط البرتغالية الخاصة في القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر على أنها المكان الكبير الواقع شمال غرب هرمز وكانت ما تزال تُعرف على أنها مركز للغوص وصيد اللؤلؤ في عام ١٦٢٣. وفي عام ١٦٤٥ حاول حاكمها أن يضع الترتيبات اللازمة لإقامة شركة أوروبية في منطقته(٤٦).

وتقع بوشهر إلى الغرب من ريشهر. وقد أصبحت خلال القرن الثامن عشر أهم ميناء في إقليم فارس. وكانت مقراً عربياً. وفي أوائل عام ١٧٢٧ خطط الإنكليز لإقامة وكالة ومقرّ لهم في بوشهر(٤٧). ولقد نشطت الشركة الهولندية هناك عام ١٧٣٧ كما أنها افتتحت فيها وكالة لها عام ١٧٦٣(٤٨). وينتمي سكان بوشهر كما ذكر كنيبهاوزن إلى «أبو مهير» القبيلة العربية العمانية (والتي انحدرت من ضواحي مسقط). ولكن نيبور كان أكثر دقة (إلا أننا كالعادة لا نعرف ما إذا كانت إحصائياته ومعلوماته كاملة الدقة) فهو يشير إلى ثلاث قبائل شامبي، وأمهير، وهي أبو مهير التي ذكرها كنيبهاوزن، والمطاريش. ويذكر نيبور في كتاباته أن قبيلتي شامبي وأمهير كانتا تقيمان ولمدة طويلة في بوشهر وأن أصلهما معروف، وأما المطاريش فقد

هاجروا مؤخراً من عمان إلى بوشهر واستولوا على الحكم فيها(٤٩). وفي الواقع أن هذا لم يحدث قبل زيارة نيبور إلى الخليج عام ١٧٦٤ بكثير فلقد جاء في الوثائق الهولندية أن الشيخ مذكور، والد شيخ المطاريش أيام نيبور هو صاحب السلطة المحلية في بوشهر حتى عام ١٧٣٦. ومن الممكن أن يرجع وجود قبيلتي شامبي وأمهير هناك إلى أيام نفوذ دولة هرمز بينما من الممكن أن يكون المطاريش قد هاجروا إلى هناك في وقت لاحق(٥٠). ومن الضروري أن نشير هنا بأن ثمة قبيلة تدعى المطاريش قد ذكرت في وثيقة إنكليزية يعود تاريخها إلى أوائل القرن التاسع عشر وأن أهلها كانوا يسكنون «أبوهيلي» على خور الخان قرب الشارقة بينما جاء في الوثيقة نفسها أن قبيلة آل بومهير تتواجد داخل الشارقة(٥١).

وبين بوشهر ورأس بردستان تقع منطقة ساحلية طويلة تمتد حتى ثلاثمائة كيلو متر تعرف بداشتستان، وقد ذكرت في المصادر الأوروبية القديمة وهي التي تغطي مناطق تانجستان وداشتستان. وكان يقيم في أقصى ركنها الشرقي فلاحون من الفرس حسب ما جاء في تقرير كنيبهاوزن عام ١٧٥٦ ولم يكن هذا الجزء على اتصال فعلي بالعالم الخارجي. ونتيجة لذلك فقد ذكرت أماكن قليلة منه قبل نيبور كما ورد ذكره على عدة خرائط خاصة بمنطقة الخليج كامتداد قصير جداً، بينما يبلغ طوله في الواقع حوالي سبعين كيلو متراً. ومنذ حركة تطور وتغيير الخرائط الخاصة بالخليج حوالي عام ١٦٨٠ ذكرت قرية قلعات في وسط الخرائط. ولقد ورد في تقرير كنيبهاوزن عام ١٧٥٦ أسماء قرى صغيرة تقع على خليج خور زيارات وخور خوير. كما ظهر على خريطة نيبور أسماء أخرى وهي بالترتيب من الشرق إلى الغرب:

- أم الشالي. - أند سجيرو . - لاكو . - حليلة.

ومن بين جميع هذه الأسماء نستطيع أن نتأكد فقط من موقع حليلة وهي التي توجد في نهاية الجهة الغربية من منطقة تانجستان(٥٢).

وتمتد سلسلة من الجبال ابتداءً من رأس بردستان. وهذه السلسلة تفصل الأماكن الساحلية من داخل بلاد فارس عن الخليج وتستمر لتصل مدخل مضيق كلارنس، وهو القنال الواقعة بين جزيرة الجسم وبين البر الرئيسي. وقد ذكرت منطقة رأس بردستان

في الأطلسي المخطوط السرّي الخاص بشركة الهند الشرقية الهولندية لعام ١٧٦٠(٥٣). ويقع على هذا الساحل عدد من الموانئ الصغيرة التي يحكمها شيوخ عرب. ويظهر أقدم ذكر لعرب هذه المناطق في رحلة كاري(٥٤). وإذا اتجهنا من الشرق إلى الغرب على هذا الساحل الجبلي نجد أولاً كانجون، وهو مكان متسع تطور ليصبح مدينة تجارية هامة جداً بعد عام ١٧٥٠. وقد ذُكرت هذه المدينة في مخطوطة هولندية للرسومات البحرية التي صدرت في منتصف القرن السابع عشر. وقد سكنها جماعة من التجار وغواصي اللؤلؤ من قبيلة النصور الذين لم يشاركوا في غالب الأحوال في المنازعات القائمة في الخليج في القرن الثامن عشر(٥٥). وهؤلاء النصور يشكلون القبيلة التي تسكن أقصى الغرب من مجموعة الهولة(٥٦).

والهولة، الذين تذكرهم مصادر القرن الثامن عشر كثيراً، هم مجموعة من القبائل التابعة للساحل الشمالي في منطقة جنوب الخليج وكانوا بدواً يسكنون في الساحل أو بحارة وصيادي سمك. ويعتبر اللقب هولة اسماً مشتركاً يتداوله الأغراب للإشارة إلى بعض القبائل العربية الخاصة التي تسكن في منطقة جنوب الخليج. وتختلف مذاهب هذه القبائل الدينية (كان بعضهم من الشافعية السنية، ولكن كان معظمهم من الحنابلة السنية) كما كانت تفرّقهم المنازعات القبلية. وقد يعني هذا أن الاسم «هولة» هو مجرد وسيلة سهلة للإشارة إلى مجموعة من القبائل السنية المتميزة والمستقرة في منطقة جنوب الخليج. ومهما يكن كان هنالك وعي واضح بمدى الانتماء إلى هؤلاء الهولة من عدمه. فمثلاً، لم يعتبر بنو معين الذين كانوا يعيشون بين الهولة، فرعاً منهم. ومن المؤكد أن اسم «هولة» كان يستخدم خلال القرن الثامن عشر بمفهوم مختلف تماماً عما هو عليه الآن. فالهولة في القرن الثامن عشر كانوا عرباً سنيين، يرتبطون بعاداتهم ومبدأ حريتهم ارتباطاً وثيقاً. وهم الذين هاجروا من شبه الجزيرة العربية إلى ساحل بلاد فارس في منطقة جنوب الخليج. أما في الوقت الحاضر، فإنّ الاسم هولة يُستخدم في دول الخليج لكل جماعات المهاجرين من ساحل إيران الجنوبي والذين لا يمتون إلا بصلة ضئيلة جداً بالهولة الأصليين. ونحن نستخدم التعبير «الهولة» في هذا الكتاب انطلاقاً من معنى الاسم القديم. ولقد شاعت في أوائل

القرن التاسع عشر أسطورة تحكي أن أصل هذه القبائل يعود إلى غول ضخم يدعى هول كان لديه أربعة أبناء من ابنة صياد سمك عربي في بندر عباس وهم قاسم وناصر وأحمد وسهيل ولقد أطلق على سلالتهم جميعاً الاسم «أبناء هول»(٥٧).

وكان يسكن في طاهري إلى الشرق من هناك، مجموعة قوية من الهولة تدعى النصور وكانوا حسب ما قاله نيبور فرعاً من قبيلة الحرم، وهم مجموعة من الهولة الذين كانوا يقيمون أقرب إلى الشرق. ولا يمت نصور طاهري بصلة قرابة إلى نصور كنجون. ولقد لعب قادتهم دوراً هاماً في الأحداث التي قامت خلال فترة انهيار بلاد فارس في السنين الأولى من القرن الثامن عشر. والسفن الأوروبية قلما اقتربت من هذه الأمكنة، حيث أنها كانت تغير مسارها في جهة الساحل لتجنب المياه الضحلة الخطرة عند رأس بردستان وذلك عندما تتجه نحو أسفل رأس نابند(٥٨).

وفي هذه المنطقة وردت معلومات مشوشة في الرسومات الأوروبية القديمة تتعلق بمكان يدعى شيلو (Chiloe) ولكن هناك بالقرب من طاهري مكان يدعى شيرو (Chiru). بينما يبدو مكان أقرب إلى الشرق قرب نابند، ويدعى شيلو (Shilau). وإذا اقتربنا أكثر نحو الشرق، نجد مكاناً هاماً يدعى نخيلوه. وقد اختلطت هذه الأسماء ببعضها على ما يبدو في الخرائط والرسومات القديمة. إن كاري مثلاً يسمى شيرو (Chiru) شيروو (Chirou) وشيلو، شايلو (Cheylo) ونخيلوه كايلو (Kailo)(٥٩).

ويقع خلف رأس نابند إقليم خاص بقبيلة الحرم ويعرف أفرادها بنشاطهم في الغوص. وقد استطاعت تلك القبيلة أن تتخذ جزيرة البحرين مقراً لها خلال القسم الأول من القرن الثامن عشر. وكانت شيلو أهم قرية لهم في هذا القرن. أما عسيلوه فقد كانت المقر الرئيسي بالنسبة لهم. وقد ذكرت وثيقة هولندية عام ١٦٣٢ أنها تعتبر مغاصاً من مغاصات اللؤلؤ. كما ذكر الاسم في مخطوطة للرسومات البحرية لشركة الهند الشرقية الهولندية يعود تاريخها إلى أواخر القرن السابع عشر مع مكان آخر تابع لقبيلة الحرم يدعى نابون. وفي عام ١٦٧٢ زار الرحالة الفرنسي كاري عسيلوه، وكتب وصفاً للمكان(٦٠). ويشير مصدر برتغالي إلى قبيلة أخرى سكنت

في تلك المنطقة وكانت معادية لهم وتهاجم سفنهم وتدعى نوتاكوي (Nutaqui) وليس من الواضح اسم القبيلة المقصودة هناك. وتذكر بعض المصادر البرتغالية أيضاً أنها أقرب إلى جاسك على الساحل الجنوبي للخليج. وحسب ما قاله الرحالة الإيطالي بيترو ديلا فالي كانت هذه القبيلة تستخدم غالباً جزيرة لارك قاعدة لها(٦١).

أما الساحل الواقع شرق رأس نابند فهو عال ومنحدر ويقطنه قليل من السكان. وفي نخيلوه خور أو خليج صغير. وكان يسكن هذا المكان وجزيرة سطوار وجزيرة الشيخ شعيب في القرن الثامن عشر قبيلة تنتمي إلى مجموعة الهولة. ولم تذكر هذه القبيلة في مصادرنا وهي دون شك قبيلة العبيدلي. لقد أصبحت نخيلوه ميناءً هاماً في أوائل القرن السابع عشر وذكرت في بعض الوثائق باسم نيكولو (Nicolo) وأن الاسم «شيلاو» الذي يبدو مكاناً كبيراً على بعض الخرائط البرتغالية يجب أن يقرن في الغالب مع نخيلوه(٦٢). كما يبدو أنه كان أحد المواقع التي كانت تؤمها السفن القادمة من سورات والمحملة بالبضائع التي كان يتم نقلها عن طريق القوافل إلى سوريا ثم من هناك إلى غرب أوروبا بالسفن. ومن الممكن أن تعود أهميتها في بداية القرن السابع عشر إلى سد طريق البصرة ـ حلب التجارية بين بلاد فارس وتركيا بسبب الحروب. ولقد زار كاري نخيلوه عام ١٦٧٢. وفي ذلك الوقت امتنع شيوخ ذلك المكان عن الاعتراف بسلطة الشاه التي كانوا قد اعترفوا بها من قبل منذ بداية القرن السابع عشر. في تلك الأثناء كان السكان في حرب مع أهل الملاحة في جنوب العراق وفي بندر ريج وبوشهر وذلك حول موضوع مغاص اللؤلؤ(٦٣). وقد جاء في مصدر برتغالي قديم أنه عندما بدأت السلطة الفارسية تمتد إلى الساحل في بداية القرن السابع عشر، قامت مجموعة من السكان بالهجرة إلى صير الواقعة على الساحل المقابل(٦٤).

ويتجه الساحل شرقاً من خليج نخيلوه مرة أخرى. وهناك مدخل كبير في شارك. ويقيم في هذا المكان وفي جزيرة قيس قبيلة آل علي. هذه القبيلة هي نفسها التي تسكن على ساحل الخليج الجنوبي في الإقليم الذي تقع عليه إمارة أم القيوين. وهم ينتمون حسب ما ذكره بعض المؤلفين إلى آل علي في عمان. وقد جاء ذكر قبيلة

آل علي على هذا الساحل في النصف الأول من القرن الثامن عشر. ولكنهم كانوا قد تواجدوا في منطقة رأس الخيمة في أول القرن السابع عشر. ولقد زار كاري شارك في عام ١٦٧٢ (كانت آنذاك مكاناً عربياً تابعاً لبلاد فارس)، وقد ذكرت في مخطوطة رسومات بحرية هولندية في أوائل القرن السابع عشر على أنها موقع تستطيع فيه السفن الحصول على المياه العذبة. فيما كانت البعثة الهولندية إلى البصرة عام ١٦٤٥ قد قدّمت تقريراً يقول بأن قيس كانت جزيرة تنبت فيها أشجار النخيل، وأنهم رأوا هناك مدينة صغيرة(٦٥). وهي تبدو أيضاً على خرائط القرن الثامن عشر المطبوعة(٦٦). ويعتبر كتاب كاري عام ١٩٧٢ أول مرجع يذكر هذه القبيلة العربية(٦٧). ولكن هناك أيضاً عدد من المراجع التي وردت فيها بعد. ولقد وصف كنيبهاوزن المكان عام ١٧٥٦، كما وصفه نيبور بعد ذلك عام ١٧٦٥(٦٨). وتبدو شارك على الرسم البحري البريطاني الذي صدر عام ١٨٢٠(٦٩). ويقع أسفل الساحل من شارك الميناءان الصغيران موغوه ورأس الجرد اللذان أشار إليهما نيبور في كتابه. وكان كنيبهاوزن قد أشار أيضاً في تقَريره إلى ميناء موغوه. وقد جاء في هذا التقرير أنه كان يقيم في موغوه وفي جزيرة هندرابي المجاورة لها قبيلة كانت قد أضعفت الحروب الطويلة شوكتها في ذلك الوقت في عام ١٧٥٦. وهي الآن تخضع لآل علي في شارك. ولم يشر نيبور أو كنيبهاوزن في كتابتهما إلى اسم هذه القبيلة(٧٠).

وإلى جهة الشرق من هناك، امتداد واسع في الأراضي المنخفضة التي تفصلها مياه الخليج عن جزيرة الجسم الطويلة الموازية للساحل ويبلغ طول هذه الجزيرة مئة وعشرة كيلو مترات، ويبدو في الرسومات الهولندية ممرّ ضيق، قد يكون مضيق كلارنس أو قنال الجسم الذي يفصل الجزيرة عن البر الرئيسي. وكانت قبيلة المرازيق تقيم قرب مدخل ذلك الممر. وكانت هذه القبيلة تمتلك مكانين خلال القرن الثامن عشر وهما لنجة ومدينة بندر كنج التجارية القديمة.

ولقد أصبحت مدينة بندر كنج مهجورة تدريجياً بعد أن غزاها العمانيون وهاجموها عدة مرّات في أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر. وقبل أن تتعرض لتلك الهجمات، كانت بندر كنج أحد أهم الموانئ الواقعة على الخليج. وقد

أقيم فيها بعد ذلك مؤسسة برتغالية، ولمدة قصيرة وكالات هولندية وإنكليزية، وعندما كانت بندر عباس مركز التجارة الهولندية والإنكليزية في القرن السابع عشر تركزت معظم تجارة العرب من غير العمانيين والهنود في بندر كنج(٧١). ويشير مصدر إنكليزي صدر في القرن السابع عشر أن بندر عباس كانت أفضل المدن بناءً(٧٢). وقد اختفى بندر كنج تقريباً خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر وأصبحت لنجة فيما بعد مكاناً هاماً. وفي عام ١٧٥٦ ذكره بندر كنج على أنه مكان مدمر تماماً يحكمه شيخ المرازيق، ولكن نيبور أشار بعد عشر سنوات إلى تبعية لنجة لشيخ القواسم في رأس الخيمة على الجهة المقابلة من الخليج(٧٣). وما لبث أن أصبح الاسم كنج في طي النسيان، وفما بعد كان الكُتّاب يخلطون بين الاسم البرتغالي كونجو وبين كانجون(٧٤).

ولقد أُشير في القرن السابع عشر إلى أسماء ثلاثة أماكن على جزيرة الجسم وهي: باسيدو على الطرف الغربي، ولفت عند منتصف الطريق في اتجاه كلارنس والجسم أو بروكت على الطرف الشرقي مقابل هرمز. وكان لشاه هرمز ممتلكات غنية على الجزيرة(٧٥). ويشير تقرير هولندي عن الجسم عام ١٦٤٥، إلى وجود ستين قرية صغيرة أيضاً على تلك الجزيرة. وفي أرشيفات شركة الهند الشرقية الهولندية رسم رائع لحصن برتغالي في الجسم(٧٦). وكانت مدينة الجسم نفسها قرب الحصن، وهي في الأصل مقر هرمزي، وعرفت باسم بروكت (Broct)(٧٧). وأصبحت فيما بعد مدينة فارسية محصنة(٧٨). وكانت قبيلة بني معين أقوى القبائل في الجسم في البداية في القرن الثامن عشر، وهي قبيلة كبيرة من البحارة وصيادي السمك ومقرهم لفت. وفي عام ١٧٥٦ غزا حاكم رأس الخيمة لفت وأقام فيها أعضاء من قبيلة الحرم في المنطقة. وكانوا أيضاً يعملون في البحر وفي صيد السمك(٧٩).

ولقد تطورت مدينة باسيدو في الجسم الواقعة مقابل بندر كنج في حوالي سنة ١٧٢٠، كميناء ناشئ وكمقر لقائد هام جداً في الهولة يدعى راشد. وحسب ما جاء في مصدر غير موثوق وربما غير صحيح ورد في دليل لوريمر التاريخي، فإنّ راشد هذا هو أحد القواسم في رأس الخيمة ويقيم على الجهة المقابلة من الخليج(٨٠). ومن

الممكن أن يكون راشد هذا قد هاجر إلى باسيدو من بندر كنج حوالي عام ١٧٢٠(٨١). وحسب ما جاء في المصادر الهولندية فإنّ باسيدو قد اكتسبت أهميتها الاقتصادية من التجار القادمين من بندر كنج ورأس الخيمة ومسقط الذين استقروا هناك. وتذكر المصادر الهولندية إلى وجود علاقات بين باسيدو ورأس الخيمة. هذا، بالإضافة إلى أن معظم القواسم قد سكنوا في باسيدو على الساحل المقابل من بلاد فارس وهذا لا يكفي لإثبات ما ذكره لوريمر بأن راشد كان من القواسم(٨٢). وبالقرب من الجسم تقع هنديام وهي جزيرة صغيرة غير مأهولة بالسكان اعتبرت عام ١٧٥٢ مقراً محصناً لشركة الهند الشرقية الإنكليزية(٨٣).

وفي جزيرة لارك، شبه القاحلة، قرية واحدة فيها حصن هرمزي أو برتغالي وذكر رحّالة معاصر بأن الهولنديين قد بدأوا ببناء حصن في لارك، ولكنهم أوقفوا العمل بعد أن احتج الفرس على ذلك. وقد أكمل الفرس هذا الحصن بعد ذلك وليس هناك ما يثبت صحة هذه القضية في الوثائق الهولندية. ويذكر رحالة معاصر آخر أنه كان للقائد الهولندي وولبراند جلينش دي جونغ حديقة هناك في عام ١٦٤٥(٨٤). وكان يسكن الجزيرة الشحوح وهم جماعة من العرب غريبو الأطوار إلى حد ما، كانوا يعيشون في شبه جزيرة مسندم(٨٥). وكانت جزيرة هرمز القاحلة مركزاً لمملكة هرمز (وهي تحمل اسم الجزيرة نفسها) وقد خضعت منذ عام ١٥١٤ للعرش البرتغالي. وبقيت أهم مركز للتجارة في الخليج إلى أن تم غزوها من قبل قوة متحالفة تتألف من الإنكليز والفرس. وكان يسكنها في الأصل، كغيرها من الموانئ المهمة، خليط من السكان يُعتبر العرب أهم عنصر بينهم. ولم يكن في الجزيرة ما يكفي من الماء، فقد اعتمدت على الآبار سواء في الساحل المقابل من بندر عباس أو في الجسم(٨٦). ورغم سقوط الحصن عام ١٦٢٢، فقد جعله الفرس في حالة دفاع وفقدت المدينة أهميتها في التجارة(٨٧). ولقد سيطر على الجزيرة في القرن الثامن عشر، ضباط الكتيبة الفارسية الذين كانوا في الحصن(٨٨). وما لبثت، بعد وفاة نادر شاه، أن أصبحت تحت سيطرة ضباط عرب من البحرية الفارسية. وقد نالت استقلالها الفعلي وأصبحت فيما بعد بحوزة بني معين(٨٩).

وتقع بندر عباس إلى الشمال الشرقي على الطرف الآخر من الممر الواقع بين الجسم والبر الرئيسي. ويقع بالقرب منها موقع مدينة هرمز القديمة في أوائل العصور الوسطى. وقد هجرت مدينة هرمز القديمة بسبب خطر الهجمات المتكررة ضدها من الداخل ولذلك أنشئت مدينة جديدة على جزيرة هرمز. وقد أقيمت بندر عباس الحالية على أنقاض موقع، حصن هرمزي يدعى جمبرون (أو كوموراو بالبرتغالية) وقد بنى الفرس مزيداً من الحصون هناك وذلك في أوائل القرن السابع عشر(٩٠) وعلى الرغم من قيام مدينة بندر عباس الجديدة والقديمة منذ عام ١٦٦٣. إلاّ أنّ الإنكليز والهولنديين ظلوا يسمون المكان باسمه الأصلي جامرون (Gamrun) بالهولندية وجمبرون بالإنكليزية. وكان سكان هذه المدينة مزيجاً من العرب (وقد يكون أغلبهم أصلاً من هرمز) والفرس، والأرمن، بالإضافة إلى شعوب من أقاليم مختلفة من الهند، واليهود(٩١). وتشير عدة رسومات لشركة الهند الشرقية الهولندية إلى هذا المكان، كما يشير إلى الإنشاءات الهولندية وأقدمها موجود في رحلة بيتر فان دين بروك، وهو القائد الهولندي في سورات الذي نظم أول حملة هولندية إلى بلاد فارس عام ١٦٣٢. وتُعتبر الرسومات التي وضعها كورنيليوس دي براين في عام ١٧٠٤ أفضلها فنياً. والرسومات الأصلية بالألوان الطبيعية لها موجودة في أرشيف الدولة الهولندي(٩٢). ولم تكن المدينة محصنة تحصيناً قوياً. وكانت في أيام الاضطرابات عرضة لجميع أنواع الغزاة. وبعد موت نادر شاه عام ١٧٤٧، تقلبت الشخصيات المسيطرة عليها لعدة مرات إلى أن قام إمام مسقط باستئجارها(٩٣).

لقد قسمت بلاد فارس الواقعة خلف الساحل في منطقة جنوب الخليج من الناحية الداخلية إلى منطقتين إداريتين فارسيتين وهما: فارستان أو إقليم شيراز، الذي تنتمي إليه منطقة بندر عباس وهرمز، ولارستان التي تغطي منطقة غرب بندر عباس وتتضمن أيضاً بندر كنج. ويسكن داخل لارستان مزيج من السكان وبعض القبائل العربية على الساحل وفي الداخل أيضاً. وقد لعب هؤلاء دوراً هاماً في الاضطرابات السياسية في بلاد فارس في النصف الأول من القرن الثامن عشر(٩٤).

وكان يقطن المنطقة الجنوبية في فارستان عناصر نصف بدوية لم تضبطهم

السلطات الفارسية جيداً. وكان قطاع الطرق يعيقون التجارة بين الساحل والداخل(٩٥). لقد نتج عن عدم مقدرة الحكام الفرس من ضبط أقاليمهم الخاصة، آثار سيئة على اقتصاديات مجتمع التجارة العربي على الساحل. وتعتبر حالة الفقر التي تعود إلى تصرفات الحكام في الداخل، هي المسؤولة عن حالة الاضطرابات والفوضى بين العرب. وغالباً ما كانت السلطات الفارسية في لارستان أكثر إيجابية في موقفها تجاه النشاطات الاقتصادية في المنطقة الساحلية، من السلطات في شيراز. وهناك العديد من الشكاوى والتذمرات حول حالات الابتزاز التي كانت ترتكبها السلطات في شيراز وبندر عباس إذا ما قورنت بالموقف الأكثر تحرراً في لار وبندر كنج(٩٦).

وكان الأوروبيون يزورون الساحل الواقع إلى الشرق من بندر عباس بين الحين والآخر. وكان هناك قليل من الأماكن التجارية. مثل ميناب الواقعة إلى الشرق من بندر عباس حيث كان هناك بعض الملاحة المحلية. وقد عانت هذه المنطقة بأكملها من الهجمات التي كانت تشنها قبائل البلوش الذين كان أفرادهم حسب ما جاء في الرسومات القديمة، شعباً شرساً(٩٧). ولقد لعبت مدينة جاسك على ساحل مكران دوراً في القرن السابع عشر عندما كان الخليج ذاته قد أُغلق أمام الإنكليز. وكان للإنكليز هناك وكالة استمرت بضع سنين. ولكن قد تركوها وتوجهوا إلى بندر عباس عندما أصبحت المدينة محط الأنظار في تجارة الحرير. ومن الممكن مشاهدة سواحل المنطقة في مخطوطة هولندية يعود تاديخها إلى عام ١٦٤٤(٩٨). وهناك مدينتان صغيرتان أخريان وهما كوهستاق وخور إبراهيم. وقد ضعفت خور إبراهيم وانحدرت بعد مهاجمة البرتغاليين لها وسلبها في أوائل القرن السابع عشر(٩٩).

الساحل الجنوبي:

ظل ساحل الخليج الجنوبي منطقة غير معروفة للأوروبيين وذلك في القرنين السابع عشر والثامن عشر. وتُعتبر المنطقة الواقعة بين البصرة والصير منطقة منخفضة، فهي مجرد صحراء محاذية للبحر، يفصل بينها وبين البحر في بعض الأماكن بقع من السبخات. وقلما وضع الأوروبيون قدمهم على أماكن خارج الموانئ الرئيسية. ولم

يذكر سوى رحلة برية عبر الساحل. ولذلك فإن المعلومات عن المنطقة البرية قليلة جداً. وسنبدأ هنا بوصف البصرة: تقع البصرة على جانبي خور على الجهة اليمنى من شط العرب، وهي تعتبر في الأغلب أكبر مدينة قرب الخليج. وكان يسمى الخليج في بعض الخرائط التي يعود تاريخها إلى القرن السابع عشر، «خليج البصرة(١٠٠)» وهي موقع ترانزيت للبضائع الواردة من الهند على مراكب عربية وسوراتية وأوروبية. وكانت تحمل في قوافل وترحل من هناك إلى حلب. كما كانت منطلق قوافل الحجاج إلى مكة. وفي عدد من المصادر وصف للمدينة أفضلها ما كتبه نيقولاس دي جراف مع المخطط الموجود عنها. وهناك مخطط آخر للمدينة في مجموعة خرائط شركة الهند الشرقية الهولندية. ولم تؤثر سيطرة العثمانيين على المدينة كثيراً. فالعلاقات والارتباطات بين اسطنبول والبصرة كانت سيئة وذلك لأن القبائل العربية كانت تعيق المواصلات في أنهار العراق لأنها كانت في حالة حرب مع السلطان، وكذلك الحروب القائمة بين الامبراطورية العثمانية وبلاد فارس. كذلك كانت المدينة نفسها وضواحيها المباشرة منطقة نزاع دائم. ولقد تغيرت سلطاتها خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر عدة مرات منها: الإدارة العثمانية المباشرة أو الاستقلال نصف الذاتي تحت حكم سلالة محلية، أو تحت حكم رؤساء قبائل عربية، أو من قبل الفرس. وفي بعض الأحيان كانت البصرة تعاني من ضغوط شديدة من قبل قبائل عربية مستقلة من المنطقة السبخية المحيطة بها (كعب في الشرق والمنتفق في الشمال الغربي). وأخيراً من قبل الفرس(١٠١). وكانت البصرة تنعم بالشراء وتتوسع فيها التجارة عندما يكون الأمن مستتباً وكان للبرتغاليين فقط من الأوروبيين مؤسسة ثابتة فيها، ولكن بعد عام ١٦٤٠ كان للإنكليز والهولنديين والفرنسيين من حين لآخر مؤسسات في البصرة. وكان يؤم المدينة تجار من مختلف الأمم، وقد ذكرت الوثائق الهولندية منهم البندقيين واليونانيين والأرمن والهنود والجيورجيين. ويعتبر دير الكرمليين المقام هناك لتلبية حاجات التجار البرتغاليين أهم نقطة لاستقرار الغربيين. ومع سقوط مسقط عام ١٦٥٠ أصبح هذا الدير تدريجياً تحت سيطرة الفرنسيين. وكان في الدير راهب هولندي في فترة من الفترات. وكان الرهبان يوصلون الرسائل

ويحفظون الأمانات عندما كان يضطر التجار للمغادرة لسبب ما، وتلك الخدمات كانت تؤدى أيضاً للبروتستانتيين(١٠٢). وبعد عام ١٦٩٠ نشأت عدة نزاعات بين الحكومة العثمانية والقبائل العربية أولاً مع المنتفق ثم بعد ذلك مع قبيلة كعب. وخلال النصف الأول من القرن الثامن عشر برز في أحداث البصرة عنصر عربي ثالث وهو شيخ القبائل المقيمة في الجنوب الغربي من البصرة على حدود الصحراء العربية، وهو في الأغلب من الدواسر. وكان الشيخ أنيس هذا يتمتع بنفوذ كبير في البصرة. إلا أن علاقاته مع الحكومة العثمانية كانت أقل تعنتاً وتشدداً من غيره من الشيوخ(١٠٣).

ويبدو أن شط العرب كان قد سد في القرن السابع عشر بالرواسب الرملية. وكما ذكرنا سابقاً، كانوا يستخدمون نهر البامشير للملاحة. وهو أقرب إلى الشمال. وتبين منشورات الحملة الهولندية لعام ١٦٤٥ مدى الصعوبات التي واجهها البحارة لفترة ما عند دخولهم البصرة(١٠٤). وقد ظل معظم ساحل الخليج الجنوبي منطقة مجهولة للأوروبيين ولفترة طويلة خلال القرن التاسع عشر بقيت مناطق كبيرة منها دون أن يزورها أحد ودون أي رسومات عنها. وتظهر الرسومات البحرية القليل من المعلومات عن الداخل، فيما تعتبر معظم الرسومات الجغرافية خرافية تقريباً وغير قابلة للتصديق.

وإلى الجنوب من البصرة، وفي منطقة سبخية، يشكل خور عبد الله أقرب مكان يربط بين الفرات والخليج. وإلى الجنوب من خور عبد الله تقع جزيرة بوبيان التي ذكرت لأول مرة بهذا الاسم في رسومات فان كولن التي يعود تاريخها لعام ١٧٥٣. وكانت قد زارت بعض السفن الهولندية المنطقة عام ١٦٤٤(١٠٥). ويقع خليج الكويت خلف بوبيان وأمامه جزيرة فيلكة. وقد ذكرت فيلكة لأول مرة في الخرائط الفرنسية لعام ١٧٤٠ تحت اسم بليش (Peluche) في البنتيون أورينتال وفي تقرير كنيبهاوزن عام ١٧٥٦ تحت اسم فيلدشكاه (Feldschah)، بينما في الرسومات الأقدم تحمل الاسم البرتغالي إلها دي أجوادا (Ilha de Aguada)(١٠٦).

ويعتبر تقرير كنيبهاوزن الذي يعود تاريخه إلى عام ١٧٥٦ أول نص يحمل معلومات واضحة عن منطقة الكويت. وتتضح نشأة الكويت وتطورها على خرائط

ورسومات يعود تاريخها للقرنين السابع عشر والثامن عشر. ومنذ عام ١٧٢٠ - وصاعداً ظهر الاسم كاظمة وهو مكان صغير يقع على الساحل. ومن الممكن رؤية هذا الاسم على خرائط أقدم، ولكن تقع أبعد نحو البر بقليل. وأول خريطة ذكرت هذا المكان خريطة سانسون التي يعود تاريخها إلى عام ١٦٥٢. وهذا المكان الذي يعرفه باسم كاظمة في الكويت أصبح فيما بعد أكثر أهمية على الخرائط. وتظهر على خريطة أوتينز الصادرة عام ١٧٤٠ على أنها مكان كبير وسط البحر بين فيلكة وكاظمة ويدعى ميناء كاظمة(١٠٧).

كذلك يحدد النصف الأول من القرن السابع عشر أول المراجع عن مكان مقر قبيلة العتوب في المنطقة، وكان مسكنهم الأساسي في القرين وهو اسم الكويت القديم. وقد ظهر هذا المكان لأول مرة على رسومات فان كولن لعام ١٧٥٣، أما نيبور فهو أول من ذكر «الكويت». وتبين دراسة خط الملاحة على رسومات فان كولن بين خارج والقرين أن السفن الهولندية قد زارت الكويت قبل عام ١٧٥٣(١٠٨). وتظهر في تقرير كنيبهاوزن على أنها مكان كبير كان يستخدم عام ١٧٥٠ محطة على الخليج للقوافل القادمة من حلب. أما العتوب فكانوا قبيلة كبيرة من البحارة وغواصي اللؤلؤ، إلا أن نشاطهم التجاري كان محدوداً لفترة طويلة حيث أنه كان لديهم قوارب صغيرة فقط ولم يكن باستطاعتهم أن يتعمقوا إلى ما بعد البحرين خشية من سفن أعدائهم الهولة الكبيرة(١٠٩).

وكان ساحل نجد بين الكويت وقطيف خالياً من السكان تقريباً. وتبين عدة خرائط جغرافية يعود تاريخها إلى القرن السابع عشر عدداً من الأسماء في المنطقة معظمها مجموعة معلومات غريبة وغير دقيقة. ومن المستحيل تحديد أي منها. ولم يتغير هذا الوضع قبل ظهور خرائط أوتينز الواردة عام ١٨٤٧. ومن الممكن نسبياً تحديد الأماكن الساحلية على هذه الخرائط. ويبدو أن بعض المعلومات عن ساحل نجد والحسا قد تسربت في ذلك الوقت إلى أوروبا، إلا أن معرفة المصدر الذي جاءت منه تبقى لغزاً. ويبدو أن هذه المعلومات تعود إلى أصل فرنسي وربما جاء هذا نتيجة لانحراف سفينة فرنسية نحو الساحل وهي في طريقها إلى البصرة. ونحن نجد على

خرائط أوتينز بين الكويت (كاظمة) وقطيف الأسماء التالية: حدافيسا (Hadavisa)، أرماجيا (Armagia)، هاهان (Hahan)، آل كير (Al Kere)، مسلحم (Meslhem)، رأس مسلم، الحسا وحمس (Hems)(١١٠). ونجد رأس تنورة على أقدم رسم هولندي عن المحيط الهندي وهو الذي وصفه فان لنسكوتين. ويعود تاريخه إلى عام ١٥٩٦. ويشير مصدر برتغالي إلى وجود حصن صغير هناك. وقد ظهر الاسم فيما بعد على خريطة هولندية وضعها فينجبونز في عام ١٦٦٠ كما ظهر على أقدم مخطوطة لرسم بحري عن الخليج لشركة الهند الشرقية الهولندية وهي محفوظة في الأرشيف الهولندي، وكانت قد وضعت بعد حملة ميركات عام ١٦٦٧ بقليل(١١١). أما قطيف فهي مدينة هامة دائماً وكانت حتى أوائل القرن السادس عشر تحت سيطرة هرمز ولكن احتلها الأتراك فيما بعد. وفي القرن السابع عشر فقد باشا قطيف نفوذه تدريجياً وقد كان مستقلاً تقريباً عن السلطة المركزية العثمانية. وقد انتقلت السلطة إلى بني خالد الذين سيطروا على المدينة بأكملها فيما بعد(١١٢). أما السلطان العثماني فظل يطالب بالمنطقة واعتبر بني خالد أتباعاً له وكان مطلبه هذا فارغاً. فقد سيطر بنو خالد على معظم المنطقة الساحلية المهجورة بين قطيف وشط العرب. وكان لقطيف روابط اقتصادية وثيقة مع البحرين. وفي أوائل القرن السابع عشر قامت هجرة كبيرة من البحرين إلى قطيف(١١٣). ويعطي كنيبهاوزن بعض التفاصيل عن المدينة الكبيرة المبنية بالحجارة ويصف كيف أن تجار البحرين وهم أساساً من الشيعة قد تركوا الجزيرة خلال الاضطرابات التي حصلت في قطيف في الجزء الأول من القرن الثاني عشر(١١٤).

ومن الممكن أن نجد جزيرتي البحرين والمحرق على جميع الخرائط والرسومات وغالباً ما يكون ذلك بأسماء غريبة. ولقد ظل شكل الجزيرتين مجهولاً لجميع راسمي الخرائط حتى حوالي عام ١٨٤٠. وكانت البحرين جزيرة مأهولة دائماً بالسكان وفيها العديد من القرى، ولها موارد غنية من تصدير التمور، ومغاصات اللؤلؤ على السواء(١١٥). وقد حاول الهولنديون عام ١٦٤٤ إقامة مقرّ لهم هناك(١١٦). وفي مصادر القرن السابع عشر تفاصيل مسهبة عن الغوص وتجارة اللؤلؤ فيها بينما تبين مصادر

القرن الثامن عشر، التي جاءت في الخطط التي وضعها الانكليز والهولنديون لغزو جزيرة البحرين، بعض التفصيلات عن تكوينها السكاني(١١٧). وترتبط البحرين ارتباطاً وثيقاً بقطيف على البرّ الرئيسي. وكانت هنالك هجرة موسمية متبادلة بين المكانين(١١٨).

وتظهر قطر في الرسومات البحرية على أنها مدينة أكثر منها إقليم. وتعتمد هذه المعلومات على نماذج برتغالية وفي السجل على الرحالة الانجليزي سالبانكي الذي مرّ عبر البحرين إلى قطر متخذاً من هناك قافلة إلى شبه جزيرة مسندم(١١٩). وتبدو قطر في بعض الرسومات الهولندية فقط، والتي يعود تاريخها إلى القرنين السادس عشر والسابع عشر، أنها شبه جزيرة صغيرة جداً. ولا تبدو شبه الجزيرة مطلقاً في خرائط قديمة أخرى. وجان هايجن فان لنسكوتن هو مصدر هذه المعلومات، إذ يعتمد في رسوماته على معلومات وصلته من رسام غير معروف في جوا على الرغم من عدم تمكني من العثور على خريطة برتغالية توضح أن قطر هي شبه جزيرة. ويبدو أن معلومات الرسامين الموجودة في جوا تصل إلى لشبونة دائماً. وتبين الرسومات الأخرى فيما بعد أن الساحل العربي يستقيم ثانية إلى أن تظهر ثانية شبه جزيرة صغيرة جداً على رسومات البحرية البريطانية للخليج عام ١٨٢٠(١٢٠).

ويشار إلى قطر في عدة مصادر على أنها مدينة لا دولة(١٢١). وهناك وثيقة هولندية يعود تاريخها إلى عام ١٦٧٥ تشير إلى قطر والحسا والبصرة والبحرين من بين المنافذ الرئيسية لتجارة العبور من مسقط. لهذا لابد من وجود شيء ما يتعلق على الأغلب بشكل قرية أو أكثر من القرى الساحلية حيث كانت تستبدل التوابل والأقمشة بالمنتجات الصحراوية(١٢٢). لم يكن كتاب نيبور أول مصدر أوروبي يشير إلى قبيلة آل مسلم في المنطقة. فهناك أيضاً رسالة برتغالية تعود إلى القرن السادس عشر(١٢٣). وقد بينت خريطة نيبور مكانين آخرين في شبه جزيرة قطر وهما هوالة وادسجر (Adsjer) وقد تكون عسير، التي وُصفت في إحدى الوثائق بأنها مكان صغير بين الشارقة وقطيف(١٢٤). وتذكر خرائط ووثائق القرن الثامن عشر بعض الأماكن بين قطيف والشارقة لم نتمكن من تحديدها بصورة مؤكدة وهي: يوسوفي

(Yusufi) فيرايحين (Ferayhin) على خريطة نيبور، وجوهار (Guhar) (بين الشارقة وعسير) في التقرير الهولندي الذي يعود تاريخه إلى عام ١٧٥٦. والمنطقة التي تقع فيها معظم الأمكنة المذكورة في المصادر الأوروبية هي امتداد ساحل قطيف مقابل البحرين. وفي المنطقة نفسها مدينة صغيرة تدعى زبارة كان قد أسسها أفراد من قبيلة العتوب هاجروا من الكويت في النصف الثاني من القرن الثامن عشر. أما جودو (Godo) على الرسومات البحرية الهولندية، والتي يعود تاريخها إلى القرن السابع عشر، فمن المؤكد تقريباً أنها إما خور دون أو خور العديد على الحدود بين قطر والإمارات(١٢٥).

ويعطينا الرحالة البندقي بالبي في عام ١٥٨٠، معلومات حول منطقة مغاصات اللؤلؤ الواقعة بين قطر ورأس الخيمة، وهذه تفيد أنه كان على ساحل جلفار الغربي حصن واحد يدعى كلبا. وهذا يظهر أيضاً على عدد من الخرائط ومنها خريطة ديوارت باربوزا. وليس لدينا أية معلومات عن حصن كلبا. ولكن تقع مدينة كلبا على ساحل خليج عمان وهذه المدينة تقع في أقصى الشرق من جلفار(١٢٦). وفي كتاب بالبي قائمة بأسماء الأماكن التي يوجد فيها اللؤلؤ ويذكر في كتابه أنه يظهر في هذه الأماكن خلال موسم الغوص مساكن مؤقتة يعيش فيها الناس الذين يعملون في هذه المهنة. وتتضمن القائمة أسماء الأماكن من قطر إلى مسقط. وتعتبر هذه القائمة وثيقة هامة جداً في تاريخ الجزء الجنوبي من ساحل الخليج العربي. ومن بين الأسماء المذكورة في القائمة أسماء الأماكن الهامة في الوقت الحاضر. وكان بالبي أول من ذكرها في نص كتابه. ولا يذكر بالبي أن هذه الأماكن كانت دائماً مسكونة ولكن من الممتع حقاً أن نرى هناك أسماء أماكن مثل دبي وعجمان والشارقة وصير بني ياس وغيرها يعود تاريخها إلى عام ١٥٨٠. والقائمة ليست تماماً كما يذكرها بالبي. ولقد وردت على القائمة عدة أسماء مثل خورفكان وهي ليست أسماء أماكن بالمعنى الصحيح بل يبدو أنها أقرب لأن تكون جزءاً من دليل البحارة.

وعندما نتأمل هذه القائمة عن كثب تبدو وكأنها مجموعة أسماء عربية نقلت إلى الحروف اللاتينية (مع كثير من الأخطاء عند النقل) باستخدام الأصوات ومخارج

الحروف البندقية والبرتغالية، وقد تكون دليلاً بحرياً عربياً قديماً مفقوداً عن الخليج(١٢٧). ونورد هنا قائمة بالبي مع ملاحظاتنا:

Gatif-Latif وهي قطيف.

Lassen وهي الحسا.

Bahr-Qatar - Barchator وهي بحر قطر.

Jazira Filbahr- Zesilasilbar وهي جزر في البحر وتشمل أسماء هذه الجزر:

Alul وهي جزيرة حالول.

Seran وهي جزيرة شراعو.

Dsive وقد تكون جزيرة دينا.

Daas وهي جزيرة داس.

Emegorcenon وهي جزيرة قرنين (؟).

Anzevi وهي جزيرة أرزنة.

Zerecho وهي جزيرة زركوه.

Delmephialmas وهي جزيرة دلما.

Sirbeniast وهي جزيرة صير بني ياس.

Aldanna وهي الظنة.

Feshte Breetich- Festebruatich وهي فشت بريتك (وهو حوض من الحجارة الرملية والمرجانية).

ويبدو أن هذا الاسم هو عنوان تمهيدي لقائمة الأسماء التالية:

Qirqishan - Cheriza وهي قرقشان؟ ومن الممكن أن يكون أقدم إشارة لأبوظبي، وقرقشان هو اسم بحيرة أو خور يقع في الجنوب الغربي من جزيرة أبوظبي.

Dibei وهي دبي.

Sarba وهي الشارجة.

Agiman وهي عجمان.

Ras وهي راس.

Emegovien وهي أم القيوين.

Rasagier وهي رأس الحجر.

Dihan- Davin وهي ديهان.

Rasaelchime وهي رأس الخيمة.

Sircorcor وهي خور الخوير.

Casab وهي خصب.

Conzar وهي كمزار.

Mesendenderadi وهي مسندم.

Lima وهي ليما.

Debe وهي دبا.

Chorf وهي خورفكان.

Chelb وهي كلبا.

Sarar وهي صحار.

Suet وهي سوادي.

Mestar (غير معروفة).

Bargiat وهي بركا.

Tevii وهي طيوى.

Golat وهي قلعات.

Fur- Gatile وهي صور.

وهذه قائمة أسماء لم نستطع تحديدها وهي:

Sam سام (؟)[1]. Gameda جاميدا (؟).

Bacha [2]. Ladu. أيادو (؟).

---

(١) سام قد تكون شعم. المترجم.

(٢) هذه قد تكون بخا. المترجم.

وتسير هذه القائمة من الشرق إلى الغرب بحيث لا يصعب تحديد الأماكن غير المعروفة. ويعتبر بالبي المؤلف الوحيد الذي يعطي معلومات عامة عن الساحل القائم بين قطر وشبه جزيرة مسندم. وفي مصادر جاءت فيما بعد إشارة إلى مكان أو اثنين من أكثر الأماكن أهمية. وفي الرسومات البحرية الصادرة عام ١٨٢٠، منطقة كبيرة غير معروفة وذلك لأن المراكب الأوروبية لم تجسر أن تتوغل في مياه ضحلة غير موضحة على خرائط وحيث لا يوجد على برها سوى الصحراء(١٢٨).

ولم يذكر عملياً في مصادر أخرى قبل نهاية القرن الثامن عشر أي اسم من أسماء الأماكن الواقعة على الساحل بين قطر ورأس الخيمة. ولكن يستثنى من ذلك اسم الشارقة التي جاء ذكرها على خرائط يعود تاريخها إلى القرن السابع عشر وكذلك أم القيوين في القرنين السادس عشر والثامن عشر. ويعتبر وجود جزيرة صير بني ياس في قائمة بالبي أمراً جديراً بالانتباه. ويؤكد استخدام هذا الاسم وجود قبيلة بني ياس في المنطقة آنذاك. وكذلك نرى أن اسم هذه القبيلة قد ورد في المخطوطة العمانية على أنها كانت ذات نشاط في أوائل القرن السابع عشر(١٢٩).

وليس من الواضح ما إذا كان لبني ياس بعض المواقع السكنية الدائمة في ذلك الحين. وحسب المعلومات التقليدية فإن مدينة أبوظبي قد تأسست عام ١٧٦٢ رغم وجود أماكن سكنية مؤقتة قديمة بالقرب منها في شيريزان (قرقشان) في قائمة بالبي(١٣٠). ولم يرد أية إشارة عن دبي سوى ما ذكره بالبي في قائمته وقد قال أنها إحدى المخيمات المؤقتة التي كانت تقام لصائدي اللؤلؤ. ويختلط الأمر فيما يتعلق بجغرافية الصير وهي المنطقة الواقعة بين الشارجة وشبه جزيرة مسندم. ولقد ذكرت صير على أنها كانت في القرن الثاني عشر مقر سكن مجموعة من القبائل التي كانت تحت سلطة شيخ من القواسم والذين هم فرع من الهولة(١٣١). وقد وردت الشارجة كإحدى الأماكن القليلة الموجودة في المنطقة المذكورة في وثيقة هولندية. كما أنها جاءت في قائمة بالبي. ويذكر التقرير الهولندي المؤرخ في عام ١٧٥٦ الشارجة على أنها إحدى الأماكن القليلة المأهولة بالسكان والواقعة بين قطيف ورأس الخيمة(١٣٢).

ويذكر نيبور أن الشارجة كانت في أيامه جزيرة صغيرة تحت حكم شيخ

القواسم(١٣٣). إلا أن الوصف الذي وصفه نيبور عن المنطقة كان مشوشاً فهو يقول أن الاسم صير، الذي يطلق على ذلك الإقليم مأخوذ من مكان إقامة شيخ القواسم، القريب من الشارجة. وأن الاسم الفارسي للإقليم هو جلفار نسبة إلى رأس جلفار حيث توجد قرية صغيرة وبسيطة. وكان كنيبهاوزن قد أطلق في كتاباته السابقة على مقر إقامة الشيخ الاسم زور وهو يصفها على أنها مدينة مسورة، بنيت منازلها من الحجارة. وقد يكون هذا المكان هو نفسه زارا (Zara) الذي ظهر أولاً على خريطة برتغالية يعود تاريخها إلى القرن السابع عشر(١٣٤). وانطلاقاً من هذا النوع من الخرائط البرتغالية فإن زارا تبدو على خرائط القرن الثامن عشر، مرة في أطلس مخطوط يعود تاريخه إلى ١٧٦٠ - ١٧٦١ وضعه جي دي - هان من شركة الهند الشرقية الهولندية، ومرة أخرى في أطلس مخطوطة فرنسية في برست(١٣٥). وقد ورد هذا الاسم على بعض الرسومات البحرية الفرنسية البدائية التي وضعها ر. بون(١٣٦). ويقول نيبور أن المكان يدعى زارا (Zara) على الخريطة الإنكليزية(١٣٧) وتشير مراجع نيبور على أن هناك ثلاثة أماكن وهي الشارقة وقد وصفها كنيبهاوزن أنها قرية تجارية صغيرة ثم جلفار بالقرب من رأس الخيمة وقد ذكرت خلال الستينات من القرن الثامن عشر على أنها مجرد قرية، كما ذكر مكان ثالث بين الشارقة وجلفار. وهذا الاسم هو المكان الرئيسي خلال الخمسينات والستينات من هذا القرن. وقد سماها نيبور صير (Sir) وسماها كنيبهاوزن زور (Zur). وهناك احتمالان إما أن يكون نيبور على خطأ وأن هناك مكانين فقط هما الشارجة والصير (جلفار أو رأس الخيمة) أو أنه كان على صواب ومن المحتمل عندها أن يكون المكان هو زورا الواقع بين الشارقة وأم القيوين. وهذا التحديد يتناسب مع نيبور وكنيبهاوزن معاً وحتى مع ما ذكر عن زارها (Zarha) وساراجيا (Saragia) على الخريطة البرتغالية في كيبتاون (Capetown).

وصعوداً في الساحل من الشارجة ذكرت عجمان في قائمة بالبي فقط، بينما ذكرت أم القيوين فقط من قبل ديوارت باربوزا، علي أنها ملكوهون (Malquehoon) باستثناء قائمة بالبي. وقد جاءت أيضاً على رسم بحري فرنسي

يعود تاريخه إلى عام ١٧٤٠(١٣٨).

وإلى الشرق من أم القيوين تقع جزيرة الحمرا التي كانت شبه جزيرة وأصبحت جزيرة فيما بعد بفعل حركة المد والجزر العالي وكان يقيم في تلك الجزيرة أيام كنيبهاوزن قبيلة الزعاب. وهي القبيلة نفسها التي كانت تمتلك بندر ريج على الساحل الشرقي من منطقة شمال الخليج. وفي عام ١٧٥٦ كان الزعاب تحت سلطة شيخ القواسم(١٣٩). وكانت جلفار أكثر مكان معروف في المنطقة. وقد ورد اسم هذا المكان الواقع بالقرب من رأس الخيمة في عدد كثير من وثائق القرنين السابع عشر والثامن عشر. وجلفار هو المكان الذي تقترب فيه الجبال الممتدة من الداخل نحو الساحل. وعلى شاطئ البحر عدد من أشجار النخيل، والمنطقة لا يمكن تشبيهها بالصحراء. ولم يكن من السهل أن تدخل المراكب الكبيرة التي كانت ترسو بالقرب من الشاطئ، الخور الموجود كما كانت تفعل في بندر عباس. وقد أقيمت بعض البحوث الأثرية في المنطقة وتحدد موقع مدينة جلفار الصحيح. وكان مكاناً ذا أهمية كبرى في أيام مملكة هرمز واستمر كذلك حتى النصف الثاني من القرن الثامن عشر حيث نقلت المدينة إلى مقر آخر أفضل حماية في موقع رأس الخيمة. وتظهر النتائج الأثرية أن المدينة التي تنتمي إلى مملكة هرمز في أوائل القرن السابع عشر كانت تقع هناك ولكن ليس في موقع مدينة رأس الخيمة خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر(١٤٠). وأصبحت إحدى أهم المدن التجارية التابعة لعمان. وقد كانت، مع صحار ومسقط، إحدى الأماكن القليلة على الساحل الجنوبي والتي كانت تتعامل بالتجارة البعيدة المدى مع الهند والبصرة وكان سكانها يقتنون سفناً أكبر من غيرهم(١٤١). وقد عيّن العمانيون حاكماً عليها بعد أن غزوها عام ١٦٣٢(١٤٢). وقد ذكر لأول مرة شيخ القواسم كحاكم لجلفار ولإقليم صير في النصف الأول من القرن الثامن عشر(١٤٣). ويصف التقرير الهولندي الذي يعود تاريخه إلى عام ١٧٥٦ شيخ القواسم المدعو رحمة على أنه حاكم قوي ذو نفوذ وأن مدينته زور (Zur) صير أو زورا مركز تجاري هام وأنه يتمتع بولاء قبائل الصحراء البدوية المجاورة(١٤٤). وفي تقرير نيبور الذي يشبه عادة ما كتبه كنيبهاوزن، معلومات إضافية تفيد بأن هذه

القبائل تعيش في منطقة الجو (Jau) وهي البريمي(١٤٥). وحسب التقرير الهولندي عام ١٧٥٦، فإن شبه جزيرة مسندم بأكملها مع موقع غير بعيد من صحار ويعتبره نيبور خورفكان كلها تنتمي إلى شيخ القواسم(١٤٦). وليس من الواضح متى انتقلت جلفار تماماً إلى مقرها الجديد في رأس الخيمة. وقد ظل يُشار إليها حتى أوائل القرن السادس عشر(١٤٧).

والمكان التالي على الساحل هو مدينة رمس الصغيرة وقد ورد ذكرها في مصدر برتغالي وأنها كانت مزدهرة في أوائل القرن السابع عشر. كما جاءت في مصدر هولندي في النصف الأول من القرن السابع عشر بأنها كانت مركزاً تجارياً(١٤٨). ولكن لم تذكر رمس في وثائق أخرى فيما بعد حتى القرن التاسع عشر. ومن رمس شرقاً وجدت معالم على الساحل ذكرت فعلاً في جميع الرسومات البحرية الأوروبية حتى القرن التاسع عشر، وهذه المعالم عبارة عن برج أبيض كانت تشاهده من بعيد السفن المتوجهة من بندر عباس نحو مضيق هرمز. وتتناقض المصادر حول صحة موقع هذا البرج. إذ أن بعض المصادر، وخصوصاً جميع الرسومات البحرية الأكثر دقة والتي يعود تاريخها إلى القرن التاسع عشر قد حددت موقعه بالقرب من شعم. أما في كتاب مختارات حكومة بومباي فقد ذكرت رقعة بيضاء وسط الجبال فوق شعم، أشبه ببرج، ولكن بالقرب من قرية شعم تقع تلة غريبة على الشاطئ كان عليها يوماً ما مبنى ويقال أنها كانت مكاناً للعبادة قبل الإسلام(١٤٩). ويبدو من ناحية أخرى أن وثائق القرن السابع عشر تشير إلى النصب التذكاري القائم في رأس الشيخ مسعود. وليس من الممكن اليوم تحديد أيهما هو البرج(١٥٠).

وهناك بعض الجزر في وسط مياه منطقة جنوب الخليج. ولم تكن جميع هذه الجزر مأهولة بالسكان ولكنها ظلت حتى وقت قريب تتبع قبائل الساحل العربي. وفي وسط الخليج تقع ثلاث جزر وهي جزيرة فرور وجزيرة طنب وجزيرة طنب نابيو (Tanb Nabiu) وقد شاهدها البحارة الأوروبيون وقاموا بزيارتها. وقد أطلق على هذه الجزر أسماء هولندية بدت على الرسومات التي يعود تاريخها إلى القرن السابع عشر. وتعتبر جزيرة طنب، التي كانت بعد عام ١٦٢٢ نقطة التقاء بين قائد

الأسطول البرتغالي وممثلي المناطق العربية الذين كانوا يدفعون له الضرائب، المكان الوحيد الذي استكشفه الهولنديون(١٠١). أما جزيرة أبو موسى فهي أقرب إلى الساحل، ويشار إليها في الخرائط الأوروبية على أنها «أبو موسى». وتظهر على بعض الخرائط الهولندية باسم «زيميو Zeemeeuw» نسبة إلى اسم المركب الذي استكشف المنطقة. ويبدو أن جزيرة صرى لم تكن معروفة للبحارة الهولنديين. ولكنها تبدو واضحة على الخرائط الفرنسية التي يعود تاريخها إلى أوائل القرن الثامن عشر(١٠٢). وكان العرب يستخدمون هذه الجزر على ما يبدو كأماكن للاختباء فيها عندما يواجهون الأخطار(١٠٣).

أما الساحل الجبلي لشبه جزيرة مسندم، فقد اكتشفه بعض البحارة الأوروبيين في رحلاتهم المبكرة إذ أن الساحل الصخري الذي فيه بعض الخلجان أقل خطراً من السواحل الرملية المسطحة. وقد ذكرت معظم الأماكن التي في قائمة بالبي عام ١٥٨٠. أما الساحل الواقع جنوب خليج خصب العميق فقد استكشفته المراكب الهولندية عام ١٦٤٥ حيث قامت بزيارة قريتي قيدي وبخا(١٠٤). وإلى الشمال تقع مدينة خصب داخل الخور. وقد تبعت البرتغاليين وظلت كذلك فترة سقوط مسقط عام ١٦٥٠. ولقد قام الهولنديون بزيارة خصب عام ١٦٦٦ عندما كان في الحصن قوة من الجنود تابعة لإمام عمان(١٠٥).

ويسكن شبه جزيرة مسندم قبائل الشحوح. وهم مجموعة من السكان يختلفون عن غيرهم من عرب شبه الجزيرة من حيث لهجة اللغة والعادات. وقد ذُكرت قبائل الشحوح لأول مرة في المخطوطة العمانية. ويُتداول العديد من الروايات الغريبة والقاسية عن أصل هذه المجموعة من السكان، إذ شاع أنهم خليط من عناصر برتغالية وعربية. ولكن هذا الأمر بعيد عن الاحتمال. ومن الممكن أن يكون الشحوح جماعة من السكان المقيمين في منطقة واسعة وظلوا حلفاء لملوك هرمز وللبرتغاليين. ولكنهم تراجعوا تدريجياً إلى أماكن يصعب الوصول إليها (كان هناك عدد من مجموعاتهم القبلية الذين ساندوا البرتغاليين ضد إمام اليعاربة ومن المهم أن نذكر هنا أيضاً أن قبيلة الشحوح قد قامت فيما بعد بمساندة المعارضين العرب ضد حكم دولة اليعاربة بعد

مغادرة البرتغاليين لعمان(١٠٦))(١٠٧). ويدل وجود قبيلة الشحوح في جزيرة لارك على روابطها مع دولة هرمز القديمة. وحسب برترام توماس، فإن لهجة الشحوح هي مزيج من عناصر عربية وفارسية مع وجود عدد كبير من الألفاظ غير محددة الجذور. ويبدو حسب رأي هذا الكاتب أن تركيبة لغتهم أقرب إلى الفارسية، ولكن الارتباط بين الاثنتين ليس مع اللغة الفارسية الحديثة في المنطقة بل مع لغة قديمة جداً(١٠٨). وليس في وسعنا أن نحكم على قيمة الملاحظات التي صرح بها برترام توماس. ولكنها على كل حال تؤيد فكرة وجود رابطة بين قبيلة الشحوح مع مملكة هرمز ويعتبر الشحوح سياسياً قبيلة عربية سنية تشوب لغتها ثقافة فارسية قوية وتأثُّرٌ في الألفاظ فعّال.

وكانت كمزار مقر صيد صغيراً للشحوح في أقصى شمال شبه جزيرة مسندم، وقد أصبحت في عام ١٦٤٥ تحت حكم عربي، إلا أن شيخها كان باستطاعته الاتصال والتعامل مع الزوار الهولنديين باللغة البرتغالية. ويبدو أن ليما الواقعة شرق شبه الجزيرة كانت تمتاز ببعض الأهمية في خلال القرن السابع عشر. وفي التقرير الذي وضعته البعثة الهولندية عام ١٦٤٥ وصف جيد عنها (كان مايزال فيها حامية برتغالية)، وأيضاً في تقرير آخر عام ١٦٦٦. وكانت دبا أيضاً، مقراً صغيراً لصائدي الأسماك، وكان فيها حصن للبرتغاليين حتى عام ١٦٥٠. وقد وضع سبيلمان رئيس البعثة الهولندية عام ١٦٤٤ رسماً لمدينة دبا وخليجها. ويوجد كذلك بعض الرسومات البرتغالية البسيطة لأحد الحصون هناك(١٠٩). وفي عام ١٦٤٥ كان لا يزال في بدية مسجد قديم وغريب قائماً بالقرب من بقايا حصن صغير، وحصن آخر برتغالي صغير. ولقد ذكرت خورفكان في عدة مصادر. ويبدو أنها كانت عند وصول البرتغاليين لأول مرة مكاناً هاماً. ولكن ضعفت أهميتها فيما بعد. وكان الهولنديون قد قاموا بزيارة المكان نفسه عام ١٦٦٦. وقد سيطر عليه البرتغاليون حتى عام ١٦٥٠. وتوجد رسومات برتغالية للحصن(١٦٠). كذلك قام الهولنديون بزيارة كلبا، الواقعة بالقرب من الحدود الحالية بين عمان والإمارات العربية المتحدة، وذلك في عام ١٦٦٦. وقبل تلك المدة كان للبرتغاليين حصن فيها، وهناك بعض الرسومات القديمة له(١٦١). وتشير البعثة الهولندية عام ١٦٦٦ إلى مكانين آخرين على الساحل

وهما تابار وعمق(١٦٢).

وتقع صحار بالقرب من مسقط وهي أهم مكان على ساحل خليج عمان، وفيها حصن هام وقع تحت سيطرة البرتغاليين منذ عام ١٦٢٣. وفي عام ١٦٦٦ ذكرت مسقط على أنها مدينة كبيرة نسبياً بنيت من الحجارة. وكانت صحار قد فقدت الكثير من أهميتها في أيام نيبور(١٦٣). ويقع بين صحار ومسقط عدة أماكن صغيرة جاء ذكرها في التقرير الهولندي عام ١٥٦٦ وهي: سوادي، سبية، بركا وسيل. ولكن هناك مصدر أقدم من ذلك يشير إلى بركا وصبية فقط حيث كان فيهما حصون برتغالية. وكانت بركا تتعامل بالتجارة الدولية في عام ١٧٥٦(١٦٤).

ولقد ظلت مسقط حتى عام ١٦٥٠ مغلقة إلى حد كبير أمام السفن الانكليزية والهولندية. وفي الوقت الذي كانت هرمز بيدها المفاتيح الأساسية لتجارة الخليج، كانت أهمية مسقط ثانوية. وبعد سقوط هرمز استمر حكم البرتغاليين في مسقط لعدة سنوات. وجذبت المدينة جزءاً من العمليات التجارية التي كانت تقوم بها هرمز. وظلت مسقط قاعدة لأسطول برتغالي صغير عمل على إعاقة تطور ونمو التجارة الإنكليزية والهولندية في الخليج(١٦٥). وقبل عام ١٦٥٠ بقليل، تدهورت التجارة في مسقط، وقد وجدت البعثة الهولندية الأولى عام ١٦٥١ التي جاءت بعد الغزو العربي مباشرة، أنها مدينة معزولة وقد توقفت تجارتها، ولم يتأقلم بعد أفراد قبائل الصحراء الذين قاموا بغزوها مع وضعهم الجديد كحكام لمركز تجاري دولي(١٦٦). ولكن بعد أن عانت مسقط من بعض المشاكل الأولية، عادت مرة أخرى إلى انتعاشها السابق. وفي عام ١٦٦٦ كانت المدينة تضاهي بندر عباس، كما كانت هي والبصرة أيضاً إحدى أهم ثلاثة موانئ في الخليج(١٦٧). ويبدو أن حروب التحرر في السنوات الأخيرة قد أحدثت دماراً لبنية عمان السياسية أكثر منها لاقتصاد مسقط. ويوضح التقرير الهولندي لعام ١٧٥٦ أن مسقط كانت مركزاً تجارياً فيما كانت حكومة إمام عمان مازالت ضعيفة بالمفهوم السياسي والعسكري(١٦٨). وقد ذكرت مطرح الواقعة بالقرب من مسقط، في الوثائق التاريخية. وقد ظهرت مطرح في منظر لمسقط في البعثة الهولندية لعام ١٦٦٦. وإلى الشرق من مطرح تقع قريات

التي فقدت أهميتها بعد هزيمة البرتغاليين عام ١٦٦٢. أما صور فهي مقر برتغالي قديم. ويشير التقرير الهولندي لعام ١٧٥٦ إلى وجود بعض التجار المهمين في مطرح وصور(١٦٩).

قبائل شبه الجزيرة العربية:

لقد انحصر اهتمام الأوروبيين في سواحل الجزيرة العربية. وقلما تنقلوا في البلاد خارج الموانئ الرئيسية القليلة. ويعتبر جوزيف سالبانكي حتى عام ١٦٠٩ هو الأوروبي الوحيد الذي تشير إليه السجلات بأنه سافر عبر الجزيرة العربية من قطر إلى شبه جزيرة مسندم قبل القرن التاسع عشر(١٧٠). والمصدر العماني هو المرجع الوحيد عن تاريخ القبائل في الداخل(١٧١). ولقد لعبت القبائل دوراً هاماً، رغم عدم ملاحظة المصادر الأوروبية لذلك. فلقد حددت تلك القبائل ما إذا كانت عمان قادرة على مقاومة نشطة وفعالة ضد المصالح الفارسية والبرتغالية أم لا. كذلك كان للقبائل دور اقتصادي عام: فقد قاموا بنقل البضائع التجارية من الساحل إلى داخل شرق شبه الجزيرة العربية. ويذكر التقرير الهولندي لعام ١٧٥٦ أربعة أماكن ساحلية كنقط بداية لهذه التجارة وهي: عسير، صحار، الشارقة وزور(١٧٢). ويذكر الرحالة الفرنسي تاڤرنيير مشروعاً تجارياً في عام ١٦٤١ بين قطيف وخليج عمان عبر أماكن غريبة تسمى مسكلات وهي غالباً في منطقة ليوا أو البريمي، وڤودينا قرب رأس الخيمة. وعلى الرغم من وجودها في عدة خرائط قديمة، فليس من الممكن تحديد مكانها بالتأكيد(١٧٣). ويبدو أنه كان لمسقط وقتذاك بصورة خاصة تجارة داخل عمان وأماكن أخرى أبعد من ذلك بكثير قبل البحرين والحسا(١٧٤).

ولقد منحت القبائل الداخلية حكام رأس الخيمة ومسقط القوة العسكرية لممارسة حروبهم. وفي المصدر العماني جميع المعلومات التي لدينا عنهم. كانوا أحياناً يعملون معاً ضد الفرس والبرتغاليين. أما القبائل الغريبة الأخرى في البريمي والشحوح في رؤوس الجبال فقد كانت أحياناً تعارض إمام عمان وتنضم إلى حاكم جلفار أو شيخ رأس الخيمة(١٧٥). ويبدو أن هذه القبائل قد استقرت في موضعها الحالي لفترة

طويلة. ولقد ورد في مضمون ما كتبه بالبي اسم قبيلة بني ياس عام ١٥٨٠ كما ورد في وثيقة برتغالية اسم حاكم قاسمي عام ١٦٤٨(١٧٦). ويبدو أنه ليس هناك أي مصدر قديم آخر في المصادر الأوروبية سوى نيبور قد ذكر اسم بني ياس. ويشير نيبور إلى هذه القبيلة على أنها مستقلة وأن المنطقة التي تقيم فيها فقيرة جداً إلى درجة لا تجذب جيرانها إليها لغزوها(١٧٧).

أما قبائل قطر والحسا فقد ذكرت في المخطوطة العمانية. وفي الوثائق البرتغالية إشارة أيضاً إلى تلك القبائل. وقد أشير إلى قبيلة آل مسلم القطرية في وثيقة برتغالية عام ١٥٤٥(١٧٨). وكان نيبور أول من ذكر هذه القبيلة مباشرة، كما ذكر أنها كانت قبيلة مستقلة تماماً(١٧٩). كذلك ذكر نيبور قبيلة بني خالد في الحسا كما ورد ذكرها بشكل واضح في تقرير كنيبهاوزن لعام ١٧٥٦ ولكن هناك عدة مصادر عربية أخرى(١٨٠). ويبدو أن العتوب كانوا يعيشون في مكان قريب من البحرين وذلك في أراخر القرن السابع عشر ولكنهم تركوا المنطقة بعد ذلك بفترة قصيرة قاصدين الكويت. وقد أشير إليهم هناك في المصادر الأوروبية بعد عام ١٧٥٠ بقليل(١٨١).

وهناك بعض الإشارات للروابط القبلية القائمة بين العرب في الجانب الشمالي من الخليج وأولئك الذين يقيمون في الجانب الجنوبي فيه. ولعل الإشارة إلى حاكم رأس الخيمة القاسمي على أنه يتزعم بعض «الهولة» يوضح مثل هذه الروابط(١٨٢). وقد تبين أن حادثة هجرة العناصر العربية من نخيلوه إلى مكان آخر يقع غرب رأس الخيمة قد جرت في القرن السابع عشر(١٨٣). من ناحية أخرى فقد هاجرت بعض الجماعات من جلفار إلى باسيدو الواقعة في جزيرة الجسم في أوائل القرن الثامن عشر(١٨٤).

الفصل الثاني

القوى السياسية والاقتصادية في الخليج والدول الأجنبية
دراسة شاملة للتركيبة السياسية بين عام ١٦٠٠ وعام ١٧٨٤



يعتبر تعدد القوى السياسية وتداخلها في الخليج، أحد أسباب تعقّد فهم تاريخه في القرنين السابع عشر والثامن عشر. ولكن الوضع في بداية القرن السابع عشر كان بسيطاً نسبياً، إذ سيطرت دولة هرمز التابعة للبرتغاليين على البحر ولم تكن تواجه سوى معارضة بسيطة فقط من قبل بعض المجموعات المقاتلة التابعة لبعض المشيخات العربية الصغيرة المستقلة التي كانت تجاور حدود كل من الامبراطورية العثمانية في ذلك الوقت والامبراطورية الفارسية، وهما من أكبر امبراطوريات آسيا في ذلك الوقت. وسرعان ما أصبح الوضع خلال القرن السابع عشر أكثر تعقيداً، كانت بلاد فارس تحاول توسيع رقعة نفوذها باتجاه ساحل الخليج، كما واجهت الامبراطورية العثمانية صعوبات كبيرة في المحافظة على مكانتها المتواضعة في المنطقة وكانت في البداية عبارة عن قوة داخلية فقط. أما بلاد فارس فقد حاولت أن تحظى بمساعدة انكلترا وهولندا لتحطيم القوة البرتغالية، وأن تفرض سيطرة شاملة على الخليج فيما بعد. ولكن لم يرض الانكليز والهولنديون بممارسة اللعبة الفارسية. ورغم أنهم كانوا يرغبون في تحطيم الاحتكار التجاري البرتغالي - الهرمزي إلا أنهم لم يحاولوا جدياً أن يحلوا محل القوة العسكرية البرتغالية. ولما ضعفت شوكة بلاد فارس بحرياً، ولم يرغب الأوروبيون في أن يتعدى تدخلهم أبعد من مطامعهم التجارية، أصبح من السهل على القبائل العربية المتواجدة على الساحل أن تنال استقلالها. ولقد تمكن العرب أخيراً في أوائل القرن الثامن عشر من إحباط آخر محاولات البرتغاليين في استعادة نفوذهم وقوتهم في الخليج. وكذلك فقدت بلاد فارس قوتها في غضون القرن الثامن عشر، وأصبح الوجود العثماني في الخليج رمزياً. وقد تراجع كل من الانكليز والهولنديين حوالي عام ١٧٦٠ عن منطقة جنوب الخليج وذلك لعدم اهتمامهم باقتصادها. وفي الوقت نفسه ظل التدخل الأوروبي قوياً في منطقة شمال الخليج، ولكن لم يدم هذا طويلاً. فقد تراجع الهولنديون نهائياً، بينما استمر الوجود الانكليزي ولكن بنسبة ضئيلة جداً. وفي ١٧٨٠ أصبح الخليج ولفترة مؤقتة بحيرة عربية.

مملكة هرمز:

لقد سيطرت مملكة هرمز البحرية على سواحل الخليج منذ العصور الوسطى، والمعلومات التاريخية التي لدينا عن هذه الدولة لا تزال قليلة إذ أن لدينا قائمة بأسماء شاهات هرمز مع بعض المعلومات الضئيلة عن حياتهم، وبعض الأرقام الغامضة عن حالة هرمز الاقتصادية منذ أن كانت تحت سيطرة البرتغاليين(١).

وتبدأ الفترة التي يعالجها هذا الكتاب بانتهاء مملكة هرمز التي كانت لعقود عديدة من الزمن محمية برتغالية، وبإمكاننا الرجوع إلى دراسة أوبين عن مملكة هرمز في أوائل القرن السادس عشر للحصول على وصف كامل لها وفي أوج مجدها. وهذه الدراسة تعتبر نموذجاً وصفياً طيباً. وسوف تقتصر دراستنا هنا على البيانات والشرح مزودة بالحقائق المتعلقة بتاريخ الخليج بعد انهيار مملكة هرمز.

لم تكن الدولة الهرمزية وحدة مركزية بل كانت عبارة عن بناء غير ثابت لمدن مستقلة، بحيث كان يتم تعيين مسؤول واحد من قبل ملك هرمز (تماماً كالبودستا الذي تعينه المدينة الرئيسية في الأماكن الخاضعة في الدول الإيطالية خلال العصور الوسطى). وبنفس الأسلوب كان حاكم هرمز البرتغالي عبارة عن بودستا يعمل على ضبط حكومة ملك هرمز نيابة عن ملك البرتغال(٢). ويبقى الامتداد الإقليمي لمملكة هرمز غير محدد نوعاً ما. ويبدو في بعض المصادر أن ملك هرمز كان، لدى وصول البرتغاليين، يمارس سلطته شمالاً حتى جزيرة خارج وغرباً حتى مسقط وأما شرقاً فقد امتد نفوذه حتى مكران، وقد سيطرت مملكة هرمز أيضاً على شريط ساحلي عرضه سبعون كيلو متراً يقع بين مملكة لار في الداخل والخليج، (لم تكن بلاد فارس ممتدة بعد إلى الخليج). كما يدخل في نطاق مملكة هرمز معظم موانئ الساحل الشمالية للخليج بين بندر رق وجزيرة هرمز، بالإضافة إلى مساحة ممتدة على الساحل العربي مقابل البحرين(٣). وفي عام ١٦٠٠ تقلصت هذه المملكة ولم يبق منها غير المناطق المحيطة ببندر عباس والجسم والبحرين وساحل شبه الجزيرة العربية بين مسقط وجلفار.

ويبدو أنه لم يكن هناك وجود برتغالي في أنحاء مملكة هرمز خارج الجزيرة

نفسها، ولكن جاء وقت كان فيه ملك هرمز بحاجة إلى مساعدات القوات البرتغالية للمحافظة على سلطته في ممتلكاته الواسعة الأرجاء. فقد كانت مساعدة القوات البرتغالية ضرورية في قمع ثورة في البحرين، كما تدخلت حامية بحرية برتغالية لإبعاد الشيخ العبيدلي عن نخيلوه، ومنع غيره من العرب من مهاجمة النقل البحري الهرمزي(٤). وكثيراً ما ظهرت بعض الضغوط على حدود مملكة هرمز في مسندم وعمان التي احتلتها القبائل العربية(٥). أما سكان هرمز، فقد كانوا مزيجاً من عناصر مختلفة. كانت السلالة الحاكمة من العرب السنيين الذين يرجع أصلهم إلى عمان(٦). وتغلبت الثقافة الفارسية كثيراً في هرمز كما مارست بلاد فارس نوعاً من السيادة على الجزيرة(٧). ويبدو أن العنصر الفارسي كان مسيطراً في الغالب في الدوائر الحكومية وقطاع التجارة، على الرغم من أن ميل وجهاء هرمز لقضاء فصل الصيف في خورفكان أو لامتلاك أراضٍ في جلفار، يشير إلى وجود عنصر عماني قوي في المنطقة. وكما هو متوقع فقد كان قطاع التجارة عبارة عن مزيج من الشعوب، إذ تجد أحياناً جماعة من الهنود أو اليهود أو بعض البنادقة من إيطاليا. وتتميز هرمز بالإجمال بوجود البناء السكاني النموذجي للمجتمع التجاري في الخليج. وظهرت الروابط بين قسم من السكان العرب في هرمز وبين الشحوح المقيمين في جزيرة مسندم. وقد انتقلت العائلة الحاكمة بعد الغزو الانكليزي الفارسي لهرمز عام ١٦٦٢ إلى صحار على ساحل عمان(٨).

واعتمد اقتصاد هرمز على الرسوم المفروضة على تجار الترانزيت وعلى بيع رخص الغوص. وكانت السياحة التقليدية تقضي بإلزام جميع السفن التجارية التي تعبر الخليج محملة بالبضائع أن تتوقف في هرمز وأن تدفع الرسوم هناك. إلا أن هذا النظام كان يتّسم ببعض نقاط الضعف، إذ كان من الضروري أن يكون للدولة قوة بحرية تلزم السفن على التوقف في الموانئ الهرمزية وتبعد الدخلاء عن مغاصات اللؤلؤ. وقام البرتغاليون بهذا الدور في القرن السادس عشر.

وعلى الرغم من أن ممتلكات هرمز ومدى نفوذها وقوتها قد نقصت خلال القرن السادس عشر، إلا أنها كانت ما تزال في أواخر سنواتها قوة اقتصادية هامة في

الخليج. رغم أن مكانتها العسكرية قد أصبحت مزعزعة بعد احتلال الفرس لارستان عام ١٦٠٢. ومنذ ذلك الحين أصبح لهرمز جارة برية قوية. وعندما تمكنت تلك الجارة من الحصول على مساعدة قوة بحرية من الإنكليز تكفي للوقوف في وجه البحرية البرتغالية التي كانت توفر الحماية لهرمز، لم يعد بإمكان هرمز البقاء.

النفوذ الفارسي في الخليج:

لم يكن النفوذ الفارسي في ساحل الخليج قوياً بسبب سيطرة البرتغاليين على مملكة هرمز. وكانت هرمز وقتذاك تسيطر على معظم التجارة البحرية في بلاد فارس رغم أن الموانئ البحرية الفارسية غرب بوشهر كانت تمارس تجارتها الخاصة مع البصرة. وقد كان من المحتمل أن يبسط الفرس بعض نفوذهم على منطقة الخليج عقب غزوهم لارستان عام ١٦٠١ ـ ١٦٠٢(٩). وقد تحالف آنذاك خان شيراز الإمام قولي خان، مع بعض القبائل العربية المقيمة على الساحل. ومع بداية القرن السابع عشر كان الإمام قولي خان مستعداً لشن هجوم على مناطق النفوذ البرتغالية. وقد قامت السياسة الفارسية في الخليج على مبدأ أساسي وهو نزاعها مع الامبراطورية العثمانية، إذ أن بلاد فارس كانت ترغب، ضمن إطار هذا النزاع، أن تغلق طريق البصرة ـ حلب التجاري. وكان من الممكن أن يتم هذا الأمر، ليس فقط بالهجوم على العراق، بل بمحاولة السيطرة على تجارة الخليج أيضاً وبذلك لا تستطيع أية سفينة تجارية القدوم إلى البصرة وثمة احتمالان لهذا الأمر: الأول تحويل التجارة عبر بلاد فارس وروسيا، والثاني إرسال البضائع الفارسية مع الشركات التجارية الأوروبية عبر طريق رأس الرجاء الصالح إلى الغرب. ولقد تمت محاولة تطبيق كلا الأمرين عدة مرات(١٠). وكان احتمال قطع طرق البصرة التجارية دافعاً أساسياً للفرس للتخلص من سيطرة البرتغاليين على مملكة هرمز. ولكن عندما طُرد البرتغاليون من هرمز وجدت تجارة البصرة طريقاً بديلاً لها في مسقط. وكانت بلاد فارس تحاول من حين لآخر إغلاق تجارة هذا المكان الذي ما لبث أن أصبح تحت سيطرة العرب. وكانت سياسة الفرس هذه أحد أهم العوامل المؤدية إلى عدم الاستقرار في الخليج.

كان الفرس وقتذاك دولة كبيرة جداً إلا أنهم لم يكونوا مهيئين لممارسة نفوذهم بصورة فعالة في الخليج. وكان على القوات المرسلة إلى منطقة الخليج أن تعبر مناطق واسعة غير منضبطة في الأقاليم. أما في الساحل فقد كان الفرس يعتمدون في نقل جنودهم بحراً إما على القبائل العربية الصديقة أو على القوى الأوروبية. وفي الواقع لم يكن التعاون مع الفرس من مصلحة العرب، إذ كان العرب يحصلون على مبالغ كبيرة من المال من قيامهم بالنقل التجاري بين الهند وبين الامبراطورية العثمانية. ولقد سببت المحاولات الفارسية في إغلاق هذا الطريق ضرراً مباشراً لمصالح عمان وعدد من القبائل العربية المقيمة على الساحل. وطالما لجأ الفرس إلى الأوروبيين وتعهدوا أن يقدموا لهم مقابل المساعدة البحرية، مزايا كبيرة تصل أحياناً إلى درجة دعوتهم لإقامة وكالات لهم في المنطقة. ولكن لم ينجح الهولنديون أو الانكليز في ربط مصالحهم تماماً مع الفرس. وذلك لأن المزايا المعروضة عليهم لم تكفِ، وإقامة وكالة في الخليج لا تبشر بأرباح مجزية تجعلهم يرسلون قوة كبيرة إلى الخليج في الوقت الذي توجد فيه عمليات عسكرية كبيرة في أجزاء أخرى من آسيا. وبالإضافة إلى ذلك فقد علقت حكومات الانكليز والهولنديين في أوروبا أهمية كبرى على مدى العلاقات الحسنة التي تربطهم بالامبراطورية العثمانية (فيما يتعلق بتجارة البحر الأبيض المتوسط) وبالتالي فإنهم لم يسمحوا لشركاتهم في الهند الشرقية بممارسة أية مغامرة قد يكون لها نتائج مدمرة في السياسة الأوروبية، من أجل المصالح التجارية في قارة آسيا(١١).

وقد حذا بعض العرب حذو بلاد فارس عندما عرضوا على الأوروبيين إقامة وكالات صغيرة مقابل المساعدة العسكرية، وذلك في صراعهم لنيل استقلالهم. وسوف نرى كيف قدم حكام عمان وبوشهر وبندر ريج العرب بعض الأراضي والمقرات للهولنديين أو للانكليز مقابل مساعدة عسكرية أو غيرها من الخدمات(١٢). إلا أن النتائج الناجمة عن ذلك لم تعمر طويلاً وذلك لأن المكاسب المتوقعة من الخليج خلال تلك الفترة الزمنية التي يعالجها هذا الكتاب، لم تكن كافية لتبرير تدخل ضخم من قبل الانكليز أو الهولنديين إذا ما قورنت بالوجود البرتغالي في القرن السادس عشر.

وكانت النتيجة أن ظلت بلاد فارس قوة داخلية برية تمارس سلطة ضئيلة على الساحل. أما العرب المقيمون على شواطئ الخليج فقد تُركوا لتسوية نزاعاتهم الخاصة وتمكنوا من ممارسة التجارة بين البصرة والهند طالما ظلت البصرة آمنة ولو مؤقتاً من غزو الفرس.

الامبراطورية العثمانية:

كان من الصعب على الامبراطورية العثمانية أن تظهر قوتها في الخليج. وكانت مدينة البصرة بطبيعة الحال تدخل في نطاق الامبراطورية العثمانية. وقد حاول الأتراك أن يفرضوا نوعاً من السيادة على المنطقة الواقعة بين البصرة وقطر. ولم تكن سلطة العثمانيين على البصرة في الواقع قوية وتوقفت على مدى سيطرتهم على بلاد ما بين النهرين (العراق). ولكن الفرس والقبائل العربية المقيمة على ضفة النهر بين بغداد والبصرة، كانوا دائماً على خلاف مع الإدارة العثمانية، وعارضوا الأمر وأغلقوا الطريق الرئيسي بين البصرة والامبراطورية. وفي ساحل الحسا جنوباً ضعفت سيطرة العثمانيين بل إنها اختفت تماماً في غضون القرن السابع عشر(١٣). وفي بداية القرن السابع عشر بدأت سيطرة العثمانيين بالاختفاء تماماً. وفي عام ١٦١٥ اشترى أفراسياب، أحد سكان البصرة، الحكم على المدينة من حاكم البصرة العثماني، الذي كان في حالة يائسة. وبعد ذلك أطلق أفراسياب على نفسه لقب باشا البصرة كما فعل أسلافه من باشوات العثمانيين في حكومة المدينة من قبل(١٤). وقد حظي نظامه بالمساندة من قبل سكان المدينة ومن قبل عدد من القبائل العربية المحيطة بالبصرة.

وقد استمر حكم أفراسياب وأفراد سلالته كأمراء مستقلين على البصرة خلال فترة من القرن السابع عشر بسبب حسن سياستهم الخارجية. كما حاول آخر سلالة أفراسياب أن يجعل المنطقة العثمانية النائية في الخليج وهي الحسا تحت سلطته(١٥). وكان أفراسياب وحاكم قطيف العثماني قد أقاما علاقات وثيقة مع البرتغاليين. وكان البرتغاليون في قطيف يأخذون نصف عائدات الرسوم(١٦). وكانت سياسة البصرة الخارجية مسألة حساسة وكان على أفراسياب أن يحافظ على حسن العلاقات مع

السلطان وفي نفس الوقت مع الشـاه الذي سيطر على جـزء من العراق لفـترة من الزمن وذلك لأن اقتصاد البـصرة كان يعتمد على تجارة القـوافل إلى حلب. وكان على باشا البصرة أيضاً أن يقيم علاقة ودية مع القبائل العربية المقيمة على النهر كي لا يتم إغلاق الطرقـات. وحيث أن هذا الأمر يتطلب الكثير مـن التلاعب والرشـاوى فليس من الغريب أن تفشل هذه السياسة.

ورغم تكرار محاولة العثمانيين استعادة الحكم المباشر على البصرة إلا أن ذلك لم يتحقق إلا بعـد وقت طويل. ونتيجة لهذا لم يكن هناك أي وجود عـثماني في الخليج خلال الجـزء الأول من الفترة التي يعالجـها هذا الكتاب. وكان أفـراسياب وأتباعـه قد مارسوا لعبتهم الخاصة المتعلقة بالسـياسة الإقليمية ونظراً لعدم سيطرتهم على البحر لم يمتد نفـوذهم بعيداً. وكان تعـامل معظم التجـارة في البصرة مع سـاحل الهند الغربي. وفي البداية كان البرتغاليون هـم الأوروبيون الوحيدون الذين قدموا إلى هناك. وخلال النصف الثـاني من القرن السـابع عـشر، قـوي نفوذ العثـمانيين على البـصرة واستُبدل أتباع أفـراسيـاب بمندوبين عثـمانيين عـاديين. وقد رغـب العـثمـانيون أيضـاً استـعادة السيطرة المباشرة على الحسـا، ولكن لم يتحقق شيء من هذا(١٧). ولم تتمكن البصرة من ممارسة دورها كـبوابة عبـور بين الشرق والغـرب إلا بصورة جزئيـة وذلك بسبب اعتـراض القبائـل العربية، التي كـانت على خلاف مع حكومـة العثمـانيين الإقليمـية، للبـضائع المنـقولة عـبر أنـهار العـراق وبسـبب الحروب التي كـانت تقع بين الحكومـة العثمـانية وبلاد الفـرس من حين لآخر. ومع ذلـك فإن المدينة نهـضت بسرعـة وسط توالي الحروب والفوضى المأساوية التي كانت تعاني منها.

وقـد ازدهرت مدينة البـصـرة في أوقات السـلام ونشطت حـركـة التجـارة ونقل البضائع فيها. وتعتبر البـصرة نموذجاً للوضع الاقتصادي الذي اتسمت به الامبراطورية العثمـانية وذلك أن التجارة فـيها كان يتـداولها العرب والأقليات الديـنـية والأجانب، خلافاً لما كان عليـه الحال في بلاد الفرس. وكان الأرمن واليونانيـون واليهود وعناصر من جورجـيا، ومن الهند وتجـار مسقط وشبه الجزيرة العـربية وبلاد فـارس يمارسون معظم الأعمال التجارية في المدينة(١٨).

ويشبه البناء السياسي في البصرة المواقع الأخرى في أنحاء الامبراطورية العثمانية مثل الجزائر وتونس وطرابلس أو حتى بغداد. إذ طمعت الفرقة الانكشارية في مدينة البصرة في السيطرة السياسية على المدينة وحققت نفوذاً أكثر من الحاكم المحلي. ولم تكن سلطة الحكومة المركزية في اسطنبول قوية بل كانت تتناقص. وعلى صعيد آخر فإن سلطة حاكم بغداد كانت تشكل أهمية أكبر من حيث أنه كان فرداً من جماعة الانكشارية المحلية.

القبائل العربية:

كان معظم العرب في المنطقة يعيشون في إطار الكيان القبلي. وقد ادعت كل من الامبراطورية العثمانية والفارسية أن عدة قبائل عربية كانت تابعة لهم ولكن سيطرة هاتين الامبراطوريتين كانت عادة إسمية. وفي بعض الأحيان لم تؤد تلك القبائل الضرائب المفروضة عليها، بل إنها كانت تأخذ الهبات القيمة مقابل تعهد أفرادها بحسن التصرف. ولم يخل النظام القبلي كلياً من التنظيم. فالقبائل الأصغر كانت تنضم إلى القبائل الأكبر على أنها خاضعة لها مقابل حماية القبائل الكبيرة. وقد بدأت بعض الإمارات، التي تتكون من مجموعة من هذه القبائل تأخذ شكلها المتميز خلال تلك الفترة التي يعالجها هذا الكتاب، إلا أن هذه الإمارات لم تنعم بالاستقرار.

ويحكم الشيوخ تلك القبائل. إلا أن حكمهم لم يكن مطلقاً وحقاً مقدساً، بل كانت سلطتهم تعتمد على الإجماع في الرأي. وكان هؤلاء الشيوخ الأكثر مقدرة وثراء ضمن أفراد قبيلتهم. وقد يُستبدلون بغيرهم إذا لم يرض عنهم أعيان القبيلة. وقد لقي هذا الأمر تعاطفاً من قبل المراقبين الهولنديين الذين رأوا فيهم أشخاصاً أحراراً كأنفسهم وليسوا عبيداً لحكام ظالمين مستبدين. لقد رأوا أن القبائل العربية أكثر تقارباً للوضع القائم في جمهوريتهم الارستقراطية من أساليب العثمانيين الاستبدادية أو من البيروقراطية الفارسية. ومثل على هذا التعاطف ما ورد في التقرير الهولندي عن قائد قبلي هو الإمام ناصر بن مرشد عندما أعاد بناء عمان خلال النصف الأول من القرن السابع عشر. ونموذج آخر على ذلك هو التعليق الذي صرح به كنيبهاوزن، وهو أحد

المسؤولين الهولنديين، في عام ١٧٥٦ بأنه يجب أن يعامل العرب بطريقة ودية، أما الفرس والأتراك فيجب أن يُعاملوا بحزم واحتقار(١٩). ولقد علق رحالة إيطالي على مدى شغف عرب الخليج بالحرية «لا يتحمل العرب أن يخضعوا لأحد وهم يضعون الحرية فوق كل شيء»(٢٠).

ويعيش في الجزء الشمالي الغربي من الخليج قبائل دلتا العراق ومناطق السبخة الواقعة على حدود ساحل بلاد فارس الجنوبي. وتشكل المجموعات الأربع التالية أهمية كبرى للأحداث في الخليج، وهي: بنو لام في صحراء جنوب غرب العراق، والمنتفق وهم اتحاد قبائل يقيمون في أعلى النهر من البصرة، وقبيلة كعب التي تقيم في أسفل النهر من البصرة ثم سلالة المشاشة التي كانت تحكم منطقة الحويزة أو عربستان في الشرق. وكانت القبائل الثلاث التي تقيم في الغرب، مجموعات ثائرة متمردة تحصل على استقلالها من الدول الكبيرة وذلك بأن تغير ولاءها عندما تجد ضرورة لذلك ويعتبر المشاشة أتباعاً للفرس إلا أنهم قلما أبدوا ولاء للشاه(٢١).

وينقسم عرب الساحل الفارسي في شمال الخليج إلى عدد من المجموعات الصغيرة وتعود القبائل المهمة التي كانت تقيم في بوشهر وبندر ريج إلى أصل عماني(٢٢). وكانت سلطة الشاه في منطقة بوشهر وبندر ريج أقوى منها في أي منطقة أخرى على الساحل الفارسي، ولعبت قبائل هذا الساحل دوراً كبيراً في النشاط العربي في الخليج بصورة ما نتيجة علاقاتهم مع بلاد فارس(٢٣).

وكان بنو خالد يسيطرون على الجانب العربي من ساحل شمال الخليج، ومعظمه منطقة صحراوية قليلة السكان(٢٤). وكانت هذه المجموعة القبلية الكبيرة تحت سيطرة العثمانيين لفترة من الزمن، ولكنها حققت استقلالاً داخلياً منذ عام ١٦٦٢. وأصبح بنو خالد قوة برية، إلا أنهم قلما اشتركوا في النشاط السياسي العام في الخليج. ومن أتباع بني خالد آل مسلم في شبه جزيرة قطر، وسكان قطيف الشيعة، وكانوا يسيطرون على التجارة دون نفوذ ظاهر في المجال السياسي والعسكري(٢٥). وكان العتوب أيضاً قبيلة من رجال البحر وكانوا أتباعاً لبني خالد لفترة طويلة من الزمن إلا أن دولة بني خالد لم تكن مستقرة. وفي الستينات من القرن الثامن عشر كافح آل

مسلم في قطر، وعتوب الكويت، لنيل استقلالهم الذاتي الكامل، وكان العتوب أحد أكثر المجموعات تنقلاً في تاريخ الخليج. وقد ورد في أحد المصادر أن العرب المستقرين في ساحل جنوب الخليج طردوهم من منطقة البحرين حيث استقر العتوب بعد ذلك في ديلام فترة ثم أخيراً في البصرة(٢٦). وفيما بعد هاجر بعضهم من مقرهم في الكويت إلى الزبارة في شبه جزيرة قطر، وكذلك إلى البحرين(٢٧).

وكان الهولة، وهم مجموعة من القبائل الصغيرة المختلفة الأصول، وجميعهم يعملون بحارة وتجاراً وصيادي سمك، يقيمون في المنطقة الواقعة بين كنجون وبندر كنج. وقد اشترك بعضهم في معارضة هيمنة البرتغاليين والهرمزيين على الخليج(٢٨). ومن الصعب أن تجد بينهم عاملاً مشتركاً وخاصة أن هذه المجموعة كانت منقسمة داخلياً نتيجة لحالة التنافس القائم بين أفرادها حول السيطرة على مغاصات اللؤلؤ. ولم تظهر أي محاولات منهم للعمل يداً واحدة، إلا عندما كانوا يواجهون بعض المحاولات الخارجية للسيطرة على مغاصات اللؤلؤ(٢٩). وكانت جزيرة الجسم الكبيرة إلى الشرق من بندر كنج تعاني من المنازعات بين الهولة وبين مجموعة محلية تدعى بني معين(٣٠). وإلى جانب ذلك كان يقيم في منطقة بندر عباس، في داخل البر بعض القبائل العربية والتي لا يُعرف عنها إلا القليل. ورغم أن النفوذ الثقافي الفارسي كان قوياً نسبياً هنا، إلا أن بعض القبائل المقيمة في الداخل كانت تقاتل أحياناً بشراسة من أجل نيل استقلالها(٣١).

وقد اعتبر بعض المراقبين الأوروبيين المقيمين على ساحل خليج عمان الشمالي أن الهولة عرب. ومهما يكن فقد كان نمط حياتهم أشبه بعرب سواحل الخليج. وكانت هرمز، وفيما بعد عمان، تستخدمهم كجنود وبحارة(٣٢). وحوالي عام ١٦٣٠، كان الساحل الجنوبي للخليج وساحل خليج عمان لا يزال تحت سيطرة البرتغاليين الذين يملكون عدة حصون هناك. وقد فقد البرتغاليون هذه الحصون بين عامي ١٦٣٢ و١٦٥٠. أما داخل عمان، فقد كان عبارة عن خليط غير مستقر من التحالفات القبلية المتصارعة واستمروا على هذا النحو إلى أن وحّدهم الإمام ناصر بن مرشد. وكان الإمام ناصر بن مرشد قد هاجم معظم الحصون البرتغالية القائمة على الساحل.

وقد ظلت حدود عمان الداخلية، حيث كانت بعض القبائل قد حققت نوعاً من الاستقلال، غير محددة لفترة من الزمن. وفي الفترة الواقعة بين عام ١٦٥٠ وبداية القرن الثامن عشر توحدت عمان في فترة قصيرة من الزمن. وما لبث أن تفرق هذا الاتحاد عندما برز في الأفق صراع بين الحزبين القبليين الهناوي والغافري وذلك في السنوات الأخيرة من الحرب الفارسية العمانية التي وقعت في عام ١٦٩٥ وعام ١٧٢٠. وفيما كان من الصعب وضع خطوط جغرافية تفرق بين حزبي الغافري والهناوي في عمان الأم، بدا في الأفق قوة سياسية مستقلة ترتبط بالحزب الغافري على الساحل الغربي وارتبطت هذه القوة باسم القواسم في الصير حيث كانت تساندهم قبائل من منطقة البريمي. وأخيراً انقسمت عمان إلى كتلتين بعد عام ١٧٤٧. ورغم سيطرة حزب الغافري على مناطق كبيرة فقد كان حزب الهناوي هو الأقوى في عمان الأم. وقد حقق حلفاء الحزب الغافري في عرب عمان على استقلال تام وذلك في المنطقة التي تشغلها دولة الإمارات العربية المتحدة وشبه جزيرة مسندم(٣٣). وبين عمان وساحل الإحساء حيث بني خالد كان من السهل أن يحقق بنو ياس استقلالهم دون مواجهة مشاكل، وذلك لأن روح الاستقلال المسيطرة على قبائل البريمي وإمارة القواسم، جعل من المستحيل أن تصل القوات العمانية إلى بني ياس.

البرتغاليون:

رغم وجود معلومات كثيرة عن تاريخ الوجود البرتغالي حتى سقوط هرمز عام ١٦٢٢، إلا أننا لا نعرف إلا القليل عن السنوات التالية. وتتجه الكتابات التاريخية لرؤية الأحداث عبر فكرة أن النفوذ البرتغالي في الخليج قد انتهى بعد عام ١٦٢٢. ولكن بعد التمعن في المصادر المعاصرة، يتضح لنا عدم صحة تلك الرؤية.

استمر الوجود البرتغالي تجارياً ما بين عام ١٦٢٢ وعام ١٧٢٩، وكان يظهر من حين لآخر وجود عسكري برتغالي في المنطقة. حتى عام ١٦٥٠ عندما خسروا حصنهم في مسقط، تمكن البرتغاليين من فرض نفوذ على الملاحة التي كان يمارسها أعداؤهم كما كان بمقدورهم الدخول إلى الخليج أحياناً بمجموعة سفن تحت حماية

قوية. وبعد سقوط هرمز استعادوا نوعاً من القوة النشيطة في الاقتصاد بتوصلهم إلى اتفاقية مع الفرس حول استخدام ميناء بندر كنج وحول تأدية الحكومة الفارسية ضريبة عن الجسم إلى ملك البرتغال. كذلك واصلوا أعمالهم التجارية مع البصرة. ولم يكن ميناء بندر كنج أقل أهمية من ميناء بندر عباس خلال فترات معينة من القرن السابع عشر. فقد تركزت فيه جميع الأعمال التجارية القائمة بين بلاد فارس وبين الموانئ الأخرى في الخليج، وكذلك تجمعت فيه معظم التجارة القائمة بين بلاد فارس وساحل الهند الغربي. وحسب العقد المبرم مع الفرس، كان البرتغاليون يأخذون نسبة معينة من عائدات الرسوم التي يتم تحصيلها في بندر كنج. وقد أدى هذا إلى نشأة منازعات مع السلطات الفارسية التي كانت ترفض السداد(٣٤). ويبدو أن البرتغاليين كانوا يتمتعون بالمزايا نفسها المتعلقة بالرسوم في البحرين وفي مدينة قطيف العثمانية إسمياً(٣٥).

وتختلف التجارة البرتغالية نوعاً ما عن تجارة منافسيهم من الأوروبيين، إذ كانت معظم تجارتهم تأتي على يد مواطنين في المناطق التي يسيطرون عليها في الهند الغربية. ففي كنج كان يقوم مجموعة من البانيان والهنود المسلمين والتجار العرب بإرسال تجارتهم إما إلى داخل بلاد فارس أو إلى موانئ أخرى في الخليج. وعلى الرغم من ممارسة عدد قليل من البرتغاليين للتجارة، إلا أن حجم تجارتهم كان كبيراً بحيث فاقت إلى فترة طويلة من الزمن التجارة الهندية أو الإنكليزية. ويبدو أن التجارة في كنج قد انتعشت أحياناً، أكثر منها في بندر عباس وذلك لأن السلطات المحلية في كنج لم يكن لديها الثقة والعون اللذان كان يجدهما رجال البلاط الذين كانوا يستأجرون مكاتب الرسوم في بندر عباس. وبعد سقوط مسقط كانت المصالح البرتغالية قد تأثرت نتيجة للحرب الدائمة مع العرب العمانيين وبسبب خسارتهم لأجزاء كبيرة من ممتلكاتهم في ساحل مالابار بالهند التي أخذها منهم الهولنديون. إلا أن البرتغاليين ظلوا قادرين، ولفترة طويلة من الزمن، أن يؤمنوا استمرار الحماية الكافية لتجارتهم البحرية. وفي تلك الفترة تمكن البرتغاليون أن ينالوا من السلطات الفارسية امتيازات أكثر من غيرهم لأنهم كانوا مستعدين لمحاربة العرب العمانيين، وهو أمر قلما

كان الإنكليز أو الهولنديون مستعدين للقيام به. ولكن لم تتمكن قوات التحالف الجديدة البرتغالية الفارسية مطلقاً أن تحقق الكثير وذلك لأن قوة السفن الحربية البرتغالية كانت أقل من قوة منافسيها من الهولنديين والإنكليز. وكانت قدرتهم مناسبة فقط للوقوف في وجه العمانيين. ولقد أدت خسارتهم لمعاملتهم الهامة في شرق أفريقيا لصالح العمانيين، إلى القضاء على جزء هام من الشبكة التجارية التابعة لهم. وفي عام ١٧١٩ فشلت محاولتهم للتدخل ضد عمان في صالح الفرس. وكان أن اختفوا عن المسرح لبعض الوقت. وفي عام ١٧٢٩ حاول البرتغاليون تحقيق مكاسب بعد انحلال بلاد الفرس وذلك باحتلال جزيرة لارك والجزء الغربي من جزيرة الجسم. إلا أنهم لم يتمكنوا من وضع أيديهم عليها. وقد كانوا وقتذاك يتصرفون على الأرجح نيابة عن مسلمي السنة ومنطقة مهراتا الذين كانوا يرغبون في أن يكون لهم مواطئ قدم هناك(٣٦).

شركة الهند الشرقية الإنكليزية:

من الصعب بل إنه من الخطر أن نعمد إلى وصف نشاطات شركة الهند الشرقية الإنكليزية من خلال تقارير منافستها الشركة الهولندية. ولا يوجد أي مصدر آخر جيد وشامل يتحدث عن تاريخ شركة الهند الشرقية الإنكليزية من غير الإنكليز. ولم ينفرد تاريخ نشاطاتها القديمة في الخليج بدراسة مستقلة أبداً. وعلى الرغم من أن كتاب الدكتور أمين يغطي الفترة الأخيرة من القرن الثامن عشر إلا أنه محدود النطاق(٣٧).

وتكمن صعوبة أخرى في تقييم الوجود الإنكليزي في الخليج بدقة في عدم تتبع الوكالات الإنكليزية للشركة في الخليج لنشاطات وكالاتها الأخرى في قارة آسيا. وبينما كانت بعض المشاريع الإنكليزية للشركة في آسيا تعاني من الإفلاس، كانت التجارة الإنكليزية في الخليج خلال القرن السابع عشر في أزهى أوقاتها. وكان النشاط الإنكليزي في الخليج ولفترة طويلة من الزمن منحصراً في مشروعات تجارية بسيطة ومحدودة، أكثر من الوجود الهولندي. ولعل سيطرة الهولنديين على غرب

جاوة وجزر التوابل في أوائل القرن السابع عشر قد منحتهم قاعدة قوية مركزية كما منحتهم القدرة على استخدام العنف لحماية مصالحهم الاقتصادية. وقد أراد الإنكليز أن يقوموا بالمثل، إلا أنهم افتقروا إلى الوسائل في الخليج، فقد ظلت أحلام الإنكليز التي كانت تراودهم في استخدام الوسائل العسكرية لتحقيق رغباتهم وطموحاتهم عقيمة وغير مجدية لفترة طويلة من الزمن(٣٨).

كانت بداية العلاقات بين الإنكليز والفرس تبشر بالخير. وفيما كان الهولنديون منهمكين في مكان آخر، شعر الإنكليز بحريتهم للبدء في التعامل التجاري مع ساحل بلاد الفرس في جاسك وذلك عام ١٦١٩. ولقد مكنت القوة البحرية الإنكليزية الفرس من غزو هرمز عام ١٦٢٢ إلا أنه ما لبثت أن ضعفت تجارتهم في بلاد الفرس بعد ذلك بقليل. وبعد عام ١٦٥٠ ازدادت حالتهم سوءاً، ولم ينهضوا منها إلا حوالي عام ١٦٧٠ وكانت معظم تجارتهم البحرية خاصة، بحيث كانوا يدفعون رسوماً قنصلية إلى مؤسسات شركة الهند الشرقية الإنكليزية في الخليج. ورغم أن جزءاً من هذه التجارة لم يكن إنكليزياً إلا أنه كان في الواقع عبارة عن تجارة بحرية يمارسها تجار هنود مستخدمين سفنهم الخاصة تحت حماية العلم الإنكليزي وأحياناً بقيادة قبطان إنكليزي. وفي غضون القرن الثامن عشر أصبح مجموع الأعمال التجارية، سواء كانت تجارة إنكليزية خاصة أو تجارة الشركة الإنكليزية، أكبر من الأعمال التجارية الهولندية.

وفي العشرينات من القرن الثامن عشر، عندما تصاعد نفوذ الإنكليز في الهند، ظهرت خطط تهدف إلى توسيع رقعة نفوذهم في الخليج، إلا أن محاولات السيطرة على الملاحة في الخليج بين عامي ١٧٢٥ و١٧٢٩ كانت ضعيفة ولم تساندها السلطات الإنكليزية العليا التي لم تر خطراً على مصالحها من تدهور اقتصاديات الخليج(٣٩). وقد تدهور الموقف من سيئ إلى أسوأ، إذ عقد الإنكليز والهولنديون آمالاً واهية حول مصالحهم في الخليج طامعين في أرباح طائلة ولكنها بقيت مجرد توقعات اقتصادية، وقلما استخدم الإنكليز في الخليج القوة العسكرية الضخمة التي كانوا يمارسونها في الهند، أما الهولنديون فقد استمر لهم وجود عسكري، أكثر من

الإنكليز حتى مغادرتهم المنطقة عام ١٧٦٦.

ولم تؤد زيادة النفوذ الإنكليزي في آسيا خلال القرن الثامن عشر إلى قوة إنكليزية نامية في الخليج. وأدى تدهور التجارة في المنطقة بسبب إغلاق الطرق التجارية الدولية نتيجة انحلال دولة فارس والامبراطورية العثمانية إلى الإقلال من حماس الإنكليز لاتخاذ إجراءات في الخليج وقد خفضوا لذلك وجودهم إلى ما لا يزيد عن اثنين من الموظفين في الخليج بأكمله(٤٠).

شركة الهند الشرقية الهولندية:

كانت شركة الهند الشرقية الهولندية مؤسسة كبيرة جداً وقد كانت تسمى رسمياً «شركة الهند الشرقية المتحدة» (V.O.C).

ومن الضروري أن نتمعّن في تاريخها وبنائها ومدى إدراك الشركة نفسها لمكانتها في اقتصاديات وسياسة آسيا، وذلك كي نتمكن من تفهّم دورها في الخليج وتقييم دورها كشاهد على الأحداث الجارية هناك(٤١).

وكانت شركة الهند الشرقية المتحدة وليدة اتحاد عدد من الشركات التجارية الصغيرة قام بها سياسيون هولنديون عام ١٦٠٢. وكانت هذه الشركات التجارية تقوم برحلات منظمة إلى آسيا منذ عام ١٥٩٥. وقد استمرت معالم هذا النشاط واضحة طالما استمرت شركة الهند الشرقية المتحدة قائمة. وهي عبارة عن اتحاد فدرالي لست شركات غير مترابطة وكانت تدعى بالهولندية كامرز (Kamers) أي «غرف». وتمثل هذه الغرف المناطق التجارية الرئيسية في جمهورية المقاطعات المتحدة وهي اتحاد هولندا ذاتها. ولكل من هذه «الغرف» مجلس إدارة خاص بها، كما أن لديها مساهمين. ولقد تمّ إنشاء هذه الغرف الست في كل من أمستردام، وميدلبرج (عاصمة إقليم زيلاند)، وفي أربع مدن أخرى أقل منهما من حيث الأهمية التجارية وهي دلفت، وروتردام، وهورن، وانكهويزين. وتمثل السلطة العليا لجنة مؤلفة من سبعة عشر عضواً من أعضاء مجلس الإدارة ترسلهم «الغرف»، وتدعى هذه لجنة السادة «السبعة عشر». ويعقد مجلس الإدارة الأعلى هذا ثلاث جلسات فقط في

السنة، جلستين قبل مغادرة أساطيل السفن الكبيرة وجلسة بعد وصولها (كانت تحركات السفن تنحصر بالمواسم لأسباب بحرية).

وكان يهتم بالأحداث الجارية إدارة تتكون من «السادة السبعة عشر» بالتعاون مع إحدى الغرفتين الرئيسيتين التابعتين لأمستردام أو زيلاند، وكان يتناوب كلاهما على الرئاسة. وكان السادة السبعة عشر يضعون الإرشادات والتعليمات السياسية التي يجب أن توجّه إلى مسؤولي الشركة في آسيا كما يحددون البضائع المطلوبة من آسيا، وقيمة الأموال، والقوى البشرية، والمواد المرسلة إليها. أما بيع المنتجات التي يجلبونها من آسيا ومعدات السفن وتعيين الموظفين، والجنود والبحارة، فقد كانت «الغرف» هي التي تدير جميع هذه الأمور وفقاً لخطة توزيع يتفق عليها السادة السبعة عشر.

وفي آسيا كانت إدارة موحدة على عكس البناء الفدرالي الذي نراه في أوروبا. ففي باتاڤيا (جاكارتا حالياً) نجد أن السلطة كلها بيد الحاكم العام ومجلسه الذي يدعى: حكومة باتاڤيا العليا. ويتألف مجلس الحاكم العام من رؤساء الدوائر الإدارية الرئيسية. وكان المدير العام هو رئيس الشؤون التجارية والمالية وهو أكثر الأعضاء أهمية. وهناك أيضاً محكمة العدل العليا. ويتبع الحكومة العليا سبع دوائر رئيسية دائرة للجزء الغربي من المحيط الهندي وتشرف على حكام أو مدراء كل من كولومبو في سيلان، وكوروماندل، وكوشيم في مالابار وكيبتاون في مستعمرة كاب، وبنغال، وبندر عباس في بلاد فارس، وسورات. وكان يعاون كل حاكم أو مدير، مجلس سياسي يتألف من مسؤولين رئيسيين (رؤساء الدوائر العسكرية والتجارية والمالية). وهناك عادة محكمة العدل وتتكون من لجنة صغيرة تنبثق من المجلس السياسي. وتخضع مجموعة كبيرة من المؤسسات الإقليمية مباشرة إلى الحكومة العليا في أندونيسيا وهذه المؤسسات هي ماليزيا، وفيتنام وتايلاند، والصين، واليابان، وبورما، واليمن. وكان لأكثرها أهمية حاكم أو مدير ومجلس، ولأقلها أهمية رئيس أو واحد أو اثنان من المقيمين. وكانت المؤسسات الإقليمية تتلقى أوامرها مباشرة من حكومة باتاڤيا العليا، وكان اتخاذ إجراءات «السبعة عشر» فيما يتعلق بالمسائل

الإقليمية من خلال هذه الحكومة العليا، رغم أن السلطات الإقليمية الرئيسية كانت تقوم أحياناً بإرسال تقاريرها مباشرة «للسبعة عشر» إلى جانب الحكومة العليا في باتاڤيا.

وكان على الحاكم العام ونوابه الإقليميين والمدراء الرجوع إلى مجالسهم طبقاً للاستشارة في جميع الأمور الهامة. وفي معظم الحالات كان المجلس هو الذي يتخذ القرارات ويرفض أحياناً اقتراحات رئيسهم. ومثل مهم على ذلك ما حدث في الخليج عندما رفضت الحكومة العليا الموافقة على خطة الحاكم العام المدعو موسل لاحتلال البحرية عام ١٧٥٦(٤٢). وبسبب تأخر إمكانية الاتصال بهولندا كانت الحكومة العليا تتمتع بالحرية في اتخاذ الإجراءات في مجالات معينة إلا أن مجلس «السبعة عشر» أصرّ على أن تبلغهم الحكومة العليا بجميع الإجراءات التي تتخذها وإن كانت أصغر التفصيلات.

ولم تكن هنالك روابط قوية بين شركة الهند الشرقية الهولندية والحكومة الهولندية. وعلى الرغم من أن دستورها يمنحها الصلاحية التامة لممارسة السيادة في آسيا في تعاملها مع القوى السياسية الآسيوية، إلا أنه كان عليها الرجوع إلى الحكومة طلباً للمشورة في تعاملها مع القوى الأوروبية، في هذه القارة. وكان للشركة علمها الخاص، كما صكت عملة خاصة بها.

ولا ترجع محكمة العدل العليا في باتاڤيا إلى آراء المحلّفين في هولندا، وكانت الشركة في هولندا تحتكر احتكاراً تاماً جميع النشاط التجاري مع الدول الواقعة حول المحيط الهندي. وعلى الرغم من أنها أصبحت حكومة نصف مستقلة في آسيا فإن أنظمة الشركة وجهازها العامل في آسيا لم يكن له ارتباط بهولندا وكانت الشركة تعيّن نسبة كبيرة من موظفيها من خارج هولندا. ولكن كان دائماً الحاكم العام والمدير العام من الهولنديين. وشغل المناصب الأخرى في الإدارات أحياناً أغراب بحيث كان يأتي العديد منهم من ألمانيا ومنطقة البلطيق واسكندينافيا وسويسرا. ومنهم أيضاً مجموعة من الإنكليز والفرنسيين وبعض الإيطاليين والروس واليونانيين. وقد كان يشغل منصب مدراء الشركة الهولندية في الخليج عدد من الألمان. وسمح

هذا النظام للشركة بتوظيف ذلك العدد الكبير من موظفيها وبحارتها وجنودها دون أن يجهدوا بلدهم الأم هولندا وسكانها وقتذاك قليلون.

ولقد ظلت شركة الهند الشرقية المتحدة في بنيتها الأساسية شركة تجارية. واعتبر جميع المدراء في هولندا التركيبة السياسية والعسكرية للشركة في آسيا ضرورة ولكنها غير مرغوب التوسع فيها إلا بالقدر الذي يحمي التدفق التجاري للشركة. وقلما اهتم المدراء في هولندا بفكرة الاستعمار الإقليمي وإنما كان يشغلهم فقط النظر في بيان الميزانية والحسابات. ولقد نتج عن هذا الاختلاف في نوع الاهتمامات والمصالح بين رؤساء الإدارة في هولندا ومن هم دونهم في آسيا. وقد اعتبر معظم من تقلّد منصب الحاكم العام والمدراء الإقليميين في الشركة مفهوماً محدداً وهي أنها قوة سياسية وعسكرية كبرى في آسيا. ولكن كان هناك أيضاً بعض من أعضاء مجالسهم يتبنّون فكرة المدراء الأساسيين في هولندا وهي أن الشركة مجرد نشاط تجاري(٤٣).

ولقد أدى تراوح دور شركة الهند الشرقية المتحدة في كونها نشاط تجاري أو مؤسسة استعمارية إلى تعقيد تاريخها في آسيا. ويرتبط كلا الدورين ببعضهما البعض ارتباطاً وثيقاً. فقد منح الدور الاستعماري ما يلزم من الحماية العسكرية للتعامل التجاري في بيئات غير آمنة. من جهة أخرى فإن الدور الاستعماري كان بحاجة إلى الدعم المادي الذي تمدّه به المؤسسات التجارية كي يستمر، وذلك لأن الحماية العسكرية كانت تتطلب تكاليف باهظة.

ولم تتوقع شركة الهند الشرقية المتحدة حتى عام ١٧٨١ مساندة مالية أو عسكرية في مغامراتها الاستعمارية من قبل حكومة هولندا في أوروبا. بل على العكس فقد كان على الشركة أن تدفع مبالغ طائلة للمساهمة في الأعمال التجارية والحصول على امتياز لها ولقد أدى التناقص في الأرباح التجارية إلى نوع من الضعف عسكرياً، وهذا يوضح فشل الشركة في الدفاع عن ممتلكاتها الغربية الاستعمارية في شبه القارة الهندية ضد الإنكليز في عام ١٧٨١.

ويعود سبب مكانة الشركة الهولندية الكبيرة في آسيا حتى منتصف القرن الثامن عشر إلى شخصية الحاكم العام جان بيترسزون كوين (١٥٨٧ - ١٦٢٩)، إذ هو الذي

ثبّت هذه المكانة. وكانت الشركة، قبل كوين، تسيطر على مواقع قليلة في جزر التوابل. وفي عام ١٦١٩ أسس كوين مدينة أوروبية في قرية جاكرتا في جزيرة جاوة وأسماها بتافيا وهي ذات موقع ملاحي جيد، فهي تقع بالقرب من المضيق الذي يفصل بحر الصين عن المحيط الهندي وهي بالتالي تسيطر على نقطة تحوّل الخطوط التجارية في آسيا. وقد أقام كوين بذلك موقعاً قوياً جداً تعجز أية دولة أوروبية منافسة في التعرّض له. ولهذا تمكّن من مطاردة الإنكليز في جزر التوابل كما تمكّن من الدفاع بقوة وعنف عن موقعه في جاوة ضد قوة الأمراء المحليين. وقد استخدم كوين عائدات جزر التوابل لتوسيع باتافيا وتحصينها.

ومنذ ذلك الحين، أصبح للهولنديين قاعدة بحرية، يستطيعون منها مهاجمة معاقل البرتغاليين متى شاءوا، وعندما يعملون للسيطرة على الملاحة بين بحر الصين والمحيط الهندي. وكان قد تبع إقامة معقل بتافيا في أول الأمر عدد من المشروعات التجارية عبر آسيا، وكالة في اليابان وأخرى في سورات على ساحل الكوروماندل، وفي العشرينات من القرن السابع عشر أنشأ الهولنديون لهم وكالة في الخليج، ثم كانت بداية غزو المنطقة الساحلية في سيلان. أما في ملقا فقد احتلّوا تايوان في الأربعينات من القرن السابع عشر. ويعتبر التنازل عن تايوان للصين النكسة الوحيدة التي حصلت ضمن هذه الفترة. وفي الستينات من القرن السابع عشر تمّ الاستيلاء كلياً على ساحل سيلان وتبع ذلك غزو كوشيم، وهو المعقل البرتغالي الواقع على الساحل الجنوبي للهند. وفي غضون ذلك أيضاً اتسعت شبكة المؤسسات التجارية.

وواجهت الشركة الهولندية بشكل عام مشاكل قليلة منذ تأسيسها حتى عام ١٧٢٠. وبعد ذلك الوقت لم يكن لدى الشركة مرونة بصورة تواجه بها ما طرأ من تغيّرات في النواحي الاقتصادية في آسيا بسبب سقوط الدولة الصفوية في فارس وانحدار حركة التجارة التقليدية بين بحر الصين والخليج، كما أنه نتج عن تدهور امبراطورية المغل في الهند تغيّرات كبيرة. ولقد نشأ نتيجة نموّ الوكالات الأوروبية في البحر الكاريبي أزمة في أسعار المنتجات الموسمية في أوروبا. ولم تكن مواجهة الشركة الهولندية لذلك كافية.

وقد اعتمدت التجارة في بلاد فارس في البداية على شراء الحرير نقداً أو مبادلة بالتوابل أو الأقمشة القطنية الهندية. وفي منتصف القرن السابع عشر بدأت تجارة الحرير بالانحدار، فيما ظلت المبيعات الهولندية للمنتجات الموسمية تزداد. ونتيجة لذلك، بدأ الهولنديون يصدّرون الأموال النقدية والسبائك الذهبية من بلاد فارس. وكانت العملية تجري في البداية سراً وذلك بسبب حظر من قبل الشاه، ولكن فيما بعد أصبحت العملية علنية(٤٤). ولقد نجم عن اندلاع المشاكل المفاجئة في بلاد فارس خسارة فادحة في السيولة النقدية في عام ١٧٢٢ ولم يُعوَّض عنها. كما عانى الوجود الهولندي في الجزء الغربي من المحيط الهندي من عدم قدرته على مواجهة توسُّع النفوذ الإنكليزي في آسيا وإقامة معقل إنكليزي في بومباي يوازي في قيمته مكانة الهولنديين في بتافيا.

وفي هذا الإطار حققت بريطانيا قوة كبيرة ومعقلاً لها في قارة آسيا، بينما ضعفت السيادة العسكرية لجمهورية هولندا فيها وذلك رغم استمرار وجود نفوذ عسكري هولندي في مناطق أخرى كالخليج مثلاً حتى الستينات من القرن الثامن عشر. ولكن عندما انهارت نسبة الأرباح في القسم الغربي من المحيط الهندي، لم يعد للهولنديين أي اهتمام في تحقيق وجود قوي هناك. وبعد عدة سنوات من الخسارة قررت الشركة أخيراً أن تنسحب من الخليج في عام ١٧٦٥، تاركة المجال لشركة تجارية خاصة استطاعت بالفعل أن تبرز نشاطاتها في الخليج(٤٥).

ولقد ازداد نشاط شركة الهند الشرقية الهولندية المتحدة في الخليج إلى أقصى الدرجات. ونتيجة لذلك كانت تكاليف النقل البحري عالية نسبياً. وكان الخليج يُعتبر مكاناً غير آمن وهذا يعني المزيد من التكاليف والمزيد من القوى البشرية العاملة ليحلوا محل الأشخاص الذين يموتون من المناخ هناك. وبناءً على ذلك كان يجب أن تكون نسبة الأرباح الناجمة عن بيع السلع في الخليج كبيرة لتغطية المصاريف والتعويض عنها ولكي تكون المؤسسات التجارية الهولندية في المنطقة ذات قيمة. ولم يلقَ بعض من العسكريين الراغبين في توسيع نشاطاتهم الاستعمارية في الخليج مساندة تكفي لتحقيق هذه الرغبات. وكانت النظرة السائدة أن الشركات قد بددت

أموالاً كثيرة في المستعمرات والمكاتب التجارية الصغيرة. ويجب عدم البدء بمشاريع جديدة وخاصة في المناطق النائية. وكانت لشركة الهند الشرقية الهولندية النشاط التجاري الهولندي الوحيد في الخليج. وكانت التجارة الخاصة والملاحة في الخليج خلال القرن السابع عشر وجزء من القرن الثامن عشر قليلة جداً وأحياناً ممنوعة. وذلك بسبب سيئات توجه الشركة نحو الاحتكار وافتقارها إلى المرونة. أما ميزتها الخاصة فهي أن المراكب الخاصة بالشركة كانت المراكب الهولندية الوحيدة في الخليج بحيث يسهل التعرف عليها. كما أنها كانت تحت سيطرة السلطات الهولندية. ولم تتعرض هذه المراكب لخطر الهجوم في مناوشات حربية من القوى المحلية في الخليج وذلك لأن الشركة الهولندية كانت مسلحة تسليحاً جيداً، كما كانت تتوقع كل لحظة أن تزودها القوة العسكرية التابعة للشركة بالحماية التامة، ورغم أن الشركة الإنكليزية وهي مؤسسة تجارية أصغر حجماً من الشركة الهولندية، إلا أنها سمحت للرعايا الإنكليز أو للشعوب الآسيوية الخاضعة لسيطرة الإنكليز بممارسة تجارة حرة تحت حماية العلم الإنكليزي، يقودها في معظم الأحيان ربابنة محلّيون وهم عرضة لخطر متوقع يورّطهم في المناوشات البحرية المحلية.

لقد اختار الهولنديون طريقاً أقلّ خطورة ولكنه آمن جداً للعمل في الخليج. لقد تطلب احتكار التجارة في الخليج لأعمال الشركة التجارية قسوة معينة في العلاقات التجارية، ومع ذلك أصبح بإمكان التجار الذين يمارسون تجارتهم الخاصة تحت حماية العلم الإنكليزي أن يستمروا في ممارستهم التجارية في الخليج وذلك عندما منيت الأعمال العسكرية البحرية التي قامت بها الشركة الهولندية في الخليج بخسائر فادحة. وعندما أبدت الشركة الهولندية آخر الأمر استعداداً لمنح الحرية للمشاريع التجارية في المؤسسات الخاصة، كان قد فات الأوان لكي تتمكن من تحقيق وجود هولندي رسمي هناك. ولم ينتج عن محاولة جعل جزيرة خارج مكاناً آمناً للملاحة الدولية تحت حماية العلم الهولندي سواء كانت شركات خاصة أو رسمية، ما يكفي من الأرباح لتغطية التكاليف.

واتبعت الشركة سياسة التعايش السلمي في الخليج مع جميع القوى المحلية. وهنا

يصبح الأمر أكثر صعوبة عند قيام حرب وذلك لأن الوجود الهولندي في الخليج كان قائماً على أساس معاهدة أُبرمت مع بلاد فارس وكان من بنودها المساعدة العسكرية (ولحسن الحظ أن تلك البنود كانت مبهمة). وباستثناء أحداث قليلة نجح الهولنديون نوعاً ما في تفادي المنازعات مع القوى المحلية. إلا أن العلاقات مع غيرهم من الأوروبيين كانت أكثر تعرّضاً للمشاكل. فالبرتغاليون كانوا أعداء لهم منذ البداية واستمر عداؤهم حتى السبعينات من القرن السابع عشر. وكانت العلاقة ولمدة طويلة محاولة ضرب الهولنديين بما يستطيعون من السفن والرجال وذلك لمنع نشاط الشركة التجارية. وكان الإنكليز أقوى منافسي الهولنديين كما كانت العلاقات معهم صعبة للغاية حتى في أوقات التحالف الوثيق في أوروبا. فلم تسمح حكومة هولندا للشركة بممارسة سياستها الخاصة المتعلقة بعلاقاتها مع منافسيهم الإنكليز، وذلك بسبب الصدى العالمي الذي قد ينتج عن ذلك.

التنافس الإنكليزي الهولندي:

تحتوي المصادر الهولندية والإنكليزية على أكثر المعلومات أهمية حول الخليج خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، ومن الضروري الإشارة إلى أن هذه المصادر تعكس تنافساً عنيفاً ودائماً بين الدولتين. وفي بعض الأحيان كان لتلك المنافسة تأثير سلبي من حيث الاعتماد على تلك المصادر إذ أنه من الممكن أن يكون قد حصل تحريف وتعديل للحقائق وتفسير الدوافع.

ولقد أصبح من الواضح بعد وصول الهولنديين إلى الخليج بقليل أن شركة الهند الشرقية الإنكليزية لم تتمكن من المحافظة على مستوى التنافس معهم. وقد بدأ هذا الوضع يتغير في الربع الأخير من القرن السابع عشر وذلك عندما انتعشت تجارة الإنكليز. وقد تمكن الإنكليز، ومعهم الهولنديون من إنقاذ تجارة الحرير من الانهيار في نهاية القرن السابع عشر. ورغم أن الإنكليز قد واجهوا بعض الصعوبات في منافسة الهولنديين بسبب استمرار سلطة الهولنديين في الهند إلا أنه نتيجة لمرونة النظام الإنكليزي في مجال التجارة في ميدان التجارة الخاصة فقد سيطر الإنكليز تدريجياً.

ويجب ألا تخفى علينا حقيقة أن شركة الهند الشرقية الإنكليزية لم تمارس الكثير من النشاط التجاري في الخليج خلال القرن الثامن عشر إذ أنه حتى الستينات من هذا القرن كانت الشركة الهولندية ما تزال هي المشروع الكبير في مجال الاقتصاد، ومن الممكن الاستدلال على ذلك بالمقارنة بين حجم مؤسسة كل من الشركتين.

وكان الإنكليز يكرهون الهولنديين ويحتقرونهم، مهما بلغت درجة التعاون بينهما أحياناً. فالوثائق الإنكليزية تصف الهولنديين دائماً بأنهم جهلة سكيرون كما تُوضّح مدى استيائهم من وسائل التهديد بالتدخّل العسكري الهولندي في مساندة التجارة. ولقد بالغ الإنكليز في تقديرهم لقوة الهولنديين ومدى استعدادهم لاستخدام القوة العسكرية في الخليج. وتُعتبر أحداث عام ١٧٥٩ أفضل نموذج على ذلك. كان الهولنديون قد تخلّوا عن مقرهم في بندر عباس لبعض الوقت، بينما تمكن الإنكليز من كسب وجود رمزي لهم هناك وذلك نتيجة لضغوط من بعض السلطات المحلية الجشعة. وحينما ظهرت بعض السفن الحربية في الأفق ظنّ الإنكليز أن الهولنديين عائدون ولكنهم أخطَأوا التقدير إذ أن الفرنسيين هم الذين كانوا قادمين لغزوهم(٤٦). ولم يكن في نيّة الهولنديين في الحقيقة استئناف نشاطهم في بندر عباس.

ولقد تشابهت من الناحية العملية النشاطات التي يمارسها الهولنديون والإنكليز بالإضافة إلى وجهات نظر كليهما في بعض النواحي. وكان أساس كرههم المتبادل التنافس القائم بينهم. ففي العشرينات من القرن السابع عشر قامت منازعات شديدة في آسيا نتيجة للتنافس فيما بينهم. ولقد أدى هذا في عام ١٦٥٢ إلى نشوب حرب كان لها نتائج خطيرة على الوجود الإنكليزي في الخليج.

ولقد نشبت حربان أخريان في الأعوام ١٦٦٥ - ١٦٦٧ ثم في ١٦٧٢ - ١٦٧٤ وأدّتا إلى التوصل لقرارات لم تكن حرب عام ١٦٥٢ قد وصلت إليها. وفي عام ١٦٨٨ غزا جيش هولندي بريطانيا وتمكن أفراده من طرد الملك الستيوارتي (التابع لأسرة ستيوارت)، ووضعوا مكانه نائب الملك (أو رأس السلطة الهولندية) ويليام الثالث. ولكن لم يؤدّ ذلك إلى اتحاد شخصي حقيقي في مفهوم القرابة الحديثة. فلم يكن ويليام الثالث رئيساً للدولة في هولندا على الرغم من أنه كان لوظيفة نائب الملك

(أو رأس السلطة الهولندية) صفات ملكية مميزة. وكانت حكومات البلدين تتعاون معاً تعاوناً وثيقاً إلى حد معيّن ولكن لم يكن الأمر كذلك بالنسبة لشركات الهند الشرقية للبلدين التي اختبأ في ثنايا صداقتهما نوع من التنافس.

وطالما أن الطرفين كانا في حالة سلم ولا يتحاربان فإنّ الكره المتبادل بينهما لم يؤدّ إلى إعاقة الهولنديين والإنكليز من ضم قواتهما معاً في حالات طارئة أو من أجل تحصيل أرباح متبادلة(٤٧). وقد تمكن الطرفان من الاستفادة إلى حد معين من تسهيلات المواصلات لديهما وذلك لنقل الرسائل والبضائع. وكان يتبادل بين رؤساء المؤسسات التابعة لكلتا الدولتين بعض الاتصالات غير الرسمية رغم عدم تشجيع السلطات العليا لذلك.

وقد استمرت الصعوبات الكبيرة في مجالات التعاون مصحوبة بالشعور بالكراهية وعدم الثقة بين كلا الطرفين في القرن الثامن عشر. وكانت كلتا الدولتين في حالة سلم لمدة طويلة. وفي غضون ذلك سيطر الإنكليز على سورات بينما كان النفوذ الهولندي يتناقص تدريجياً وبقي كذلك حتى عام ١٧٨١ عندما انتقم الإنكليز من مساندة الهولنديين للثورة الأميركية باحتلالهم معظم المؤسسات الهولندية في الهند. وفي عام ١٧٨٤ أُعيدت معظم هذه الأماكن للهولنديين، ولكن هذا لم يُخفِ الحقيقة التي تقضي بأن وجود شركة الهند الشرقية الهولندية كقوة مستقلة في شبه قارة الهند قد شارف على النهاية. وكذلك الأمر بالنسبة لمعظم مشروعاتها التجارية في الجزء الغربي من المحيط الهندي وليس هناك وجوه اختلاف جوهرية في سياسة كلتا الدولتين في الخليج. فكل دولة منهما تلتزم بنوع من التحالف مع بلاد فارس التي منحتها مزايا تجارية ترتكز عليها مصالح الطرفين الاقتصادية في الخليج. وثمة خلافات بسيطة بينهما وهذا يعود إلى اتجاه كلتا القوتين إلى مساندة فئات مختلفة وخاصة في الفترة التي آلت فيها العائلة الصفوية في بلاد فارس إلى السقوط. في تلك الآونة ظل الهولنديون أقرب إلى مصالح الصفويين بينما اعترف الإنكليز بالغزاة الأفغان الذين غزوا بلاد فارس. وبعد ذلك كان الإنكليز قد تقبّلوا بسهولة أكثر حكم نادر شاه في بلاد فارس. وأما فيما يتعلق بعلاقة الدولتين مع القبائل العربية فقد برزت

اختلافات طفيفة. إذ بينما كان الهولنديون يحاولون المحافظة على صداقاتهم مع الجميع (وهي أرخص الطرق لحماية مصالحهم الاقتصادية)، كان الإنكليز أكثر عداوة بسبب التنافس العربي للتجارة الدولية للسفن التابعة للهند تحت ظل العلم الإنكليزي.

الدول الأوروبية الأخرى في الخليج:

لم تكن نشاطات القوى الأوروبية الأخرى في الخليج من وجهة نظر عالمية ذات أهمية كبرى. ولكن نرى أن هذه القوى قد لعبت في بعض الأحيان دوراً معيناً كما أنها قد خلفت وراءها بعض الوثائق ذات الأهمية المباشرة لمعرفة تاريخ المنطقة. وعلى الرغم من أن وجود هذه القوى لا يمتّ بصلة إلى مجرى الأحداث الرئيسي في الخليج، إلا أننا نجد أنه من الضروري تقديم بعض التفصيلات في هذا الفصل حول نشاطاتهم.

ترتبط جمهورية البندقية منذ القرن الخامس عشر بعلاقات دبلوماسية مع بلاد فارس، كما ترتبط أيضاً بعلاقات دائمة مع الامبراطورية العثمانية. ولا تمتّ هذه العلاقات السياسية بأية صلة بمنطقة الخليج من ناحية عملية(٤٨). ولكن من ناحية أخرى فقد كان بعض تجار البندقية يمارسون نشاطاً تجارياً فردياً بين حلب وهرمز ويُعتبر الرحالة البندقي جاسبارو بالبي أحد أهم المصادر المعتمدة لمعرفة الخليج في آخر أيام مملكة هرمز البرتغالية. وقد لعب البنادقة دوراً هاماً في تصدير اللآلئ. وقد ورد أنه في عام ١٦٤٤ كان جزء من تجارة البحرين في أيدي البنادقة وأنه في الثلاثينات من القرن السابع عشر منح أحد البنادقة المقيم في بندر عباس، الهولنديين أول المعلومات الهامة عن اللؤلؤ في الخليج(٤٩). وفي عام ١٧٦٥ كان ما يزال لتجار البندقية أهمية في البصرة(٥٠).

ولما كان البنادقة الذين يمارسون التجارة في الخليج تجاراً أفراداً لهم تجارتهم الخاصة، فمن الصعب الحصول على صورة واضحة لنشاطاتهم من الأرشيف البندقي الرسمي. وذلك أن نشاطهم التجاري كان يرتبط بالتجارة البرية بين البصرة وسوريا مع القليل من التجارة البندقية البحرية في شرق البحر الأبيض المتوسط، وهو أمر لا

يرد في الوثائق الرسمية. ومن الممكن، إذا قمنا ببحث مفصل، العثور على بعض المعلومات الهامة في أرشيف السفارة البندقية باسطنبول ولا سيما في الملفات التي تحتوي على مراسلات السفارة مع القنصلية البندقية في حلب. وفي القرن الثامن عشر كانت تمارس بعض الأعمال التجرية البحرية البندقية في المحيط الهندي، إلا أن هذه السفن على ما يبدو لم تدخل الخليج أبداً(٥١).

كانت فرنسا في بعض الأحيان قوة ثانوية هامة نوعاً ما في الخليج. وقد سار النشاط الفرنسي في اتجاهين. كان الاتجاه الأول عبارة عن محاولة لتقليد التوسع الهولندي في آسيا، بينما كان الاتجاه الثاني امتداداً للحماية التي كان يمارسها الملك الفرنسي على الروم الكاثوليك في الامبراطورية العثمانية وقد وصلت هذه الحماية إلى بلدان الخليج.

وسوف نتحدث باختصار عن الاتجاه الثاني. ففي غضون القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر أصبح دير الكرمليين، الذي تأسس في البصرة، تحت حماية القنصل الفرنسي بعد سقوط هرمز. وكذلك أنشأ الرهبان الكبوشيون الفرنسيون في القرن السابع عشر ديراً لهم في أصفهان. وانطلاقاً من البصرة انتشر الكرمليون في أماكن قليلة في الخليج مثل بندر عباس وخارج (هذه الجزيرة كان قد احتلها الهولنديون خلال فترة قصيرة). أما الكرمليون البرتغاليون فقد استمر نشاطهم في بلاد فارس نفسها (بندر كنج وأصفهان) حتى الغزو الأفغاني لأصفهان.

وفي منتصف القرن السابع عشر طاف بعض الرحالة الفرنسيين في جميع أرجاء آسيا باحثين عن إمكانيات التوسع الفرنسي. وقد زار بعض الأشخاص مثل رجل المجوهرات جان باتيست تافرنيير، والكاهن باثيليمي كاري، بلاد فارس والبصرة. ونحن نجد خلال شرحهم تفصيلات هامة وبعض الملاحظات الدقيقة الحرجة من الهولنديين والإنكليز. وتُعتبر سجلات وشروحات كاري بصورة خاصة هامة جداً لأنه أول أوروبي له اتصالات وثيقة بالمشيخات العربية الواقعة على ساحل بلاد فارس. أما الجغرافي الفرنسي سانسون فقد نشر عدداً لا بأس به من الخرائط بالإضافة إلى كتيّب جغرافي عن المنطقة(٥٢).

ولقد تمت دراسة هذه المعلومات دراسة وافية في فرنسا. وفي عام ١٦٦٤ تأسست شركة الهند الشرقية الفرنسية، وكان من أهم أهدافها ومشاريعها ممارسة الأعمال التجارية مع بلاد فارس. وشركة الهند الشرقية الفرنسية تختلف عن الشركة الإنكليزية والشركة الهولندية من حيث أن الفرنسية مشروع حكومي. فهي وليدة رغبة وطموح الوزير كولبرت ليجعل من فرنسا قوة تجارية تتساوى مع هولندا وإنكلترا. ولكن المشكلة في ذلك هي افتقار الأسس الاقتصادية إلى مثل هذا المشروع وأن الشركة الفرنسية ظلت بنيتها مصطنعة. ولقد باءت الخطوة التجريبية الأولى لوضع أقدامها في بلاد فارس عام ١٦٦٦ بالفشل(٥٣). وبعد ذلك حاول الفرنسيون ضمن سير الحروب القائمة مع إنكلترا وهولندا إلحاق الأذى والدمار بأعدائهم بمنح حكومة بلاد فارس وعوداً مغرية وجذابة، مثل العرض الذي قدموه لغزو مسقط مقابل طرد الأعداء الإنكليز والهولنديين من بلاد فارس. وما لبث هذا المشروع أن باء بالفشل أيضاً. وفي القرن الثامن عشر تمكن الفرنسيون من ممارسة التجارة بين البصرة وبين بعض المؤسسات الفرنسية الاستعمارية. ونحن لم نقم بالبحث والتعمق في خلفية هذه التجارة التي تتعلق بتجارة السكر والبن في المؤسسات الفرنسية مثل مؤسسة ريونيون. فقد كان السكر والبن والأقمشة الفرنسية، المطلوبة جميعها في الامبراطورية العثمانية، تباع في البصرة. ومنذ زمن نادر شاه في بلاد فارس كانت النشاطات التجارية الفرنسية تتزايد في البصرة كما كانت السفن الفرنسية في بعض الأحيان تقصد بندر عباس. وقد كتب القنصل الفرنسي في البصرة عام ١٧٤٠ جان أوتر (وهو سويدي بالولادة)، كتاباً شيقاً وهاماً عن الخليج(٥٤).

وقد قامت فرنسا خلال الحروب الفرنسية الإنكليزية في أعوام الثمانينات والتسعينات من القرن الثامن عشر، بعدة محاولات لإقامة أحلاف مع بعض الحكام كالسلطان العثماني، وشاه بلاد فارس وحيدر علي في ميسور وابنه تيبو سلطان في الهند، وإمام عمان أحمد بن سعيد، للقضاء على مكانة الإنكليز في الهند أو لإيجاد مدخل للفرنسيين براً هناك. كذلك حاولت الإدارة الفرنسية الاستعمارية لجزيرتي موريشوس وريونيون (وكانتا تدعيان في ذلك الوقت جزيرة فرنسا وجزيرة دي

بوربون) مراراً بالود أو بالقـوة إجبار إمام عـمان بفتح مـوانئه أمام المراكـب الفرنسـية الحكومية. ولكن لم يلق هذا الأمر نجاحاً كبيراً. وقد اعتبـر الإنكليز هذا الأمر تهديداً. وقد ردوا على ذلك بزيادة الضغوط السياسـية والعسكرية في الخليج وقد تـصاعدت هذه الضغوط وبلغت ذروتهـا في أوائل القرن التاسع عشر في الأعمـال التي قاموا بها ضد القبائل العربية المقيمة في منطقة رأس الخيمة(٥٥).

كذلك كـان هناك ثلاث شركات شرقـية هندية أوروبية لهـا نشاطاتها في البـحر العربي وهي: شركات الدانمارك والسويد والنمـسا الهولندية (وهي الآن بلجيكا) وقد حاولت الدانمارك خلال منتصف القـرن السابع عشر إقامة علاقـات دبلوماسية مع بلاد فارس. وتُعـتبر الشـركة الدانماركية أكثر الشركـات الهندية الشرقيـة الصغيـرة الثلاث المذكورة أعـلاه أهمية. وتتـركّز نشاطاتها في جنوب الهند. وفي حـوالي عام ١٦٤٠ كان بيـسارت الهـولندي يمارس الكثيـر من التجـارة في الجزء الغربي من الهـند حتى الخليج تحت رعـاية علم شـركـة الهند الشـرقيـة الدانماركـية. ونـرى في بعض الوثائق الهولندية أن السفن الدانماركية كانت تتجه إلى الخليج قادمة من المؤسسات الدانماركية في الهند(٥٦). وقـد نشأت في النصف الثـاني من القـرن الثامن عـشر بصـورة خاصـة تجارة هامة بين عمان وجنوب الهند. ومن المحتمل أن السفن العمانية أيضاً كانت تنقل بضـائعـهـا إلى المـؤسـسـات الدانماركـيـة هناك (غيـر أنني لـم أبحث في الأرشـيف الدانماركي عن مدى صحة هذا الأمر). وكانت السفن الدانماركية أيضاً تتجه في ذلك الوقت نحو جزيرة خارج الهولندية ونحو البصرة(٥٧). أما شركة الهند الشرقية التابعة للنمسا الهـولندية (بلجيكا اليوم) فلم يكن لها نشـاطات في الخليج، إذ تركزت معظم نشاطاتهـا في البنغال حيث كـان لها مؤسسـة قائمة في بانكويبازار. وكانت ترسل بعض السفن أيضاً إلى اليمن. وقد قامت ببعض الأعمال التجارية في أواخر أيامها بين البنغال والخليج ولكن تحت رعاية الأعلام الإنكليزية أو الفرنسية.

أما الحملة العلمية الكبيرة التي انطلقت عام ١٧٦١ نحو شبـه الجزيرة العربية، فلم ترتبط بالمشروعات التجارية الدانماركـيـة في آسيا. وقد كتب أحد المشاركين في تلك الحـملة كارسـتن نيبـور، وهو ألماني من أوسـتـفريزلاند، كـتـابين مشـهـورين من أهم

المصادر التاريخية القيمة عن الخليج في ذلك الوقت(٥٨). كذلك قامت السويد بعرض بعض نشاطاتها في المنطقة. وكان قد حصل مبعوث سويدي في أصفهان على بعض المزايا التجارية وذلك عام ١٦٨٢، ولكنني لم أعثر سوى على إشارة واحدة عن سفينة سويدية دخلت الخليج(٥٩).

وهنا لا بدّ من ذكر بعض النشاطات الروسية، كانت روسيا طريقاً بديلاً لتجارة الحرير القادمة من إيران إلى أوروبا الغربية وكان للإنكليز دور في هذا الطريق البديل فيما يتعلق بتجارة الخليج. وكانت نشاطات الروس التي كانوا يمارسونها في بلاد فارس من حين إلى آخر سياسية تتعلق بتحديد مناطق النفوذ في الحدود الشمالية لبلاد فارس. وكان من أهداف نشاطهم الدبلوماسي تحويل التجارة الفارسية عبر روسيا بدلاً من الخليج. وقد قدّمت السفارة الروسية هذا العرض في أصفهان. وكان بعض تجارة بلاد فارس تنقل دائماً عبر روسيا في طريقها إلى أوروبا(٦٠).

ويوجد في أرشيف البندقية بعض الوثائق الهامة. وتقارن هذه الوثائق بين تكلفة نقل البضائع عبر طريق استراخان ـ أصفهان، وبين نقلها عن طريق أصفهان ـ ريشهر ـ البصرة ـ حلب(٦١). وفي القرن السابع عشر كانت بولندا تطمح بممارسة التجارة مع بلاد فارس عن طريق البحر الأسود. وترتبط هذه الخطط بالاتصالات القائمة بين الجاليات الأرمنية في بولندا وبلاد فارس(٦٢).

وأخيراً لا بد من ذكر نشاطات البلدان الآسيوية في الخليج. كانت هذه النشاطات محدودة وذلك لأن الأوروبيين انفردوا بنقل البضائع بحراً من الخليج إلى ساحل كيرالا بالهند. وكان العمانيون وحدهم هم الذين تمكّنوا على ما يبدو من الوصول إلى أقصى الشرق وقد بلغوا في ذلك إلى أندونيسيا. وكان للساحل الغربي من الهند صلات بحرية كثيرة مع الخليج. واقتصر ذلك لمدة طويلة من الزمن، على التجارة ولم تقم الدول الهندية إلا بالقليل من المبادرات السياسية في الخليج. وكانت امبراطورية المغل تمارس علاقات سياسية مع بلاد الفرس بين حين وآخر. أما العمانيون فقد كانوا نشطين سياسياً، إذ قاموا بتنظيم حملات عسكرية إلى الهند. ولكن ليس هناك ما يشير إلى نشاط للهند سياسي في الخليج قبل نهاية القرن الثامن عشر عندما حاول

حيدر علي أن يقيم وكالة له في مسقط وبندر عباس على غرار الدول الأوروبية(٦٣). ولا بدّ لنا من أن ننوّه هنا بأن سيام أرسلت بعثات لها في مناسبات قليلة إلى بلاد فارس عبر بندر عباس(٦٤).

الموظفون بالمؤسسات الأوروبية في الخليج:

منذ أن سقطت هرمز في عام ١٦٢٢، تمكّن البرتغاليون من استرجاع مسقط بالإضافة إلى بعض الحصون التابعة لها. وحسب ما جاء في بيان عن الأوضاع في عام ١٦٣٤ كان هناك عدد لا بأس به من العاملين البرتغاليين في المنطقة. ولم يكن هذا العدد إلا حبراً على ورق. إذ عمد الموظفون إلى عدم ملء الشواغر لكي يتقاضوا هم الأجور لمصلحتهم الخاصة. وكان في مسقط هيئة إدارية صغيرة، بالإضافة إلى حامية تضم أربعمائة جندي واثنتي عشرة سفينة، على متن كل منها أربعون بحّاراً، وبعض المؤسسات المساندة كالمستشفى مثلاً ومستودع الأسلحة وما إلى ذلك. أما الحصون التابعة للبرتغال والواقعة بين دبا وقريات فقد كانت في كل منها حامية تضم أربعين جندياً برتغالياً ومئة وخمسين لسكرياً أو خادماً عسكرياً كحد أقصى (اللسكري "Lascars" هو الخادم العسكري أو جندي المدفعية في جزر الهند الشرقية). ولكن معدل الموظفين ينحصر في ثمانية برتغاليين ومن عشرين إلى ثلاثين خادماً عسكرياً. أما من الناحية المالية فقد كانت المسألة مأساة حقيقية إذ أن دخل الوكالة في مسقط كان يساوي (٦٧ر١٢٥ر٠٠٠) بارداوس، بينما كانت التكاليف تبلغ (١٢٠ر٩٥٢ر٠٠٠) بارداوس. ولكن يجب أن لا نحكم على مدى هيمنة البرتغاليين في الخليج بالاستناد إلى هذه الأرقام، ونتصور أن نفوذهم قد أشرف على النهاية، إذ كان لا يزال هناك إمكانيات للتعويض عن الخسائر في عمان من الأرباح في بندر كنج والبصرة حيث لا يوجد لديهم أية تكاليف عسكرية(٦٥).

ولم تكن المؤسسات الإنكليزية والهولندية بحجم المؤسسة البرتغالية في مسقط. ولكل منهما مكاتب رئيسية في بندر عباس ومكاتب أصغر أحدها في أصفهان وآخر في البصرة وفي أماكن أخرى أحياناً منها لار وكيرمان، وبوشهر وشيراز وغيرها.

وكان يوجد في المكاتب الصغيرة حجماً موظفان اثنان يُطلق عليهما في المؤسسات الهولندية لقب «مقيم» بالإضافة إلى مترجم وبعض الكتبة والخدم. والأمر مختلف في المكتب الرئيسي حيث كانت الوكالة الهولندية في بندر عباس أكبر بكثير من الوكالة الإنكليزية، وذلك لأن الشركة الهولندية قد احتكرت التجارة وقاموا بإجراءات عديدة لحمايتها، بينما كان يصرح الإنكليز للتجار بالعمل الخاص، وكان عليهم عندئذ أن يؤمنوا الحماية لأنفسهم. وتضم الوكالة الهولندية عادة مئة وخمسين إلى مئتي رجل. وقد ظل مكتب وكالة الشركة الهولندية المتحدة الرئيسي في بندر عباس حتى عام ١٧٠٠ ذا شأن كبير في قلب المدينة. وكان بناؤه أشبه بفندق يحيط به ساحة. وكان البناء يضم المكاتب وورشات العمال المهنيين ووحدات سكنية للإقامة ومخازن للبضائع والمؤونة والأسلحة وقطع غيار ومعدات للسفن. وكان للشركة دائماً سفينة صغيرة معدة بتجهيزات تامة بالأسلحة. ولها محطة دائمة في الخليج وكانت هذه السفينة محملة أيضاً بأدوات صناعية محلية لتلبية جميع أنواع الخدمات. ومع تدهور الوضع في بلاد فارس في نهاية القرن السابع عشر، رأى الهولنديون أنهم بحاجة إلى مقر أكثر أماناً. ولذلك بنوا مقراً جديداً لهم أكثر بساطة في مكانهم القديم ولكن أكبر وأقوى بكثير إذ كان البناء الجديد أشبه بمجمّع لثكنات عسكرية تقع خارج المدينة مباشرة وعلى شاطئ البحر أقرب إلى مرسى آمن للسفن. وهذا المبنى كان حتى عام ١٩٧٠ مكتباً للرسوم الجمركية الإيرانية وتابعاً لبندر عباس(٦٦).

وقد عمل في المؤسسة الهولندية عدد كبير من الناس يحمل أعلاهم رتبة مدير. وقد ظل اللقب متداولاً ما دامت المؤسسة مزدهرة. ولكن بعد عام ١٧٢٥ أصبح المسؤول الهولندي الرئيسي يحمل لقب الرئيس. وبعد ذلك أُعطي لقب المقيم وكان في بندر عباس حتى عام ١٧٥٠ هيئة كبيرة من الموظفين الهولنديين. وكانت التكاليف اللازمة لاستمرار مثل هذه المؤسسة باهظة. احتلّ المدير رتبة عالية وهي رتبة «التاجر الأعلى». وساعده مجلس سياسي يتكوّن من رؤساء الدوائر الأساسية وهم الضابط المسؤول عن الجنود وأمين المستودعات وصراف الرواتب والمسؤول أيضاً عن المؤونة

والذخيرة، وعريف الملاحين والمسؤول عن البواخر، وأمين الصندوق ومحاسب رئيسي والرجل المالي المسؤول عن القضايا الشرعية والقانونية وشؤون الشرطة. وشكل المسؤول المالي، مع عدد من الأعضاء المحكمة القانونية. بالإضافة إلى ذلك فقد كان هناك عدد كبير من الكتبة والحرفيين، والبحّارة المقيمين على البر للمساعدة في الشحن البحري وشؤون السفن حينما تستدعي الحاجة. وأخيراً وليس آخراً عدد من الجنود(٦٧). ويشكل نصف الجنود عادة من الأوروبيين وأما النصف الآخر فهم مرتزقة من جزيرة بالي الأندونيسية(٦٨). وقد كان من الواضح جداً أنه كان يتم استخدام الجنود الباليين بسبب أن بالي هي سلطنة مستقلة متحالفة مع الهولنديين، وكانت الجزء الوحيد في أندونيسيا الذي تسود فيه الديانة الهندوسية وليس الإسلام. وتشير المصادر أنه خلال السنوات الأخيرة من الحكم الهولندي كان يُستخدم الجنود السود من جنوب أفريقيا مكان الباليين(٦٩). وهناك أيضاً عدد من الخدم وُضعوا في خدمة الموظفين ومعظمهم من أندونيسيا والهند والقارة الأفريقية. وأخيراً عدد من الكتبة والمترجمين من البانيان والأرمن. وكان السماسرة البانيان التابعون للشركة، والذين كانوا يتمتعون بكيان رسمي كتجار مستقلين، يعيشون في بيوت قريبة من مبنى الوكالة. وللشركة الهولندية المتحدة وكالات أكثر في بلاد فارس. وعادة يكون هناك واحدة في أصفهان، يديرها مقيمان اثنان، وبعض الكتبة، وعدد قليل من الجنود. وأحياناً يكون هناك وكالة في لار. وكان الهولنديون يشترون الصوف من كيرمان. وكان رئيس تلك الوكالة عادة من الأرمن. وقد أقام الأوروبيون في كيرمان لفترة قصيرة جداً. وللشركة في شيراز صانع الخمرة، كما لرئيس المؤسسة مقر صيفي في الجبال الواقعة شمال بندر عباس. أما الوكالة التي أقيمت في جزيرة خارج فيما بعد، والتي استمرت من عام ١٧٥٥ وحتى عام ١٧٦٦، فقد كانت صورة مصغرة لوكالة بندر عباس، ولكن داخل حصن حقيقي هذه المرة(٧٠). وتواجد في مكاتب الخليج الأخرى كالبصرة ومسقط وبوشهر المقيمون مع عدد من الموظفين الكتبة. ولم تكن بعض هذه الوكالات دائمة بل كانت تُدار عملياً خلال موسم التجارة فقط مثل وكالة مسقط والبصرة خلال القرن السابع عشر. ولم يكن لمسقط أهمية كبيرة فيما

يتعلق بالنواحي الإقتصادية للهولنديين. أما البصرة فقد استُخدمت فقط في القرن السابع عشر لنقل الرسائل بالطريق الصحراوي ولكنها أصبحت فيما بعد ذات أهمية(٧١). وقد زوّدتنا لوائح الشركة بأسماء جميع أعضاء هيئة الموظفين الأوروبيين في الخليج بعد عام ١٧٠٠. وكان عدد الهولنديين قليلاً بالنسبة لمجموع العاملين. ومن الممكن أن نجد أشخاصاً في المناصب العالية من الأغراب أيضاً.

وتشبه مؤسسات الشركة الإنكليزية مثيلاتها من الشركة الهولندية رغم أنها على نطاق أصغر. وكان في المؤسسة الإنكليزية في بندر عباس حسب الإحصائية التي نشرها المؤرخ «أمين» لعام ١٧٥١ أحد عشر رجلاً في هيئة العاملين الأوروبيين بينما كان في المؤسسة الهولندية في ذلك الوقت حوالي المئة، وفي عام ١٧٤٠ مئة وأربعة عشر، وبعد عام ١٧٥٦ حوالي مئة وثلاثين أوروبياً في جزيرة خارج(٧٢). وكان للإنكليز كالهولنديين الهيكل الوظيفي نفسه أي منصب الرئيس ومعه مجلس من الموظفين الأساسيين. وقد تقلص العدد فيما بعد إلى مقيمين اثنين مع عدد من الكتبة.

الأحوال الاقتصادية:

ليس هناك وفرة في وثائق تاريخ الخليج تضاهي الوثائق الموجودة لدينا حول المسائل الاقتصادية. ولكن من ناحية أخرى فإن المعلومات حول هذا الموضوع قليلة جداً. فالوثائق الاقتصادية البرتغالية والهولندية والإنكليزية العديدة تعالج ميداناً واحداً فقط في اقتصاديات الخليج وهو موضوع التجارة الخارجية. وليس هذا سوى جزء واحد من النظام الاقتصادي. أما بقية النشاطات الأخرى الاقتصادية فليس لدينا منها سوى القليل من الإشارات الغامضة.

أما المعلومات حول الحالة الاقتصادية العامة في الخليج فهي تكاد تكون شيئاً لا يذكر. لقد كانت منطقة الخليج على ما يبدو مكتظة بالسكان. ولم يكن في أغلب امتدادات الساحل سوى القليل من المجال للإنتاج الزراعي مهما كان نوعه. وانحصرت سبل العيش الوحيدة المتوفرة للسكان براً في تربية المواشي البدائية.

ولكن كان هناك وسائل للدخل أخرى تمكن السكان من توفير حاجتهم من الطعام

أو لشراء بعض الأقمشة لملابسهم. كان نقل البضائع عن طريق قوافل الصحراء مصدراً مهماً للدخل، كما كان جمع وبيع المنتوجات كاللبان العربي وغيره من العقاقير. وليس لدينا ما يشير إلى مدى أهمية تلك المصادر الإضافية للدخل. ويبدو أن المواصلات كانت تدر عليهم الأرباح، فرسوم النقل كانت مرتفعة جداً في المنطقة ولكن ليس لدينا أية فكرة عن مدى استمرار حركة القوافل وعن الكميات التي كانت تنقل. كانت القوافل الكبيرة تتجه براً من الموانئ الرئيسية وهي: بندر عباس وبندر كنج، والبصرة ومسقط وفيما بعد بوشهر. ولا بد أن يكون هناك أيضاً بعض المواصلات البرية في شبه الجزيرة العربية موازية لساحل الخليج ففي عام ١٦٠٢ تمكّن رجل إنكليزي يدعى سالبانكي من السفر براً من مسقط وكان لمسقط تجارة متصلة على ما يبدو مع قطر والبحرين والحسا براً في السبعينات من القرن السابع عشر(٧٣).

وكان البحر مصدر أرباح مالية مهمة جداً وتوزع دخل النشاط البحري في أمور ثلاثة هي:

تجارة العبور أو الترانزيت، وصيد السمك، والغوص وراء اللؤلؤ. وكان بإمكان سكان سواحل الخليج أن يجنوا من وراء تجارة العبور بعض الدخل بوسائل متعددة. أقام حكام الدول أو الأقاليم نصف المستقلة كهرمز والبصرة وعمان وما حولها مكاتب لتحصيل الجمارك التي كان تبلغ حوالي ٥٪ عن البضائع العابرة(٧٤). وبذلك كانت دولة هرمز تجد مصدراً رئيسياً لثرائها وارتبطت الحروب في الخليج بمحاولات بعض الحكام إلزام السفن بالتوقف في موانئهم وبالتالي دفع ضرائب ورسوم لديهم وعدم المرور على موانئ خصومهم.

وقد استُثني من هذه اللعبة معظم الحكام القبليين إذ كانوا يشاركون أحياناً في بعض الأرباح كالشيخ راشد حاكم باسيدو، وذلك في العشرينات من القرن الثامن عشر، إلا أنه يعتبر استثناء. والمعروف عن الشيخ راشد هذا أنه كان يستخدم وسائل الدفع الحديثة نسبياً كرسائل المبادلات(٧٥). وأحياناً كانت القبائل الصغيرة تطالب السفن التي تعبر في مياهها الإقليمية، بأتاوة. وفي حال عدم التجاوب لدفع هذه الأتاوة المطلوبة سلمياً كانت تُستخدم القوة، وهنا يشكو الضحايا من ذلك

التصرف، وأطلقوا عليه اسم «قرصنة». إلا أن مثل هذه النقمة أمر مبالغ به، فقد كانت تحدث مثل هذه الأعمال في أوروبا أيضاً بين الحين والآخر. وكان بعض البحارة العرب يهاجمون سفن أعدائهم متى سنحت لهم الفرصة. وقد اعتبر العديد من القبائل العربية التي كانت حليفة لحكام اليعاربة في عمان، أنفسهم في حالة حرب مع البرتغاليين وحلفائهم في الهند. لهذا شنّ العرب هجوماً على السفن البرتغالية أو سفن حلفائهم إذا التقوا بهم في البحر. وفي بعض الأحيان كانت تحدث بعض الأخطاء وأدت إلى وقوع ضحايا لبعض السفن ذات التصميم المحلي ولكن كان يملكها أتباع الإنكليز أو الهولنديين في الهند أو بلاد فارس، وكان الإنكليز يردون على مثل هذه الأعمال بقوة وصرامة. أما الهولنديون فقد كانوا أكثر تحملاً وصبراً منهم(٧٦).

وقد تمكّن بعض سكان الخليج من الحصول على نسبة كبيرة من الثراء وذلك بمشاركتهم الفعلية في عمليات الاستيراد والتصدير حتى ولو كان للأغراب نسبة كبيرة في هذه العمليات. وعندما نذكر الأغراب يجب أن لا يتبادر إلى الذهن لأول وهلة الأوروبيون الغربيون فقط إذ كان من بينهم أيضاً الهنود والأرمن وبعض اليهود واليونانيون. وبالمقارنة مع هؤلاء كان للأوروبيين الغربيين نسبة قليلة جداً من تجارة العبور في الخليج(٧٧).

وهناك مجموعة أخرى من الأهالي استفادت أيضاً من تجارة العبور وهم بعض صغار التجار الذين كانوا يتعاملون في بيع المواد الغذائية وأحياناً الماء وحطب الوقود، أو أنهم كانوا يعملون في خدمة التجار الأجانب كمراسلين أو كتبة أو بحارة. وبمثل هذه الطريقة كان الهولنديون يستخدمون عدداً من الربابنة العرب وسفنهم وملاحيهم للنقل(٧٨).

وتعتبر مهنة صيد السمك هامة جداً، ليس لأنها تساهم فقط في تغذية سكان القرى الواقعة على السواحل الصحراوية فحسب بل لإمكانية استخدام السمك الصغير المجفف في تغذية الماشية وهكذا يسدّ صيد السمك حاجة الإنسان والحيوان. والخليج كان وما يزال غنياً بالثروة السمكية.

وفيما يتعلق بالنقد كانت نسبة الأرباح من وراء صيد اللؤلؤ كبيرة، ولكن يبدو

أنه لم يكن صيد اللؤلؤ خلال الفترة التي يعالجها هذا الكتاب مصدراً مهماً للدخل بصورة عامة ما عدا لعدد من الحكام، وأصحاب الحوانيت وتجار الجملة. وكانت المخاطر على ما يبدو كبيرة لأنهم غالباً ما كانوا يخرجون من البحر دون أن يجدوا شيئاً رغم أن تكاليف الغوص كانت ضخمة. وقد ذكر مراقب هولندي في نهاية القرن السابع عشر أن غوص اللؤلؤ كان قليلاً(٧٩).

وكان سكان سواحل الخليج من البدو البحارة واعتمدت حياتهم على سفنهم. وفيما يلي الوصف التفصيلي الذي وضعه بالبي في عام ١٨٥٠ عن تلك السفن عن صيد الؤلؤ:

«تمتاز تلك السفن بقاع مقعّر ولا متن لها في مقدمتها وحتى مؤخرتها ولكن فيها عنبر واسع. وتكون مؤخرة السفن أعلى نوعاً ما من مقدمتها، وترتبط الدفة بأحبال متينة في المؤخرة وتقترب منها بحيث يتعذر على الدفة تحريكها لمسافة أكثر من حجم إصبعين. ولكن هذا لا يكفي وذلك لأن دفة السفن مجوفة من الأمام وتمتد كثيراً إلى الوراء. ويجلس وكيل الربان أو مساعده على عارضة خشبية بحيث يمسك في كل يد من يديه بطرف حبل يجر تحت الماء. وهو يسحب الحبل باليد التي يدير السفينة نحوها. ويؤدي الجزء الأسفل من الدفة إلى دوران المؤخرة. وبمثل هذه الطريقة يُسيرون سفنهم. وأما الصاري فهو في وسط السفينة يعلوه الشراع ويصل بنقطة محددة إلى الأسفل. وعندما تهب الرياح من الخلف كانوا يعمدون إلى إنزال شراع صغير يطلقون عليه اسم «زمبوسا» ويستخدمونه بدلاً من الشراع الأمامي ويوجهونه باتجاه الرياح ويقومون بتثبيت ذلك الشراع من الجهة التي يوجهونه إليها ويوثقونه إلى أسفل مؤخرة السفينة. وبعد ذلك يرفعون شراعاً آخر صغيراً من أسفل السفينة إلى أعلى الصاري ومن هناك يتدلّى علم مثلث الشكل. وكان يربط الحبل الذي كانوا يرفعون به الشراع (والذي يثبت أيضاً سائر الحبال بالصاري) بالدفة التي يجلس عليها مساعد الربان. ويُغطّى الجزء الخلفي من السفينة بألواح خشبية وحصر أشبه بالخيمة، يبلغ ارتفاعها ثلاثة أذرع. وتُزيّن مؤخرة السفينة بأربعة أعلام على كل جانب منها علمان ويوضع في الوسط علم أصغر حجماً منها. وليس في مقدمة

السفينة أكثر من مرساتين للتمكن من إيقافها في الحالات الطارئة. وتُصنع الأشرعة من الأقمشة الخام كقماش القنب. وتكون إما صغيرة أو كبيرة حسب الحاجة. أما داخل السفينة فهو مُبطّن بسعف النخيل دون أن تلمس أسفل جوانب السفينة وبذلك لا تتعرض البضائع المشحونة للتلف في حال تسرب المياه بين قعر السفينة وبين هذا الغطاء. ويُربط عادة مركب صغير بآخر السفينة بطريقة تعيق سيرها وعلى متن هذا المركب الصغير غلام مهمته رفع الشراع حالما تهب الرياح ... وعندما يبدأ موسم الصيد يبعث سكان تلك الجزر بأمهر السباحين لديهم. وكانوا يغطسون قاصدين أماكن تكثر فيها المحار، وكانوا ينصبون خيامهم على الشاطئ بحيث كانت تشكل مجموعاتها قرى كاملة، وأحياناً يبنون أكواخاً من القش. وهم لا يقيمون في هذه الأكواخ إلا في مواسم صيد اللؤلؤ وكانوا يأخذون معهم في مواسم الصيد جميع ما يلزمهم من المؤن. وكان يصرح بالصيد للجميع لأن ملك البرتغال، ورهبان دير القديس بول، كانوا يتقاضون الضرائب على ذلك. خلال موسم الصيد يرسل البرتغاليون ثلاث أو أربع سفن مجهزة تجهيزاً كاملاً بالأسلحة لحماية الغواصين من القراصنة، وفي الوقت ذاته يعمل الغواصون في كل مكان في كثير من المراكب. وفي الصباح تغادر السفن مواقع القرى المؤقتة وتنتشر عبر الخليج وترابض حيث يعتقد وجود صيد لؤلؤ وفير فيها. وكانوا خلال عملية الغوص يرمون حبلين أو ثلاثة من كل سفينة وتربط الحجارة في نهاية كل حبل لتساعدهم على الغوص. وهكذا كانوا يقومون بتثبيت المركب في مكان ما. ويعلّق الغطاسون الأكياس على جوانبهم ويسدون أنوفهم بقرون الماعز، كي لا تتسرب إليها المياه، ويدهنون آذانهم بالزيت لمقاومة المياه. وبعد ذلك ينزلون بسرعة فائقة على الحبال ويقومون بملء أكياسهم بالمحار بأقصى سرعة ممكنة، ثم يهزون الحبل علامة على امتلاء الأكياس ورغبتهم في الصعود من القاع. وفي الحال يتم رفعهم إلى السفينة. وفي حال عدم رفعهم بسرعة يواجه الغواصون خطر الغرق، وكان هذا يحدث كثيراً. وعندما يتم رفع الغواص يأتي دور الآخر في الغوص وتستمر العملية على هذا المنوال حتى المساء. وعندما يحالفهم الحظ ويجدون مكاناً غنياً كانوا يملأون سفنهم تماماً. وفي المساء تبحر السفن إلى

القرية المؤقتة حيث يجمع الغواصون ما اصطادوه ويعرضونه على الأرض كومة واحدة أمامهم. ويبقى محصولهم من الغوص هكذا حتى نهاية موسم الصيد إذ يتوجه كل منهم إلى كومته ويقومون جميعاً بفتح المحار بعد موته بحثاً عن اللؤلؤ. وبعد ذلك يجمعون اللآلئ في مناخل نحاسية لفصل اللآلئ المستديرة عن اللآلئ المستطيلة. ويعمد البرتغاليون إلى شراء اللآلئ المستديرة. أما النوع الآخر وهو اللآلئ غير المستديرة تماماً فتسمى «آيا دي بنغالا»، ويسمى الصنف الثالث «آيا دي كانارا» وأما الصنف الأصغر حجماً فيدعى «آيا دي كمبايا». وبعد فرز اللآلئ وتصنيفها يأتي الخبراء لتقييم اللآلئ حسب ثمنها ويأتي التجار من جميع البلاد لشراء اللؤلؤ وكل هذا يتم خلال أيام معدودة».

وتعتمد الحياة في الخليج كثيراً على التبادل التجاري مع العالم الخارجي. وكان السكان بحاجة إلى النقد لشراء المواد الغذائية والتوابل والأمتعة، والأخشاب لصناعة السفن. وهناك وسيلتان أساسيتان يحصل عن طريقهما السكان على النقد إما من الغوص وراء اللؤلؤ أو من تجارة العبور. ولكن هناك نظرياً وسيلة ثالثة إذ بإمكان رؤساء القبائل العربية بصورة خاصة اكتساب ثروة فيها وهي الهبات المقدمة لهم من الحكومتين الفارسية والعثمانية مقابل «حسن السلوك» ومن الأرجح أن هذا الدخل من المال كان يتعامل مع مبلغ من المال يطلب منهم وهو الذي كان يبتزه الممثلون عن الشاه أو السلطان من رؤساء القبائل أو من التجار.

ومن السهل جداً أن نخطئ في تحديد المجال الذي كان يسيطر فيه الأوروبيون على اقتصاديات الخليج. فقد مارس البرتغاليون القليل من التجارة الخاصة ولكنهم سيطروا على جزء كبير من التجارة المحلية في الخليج وفي الهند أيضاً كان التجار المحليون فيها ملزمين بدفع الضرائب للبرتغاليين. ولكن دور الإنكليز في اقتصاديات الخليج كان أكثر تعقيداً. فقد كانت شركة الهند الشرقية الإنكليزية، وهي مؤسسة كبيرة، تمارس التجارة بنسبة محدودة، كما كانت تحصل على دخل نتيجة سماحها لبعض أتباع الإنكليز وللسكان المتواجدين في أنحاء من الهند الواقعة تحت سيطرتهم، بممارسة التجارة في الخليج. وخلال القرن الثامن عشر حاول الإنكليز أن يحظوا بالسيطرة

التي كان قد حظي بها البرتغاليون خلال القرن السادس عشر(٨٠). وكانت نشاطات الهولنديين منحصرة لفترة طويلة في نشاطات شركة الهند الشرقية وهي مؤسسة كبيرة لا تهتم كثيراً بتحصيل الدخل من مصادر معينة، كالضرائب مثلاً إذا ما قورنت بالشركة الإنكليزية. سلك الهولنديون اتجاهاً آخر في الوقت الذي تحولت فيه نظرية التجارة الحرة أثناء الخمسينات من القرن الثامن عشر، حيث أنشأوا لهم ميناءً آمناً للجميع في خارج، آملين من ذلك أن تنمو هذه التجارة في هذا المركز وأن تثمر النشاطات المحلية المتزايدة بحيث تغطي نفقات الشركة. إلا أن هذا كان مجرد ظن خاطئ(٨١).

إن الاشتراك في تجارة العبور والنقل البحري أوجد رأس المال الذي خدم كمصدر قوة لبضع السكان المحليين. وقد ظهرت أهمية العرب كقوة اقتصادية وسياسية في المنطقة بصورة خاصة في القرن الثامن عشر. وكان يدير معظم أعمال تجارة الترانزيت عبر الخليج على ما يبدو، جماعات من الهند باشتراك متواصل من العرب أولاً في جلفار، ثم في أماكن تقع بين جلفار ومسقط، ثم من مسقط نفسها، وأخيراً من أماكن كثيرة أخرى. وأما بالنسبة للبر فقد كانت الأمور تسير إما عن طريق العرب في عمان، أو عن طريق التعاون بين العرب وأحياناً من المسيحيين واليهود والأرمن واليونانيين في البصرة. ولقد ظل الخليج طريقاً هاماً لتجارة العبور بين الامبراطورية العثمانية والشرق حتى بعد أن فتح الأوروبيون طريقهم الخاص حول رأس الرجاء الصالح. وقد انهارت الطريق التجارية عبر الخليج أولاً في القرن السابع عشر بسبب سقوط مملكة هرمز، أما في خلال القرن الثامن عشر فكان بسبب الاضطرابات براً وعدم الأمان في البحر. وتحولت بذلك التجارة البرية التي كانت قائمة بين دول حوض البحر الأبيض المتوسط وآسيا إلى البحر الأحمر وذلك خلال القرن الثامن عشر.

القرصنة بين الحقيقة والوهم:

لم يرد الكثير عن القرصنة في هذه الفترة التي يعالجها هذا الكتاب، مثلما ظهرت

فيما بعد. وتشير المصادر الأوروبية كلها كثيراً إلى القراصنة «رغم أن أمة ما منهم كانت أكثر من غيرها حساسية بأعمال اللصوصية المزعومة بحراً». ومفهوم كلمة القرصنة في وقتنا الحضار سيء للغاية. ولكي نفهم أحداث القرنين السابع عشر والثامن عشر، علينا أن ندرك تماماً بأن كلمة القرصنة معناها آنذاك لا تعني مفهوم الكلمة السيء في وقتنا الحاضر، وأن معظم ما كان يذكر عن القرصنة في ذلك الوقت لا ينطبق مع مفهومنا الحالي لها. كان كل بحار في ذلك الوقت، من أي بلد كان يعتبر قرصاناً بصورة إجمالية حسب المفهوم الحالي. إذ أن رعايا الدول المختلفة كانت تعتبر الاستيلاء على أي مركب يخص العدو أو أحد حلفائه عملاً طبيعياً. ويفرّق أصحاب المبادئ وواضعو القوانين المحدثون بين مسمى حالات مختلفة مثل: مركب القرصنة أو المركب المفوّض من قبل الحكومة لمهاجمة سفن العدو أو الذين يقومون بأعمال السلب بالقوة وهؤلاء تتلاءم أعمالهم مع المهن المهذبة وبين تصرفات القراصنة العاديين. وفي الواقع إنه من الصعب التمييز بين السلوك المهذب للاستيلاء على سفن العدو، وبين اللصوصية. أما فيما يتعلق بالخليج فالوضع في غاية التعقيد حيث أن مفهوم الحرب والسلم فيها غير واضح. إلا أن الإشارة إلى القرصنة الحقيقية في الخليج نادرة نسبياً. فقد كان القراصنة الحقيقيون، وهم عادة من الأوروبيين، يمارسون نشاطهم عادة في المحيط الهندي.

ولعل ما جاء في بعض الوثائق الأوروبية من أن رجال القبائل العرب هم من القراصنة أمر مشكوك فيه. فعلينا أن نأخذ بعين الاعتبار بأن الحرب بين البرتغاليين وبين عرب عمان كانت مستمرة تقريباً. ولهذا السبب فإن استيلاء العرب على المراكب البرتغالية يعتبر أمراً شرعياً تماماً. ويعتبر وصف البرتغاليين لذلك بأنه من أعمال القرصنة، دعايات حربية. وكان المراقبون الهولنديون يرون أن هجوم العرب على السفن البرتغالية عمل حربي طبيعي. وكانت حالة الحرب سائدة أيضاً بين القبائل العربية وبين سورات أو كنارا أو بلاد فارس. وفي مثل تلك الحالات فإن للعرب ما يبرر مهاجمتهم لسفن تلك الشعوب. ولا شك أنه أقل تبريراً مهاجمة حلفاء وأصدقاء الأعداء أو مهاجمة السفن المحايدة المتوجهة إلى موانئ العدو.

وإذا أخذنا بعين الاعتبار ما ذُكر عن القرصنة في القرنين السابع عشر والثامن عشر، نجد أنه من الممكن اعتبار معظم الأعمال التي يطلق عليها ضحاياها اسم القرصنة، أعمالاً قانونية تجري عادة في زمن الحرب. ومن الممكن أيضاً اعتبار هجمات العمانيين على السفن العربية المتجهة إلى بندر كنج، عندما كان البرتغاليون يتقاضون رسوماً عليها، أعمالاً قانونية. ويطبق هذا القول على هجمات العرب على السفن السوراتية تحت حماية العلم الإنكليزي وقت الحرب مع سورات. وتعتبر الهجمات العربية على السفن المتجهة من وإلى الموانئ الفارسية في زمن الحرب قانونية أيضاً. وكان يتم الاستيلاء أيضاً على السفن الخاصة بالهولنديين أو الإنكليز أو التابعة لهم.

ويبدو أن الإنكليز كانوا ضحية لمثل هذه الهجمات في الخليج أكثر من الهولنديين. فالهولنديون كانوا يستخدمون السفن المجهزة بالأسلحة الثقيلة في حالة توقع الخطر كما كانوا أقل ميلاً إلى تأمين حماية التجارة الدولية من قبل السفن الهندية تحت حماية علمهم. ولم ينتج عن مثل هذه الهجمات أية أحداث خطيرة. ولقد أدرك العرب مدى قوة وعنف الرد المحتمل من قبل الأوروبيين كما كانت معظم حالات الهجوم على السفن الهولندية أو الإنكليزية عبارة عن أخطاء تحدث عندما لا تتضح التبعية تماماً. وكان الهولنديون يحصلون مباشرة على تعويض عن السفن والبضائع المشحونة. وهكذا كان الحال مع الإنكليز.

وأما من حيث استخدام المصادر لكلمة القراصنة فهي ببساطة مسألة لغوية. في ذلك الوقت لم يظهر بدقة الفرق بين سلوك اللصوصية وبين مهاجمة المراكب المفوضة من قبل الحكومة ضد سفن العدو. ويبدو في التقارير أن للكلمتين نفس المعنى. وقد يكون كاتب التقرير هو الضحية أو أنه يجازف فيصبح ضحية. والواقع أن الوضع في الخليج كان يشجّع على أي نوع من الهجمات المفوضة من الدولة. فالحروب كانت دائماً قائمة بنوع أو بآخر. وكان من الصعب التمييز بين التجارة الدولية التابعة للعدو والتجارة الدولية تحت حماية العلم الإنكليزي أو الشركة الهولندية. ولأسباب عديدة قلّما كانت السفن الأوروبية الصنع التابعة لشركتي الهند الشرقية الإنكليزية والهولندية تواجه أية مشاكل مع العرب، بل كان الهولنديون والإنكليز هم الذين يهاجم بعضهم

البعض كما حدث عام ١٦٥٣ عندما استولى الهولنديون على بعض السفن الإنكليزية في الخليج(٨٢).

ولهذا حاولنا تجنب استخدام كلمة «القرصنة» حتى ولو استخدمتها المصادر. ونحن نعلم أن مفهوم كلمة «القرصنة» مختلف بالنسبة لكتاب تلك المصادر، ومن الممكن أيضاً اعتبار جميع أعمال الاستيلاء على السفن في الخليج شرعية. وحيث أنه لم يكن في الخليج، وبصورة منتظمة، سفن حربية كبيرة، فإن هذا يعني أن السفن التجارية هي التي كانت تقوم بالأعمال الحربية البحرية وليس من الواقع أن يُؤّول الموضوع أخلاقياً. ففي أماكن عديدة من أوروبا سيطر الوضع نفسه وظل حتى الزمن النابليوني.

الفصل الثالث

تدهور القوة البرتغالية في الخليج



انتكاسات البرتغاليين الأولى:

واجهت القوة البحرية البرتغالية في المنطقة الواقعة حول المحيط الهندي عدداً من الانتكاسات الخطيرة خلال السنوات الأولى من القرن السابع عشر. فقد اندفع أولاً الانكليز والهولنديون الذين شكلوا التنافس الأوروبي، إلى آسيا. ولم يوفّر الأوروبيون الجدد القاعدة الاقتصادية للوجود البرتغالي باقتطاع جزء من الأرباح لأنفسهم فقط، بل قاموا بعمليات عسكرية ضد المؤسسات والسفن البرتغالية التي كانت مجهزة للقيام بعمليات حربية ضد الآسيويين وليس ضد الأوروبيين. وقد تدهورت العلاقات بين البرتغاليين وبين شعوب آسيا آنذاك حيث كان البرتغاليون قد سيطروا على بعض المدن المحصنة والمؤسسات التجارية.

وكثيراً ما ساهم الانكليز والهولنديون في إثارة بعض المصاعب للبرتغاليين وذلك بالتآمر مع الحكام المحليين بغية طردهم. ولم يهتم البرتغاليون كثيراً بالمشاكل في الخليج، إذ انشغلت معظم قوتهم العسكرية في الدفاع عن المناطق الأساسية في الأجزاء الشرقية من آسيا ضد الهجمات الهولندية. ونظراً لتناقص تجارتهم نتيجة المنافسين الغرباء فقد قلّت إمكانياتهم الاقتصادية للمحافظة على نظامهم الدفاعي.

وقد يحدث كل هذا مع نشأة عدد من الضغوط في الخليج من اتجاهين:

- الاتجاه الأول هو توسُّع وامتداد بلاد فارس نحو الساحل الشمالي من الخليج.

- أما الاتجاه الثاني فقد تمثّل في ضغوط القبائل الداخلية في شبه الجزيرة العربية على الساحل الجنوبي.

وكان الشاه عباس الأول قد منح علاء وردي خان، حاكم فارستان، المستقل تقريباً، حرية التصرف، كما أعطاها فيما بعد أيضاً لابنه الإمام قولي خان. وكان هذان يحاولان تحطيم الاحتكار البرتغالي الهرمزي لتجارة الخليج لكي يتمكنا من الاستفادة الشخصية وبالتالي الحصول على دخل كبير من الرسوم الجمركية. وقد ضُمّت مملكة لار إلى بلاد فارس في عام ١٦٠٣. ومنذ ذلك الحين أصبح قلب مملكة هرمز في متناول يد الفرس(١).

في غضون ذلك ازداد تنقل القبائل في داخل شبه الجزيرة العربية، وأصبحت المؤسسات البرتغالية الواقعة على الساحل الجنوبي من الخليج تعاني من الضغوط العربية. ولا تعطينا المصادر التي تتحدث عن تاريخ الخليج، معلومات واضحة عن حقيقة أسباب الضغوط المتزايدة على البرتغاليين من قِبَل العرب. ويبدو أن رقعة الاضطرابات على شبه الجزيرة بأكملها، قد اتسعت. فقد كانت الحدود العثمانية، كالمؤسسات البرتغالية، تعاني من الهجوم المتكرر بنفس القدر. ولهذا أصبح من المحتمل توقّع تغيّر خفيّ عميق للأوضاع الاقتصادية أو الصفات السكانية.

ومن الممكن أيضاً أن يكون قد حدث بعض التغيّرات المناخية التي أدت إلى اضطراب التوازن الخطر في البيئة في المنطقة الصحراوية وأدى إلى قلة الإنتاج في المواد الغذائية وزيادة مظاهر الحياة البدوية، وبالتالي زيادة الضغوط على الإنتاج من قبل سكان الواحات المقيمين، ومرة أخرى زيادة في مظاهر الحياة البدوية. إن سلسلة ردود الفعل الحتمية، موجودة دائماً في اقتصاديات الصحراء. ومهما يكن فقد ازدادت الضغوط القبلية على إقليم البصرة، وعلى سيطرة العثمانيين هناك كما ازداد الضغط على بعض المعاقل الأخرى في شبه الجزيرة العربية كاليمن وحدث ضغط على سيطرة البرتغاليين على حصونهم.

ولقد تفاقمت الأزمة نتيجة الوضع الداخلي في هرمز وذلك أن الإدارة البرتغالية كانت فاسدة كلياً، ولم يُستخدم سوى جزء فقط من الأموال المقررة من أجل الدفاع(٢).

ولقد وقعت المأساة الأولى على البرتغاليين في البحرين في عام ١٦٠٢. ولم يكن هناك حامية من الجنود البرتغاليين الحقيقيين في حصنها البعيد عن مملكة هرمز. ولكن هذا لا يهمّ كثيراً. فالذي يهمّ في هذا الصدد أن معظم حصن مملكة هرمز والمناطق في أقصى الغرب قد أصبحتا تحت سيطرة الفرس والعرب أعداء البرتغال، وفقدت هرمز السيطرة على الجزء الغربي حيث مغاصات اللؤلؤ التي لم تكن مصدراً هاماً للواردات فحسب، بل كانت تُعتبر أيضاً وسيلة لحفظ النفوذ على القبائل العربية في المنطقة الساحلية وذلك بحصولهم على ترخيص يسمح لهم بالغوص.

وتتناقض المصادر فيما يتعلق بأسباب سقوط حصن البحرين. والرواية الشائعة هي من كتاب أحد المرسلين البرتغاليين أنطونيو جوڤيا. وقد جاء فيها ما يلي:

«بعد أن عمد وزير البحرين الهرمزي إلى قتل أحد الرجال الأثرياء المحليين، قام شقيق القتيل بقتل الوزير، واستولى على الحصن لمصلحة الفرس. وقد حاول البرتغاليون استعادة الجزيرة، إلا أنه كان ينقص محاولاتهم تلك التصميم والعزم. وقد قام الفرس بهجوم مضلّل على ممتلكات هرمز في الأراضي الفارسية الرئيسية»(٣).

وكان قد بعث تاجر برتغالي في جوا برسالة تمّ اعتراضها، وهي موجودة حالياً في الأرشيف الهولندي، وتؤكد هذه الرسالة تلك المعلومات. ويُستخدم فيها لفظ «الثورة» بدلاً من غزو البحرين. وتشير مصادر غربية أخرى إلى أنه قد سيطر على الحصن تحالف من العرب المحليين وقوات خان فارستان(٤). ومنذ ذلك التاريخ ضُمّت البحرين إلى إقليم فارستان، الفارسي تحت إدارة سلطان نيابةً عن إمام قولي خان، الذي كان ما يزال يطلق على نفسه لقب «حاكم فارستان ولار والبحرين» في عام ١٦٣٠(٥). وفي عام ١٦١١ حاول البرتغاليون ثانية استرداد الجزيرة بالقوة، ولكنهم لم ينجحوا في خططهم(٦).

كان سقوط البحرين ضربة فعلية للبرتغاليين لأن الملاحة بين البصرة وهرمز، وهي إحدى الطرق الحيوية للتجارة الآسيوية البرتغالية، أصبحت الآن أكثر تعرضاً لهجمات القبائل العربية المعادية. إلا أن الخطر لم يكن كبيراً. فالبرتغاليون كانوا لا يزالون يسيطرون على هرمز التي كانت تسيطر على مخارج فارستان إلى الخليج، في الوقت الذي كانت فيه القبائل العربية الفقيرة في المنطقة الساحلية تفتقر إلى الوسائل الاقتصادية لبناء قوة بحرية كبيرة. هذا بينما كانت القوة البحرية الوحيدة في الخليج عبارة عن حامية برتغالية صغيرة على متن سفينة شراعية.

ولم يكن اقتحام المتنافسين الأوروبيين أقلّ خطراً من ذلك. ففي عام ١٦٠٩ خشي البرتغاليون في هرمز من ظهور الأسطول الهولندي في البحر العربي. ولم يدرك البرتغاليون أن الهولنديين لم يخططوا لهجوم على هرمز، وأنهم كانوا قد حصروا

هجماتهم على الملاحة البرتغالية في منطقة ظفار(٧). وفي عام ١٦١٨ كان الهولنديون قد سيطروا على عدة حصون في جزر التوابل وفي جاوة وفي بوليكات في الهند. وقد نشأت مخاوف من هجوم الهولنديين على ملقا، وهي معقل البرتغاليين الذي يفصل شرق آسيا عن المحيط الهندي(٨). وعلى الرغم من بعد هذا عن الخليج، إلا أن الخطر كان يقترب شيئاً فشيئاً. فقد وصلت البواخر الهولندية إلى عدن ومخا والشحر في حضرموت(٩). ولم يكن اشتداد الضغوط بالإضافة إلى فقد بعض المناطق الإقليمية، كما حدث في البحرين، مهماً بدرجة كبيرة إذا ما قورن بتطورات أكثر خطراً وتتمثل في أن تفقد هرمز مكانتها كالرابط الوحيد بين بلاد فارس والبحر.

ولعدة سنوات حاول الإمام قولي خان الحصول على منافذ لبلاد فارس في الخليج في إقليم فارستان. وهناك مكان يصلح كثيراً لهذا، وهو الوادي الواقع في جنوب بلاد فارس الذي تقطعه الطريق الرئيسية للقوافل من أصفهان إلى الساحل وينتهي عند شاطئ رملي بين جزيرتي هرمز والجسم. وكانت هذه المنطقة تخص عرب هرمز لمدة طويلة، وكان ما يزال لهم فيها حصن صغير يطلق عليه البرتغاليون اسم جمبرون (Comorao). وكانت تؤخذ معظم مياه الشرب المستخدمة في جزيرة هرمز القاحلة من الآبار الموجودة في تلك المنطقة. ومنذ أن قام الفرس باحتلال لارستان، في وقت السلام، باشروا باحتلال مواقع صغيرة في هذه المنطقة بين إقليم فارس وحصون البرتغال.

وفي عام ١٦٠٢ هاجم الفرس جمبرون للمرة الأولى(١٠). وكان قد واجه البرتغاليون بعض المصاعب، إذ أنهم كانوا يواجهون هجوماً من سلطات شيراز المحلية في حالة السلم مع الشاه. وفي عام ١٦٠٧ سيطرت قوات حاكم شيراز على مصادر المياه الأساسية، وبنو حصنين جديدين بالقرب من حصن جمبرون القديم (جامرو بالفارسية). وبعد إجراء المفاوضات أعيدت مصادر المياه إلى البرتغاليين. ولكن الحصون الفارسية ظلت مكانها، كما فقد البرتغاليون السيطرة على المنطقة الساحلية الواقعة مقابل هرمز(١١).

وأخيراً حاصر الإمام قولي خان في عام ١٦١٥، حصن جمبرون البرتغالي، على

رأس قوة صغيرة نسبياً، وسيطر عليه دون مقاومة تذكر. أما البرتغاليون فقد ردوا ببطء على هذه الانتكاسة كما ترددوا في خوض حرب رسمية مع الشاه(١٢). وعلى الرغم من وجود سلام رسمي مع الشاه، لم يتراجع حاكم شيراز عن مهاجمة المنطقة التي اعتبرها الفرس ملكاً لهم. وقد واجهت المؤسسات البرتغالية في آسيا ضغوطاً كبيرة من قِبَل الهولنديين ولم تتمكن لذلك من مساعدة القوات القليلة في هرمز.

ولم يتسنّ للبرتغاليين أن ينعموا بالراحة. ففي السنوات الأولى من القرن السابع عشر جرت بعض الاتصالات بين المجموعات الصغيرة من عرب الساحل وبين الإمام قولي خان. وفيما عدا ذلك ليس هناك ما يفسّر المساندات القوية التي كانت تقدّمها السفن الصغيرة المحلية القائمة في الهجمات الفارسية على البرتغاليين(١٣). وفي الوقت نفسه ظهرت في عمان حالة خطرة. فهناك عدد من الحصون الساحلية تحت سيطرة هرمز، ولكن كان ما تبقى من البلاد يخصّ حكام عمان من سلالة آل نبهان. وقد كانت دولتهم خليطاً غير متماسك من القبائل التي تميل نحو الانحلال والتفسخ منذ عام ١٥٦٥. ولعلّ أهم مصدر عن تاريخ عمان في ذلك الوقت هو السجلّ العماني للشيخ بن سرحان. وهو مصدر إباضي يتحامل على مَنْ تبقى من دولة آل نبهان حيث كان النفوذ السنّي هو الشائع فيها(١٤).

وخلال نهاية القرن السادس عشر ظهر تدخل الفرس ضدّ أحد سلالة آل نبهان الذي كان بالأحرى من منطقة جاسك. وقد شنّ الفرس هجوماً على صحار ولكنهم رُدوا على أعقابهم(١٥). وخلال السنوات التالية استمرت الاضطرابات الداخلية في عمان. وبالتأكيد فقد كان إضعاف آل نبهان يشكل خطراً على البرتغاليين إذ قد يؤدي ذلك إلى نشأة كل أنواع الصراعات بالقرب من الحصون الهرمزية على الساحل. وفي عام ١٦١٥ - ١٦١٦ نشأت اضطرابات شديدة في الأقاليم المحيطة بصحار. وكان يتصارع على المدينة عدد من أعضاء آل نبهان. وتختلف الروايات التي تتعلّق بهذه الصراعات بين المصادر البرتغالية والعمانية(١٦). ففيما يتحدث البرتغاليون عن ثورة بسيطة ضد السلطة البرتغالية الهرمزية في المنطقة، يرى المصدر العماني أن صحار مدينة عمانية يتنازع عليها عدد من المطالبين بالحكم من آل نبهان. وقد تدخلت

القوات الهرمزية في هذه المنازعات في أوقات محددة(١٧).

وفيما كان الفرس يحظون بمساندة بعض المجموعات العربية، كان العرب الذين يواجهون معارضة من قبل الفرس يسعون للانتشار في ساحل الخليج. إنّ علي كمال، مثلاً، وهو قائد من نخيلوه، والذي كان حاكمه الفرس، ترك بلاد فارس مع قليل من أتباعه بعد أن نشأ صراع قُتل فيه عدة أشخاص من عائلته. ولقد أسس قرية على الساحل المقابل للخليج بين الشارقة ورأس الخيمة غالباً. وقد قدّم نفسه حليفاً لهرمز آخذاً بعين الاعتبار المنازعات القديمة بين نخيلوه وهرمز. وهذا تحوّل غريب(١٨).

ويُظهر الثأر القائم بين علي كمال والفرس كيف أنه على الرغم من أن العرب ساندوا الفرس في مساعيهم ضد البرتغاليين، إلا أنه لم يظهر في الأفق تحرّك عربي عام لمساندة نشاطات الفرس ضد البرتغاليين. ويبدو أن الفرس كانوا ينظرون إلى صراعهم مع علي كمال باهتمام، حيث أنزلوا مجموعة كبيرة من القوات على شبه الجزيرة العربية وتمكنوا إذ ذاك من طرد علي كمال مع قوته الصغيرة. وقد رأى أحد المراقبين البرتغاليين أن علي كمال قد أخطأ في عدم تعاونه مع قائد عربي قبلي كان يطلق عليه اسم كارثان (Carthane) يسيطر على الداخل. ومن الممكن أن يكون هذا القائد العربي أحد قائدين من بني هلال وهما: قطن بن قطن، أو ناصر بن قطن. وقد جاء ذكرهما في مصدر عماني(١٩).

وقد فسح وجود القوات الفارسية في المنطقة المجال أمام جميع المتذمرين ضد مملكة هرمز للإعلان عن أنفسهم، وكانت النتيجة انتفاضة واسعة النطاق ضد هرمز في المنطقة الواقعة بين جلفار وصحار. ورواية علي كمال هامة جداً ولهذا رأينا أن نوردها هنا كما جاءت في الأصل:

«عبرت القوات الفارسية الخليج ووصلت إلى جلفار على ساحل الجزيرة العربية. وقد خشي جميع سكان هرمز من قيام القوات بغزو المكان وسلبه وحرقه كما فعلوا خلال حرب باند علي(٢٠).

وعلى الرغم من أن هذا المكان هو الوحيد الذي بقي للملك هرمز الفقير، وكان الملك قد ألحّ بأن يزوّد بقوات للدفاع عنه، إلا أنه كان من المستحيل

ذلك لوجود قليل من الجنود في جزيرة هرمز ذاتها ولوجود ثلاث سفن صغيرة وسفينة شراعية واحدة دون مجاديف ودون معدات. وقد رافق الجنود والسفن الباقية قائد الأسطول لحماية سفن الحاكم، كما توجه غيرهم من ضباط وموظفي الملك إلى السند والبصرة. وهكذا كان من المؤكد تعرّض جلفار للسلب والحرق. وكان من المعتقد أن جميع الأخطار التي تهدد هرمز سوف تقع على رؤوس العرب الفقراء الذين كانوا يعيشون هناك. ولقد شعر بعض الناس بالحزن إزاء هذا الأمر لكون ممتلكاتهم ومعظم تجارتهم هناك. إلا أن الأمل الضعيف قد تلاشى، وذلك لأنه بعد سبعة أو ثمانية أيام شاع نبأ عن أن الجيش الفارسي عاد إلى موقعه السابق بعد أن قام أفراده بتدمير وحرق قرية صغيرة على بعد ميل واحد من جلفار حيث قُتل خمسون أو ستون نفراً من عرب نخيلوه، ولم تتعرّض جلفار لهجوم.

ويُحكى أن سبب هذه الحملة يعود إلى أن ملك الفرس قد تنازع مع شخص عربي من نخيلوه الواقعة على حدود مملكة لار ويُدعى علي كمال، وذلك لانتقاله قبل بضع سنوات إلى ساحل شبه الجزيرة العربية قرب جلفار ليعيش هناك مع مجموعة أخرى من العرب. وقد بنوا بعض المنازل البسيطة الصغيرة في ذلك المكان على طريقة سكان نخيلوه المعتادة. ويعود سبب تركه لنخيلوه أنه كان شخصاً قوياً وعنيفاً وحيث أنه قام بعدة أعمال جريئة في الحرب، لم يستطع أن يتحمل كبرياء وغطرسة الفرس وعاش في تحدٍ دائم لخان شيراز ولشاه بلاد فارس، الذي كان يخطط للقبض عليه وذلك لأنه كان من الممكن، بصفاته تلك، أن يبدأ ثورة مع أبناء بلده، الذين من المحتمل أن يتبعوه بكل رضا ويطيعوا بالتالي أوامره. ومن الممكن أن يعود السبب الحقيقي لمغادرته، وذلك لأنه كان قد بدأ مباشرة بالتفاوض مع ملك هرمز ومع حاكم حصن هرمز، كما كان وعد أن يخدم ملك أسبانيا* للدفاع عن مملكته ضد الفرس إذا لقي مساندة مادية لتدريب بعض الأشخاص من نخيلوه الذين

* كانت إسبانيا تحتل البرتغال بين عام ١٥٨٠ وعام ١٦٤٠.

يهتمون في الدخول في خدمته. ولكن حيث أن حكام هرمز كانوا يضعون مصلحتهم الشخصية فوق كل اعتبار عند معالجة مثل هذه الأمور، فإنهم لم يفعلوا شيئاً للمحافظة على هذا الرجل الشجاع الذي كان بإمكانه أن يجمع تحت لوائه عدداً من العرب رغم اكتفائه بالقليل.

وفي الهند، كما في بلاد فارس خاصة، من المهم جداً وجود حلفاء محليين ضد أحد الأسياد الأقوياء كشاه بلاد فارس إذ يخشى جميع العرب بطشه. ولكنهم يرفضون أن يكسبوا ود هؤلاء الأسياد الأقوياء عن طريق الهبات الصغيرة، التي يمكن أن تلزمهم بالاستعداد الدائم في جميع المناسبات والتي من الممكن أن تحدث باستمرار لتقاربهم مع الفرس. إلا أن ذلك الرجل من نخيلوه، على الرغم من أنه كان دائم الاستطلاع واستطاع أن يراقب الجيش الفارسي الذي كان قد أمر بالإبحار مباشرة إلى هرمز، تجاهل طلب المساعدة مباشرة من جيرانه العرب الذين كان يرأسهم قطن، ولم يكن من السهل لعلي كمال الحصول على المساعدة من جيرانه لأنه كان فقيراً ولم يتمكن من دفع الثمن لأولئك البدو. ولكي يضمن عدم مهاجمة العدو له بعد استيلائهم على هرمز، قام بتحصين أقرب ميناء إلى المكان الذي أسسه، كما خبّأ بعض السفن وراء أخوار في الرمال في الأمكنة التي كان يعتقد أنها أقرب وأسهل للغزو. كما أقام بالإضافة إلى ذلك بعض التحصينات للدفاع. وصباح أحد الأيام وصل الفرس ومعهم مئة وخمسون سفينة على متنها أكثر من خمسمائة رجل مسلّح معظمهم بالأسلحة النارية، وكان معهم مئتا حصان. وعلى بعد ثلاثين أو أربعين خطوة من البحر، حيث الشاطئ منبسط، غطسوا في المياه، وتوجّه الخيالة على متن خيولهم في المراكب وشنّوا هجوماً على العرب في عدة أماكن. وكان لدى علي كمال مئتا رجل وثلاثون حصاناً. وقد تلقّوا بشجاعة فائقة، وابلاً من الرصاص والرماح التي أطلقها العدو. ورغم أنهم تمكنوا من أن يخلّصوا أنفسهم جميعاً بتراجعهم عن الساحل، حيث كانوا قد أبعدوا أيضاً نساءهم وأطفالهم من هناك منذ عدة أيام، فقد آثروا أن يحاربوا، كما فعلوا

مرة من خنادقهم. وقد أبدوا شجاعة نادرة في مقاومة الفرس، وسببوا لهم دماراً يوازي ما مُنوا به من قبل. ولكن لم يكن عددهم متساوياً. وقد أصيب قائدهم بجروح نتيجة إصابته برصاصتين. ولذا تراجعوا بسرعتهم المعتادة وساعدتهم معرفتهم بالأراضي على ذلك.

وفيما كانوا يتراجعون لحق بهم الفرس وقتلوا بعضهم. وبذلك يكون قد بقي منهم ستون شخصاً، وبقي أربعون شخصاً من الأعداء. لقد أبلى ذلك الرجل من نخيلوه في تلك المعركة بلاء حسناً وأبدى أقصى ما يمكنه أي جندي شجاع كما بدا بأنه القائد الذي رفض مغادرة الأكواخ الفقيرة التي بحوزته دون مواجهة العدو ومقاتلته، وكان لنا مثلاً أعلى نقتدي به فيما يتوجب عمله في هرمز والتي لا يتصف قائدها بصفات ذلك العربي»(٢١).

كان شاه عباس الأول، ولعدة سنوات يحاول أن يجري اتصالات مع أوروبا. فقد رغب أن يفتح طريقاً لتصدير الحرير الفارسي خارج المنطقة التي يسيطر عليها عدوه السلطان العثماني. فقد شكل استلام السلطان لعائدات كبيرة من الرسوم الجمركية على المنتوجات الفارسية المتجهة إلى الشرق الأوسط، مصدر إزعاج بالنسبة له. وقد حاول الشاه أن يتقرب إلى القوى الكبيرة كهولندا وانكلترا، واعداً بمزايا كثيرة عند قيام تجارة مباشرة بينهم. وكان أن اهتمّ الانكليز كثيراً بشراء الحرير في بلاد فارس. وكانوا يسعون ليجدوا وسائل أقل تكلفة لممارسة التجارة مع بلاد الفرس من القوافل الباهظة التكلفة. وقد منح سفيرهم في بلاد الفرس حرية اختيار موانئ عديدة لإقامة مؤسسة فيها. والبحرين إحدى هذه الموانئ. إلا أن الانكليز وجدوا خطراً في إقامة مؤسسة كبيرة هناك مع سيطرة البرتغاليين على مخرج الخليج(٢٢). والمخرج الوحيد المفتوح كان لبلاد الفرس من جهة البحر يتمثل بموانئ بلوشستان على الرغم من ضعف الاتصال بداخل بلاد الفرس. وفي عام ١٦١٦ وصلت السفن الانكليزية إلى ساحل بلوشستان ورست في جاسك. وقد قامت علاقات مباشرة بين بلاد فارس والمؤسسات الانكليزية في آسيا(٢٣).

كذلك تقرب شاه عباس من الهولنديين، إلا أن الهولنديين لم يهتموا كثيراً

بالتجارة مع بلاد فـارس لانهماكهم في الجزء الشرقي من المحيط الهندي. وقد اهتمت بعض الدوائر الهـولندية بالحصول عـلى وسائلهم الخـاصـة للتزوّد بـالحرير الفـارسي، وبالتـالي تسـربت معلومـات إلى القـادة في هولندا تفيد بـوجود إمكانيـات كـبيـرة للتجـارة في الخليج ولم يكن لإدارة شـركة الهند الشرقـية الهـولندية في آسيـا وسائل تكفي لتجربتها(٢٤).

الإجراءات البرتغالية المضادة: بعثة روي فريري:

يبدو من خلال الهيكل العام للعلاقـات الدولية أن الوضع السياسي في الخليج كان غريباً نوعاً ما. ويتلخص الوضع في الشؤون العـالمية في ذلك الوقت بأن ملك إسبانيا والبرتـغال كان منهـمكاً في حرب مـقدسـة مع الامبـراطورية العثـمانية ومـع مراكش الإسلاميـة. كذلك كان في حرب مع الهـولنديين الذين ثاروا ضد ملك أسبانيـا «سيد هولندا» بالوراثة. ولم ترتبط تلك الحروب ببعضها البعض رغم اتخاذ بعض المحاولات للحصول على تحالـف رسمي ضد ملك أسبانيا بعد عـام ١٦١٥. أما انكلترا فلم يكن لها عـلاقة مبـاشرة بذلك لأنها لم تكن مـتورطة رسمـياً بحرب مع أي فـريق. وكان وضع الشاه في تلك الحـالة مبهمـاً. ولقد اعتبـر الشاه أن السلطان العثمـاني هو عدوه الرئيسي وبنـاء عليه فإنه من المنطق الـتحالف مع البـرتغاليين. إلا أن تلك المفـاوضات كانت صعبة لأن سماح الفرس للانكليـز بتأسيس أنفسهم في جاسك قد سبب إثارة وإزعـاجاً للبـرتغـاليين من حيث احـتكار التـجـارة بأكملهـا في آسيا. ولم يحـصل الممثلون من ملك أسبـانيا والبرتغال على وعـود ثابتة لردّ البحرين وحصن الجـمبرون. وقـد يعود السـبب في ذلك إمـا لضعف تمسّك شـاه عـباس الأول بالإمـام قولي خـان حـاكم فارستـان، أو بسبب مطالب الفرس بنوع من السيادة ومن المميزات المالية التي كانوا يتوقعونها نتيجة صيد اللؤلؤ في منطقة البحرين.

وفي البداية يـبدو أن البرتغاليين والفـرس قد استـمروا في محـاولاتهم للتوصل إلى تسوية بعـد التفـاوض. إلا أن جهودهم قـد فشلت. ولقد نتج عـن عدم الثقـة والفروق الثقافـية صعوبة في المفـاوضات بين القوتين(٢٥). وعندمـا فشلت المفاوضـات أرسلت

قوة بحرية من لشبونة تحت قيادة روي فريري دي أندرادي وذلك في عام ١٦١٩ لاستعادة مبادرة البرتغاليين في الخليج بطرد الانكليز وممارسة الضغوط على الفرس. ومن أهم النقاط الأساسية في المشروع البرتغالي لاستعادة السيطرة على الخليج، بناء حصن جديد قوي على جزيرة الجسم. وفي الجسم طعام وماء، وبالتالي فهي أقل اعتماداً على المساندة الخارجية من هرمز. ويشكّل هذا الأمر خطراً كبيراً. فلشاه هرمز مطالب في الجسم. إلا أن الإمام قولي خان القويّ سوف يمانع بالتأكيد بناء حصن هناك. ولذلك فإن الشاه سوف يعاني من خسارة في الداخل إذا ما قام البرتغاليون باعتراض تجارة الانكليز في بلاد فارس.

وفي العشرين من يونيو عام ١٦٢٠، وبعد رحلة استغرقت خمسة عشر شهراً، وصل فريري إلى مشارف هرمز. وقد أقيم له حفل استقبال يليق به. أما الجنود الذين لم يتقاضوا أجراً منذ فترة طويلة فقد أخذوا مستحقاتهم من قبل الحاكم البرتغالي بمساندة من الموارد المالية الخاصة بجمعية خيرية تتعلق بالكنيسة الكاثوليكية في هرمز. وقد زار شاه هرمز الأسطول(٢٦). وبعد الانتهاء من هذه الرسميات، توجه فريري مسرعاً على رأس قوة بحرية لإعاقة الانكليز من شراء الحرير الفارسي هناك. ولقد أنذرت المؤسسات البرتغالية في جوادور والسند لإبعاد بواخرهم من طريقها وإرسالها إلى ميناء مسقط الآمن لأنه كان من المتوقع ظهور السفن الانكليزية هناك.

وفي يوم عيد الميلاد من عام ١٦٢٠ وصلت إلى المنطقة سفن الحملة الانكليزية الثانية المبعوثة إلى جاسك. وعند ذلك الوقت وقعت معركة تدخل فيها البرتغاليون. وبعد حوالي الأسبوعين من المناورات دون الكثير من الاشتباك وقعت معركة قصيرة ما لبث القتال أن توقف فيها نتيجة لهبوب عاصفة. وعلى الرغم من أن الانكليز قد تأذّوا كثيراً من المعركة إلا أنهم استفادوا من العاصفة بأن أسرعوا بتحميل الحرير بانتظار وصولهم في جاسك(٢٧). ويعتبر فشل المحاولة البرتغالية في إعاقة الملاحة الانكليزية أحد الدلالات إلى كون كفاءة السفن البرتغالية في الأحوال الجوية السيئة أقل من كفاءة السفن الانكليزية أو الهولندية. ولم يكن هناك كثير من الفرق بين البرتغاليينَ وبين أهالي الشمال في المعركة، ولكن تمتاز السفن الهولندية والانكليزية

عليها في الأحـوال الجوية السيئة لأنهـا بنيت في الأصل لمواجهة رياح محـيط شمال الأطلسي الهوجاء.

وبعد هذا الفشل أجرى فريري مفاوضات رسمية مع ملك هرمز حول بناء حصن الجسم حيث أن الملك البرتغالي قد أمره بذلك. وفي كتاب وثائق التعليقات (Còmentarios) وصف مفصل لتلك المفاوضات. ويعتبر تبريراً متحيزاً لأعمال فريري في الخليج رغم كونه مفصلاً ومرتباً ترتيباً وثائقياً جيداً. وتعطي محتويات الكتاب أيضاً انطباعاً شيقاً للأسلوب الذي كانت تؤخذ فيه المطالب الإقليمية بعين الاعتبار في تلك السنوات. وكان قائد قلعة هرمز أول من أبدى رأيه في المشروع. ولم يوافق القائد على مشروع تحصين الجسم رغم اعترافه بإمكانية تزويد هذا الحصن بالطعام والماء من الداخل على عكس هرمز، وإقراره بمدى فوائد ذلك، ويعود السبب في عدم موافقته إلى أن هذا سوف يؤدي إلى نهاية السلام مع بلاد فارس. وأن البرتغاليين سيخوضون حرباً أخرى على أيديهم. وكان لشاه هرمز وجهة نظر أخرى. إذ اعتبر أن جميع سواحل بلاد فارس كانت بصورة شرعية ملكاً له، كما اعتبر الجسم وضعاً خاصاً لأن الفرس باعوا تلك الجزيرة قبل ذلك الوقت (على الرغم من أنها لم تكن وقتها ملكاً لهم) للبرتغاليين مقابل مبلغ كبير من المال. وقد رأى شاه هرمز أنه ليس هناك ما يعوق قانونياً تحصين البرتغاليين للجسم، كما قدم مبلغاً من المال وعدداً من الجنود لهذا المشروع(٢٨).

وفي السابع من مايو ١٦٢١ أُرسل ألفا برتغالي وألف جندي مسلم من هرمز على متن ثلاث سفن، وثلاثين مركباً صغيراً إلى الجسم(٢٩). وفي ذلك الحين كانت جزيرة الجسم قد تحصّنت بمجموعة قوية من القوات الفارسية التي عززت مواقعها على الشواطئ. إلا أن قوات الغزو المشتركة البرتغالية والهرمزية تمكنت من دحرها عن مواقعها. لكنهم بنوا حصناً حول الهياكل الخشبية التي سبق صنعها والتي كانوا قد جلبوها من هرمز، وكانت قد وضعت قرب الآبار. وبهذه الطريقة تمّ التعويض عن الخسائر التي لحقت بالآبار. فقد أحيطت التجويفات الخشبية بسرعة بجدران ثقيلة وأصبح لهرمز الآن مصدر جديد وأكيد للمؤونة والذخيرة قريب منها(٣٠).

حصار الجسم والعمليات في صير:

وسرعان ما جاء ردّ فعل الإمام قولي خان. فبينما كان البرتغاليون ما يزالون في عملهم، تقدمت قوة فارسية تحت قيادة عبد الله خان وهو ابن أخ الإمام قولي خان. وعندما وجد القائد أن البرتغاليين يتقدمون في عملهم، لم يجرؤ على شنّ هجومه على الحصن، الذي كان بالإضافة إلى ذلك، تحت حماية قوة بحرية كبيرة. وبدلاً من ذلك استقر الفرس في معسكر محصن بالقرب من الحصن البرتغالي. وظلت القوات الفارسية تأتي من البرّ الرئيسي. وقد حصل الفرس من أحد عيونهم على معلومات تفيد بأن الإمام قولي خان، حاكم شيراز، قد أعدّ خمسة وعشرين ألف جندي في لار لإرسالهم إلى عبد الله خان(٣١).

إلا أن المسائل في المعسكر البرتغالي لم تسر على ما يرام. فقد رفض مانويل دي أزيفيدو، وهو ضابط برتغالي مهم، كان يوماً رئيساً لروي فريري، أن يكون الآن تحت قيادته. وأخيراً غادر أزيفيدو الجسم ومعه القوات التي كانت تحت إمرته، مضعفاً بذلك مراكز دفاع الجسم في لحظة حرجة(٣٢). ولا بدّ من الملاحظة هنا من أن روي فريري، رغم جميع أساليبه وطاقاته، لم يكن بالمقدرة التي وصفه بها التاريخ الذي جاء في كتاب التعليقات (Comentarios) ولا نرى فيه فقط معالم القسوة البرتغالية تجاه بعض الخصوم المشتبه بهم بل تبدو فظاظته في هذا الوقت أكثر مما كانت عليه في السابق. فقد كان أيضاً مندفعاً ومتهوراً في خططه كما أنه لم يتعاون جيداً مع زملائه. وعلينا أن نأخذ بعين الاعتبار بأن عقلية نبلاء البرتغال وقتذاك من حيث غطرستهم وأنانيتهم، لا تتلاءم في الواقع مع المحافظة على امبراطورية تتكوّن من مراكز قوات طليعية صغيرة لديها إمكانيات عسكرية محدودة. من ناحية أخرى من الممكن اعتبار البرجوازيين من مدن شمال غرب أوروبا مغامرين وأنانيين ضمن بيئاتهم الثقافية، ولكنهم أقل كبرياء إذا ما قورنوا بالبرتغاليين، وأقل ميلاً لتلقي الطاعة العمياء من هيئة الموظفين وأكثر ميلاً لتقدير العبارات الفطنة منهم. وكذلك فهم أقلّ كبرياء وقسوة تجاه السكان المحليين بقليل.

ولقد استمر روي فريري بعمله في تحصين جزيرة الجسم متوقعاً هجوماً مضاداً من

قِبَل الفرس. فما لبث أن أرسل قوة كبيرة من السفن الصغيرة لإعاقة عبور القوة الفارسية إلى الجزيرة. أما ما تبقى من الحامية البحرية البرتغالية في الجسم والتي قوامها بعض السفن الكبيرة، وست عشرة سفينة صغيرة، فقد أُرسلت لشن غزو على مدينة بندر كنج. وقد رافق هذه القوة وحدة من العرب الهرمزيين تحت قيادة علي كمال. ولم تكن بندر كنج محصنة، وبالتالي فإنّ الحامية الفارسية لم تتمكن من الدفاع عن المدينة، وكانت النتيجة أن عادت القوات البرتغالية والهرمزية بكثير من الغنائم(٣٣).

وما أن تمّ بناء حصن الجسم حتى بدأ البرتغاليون استعادة الخسائر التي كانوا قد مُنوا بها مؤخراً من قِبل مملكة هرمز. وفي عام ١٦١٩ نتج عن الهجوم الفارسي ضد علي كمال في منطقة صير انتفاضة واسعة الأرجاء قام بها عناصر عربية في المنطقة الواقعة بين جلفار وصحار ضد سلطة هرمز والبرتغاليين(٣٤). وقد بعث روي فريري بسفينتين حربيتين تحت قيادة فيليب ألفونسيكا وجاسبار بيريرا بايس لتحرّي الوضع. وقد دخلت السفينتان البرتغاليتان إلى خليج خصب حيث اكتُشف وجود سفينتين هناك. وما لبثوا أن شنوا هجومهم على السفينتين. وبعد السيطرة عليهما وإلحاق خسائر فادحة بأرواح الأعداء وجدوا أنه كان على متن السفينتين شيخان من رمس كانا في طريقهما لتقديم الهدايا المفعمة بمشاعر الود والصداقة إلى الشاه. وكان على متن إحدى السفينتين عدد من الخيل. وسرعان ما قام البرتغاليون بضرب أعناق جميع العرب من أسراهم باستثناء الشيخين اللذين جيء بهما للمثول أمام روي فريري في الجسم. وفور وصولهما إلى الجسم، أخذهما جانباً ميراجوناديم (Miragonadim) قائد الكتيبة العربية في الجسم، وحذّرهما من أن حياتهما بين يدي روي فريري. وبعد أن سألهما روي فريري عن الوضع الراهن على الساحل الجنوبي وافق على إطلاق سراحهما مقابل فدية كبيرة مقدارها ١٢٠ ألف باتاكاس، وهذه الغرامة إن دلّت على شيء فهي تدلّ على أن مدن منطقة صير كانت تملك في ذلك الوقت مبالغ طائلة من النقد وذلك نتيجة تمكُّنها من ممارسة التجارة العامة(٣٥).

وتتمثل نتيجة إلقاء القبض على شيخي رمس بأن منطقة صير بأكملها ظلت بطريقة أو بأخرى مخلصة في ولائها لهرمز باستثناء جلفار حيث كان فيها حامية

فارسية بعد الهجوم الفارسي ضد علي كمال. وقد اعتبر البرتغاليون أنه لن يكون من الصعب استرجاع تلك المدينة لأنها لا يحكمها ملك. وكان الارستقراطيون البرتغاليون على ما يبدو يرون أنه من الأسهل لهم الانتصار على مجموعة من المدنيين سكان المدينة أكثر من تحقيقه على حاكم محلي. والسبب هو أن سلطة ومساندة أي مسؤول فارسي تقلّ عن سلطة ومساندة الحاكم المحلي.

وفي عام ١٦٢١، أُرسلت من لفت ثلاث سفن صغيرة تحت قيادة هيرو نيمو ثافاريس بالإضافة إلى مجموعة من الجنود تحت قيادة علي كمال. مزوّدة بشكل خاص ببعض المدافع الثقيلة وذلك لأن المدافع على ما يبدو ضرورية لإخضاع حصن قويّ. وقد أنذر تافاريس كوجينديم (قد يكون خوجا معين الدين)، حاكم جلفار، وكان أحد أقرباء شاه هرمز المقربين، بتسليم الحصن مع حاميته الفارسية(٣٦). إلا أنه تلقّى جواباً بالرفض مما جعل خصومه يعلنون عن وجود كمية كبيرة من البارود لديهم، وقاموا بإطلاق البارود للدفاع عن أنفسهم. وقد عزم علي كمال وتافاريس بأن ينزلا براً ويتحصّنا في مسجد كبير يقع على سهل رملي قريب من الحصن. ومن ثمّ قاما بغزو وسلب الضواحي كما قاما بأعمال حرق وقتل عشوائية. بالإضافة إلى ذلك بنوا منصّات للمدفعية. وما لبث أن دمّر الحصن إثر ذلك. وتشير السرعة في نجاح هذا الحصار إلى أن بناء الحصن لم يكن قوياً. وقد استسلم كوجنديم بشرط أن لا تصاب القوات الفارسية بالأذى، وأن يُعوّض السكان المحليون من قبل شاه هرمز، وأن يوضع القائد كوجنديم تحت رحمة فريري. ولم يكن الفرس في جلفار يرضون بمثل تلك الشروط لولا أنهم كانوا يمثّلون الأقلية في المدينة، وأن السكان المحليين كانوا يرغبون بالاستسلام.

وهكذا استسلم الحصن وظل علي كمال حاكماً هناك على رأس قوة قوامها مئتا جندي. أما كوجنديم فقد نُقل مع ستمائة فارسي إلى الجسم للمثول أمام روي فريري، الذي تصرف معه بدبلوماسية حيث عفا عنه من أجل عمه شاه هرمز. وأطلق سراح الحامية الفارسية، بعد ذلك طالب الفرس بالانضمام إلى خدمة البرتغاليين. وقد تمت الموافقة على هذا الطلب. وما لبث كوجنديم أن تسلّم قيادة هذه المجموعة من

الجنود. وقد شاركت هذه المجموعة في غزوة ضد مدينة برامي (خور إبراهيم) الفارسية والواقعة مقابل هرمز. كما تمّ الاستيلاء على أربع سفن تابعة لنخيلوه(٣٧).

وفيما كانت تدور هذه الأحداث حُشدت قوات فارسية بقيادة عبد الله خان. وفي يونيو من عام ١٦٢١ وصل القائد الفارسي أمام حصن الجسم. وقد بدأ حصار طويل الأمد يتخلله عدة أعمال هجوم ثقيلة قامت بها القوات الفارسية ضد الحصن يقابلها أعمال هجوم معاكسة قام بها البرتغاليون. وبالطبع لم يُحاصر البرتغاليون حصاراً كاملاً وذلك لأنهم كانوا قد بعثوا بقوة بحرية إلى مدينة كوهستاق الصغيرة الواقعة على الساحل الفارسي مقابل لارك، حيث قامت تلك القوة بغزو المدينة المذكورة وسلبها(٣٨). وبعد فترة قامت القوة الفارسية البحرية التي كانت ترسو في خور قريب من لفت، بطلعة أخرى ضد ميناء سراامياو الفارسي المحصن هذه المرة (من الصعب تحديد هذا المكان) حيث استُخدمت الذخيرة الفارسية. وقد قام البرتغاليون بالهجوم على الحصن ودمّروه تماماً(٣٩).

وبعد ذلك أمر روي فريري قواته البحرية بتدمير جاسك إذ إن هذا العمل لن يؤذي الفرس فحسب، بل إنه يحدّد أيضاً نهاية التجارة الانكليزية مع بلاد فارس. ولقد نجح الهجوم على جاسك وغزت القوات البرتغالية والهرمزية المدينة بشكل رهيب. ولم تسلم الوكالة الانكليزية من الغزو. في غضون ذلك استولى الفرس على سفينة صغيرة من هرمز بالقرب من بندر كنج وقتلوا ملاّحيها. وما لبث البرتغاليون أن أرسلوا قوة تحت قيادة علي كمال لغزو وسلب تلك المدينة للانتقام. فقد غزوا الحصن وانتقم الهرمزيون المشاركون ضمن القوة البرتغالية انتقاماً عنيفاً بأن سلبوا وقتلوا عدداً من الجنود الفرس(٤٠). وكانت بداية الخريف هي موعد إقلاع السفن الانكليزية إلى جاسك في كل عام بسبب الرياح الموسمية. إلا أن البرتغاليين كانوا شديدي الحذر، حيث أن روي فريري غادر جزيرة الجسم وانضم إلى أسطول قوي كان سيبحر مقابل الساحل.

وفي هذا الوقت تفاقمت الخلافات ثانية بين صفوف البرتغاليين. وقد تسلّم فريري رسالة من نائب الملك في جوا يعرب فيها عن عدم موافقته على الأعمال التي قام بها

في الجسم، كما أعرب عن أسفه واستهجانه للحرب التي تسبب بها مع الفرس. وقد أمره بتسليم جزيرة الجسم. وفي مجلس في هرمز نوقشت هذه الرسالة. وقد أيّد شاه هرمز فكرة المحافظة على جزيرة الجسم (فقد طالب بالطبع بالسيادة على الجزيرة). ولكن كان يجب سحب الأسطول المرابض بالقرب من جاسك للتمكن من حماية هرمز والجسم ضد أعمال الفرس الهجومية. وقد رغب روي فريري أن يبقى الأسطول في جاسك ولكن سلطة شاه هرمز لدى البرتغاليين كانت قوية وبالتالي فقد عمل برأيه. وفيما كان من المتوقع أن يصل الانكليز في أية لحظة، قامت البحرية البرتغالية بشن هجوم على الحصن الفارسي في لفت ودمرته تماماً، بينما قام الجيش بهجوم حربي انطلاقاً من حصن الجسم(٤١).

وأصبح الوضع في غاية الخطورة أمام البرتغاليين. ورغم أن روي فريري قد تمكّن من إحلال السلام في ساحل عمان، كما قام ببناء حصن في الجسم، إلا أن هذا قد تمّ بعد مواجهة مباشرة مع القوات الفارسية وبعد شن هجومين على الانكليز. وقد اعتبر الانكليز أن لديهم الحرية في شن هجوم على البرتغاليين في المنطقة، رغم أنه لم يكن هناك حرب رسمية بين البرتغال وانكلترا. وكان الانكليز قد أقاموا حلفاً دفاعياً مع الهولنديين يقضي بإقامة قوة بحرية تشترك فيها الدولتان وتبحر مقابل الساحل الشرقي في أفريقيا لحماية مصالحهما المتبادلة. وقد كان الهولنديون يخططون لاتباع خطى الانكليز في بدء تجارة مع بلاد فارس عبر جاسك. وفي الواقع أن الانكليز كانوا قد طلبوا مساعدة الهولنديين في العمليات التي تمّ التخطيط لها في الخليج إلا أنهم لم يتفقوا مع الهولنديين عندما طلبوا مقابل ذلك حقهم في تعيين نائب الأدميرال للأسطول. وبدلاً عن ذلك أبحر الأسطول الهولندي تحت قيادة الأدميرال ديدل السريع الانفعال، للقيام بعمليات عسكرية ضد البرتغاليين على ساحل أفريقيا الشرقي(٤٢).

ومع هبوب الرياح الموسمية، التي كان الانكليز يتوقعونها، وصل أسطول نجدة برتغالي تحت قيادة سيماو داميلو. وكانت قد وصلت أنباء في ذلك الحين تفيد بأن تسع سفن انكليزية معظمها كبير جداً، قد أبحرت نحو هرمز. وكان البرتغاليون، تبعاً لنصيحة شاه هرمز قد خططوا للانقضاض على الانكليز بكل ما لديهم من قوات

بحرية سواء بواسطة السفن الكبيرة التي كانت لدى روي فريري أو بالسفن الصغيرة المتجمعة في الخور بالقرب من لفت. وفيما كانت هرمز تستعد لمواجهة هجوم انكليزي محتمل، توفي قائد القوة البحرية فرانسيسكو دي سوزا، ولم يوجد له خلف يتسم بسمعته وخبرته. وحتى وصول القرار النهائي من قِبَل نائب الملك البرتغالي في الهند، تسلم القيادة مكانه سيماو داميلو قائد قلعة ممباسا السابق(٤٣).

وبعد فترة قصيرة، ومع استمرار الهجمات على جزيرة الجسم من قِبل المحاصرين الفرس، بدأت روح المقاومة البرتغالية في الانهيار. وظهرت في الأفق مقابل الجسم السفن الانكليزية الكبيرة التسع، ترافقها مئات من المراكب الفارسية الصغيرة. وما لبث روي فريري أن علا متن الأسطول لكي يشن هجومه على الانكليز. ولكن يبدو أن قواد حصون الجسم وهرمز معاً قد أصابهم الهلع الشديد، وأصبحوا في حالة لا يعلمون فيها ماذا يفعلون. وقد رسا الانكليز في الجسم، وبدأوا بتجهيز المدفعية الثقيلة في مواقعها بطريقة عملية مستحدثة. وكان الرحالة ويليام بافين، الذي كان مسؤولاً عن وضع المدفعية في موضعها، من أول ضحايا القتال. وكانت المدفعية الانكليزية قد ألحقت أضراراً بالغة في الحصن بسرعة كبيرة. وفي اليوم التالي من الحصار شنّ البرتغاليون هجوماً مفاجئاً على العدو. ولكن في اليوم الثالث وما بعده قصفت المدفعية الانكليزية الحصن بعنف إلى درجة لم يكن من الممكن أن يصمد الحصن بعدها، ولذلك بدأت المفاوضات للاستسلام(٤٤).

في غضون ذلك شنّت الحامية البحرية المرابطة في خور لفت هجوماً على البحرية الانكليزية، إلا أن قائدها قُتل، وبالتالي صُدّ الهجوم. وهنا تراجعت الحامية نحو هرمز. وأصبحت روح البرتغاليين المعنوية في هرمز ضعيفة. وكان القائد البرتغالي سيماو داميلو يتسم بالخمول. وسرعان ما نشب صراع بينه وبين الشاه. وكان الشاه على عكسه يتسم بالحركة والنشاط. ولقد تمكّن الشاه من تحقيق مراده في المجلس، ولهذا تقرر إرسال قوة من السفن إلى الجسم. ولكن في ذلك الوقت كان حصن الجسم قد استسلم للانكليز شريطة أن يخلي الانكليز الحصن من الجنود. وفي الحقيقة نفذ الانكليز هذه الاتفاقية جزئياً إذ أخلوا الحصن من البرتغاليين ولكنهم جرّدوا الجنود

المحليين من أسلحتم وتركوهم في الحصن ليُقتلوا على يد الفرس(٤٥).

حصار هرمز:

وقد سببت الأنباء الواردة عن سقوط الجسم وأسر كتيبتها أسى عميقاً في هرمز ولدى قائدها روي فريري وخاصة بعد أن تلقوا كذلك أنباء الاتفاقية التي عقدت بين الفرس والوكالة الانكليزية في جاسك حول المكافأة التي سيحظى بها الانكليز فيما إذا قاموا بطرد البرتغاليين من الخليج. وظهرت في القريب السفن الانكليزية تتوجه إليهم. وفي العشرين والواحد والعشرين من فبراير عام ١٦٦٢ أنزلت السفن الانكليزية الجنود على جزيرة هرمز دون أن تواجه مقاومة. وقد تبع ذلك حالة من الهياج والاضطراب دخلت خلالها القوات الانكليزية والفارسية مدينة هرمز وقامتا بأعمال السلب والتخريب، وهنا تراجع البرتغاليون والشاه إلى الحصن البرتغالي. وكان ذلك الحصن قوياً جداً ولم يكن من السهل السيطرة عليه وتدميره بالمدفعية بسهولة كما حدث لحصن الجسم وذلك لأنه قد بُني من الحجر الصلب.

وبدأ حصار طويل الأمد(٤٦). واستخدم المحاصرون الألغام في هجومهم. فقد حفروا أولاً خندقاً طويلاً يصل إلى موقع تحت حصن سانتياجو. وكان البرتغاليون لا يزالون قادرين على ترميم الدمار الذي حصل بعد أن تمّ تفجير اللغم هناك. ولكن تمكن الانكليز من محاصرة الحصن بشكل فعّال من جهة البحر كما سيطروا على الجزيرة بحيث لم يعد من الممكن استخدام القوة البحرية البرتغالية الصغيرة التي كانت ما تزال في هرمز وكان من الضروري إغراقها كي لا تسقط في أيدي العدو(٤٧). وبدأت المفاوضات وأبلغ الفرس خلالها البرتغاليين أنه بإمكانهم الاحتفاظ بهرمز إذا ما قبلوا بسيادة الفرس كما فعل شاهات هرمز قبل الغزو الذي شنه البوكيرك في الماضي، بالإضافة إلى دفعهم نصف عائدات رسوم هرمز ومسقط إلى الشاه. وكان الفرس على استعداد لأن يتخلوا عن جزيرة الجسم للبرتغاليين مقابل مبلغ من المال قيمته خمسمائة ألف باتاكاس، ولكنهم كانوا يطالبون بجلفار لهم. وعندما رأى البرتغاليون أنه من المستحيل تلبية شروط الفرس، وضعوا كل ما لديهم من جهد في

الدفاع(٤٨).

وبعد ذلك ببضعة أيام، تمّ تفجير لغم آخر. وفي هذا الوقت سقط حصن سانتياجو. وأما سقوط حصن هرمز فقد كان مسألة وقت. ولو أخذنا بعين الاعتبار البطء في الحصار إذ مرّ شهران على ذلك، فإنه من المحتمل أن تستخدم التعزيزات البرتغالية موسم الملاحة الجديد للوصول بسرعة إلى هرمز. وكانت قد جاءت سفينة صغيرة تحمل بعض الرسائل من نائب الملك في جوا وتفيد بأنه لم يتمكن من إرسال المساعدة المطلوبة من قبل، وذلك لأن سفينتين فقط من أصل أربع عشرة سفينة غادرتا لشبونة متوجهتين مباشرة إلى الشرق الأقصى ولهذا أُرسل عدد كبير من السفن الصغيرة إلى هرمز. ومع ذلك فقد هبت عاصفة أدت إلى تشتيت هذا الأسطول ولم يصل إلى هرمز سوى سفينة الكابتن دوم مانويل دي سوزا. ولقد عادت هذه السفينة إلى جوا وعلى متنها ابن ملك هرمز محملة بكنز كبير ورسائل إلى نائب الملك. ولكن عندما وصلت تلك السفينة إلى جوا كان موسم الملاحة قد انتهى ولم يعد من الممكن إرسال المزيد من المساعدة إلى هرمز. وسوف نرى أن ابن ملك هرمز الذي جيء به إلى جوا، قد أصبح فيما بعد حاكماً على ما تبقى من المملكة الهرمزية على الساحل العربي(٤٩).

وكان الافتقار إلى الطعام والماء في هرمز من مصلحة المحاصرين. والحالة الصحية لأفراد الحامية كانت سيئة. في غضون ذلك حصل خلال آخر أيام شهر أبريل من عام ١٦٢٢ ثلاث غارات. وأخيراً عرض خان شيراز شروطاً جديدة للاستسلام فقد عرض عليهم الآن الإبقاء فقط على حياة الجنود البرتغاليين إذا استسلموا. مرّة أخرى رفض البرتغاليون ذلك. وعندما اقترح الإنكليز التفاوض معهم أبدى البرتغاليون استعدادهم لذلك. ونتيجة لهذا تمّ الاتفاق على شروط تنصّ بأنه يسمح للشاه والأمراء والوزير أن يغادروا الجزيرة مع خدمهم وحاشيتهم وكذلك الكهنة بأوسمتهم، أما البرتغاليون فإنهم يرحلون على سفنهم ويُسمح للحاكم بأخذ ممتلكاته وعبيده، كما يُسمح للجنود أن يغادروا ومعهم أسلحتهم. ومن شاء من السكان أن يترك فبإمكانه أن يفعل ذلك(٥٠).

وهكذا دخل خان شيراز والقواد الإنكليز إلى الحصن حيث سُلّمت لهم المفاتيح. وبعد ذلك ظهر الشاه وحيّاه الإمام قولي خان باحترام. ولكن بعد ذلك دُفع البرتغاليون بقسوة إلى السفن التي كانت ستقلهم إلى مسقط. وقد حُجز شاه هرمز وحاشيته وخدمه هناك بتعليمات من الإمام قولي خان وذلك لأن الشاه عباس الأول كان قد أُمر بأن يُنقل حاكم هرمز السابق إلى أصفهان. وقبل الوصول إلى أصفهان نُفذ في لار حكم الإعدام في وزير هرمز. أما الملك فقد ظل سجيناً في قفص لعدة سنوات وأخيراً سُمح له بالإقامة بمنزل في أصفهان(٥١). وهكذا انتهت مملكة هرمز. ومنذ ذلك الحين أصبحت الطريق الرئيسية من بلاد فارس إلى البحر مفتوحة.

العرب والعثمانيون والفرس شمال الخليج:

كانت الأحداث الجارية في المنطقة الساحلية في شمال الخليج مماثلة للأحداث الجارية في جنوبه. وقد وُجدت هنا أيضاً الضغوط المتعلقة بالتوسع الفارسي ولكن بفعالية أقل منها في منطقة جنوب الخليج والسبب في ذلك يعود إلى أن بلاد الفرس كانت تنفرد في الجنوب بنشاطها دون أن ينافسها أحد. ولم ترغب إنكلترا أو هولندا أن تخاطر بالعلاقات الودية التي تربطهم بالسلطان العثماني في منطقة شمال الخليج من خلال مساندتهم للشاه عباس.

وليس هنالك حوالي عام ١٦٠٠ معلومات واضحة حول الأوضاع السياسية في منطقة شمال الخليج إلا ما ندر. فقد كان ينوب عن السلطان العثماني في منطقة البصرة، باشا تحيط به مجموعة خاصة من الأقلية الانكشارية. وهو وضع أشبه بالنظام السياسي القائم في أماكن أخرى كالجزائر وتونس. وكان حاكم إقليم الإحساء خاضعاً بالاسم لباشا البصرة، ولكنه ظلّ مستقلاً عملياً. وفي عام ١٦٠٩ كانت قطيف تحت حكم أحد الأتراك الذي تمرّد ضد السلطان وعصى أمره(٥٢). ولم يكن الحكم العثماني السائد على البصرة آمناً. فخطوط الاتصالات بمركز السلطة في الامبراطورية العثمانية كانت طويلة وضعيفة. وقد مارست الحكومة العثمانية القائمة في البصرة علاقات جيدة مع هرمز والبرتغاليين إذ إن التجارة التي كانت تمرّ عبر

الخليج كانت مصدراً أساسياً لانتعاش البصرة.

وإلى الشمال الشرقي من البصرة، كان يسيطر على منطقة الحويزة سلالة المشاشة، التي يعود أصلها إلى شبه الجزيرة العربية. وفي بداية القرن السابع عشر كان السيد مبارك وابنه السيد ناصر، الحاكمان هناك، يتعاونان مع شاه الفرس. وكان بإمكان المشاشة توسيع سيادتهم لتشمل منطقة جنوب نهر القارون وذلك عندما ينشب قتال بين قبيلة الأفشار، وهي قبيلة تركية، وبين بني كعب الذين كانوا يقيمون في منطقتهم في نهاية القرن السادس عشر. وقد احتلت المشاشة مدينة الدورق (من الممكن أن تكون الدورق هي الحصن القريب من البصرة والتي كانت تحت سيطرة باشا البصرة إلاّ أنها على الأرجح الفلاحية). وكان السيد مبارك قوياً في منطقته إلى درجة أنه ظهر اسم بلاده على الخرائط القديمة على أنها بلد «البارتشان» و(البارتشان تعني مبارك خان)، وعلى الخرائط البرتغالية بومباريكا. وقد ورد في مصدر برتغالي أن لديه وزيرين ينتميان إلى المندائيين(٥٣). وفي عام ١٦١٧ مات السيد ناصر مسموماً وتولى الحكم مكانه في الحويزة حزب مناهض للفرس. وتبع ذلك فترة من المشاكل. وقد جاء في كتاب كاسكل أنه في عام ١٦٢١ احتلت قوات الإمام قولي خان المنطقة المتنازع عليها(٥٤). وبسبب هذا التهديد اتحدت العائلة الحاكمة وتعاون رأس العائلة الجديد السيد منصور مع باشوات البصرة ضد الفرس(٥٥).

ولم يرد في المصادر شيء عن الموقف الذي اتخذته القبائل العربية في المنطقة الساحلية الواقعة إلى الشرق. وهنا مكانان هامان جداً وهما ريج وبوشهر. ويبدو أن المكانين كانا يُستخدمان من حين لآخر كقواعد تُشن منها الهجمات البحرية على الملاحة الهرمزية.

ويبدو أن البصرة قد انتعشت خلال السنوات الأولى من القرن السابع عشر. ولا يمكن استنتاج ذلك من خلال مصادر مباشرة. والمعلومات حول نصيب البصرة من التجارة في الخليج قليلة. ويشير سالبانكي أنه في عام ١٦٠٩ كان يصل إلى البصرة خلال شهر واحد عدة سفن قادمة من هرمز(٥٦). وهناك ما يشير أيضاً إلى كمية المنتجات الهندية التي كانت تباع في حلب، وهي تجارة توسعت في فترة من الزمن

ووصلت إلى أن سيطرت فيها التجارة البرية مع الهند عن طريق الخليج والعراق على التجارة البرتغالية حول رأس الرجاء الصالح. وفي هذه التجارة عبر حلب، سيطر منافسو البرتغال وهم البنادقة والإنكليز والهولنديون والفرنسيون. ولكن كانت هذه التجارة عبر الخليج لبعضهم مجرّد مغامرة مؤقتة. وقد أورد القنصل البندقي في حلب ما قاله تاجر هولندي كبير من أن الهولنديين قد أصبح لهم وقتذاك نشاطات فعّالة في حلب. ولكن هذا الأمر كان مؤقتاً حيث أنهم سوف يتوقفون عن ذلك حينما تنطلق التجارة المباشرة مع آسيا حول رأس الرجاء الصالح(٥٧).

ويرتبط الازدهار الاقتصادي في البصرة بالاستقرار السياسي. فقد واجه العثمانيون المصاعب مع القبائل المحيطة بهم التي كانت، عندما تشعر بالحاجة، تشن هجومها على الملاحة ملحقة بالسفن أضراراً بالغة. ولقد أصبح وضع الحاكم العثماني في البصرة صعباً. فقد حدث مرة بين عامي ١٦١٠ - ١٦٢٠ أن أُرغم أحد الباشاوات، وكان قد عُيّن حديثاً، على الإقامة في هذا المكان المعزول. وبالطبع كان على ذلك الباشا أن يدفع للسلطان مبلغاً كبيراً من المال ثمناً لمنصبه. وقد غطّى الباشا خسائره ببيع منصبه لشخص محلّي يدعى أفراسياب شرط أن يظلّ هذا الشخص مخلصاً للسلطان. ولم تكن هذه الإجراءات غريبة في ذاتها وخاصة ضمن المناصب الأقلّ مرتبة في الامبراطورية العثمانية، ولكنها ليست متوقعة ضمن المناصب العالية كمنصب الباشا. وكانت النتيجة أن تمّ إعدام الباشا الذي سبق ذكره(٥٨).

وقد بذل العثمانيون أنفسهم جهداً بسيطاً في حلّ هذه المشكلة في البصرة حيث أنهم تركوا المشتري لهذا المنصب(٥٩). وتتناقض المصادر حول أصل أفراسياب. فعلى الرغم من أن بعض المصادر تصفه بأنه مسؤول محلي في الجمارك العثمانية، فإنه من المستحسن اتباع وجهة النظر التي ذكرها الرهبان الكرمليون في البصرة في رسائلهم، والتي يذكرون فيها مراراً بأن عائلته عربية(٦٠).

وبأفراسياب تبدأ الفترة التي أصبحت فيها البصرة حقيقة مدينة مستقلة. وقد أدى استقلال البصرة إلى اكتسابها المجال للمناورة في الصراع الدائر بين الامبراطورية العثمانية وبلاد الفرس. إلا أن ازدهار البصرة كان في خطر. إذ أن التوسع الفارسي

تجاه الخليج وتجاه بغداد قد يؤدي إلى قطع مجال التجارة الخاصة بها من ناحيتين وتبقى المساعدة الوحيدة المحتملة للبصرة من قبل البرتغاليين.

الفصل الرابع

سيطرة عرب عمان والهولنديين والإنكليز

الإنكليز والهولنديون:

في الفصل السابق اتضح لنا كيف أن الإنكليز الذين وصلوا إلى جاسك قادمين من سورات عام ١٦١٩ قد يسروا لشاه بلاد فارس مخرجاً لتجارته آمناً من سيطرة البرتغال.

ورغم دراية الهولنديين بالفوائد المحتمل جنيها من التجارة مع الفرس إلا أنهم كانوا لفترة من الزمن يركزون قوتهم لبناء معاقلهم في جاوة وفي جزر التوابل. وكان هنالك ضغط من مدراء الشركة في هولندا لتجربة التعامل التجاري مع الفرس حيث كان هؤلاء دائمي الاهتمام بما يمكن تحصيله من الأرباح أكثر من اهتمامهم بالمغامرات العسكرية. ولسبب أو لآخر تأخّر تنفيذ هذا الأمر عدة مرات. ولهذا استعدت السفن المرابضة بانتظار إرسالها إلى بلاد فارس لتواصل طريقها المعتاد بعد أن استولى الإنكليز والفرس على هرمز(١).

وبعد سقوط هرمز نشبت خلافات بين الإنكليز والفرس حول تنفيذ اتفاقياتهم. ولم يكن الفرس راغبين في ترك المجال للأوروبيين كي يحصنوا أنفسهم في هذه القلعة الهامة بل كانوا كارهين جداً لأن يدفعوا للإنكليز ثمن مساعدتهم. وشعر الإنكليز بدورهم بأنهم قد خدعوا وخشوا من احتمال عودة البرتغاليين للانتقام لأنفسهم(٢). ولما كان الإنكليز لا يتمتعون في آسيا بقوة كبيرة فإن المستقبل بدا متجهماً. وكانت مشاعر الإنكليز مبهمة إزاء وصول الهولنديين وخططهم وخصوصاً زيادة الوجود الهولندي البحري على الساحل الغربي من الهند من أجل شلّ نشاط جوا البرتغالية.

وكان الإنكليز، رغم حقيقة رؤيتهم في الهولنديين ولا ريب، منافسين لهم، إلا أنهم كان لديهم الرغبة للتعاون معهم، لمدة قصيرة للتغلب على الخطر البرتغالي.

أما الفرس فقد كانوا في غاية الرضا بوصول الهولنديين الذين توقعوا منهم تأمين مزيد من الحماية لهم ضد الهجمات المحتملة من البرتغاليين.

وقد اتبعت الحكومة الفارسية في تعاملها مع الهولنديين المنهج نفسه الذي كانت قد اتبعته مع الإنكليز وهو وعود كبيرة لم يتحقق سوى جزء منها. وقد فرض هذا الأسلوب عبئاً كبيراً على سياسة بلاد فارس الخارجية إذ قدّم الفرس في البداية وعوداً

كبيرة ولكنها تقلّصت بشكل كبير حينما أصبحت امتيازات مكتوبة من قبل الشاه وهذه الامتيازات المكتوبة (المراسم) نفّذت بشكل سيء أو أنها لم تطبق نهائياً. ولقد كان للإنكليز نصيب النصف في عائدات جمرك بندر عباس ولكنهم في أحسن الأحوال لم يتلقوا إلا نصيباً قليلاً منها.

وبينما قام الشاه بإعفاء الهولنديين من الرسوم الجمركية، أبدى الفرس حنكتهم ومهارتهم في خفض القيمة الحقيقية لهذا الامتياز(٣) ونتيجة لذلك عارض كلّ من الإنكليز والهولنديين منذ البداية تقديم المساعدة العسكرية التي طُلبت منهم في غزو عمان أو البصرة(٤).

وكان شاه عباس قد وضع خططاً كبيرة على ما يبدو، لإقامة علاقات مع القوى الأوروبية حيث إنه كان يسعى إلى إقامة أحلاف رسمية ضد أعدائه العثمانيين ولتحقيق هذا الأمر حاول الاتصال مراراً بالحكومات الخارجية، إلا أنه واجه الكثير من الصعوبات خصوصاً مع الهولنديين الذين رغبوا في تحديد علاقاتهم مع القوى السياسية في آسيا إلى أدنى درجة من علاقات شركة الهند الشرقية. ولعل تجنّب الهولنديين في إقامة علاقات دبلوماسية طبيعية مع بلاد فارس يعود إلى ثلاثة أسباب. أولها، وهو عادي، أنهم كانوا يرغبون في تجنب التكاليف التي تترتب عليهم عند استقبال مبعوثين من أمراء المشرق والذين كانوا يتوقعون دائماً الاستقبالات الفخمة. وأما السبب الثاني فهو أن الحكومة الهولندية، كانت تدرك تماماً نوايا الشاه وأنه بإقامة علاقات مباشرة مع الفرس فإنها قد تغضب الامبراطورية العثمانية حيث إنها شريك هام في التجارة وحليف ممكن ضد سلالات هابسبرغ الملكية. والسبب الثالث يعود إلى أن بلاد الفرس تقع حسب مرسوم تكوين شركة الهند الشرقية في منطقة من العالم خوّلت فيها الدولة صلاحيتها لهذه الشركة. وبالتعامل مع بلاد الفرس عن طريق الشركة فقط، فإنه من الممكن أن تتجنب الدولة كلّ هذه المشاكل. ولقد أغضب هذا الاتجاه المنخفض المستوى الحكومة الفارسية قليلاً. وأخيراً، وبأساليب غير مباشرة، تمكن الفرس بمساعدة هوبرت فيزنبخ ممثل الشركة في أصفهان، من إرسال مبعوث من قبل الشاه يدعى موسى بك إلى لاهاي. ولقد رافقه جان فان

هاسيلت الهولندي وهو رسام بلاط الشاه الخاص. إلا أن هذه البعثة لم تحظ بالنتائج المتوقعة لأن الحكومة الهولندية لم تكن مستعدة للقيام بأية تحركات ضد العثمانيين(٥). وخلاصة الأمر أن الهدف من الوجود الهولندي والإنكليزي كان للتجارة فقط. ولم يكن يعنيهم طموحات الشاه السياسية في المنطقة وكانوا يرغبون في تجنّب التكاليف العسكرية التي كانوا يعتبرونها غير ضرورية(٦).

ولم يسمح الفرس لحلفاء الإنكليز والهولنديين بالإقامة في مدينة هرمز الاستراتيجية وبدلاً عن ذلك فقد سمح لهؤلاء الأوروبيين بإقامة مؤسسات لهم قرب حصن جمبرون (Comorão) على الأراضي الرئيسية في مدينة جديدة أُطلق عليها اسم بندر عباس نسبة للشاه. وقد أقام هناك حاكم فارسي برتبة سلطان (لقب السلطان في بلاد الفرس لا يعني الملك بل حاكم ولاية). ولم تتوسع أعمال النقل البحري في البداية في بندر عباس ولكنها كانت ستتحسن أكثر في المستقبل إذا تمكن الإنكليز أو الهولنديون من إثبات تفوّق قوتهم البحرية على البرتغاليين(٧). ولم يكن للفرس ما يسمى بقوة بحرية رغم أن بيترو ديلافالي يذكر في عام (١٦٢٢ - ١٦٢٣) كلمة أسطول فارسي تحت قيادة الشيخ محمد صحارى. ومن الواضح أن هذا القائد كان من عرب عمان ومن غير المحتمل أن يختلف رجاله عنه من حيث الأصل(٨).

محاولات البرتغاليين في تعزيز قوتهم على ساحل الخليج الجنوبي:

ظل الوضع متوتراً جنوب الخليج، بعد الغزو الفارسي الإنكليزي على هرمز. وكان من المتوقع أن يعث البرتغاليون بقوة هائلة لاستعادة سيطرتهم على الخليج. ورغم أن البرتغاليين كانوا بحاجة إلى بعض الوقت لجمع هذه القوة معاً، كان بإمكانهم، في تلك الأثناء أن يبدأوا باستعادة جزء من خسائرهم في شبه الجزيرة العربية.

وفي الوقت الذي شن فيه الهجوم على علي كمال قبل سقوط هرمز بعدة سنوات، بعث الفرس بعدد من الجنود إلى منطقة مسندم وصحار. وقد اتصل هؤلاء الجنود بالقادة العرب الذين كانوا معادين للبرتغاليين. ولم تكن هذه المسألة صعبة بسبب وجود قائد بحري فارسي من صحار، وقد تمكن بيترو ديلا فالي، الذي كان

يقيم في ذلك الوقت مع سلطان بندر عباس، من الإدلاء ببعض المعلومات التي تتعلق بالنشاطات الفارسية في منطقة مسندم، حيث كان قد التقى هناك بفتى من دبا يدعى سيد معاذ وهو ابن سيد خميس حاكم دبا. وقد علم ديلا فالي أن أهالي دبا، كانوا في الأصل من رعايا هرمز ولكن تحوّل ولاؤهم فيما بعد عندما أدركوا مدى ضعف البرتغاليين. وكانت جلفار أيضاً تحت سيطرة الفرس. ولم يوافق السلطان على طلب ديلا فالي للقيام برحلة إلى دبا لأنه كان معروفاً بصداقته للإنكليز وبالتالي فمن الممكن أن يقع ضحية للعرب الذين كانوا يسعون للانتقام من الإنكليز لارتكابهم أعمال العنف خلال حصارهم لجسم وهرمز(٩).

ويبدو أن البرتغاليين في عمان لم يتمكنوا في البداية من الوقوف في وجه نموّ النفوذ الفارسي. ورغم أن روي فريري تمكّن من الهرب من أسر الإنكليز له منذ استيلائهم على الجسم، إلا أنه لم يتمكن من القيام بأي شيء فقد قدم إلى مسقط لملاقاة الأسطول الذي كان قد أُرسل مدداً إلى هرمز خلال الحصار والذي لم يصل في الوقت المناسب لتفرقه بسبب عاصفة آنذاك.

في غضون ذلك وصلت السفن الإنكليزية إلى مسقط تحمل على متنها الناجين من هرمز وكان قد وصل إليها قبل ذلك عدد من اللاجئين. وحيث أنه لم يتوفر في مسقط عدد كاف من القوات البرتغالية للقيام بمحاولة استعادة حصن هرمز الذي كانوا قد خسروه، عاد روي فريري إلى جوا، وهناك جرت عدة استفسارات عن الأسباب التي أدت إلى الهزيمة في الجسم وهرمز ولكن لم تتخذ أية إجراءات لاستعادة المواقع المفقودة. وفي عام ١٨٢٣ تغيّر الوضع. فقد أزيح عن السلطة البوكرك نائب الملك في الهند البرتغالية، ليحلّ محلّه فيديجويرا الأكثر نشاطاً من سلفه الذي عيّن فريري قائداً عاماً في البحر الأحمر ومضيق هرمز(١٠).

وفي نهاية ابريل من عام ١٦٢٣ قاد فريري بضع سفن نحو مسقط. وعندما علم الفرس وحلفاؤهم المتواجدون على الساحل العربي بوصول التعزيزات البرتغالية تراجعوا إلى حصون صحار وخورفكان ودبا وليما وخصب ورمس وجلفار(١١). وأما فريري فقد أنزل قواته في صحار واحتل موقع السوق ووجد مكاناً مناسباً

لينصب فيه مدافعه. وما لبث أن بدأ بقصف الحصن الذي كان تحت قيادة شيخ ما يدعى ناوي (Naoi). وبما أن الحصن كان قد بُني من حجارة الطين والأحجار البحرية المرجانية فإنه لم يصمد أمام نيران المدفعية. وسرعان ما اضطر الفرس للاستسلام. وبعد ذلك تمّ ترميم الحصن وأقام فريري معاهدة سلم مع حاكم المنطقة محمود بن حافظ كما ورد في النص البرتغالي وهو أحد أفراد العائلة الحاكمة آل نبهان الذي كان معروفاً بنشاطه في المنطقة لعدة سنوات. ومن صحار توجه روي فريري إلى خورفكان، وكان قائد الحصن هناك من أقرباء علي كمال حيث استقبل البرتغاليين كأصدقاء قدماء. وقد طلب روي فريري من أهالي خورفكان بأن يتراجعوا عن عدم ولائهم لملك هرمز وأن يدافعوا عن أنفسهم في المستقبل ضد الفرس. وفي خورفكان افتُتح مكتب للرسوم الجمركية، وكان روي فريري قد حث السكان على الاعتراف بملك هرمز الجديد كسيّد لهم فاستجابوا لطلبه(١٢). كذلك أقسموا بالإخلاص والولاء للبرتغال.

ونظراً لوجود حامية فارسية قوية في دبا، أراد فريري أن يواصل سيره من هناك. ولقد بلغه أن عرب المنطقة، عندما تلقوا نبأ وصوله إلى خورفكان، انتقموا من الفرس لتصرفاتهم الاستبدادية وقتلوهم بالسيف. وقد وضع فريري في دبا حامية برتغالية صغيرة يبلغ عددها خمسين رجلاً وأوكل إلى الشيخ المحلي مهمة جمع الرسوم المطلوبة لشاه هرمز(١٣). وليس من الواضح ما إذا كان سيد خميس ما يزال هو الشيخ المحلي هناك. وبما أن وضع البرتغاليين في دبا لم يكن مستقراً جداً، كان من الضروري أن ترسل قوة برتغالية عام ١٦٢٧ لاسترداد المنطقة(١٤). ونظراً لاستحالة الملاحة في فصل الشتاء كان يجب تأجيل العمليات. ولكن في ربيع عام ١٦٢٤ واصل فريري إعادة تنظيم ممتلكات هرمز على ساحل الخليج الجنوبي. وقد شيدت مكاتب للرسوم الجمركية في بركا وسوادي وصحار وعلاية ودام وعمق وحسيفين، وتقع جميعها على ساحل عمان. وفي طريقه إلى خورفكان ودبا وصل فريري إلى ليما. وكان ما يزال هذا الحصن في أيدي الفرس. وقد صعبت مهاجمته بالمدفعية ولذا تمّ قصفه بوابل من القذائف وقُتل جميع من كان بداخله. ومن ليما توجّه فريري إلى أقصى شبه

جزيرة مسندم إلى كمزار حيث استقبل مرة أخرى استقبالاً حسناً لأن سكانها من قبيلة محالفة للبرتغالين ويحتمل أن تشير هذه الملاحظة إلى قبيلة الشحوح(١٥). (وهذا ترجيح الدكتور سلوت).

وفي الحقيقة أن البرتغاليين تمكنوا، دون صعوبة، من السيطرة على هذه المنطقة حتى نهاية وجودهم في عمان.

وبعد ذلك واصلت السفن البرتغالية مسيرها ودخلت في خليج خصيب الجبلي العميق. وقد وجدوا مدينة خصب وحصنها مهجورين. وكان روي فريري يرغب في تحصين هذا المكان لأنه يقع مقابل هرمز تماماً ومن الممكن استخدامه للسيطرة على الملاحة في مضيق هرمز والإغارة على الساحل المقابل. وقد وجّه الدعوة إلى المواطنين للعودة بعد أن وعدهم بالأمان. وبعد ذلك بُني هناك حصن وضعت فيه حامية من عشرين جندياً برتغالياً ومئة جندي أفريقي. وهنا أيضاً أقيم مكتب للرسوم(١٦).

وعندما كان فريري مستعداً لمغادرة خصب وصلت من رمس سفن حربية. وكان على متنها الشيوخ أنفسهم الذين كانوا أسرى لدى البرتغاليين وهم الآن يقدمون لهم طاعتهم ثانية. وقد قُبلت طاعتهم وخُفضت قيمة الضرائب التي كان من المتوجب أن تدفعها رمس إلى هرمز سابقاً. وأخيراً غادر فريري متوجهاً إلى جلفار، وكان يعتبر ولاء هذه المدينة للجانب البرتغالي غير ثابت بسبب النزاع القائم بين الأحزاب الداخلية. وكان قد طالب حاكمها قلم الدين، وهو ابن أخ ملك هرمز، بوجود حامية برتغالية. وقد ترك فريري خمسين جندياً برتغالياً في جلفار كما بنى مكتباً للجمرك فيها. وبهذا أصبح الجزء الجنوبي لمملكة هرمز بأكمله واقعاً تحت سيطرة البرتغاليين ثانية. وبذلك كان للبرتغاليين قاعدة يمكنهم منها شن هجماتهم نحو الشمال(١٧).

. وبهذه الطريقة تمكن البرتغاليون من استعادة السيطرة على ساحل شبه الجزيرة العربية وتثبيت أقدامهم في مضيق هرمز. ومثال على هذه السيطرة فقد أقام محمد ابن أخ شاهات هرمز في مسقط سجيناً حتى عام ١٦٤٠(١٨). ومن المشكوك فيه ما إذا كانت الطريقة التي استخدمها روي فريري قد خدمت فعلاً المصالح البرتغالية. إذ سببت القسوة التي استخدمها، عداوة الكثيرين له حيث إن سكان جزيرة قيس لا

زالوا يذكرون، بعد سنوات، أعمال العنف التي كان قد ارتكبها(١٩). ولقد استغرقت إقامة سلسلة كاملة من الحصون الصغيرة والضعيفة، (وتطلق عليها بعض المصادر اسم أبراج الحمام)، وما فيها من قوات قليلة في أماكن غير هامة نسبياً، جميع الوسائل التي كان من الممكن استخدامها في أماكن أخرى وبتأثير فعّال(٢٠). وفي عام ١٦٢٩ حاول البرتغاليون أن يستفيدوا من الاضطرابات الدينية في جنوب العراق لتحسين وضعهم في منطقة مسندم. فقد عانى قسم من المندائيين* أو الصابئة من سكان جنوب العراق والحويزة من الضغوط التي مارستها القبائل البدوية العربية عليهم. وكانوا يبحثون عن مكان أكثر أماناً ليعيشوا فيه. وقد قدّم لهم البرتغاليون منطقة دبا كما نقلوا عدداً من المندائيين إلى مسقط.

بعد ذلك اتضح للمندائيين أن البرتغاليين كانوا يملكون حصن دبا. وأما الأراضي الزراعية المحيطة به فكانت تخص العرب وبهذا لم يتمكنوا من الإقامة هناك. وبعد عام ١٦٣٠ بقليل عاد معظم المندائيين إلى البصرة(٢١). وكان يبدو حتى ذلك الحين أن البرتغاليين يخططون لعمل هجومي مضاد وشيك.

معركة هرمز الثانية:

وبدأت المسائل تتحسن بالنسبة للبرتغاليين إذ إن جزيرة لارك كانت ما تزال في أيديهم(٢٢). وعادت تجارتهم بين البصرة ومسقط بدلاً من هرمز(٢٣) أما في الجانب الآخر من الخليج، فقد استاء الإنكليز من التفسيرات التي قدمها الفرس في غزو هرمز. وكان أن رفض الإنكليز مساعدة الفرس في غزوهم لمسقط(٢٤). أما الهولنديون، فقد بعثوا بسفينتين إلى الخليج بهدف التجارة بعد أن فاتهم الوقت للاشتراك في عملية حصار هرمز. وكان أسطول الدفاع المسمى بالأسطول الهولندي الإنكليزي منقسماً من حيث القيادة وبالتالي كان غير فعّال(٢٥). وقد سيطر الهدوء على الجميع لفترة قصيرة في منطقة جنوب الخليج فيما كان البرتغاليون منهمكين بمساندة باشا البصرة

* وهم طائفة من أهالي العراق يعتقدون بأنهم على دين التوحيد ـ دين إبراهيم

ضد هجوم فارس(٢٦).

وفي عام ١٦٢٥ وصلت إلى روي فريري تعزيزات كبيرة قادمة من جوا(٢٧). وفي ذلك الوقت تقريباً بدأ فريري عملياته على ساحل بلاد فارس بخاصة في خور إبراهيم بين هرمز وجاسك وكذلك في بندر كنج بينما كانت تحاصر هرمز قوة كبيرة. بعد ذلك ظهرت مجموعة من السفن تشكلّ قوة مشتركة من أربع سفن هولندية وأربع سفن إنكليزية. وتتناقض التقارير حول أحداث المعركة. فقد مني كلا الطرفين بخسائر فادحة وقُتل في المعركة قائد القوة الهولندية. ولكن ادعى كلا الفريقين النصر. إلا أن النتيجة العملية كانت الهزيمة للبرتغاليين، إذ إن البرتغاليين تراجعوا أولاً نحو خورفكان ثم إلى مسقط. وقد سقط الكثير منهم بين قتيل وجريح وتركوا للإنكليز والهولنديين حرية الدخول إلى الموانئ الفارسية(٢٨).

وفي السنة ذاتها، بعث الإنكليز أخيراً بعض السفن الصغيرة لمساعدة الفرس في عملياتهم المخططة ضد مسقط. أما الهولنديون فقد استجابوا لأوامر الحكومة العليا ورفضوا مساعدة الفرس حيث منع هايبرت فيزنيخ المسؤول عن الوكالات الهولندية في بلاد فارس من تقديم أية مساعدة، منعاً باتاً(٢٩). وفي عام ١٦٢٦ شن روي فريري هجوماً على القافلة البحرية الإنكليزية السنوية ودمّرها تدميراً تاماً(٣٠). وقد أثّر هذا العمل تأثيراً سلبياً كبيراً على مكانة الانكليز. ولقد جرت مفاوضات بين الإنكليز والهولنديين وعلى أثرها بعثت حكومة بتافيا العليا مجموعة بحرية إلى الخليج. وكان على قائدها، ويليم جانسن، أن يستمر بمراقبة البرتغاليين وأن يحاول استكشاف وضع الحصون البرتغالية في مسقط(٣١).

استمرار التجارة البرتغالية:

يفيد تقرير هولندي حول التجارة في الخليج في عام ١٦٢٦ أن تجارة الهند مع الخليج لم تقم بها السفن الإنكليزية والهولندية وحدها إلى بندر عباس، بل قامت بها أيضاً الفرقاطات البرتغالية وأنواع مختلفة من المراكب المحلية القادمة من شبه الجزيرة العربية والهند التي كانت تزور مسقط والبصرة وبندر كنج ونخيلوه وجاسك(٣٢).

«وكانت التجارة تجري تحت حماية البرتغاليين من قبل شعوب كوشيم وجوا ودابول وشاول وبسيم وداماو وكمبايا وديو والسند ومسقط وهرمز ورمس وكذلك بندر كنج والبصرة وأماكن أخرى أبعد من ذلك تقع عبر سواحل شبه الجزيرة العربية حتى ميناء مخا. وكانوا جميعاً يستخدمون السفن الحربية والمراكب الصغيرة. وكان التجار من جميع هذه الأماكن يدفعون الرسوم أثناء مرورهم بالحصون البرتغالية كما كانوا يدفعون المزيد منها إذا كانوا في صورة قافلة وبالتالي فقد تمكن البرتغاليون من سداد التكاليف الخاصة بمعداتهم الحربية من هذا الدخل»*. وتعتبر نخيلوه من أهم الأسماء المذكورة هنا. فقد ذكر هذا الميناء العربي الواقع على الساحل الشمالي من الخليج في مصادر أخرى. ويبدو أنه كان مركزاً للنشاط التجاري العربي في الخليج. وسوف نشير إلى الهجمات على السفن البرتغالية والهرمزية من قبل رجال القبائل الساكنين في نخيلوه أيام البرتغاليين(٣٣).

وقد أبدى رحالة فرنسي وجهة نظر مختلفة حول الملاحة التقليدية في الخليج إذ قال إن البرتغاليين في مسقط كانوا يفرضون الضريبة على الملاحة في هذه المنطقة باستثناء السفن الهولندية والإنكليزية لأنه لم يكن بمقدرتهم استخدام القوة ضد السفن المسلحة بمدافع ثقيلة(٣٤).

وفي السنوات التالية استمر البرتغاليون في ممارسة نشاطاتهم على ساحل شبه الجزيرة العربية. وفي عام ١٦٢٧ استطاعوا استعادة دبا. وفي عام ١٦٢٨ تعاونوا مع باشا الحسا في القطيف ومع باشا البصرة في شن غزوة سلب على قطر، وكذلك في وضع خطط لاستعادة السيطرة على البحرين. والمعلومات حول هذه الأحداث قليلة. ويبدو أن البرتغاليين قد تمكنوا من تحقيق بعض النتائج فقد ظهر بعد ذلك بقليل أنهم تمتعوا بميزات خاصة في البحرين وقطيف(٣٥). وقد ورد في كتاب بوكارو بعض المعلومات عن البحرين تفيد بأنه كان للبرتغاليين وكالة هناك وكان في الجزيرة حصنان يضمان كتائب قوية كان قد أرسلها الإمام قولي خان. وقد بلغت قيمة ما تنتجه مغاصات اللؤلؤ ثمانين ألف باتاكاس كانت تُرسل إلى الشاه. أما البرتغاليون

---

* PRA. Vol. 1106 FIL. 37V.

فكان نصيبهم نصف عائدات الرسوم في القطيف(٣٦).

في غضون ذلك، لم يعرف الفرس كيف يجابهون الموقف إذ رأوا أنه رغم أن البرتغاليين كانوا قد أُخرجوا من هرمز فإنهم لم يُهزموا نهائياً بلا ريب. وفي شتاء ١٦٢٩ - ١٦٣٠ غزا البرتغاليون جزيرة الجسم(٣٧). وهنا قام الفرس بحركة ذكية حينما بدأ الإمام قولي خان سياسة المصالحة مع روي فريري. وتتميز هذه السياسة بأن الفرس لم يعتمدوا حينذاك على أية فئة أوروبية وأصبح بإمكانهم بالتالي أن يمارسوا التجارة مباشرة عن طريقهم جميعاً وذلك عبر البرتغاليين أو الإنكليز أو الهولنديين حسب رغبة الفرس. ولم يكن من السهل التفاوض بين العدوين. وفي التقرير الهولندي التالي بعض التفصيلات:

«كان قائد مسقط روي فريري قد وعد في يناير الماضي أن يقدّم للإمام قولي خان حاكم شيراز مبلغ خمسة آلاف تومان أو مئتي ألف جيلدر شريطة أن يُمنع الهولنديون والإنكليز من التعامل التجاري مع بلاد فارس. وكان قد تلقي أوامر خاصة لاسترجاع هرمز. إلا أن عرضه الأول قد قوبل بالرفض ولم يتبعه بعرض آخر. ولقد قدّم مبعوثه هدية بقيمة أربعين ألف جيلدر هولندي في صورة لآلئ. وقد قُبلت الهدية وردّت بهدية توازيها بالقيمة. وفي السنة الماضية قام روي فريري بإلزام المراكب التجارية المحلية بدفع أربعين ألف لارنز (أو أربعة وعشرين ألف جيلدر هولندي) في مقابل رسوهم في جمبرون. وقد طالب الخان الآن باسترجاع المبلغ، وكان المفاوضات ستتوقف إذا لم يسترد المبلغ»*.

وأخيراً تم التوصل إلى اتفاقية غريبة من نوعها مع روي فريري. ولدينا ترجمة بالهولندية لهذه الاتفاقية. وينصّ الشرط الأول على أن روي فريري لن يسمح للسفن البرتغالية بالتوجه إلى شمال الخليج (البصرة والقطيف) إلا إذا مروا على بندر كنج ودفعوا هناك الرسوم إلى السلطات الفارسية. وسوف يأخذ البرتغاليون نصف الرسوم المحصلة من هناك. وإذا ما رغب تجار بندر كنج إرسال سفنهم إلى شمال الخليج فإنه يسمح للبرتغاليين أن يأخذوا خمسين بالمئة من حمولتهم. وعلى الرعايا الفرس أن لا

* PRA. Vol. 1106 Fol. 41.

يقوموا بأي إجراء ضد ممتلكات البرتغاليين على شبه جزيرة مسندم تُسمى وقتذاك منطقة روي كورت وتُسمى الآن خصب(٣٨).

ولقد جاء في وثائق أخرى أن الفرس سوف يدفعون للبرتغاليين ضريبة عن جزيرة الجسم. ولقد تأكدت هذه المعلومات من خلال وثائق جاءت بعد ذلك(٣٩). وهناك ما يشير أيضاً إلى النشاطات البرتغالية المتزايدة لإنشاء حصن جديد في جلفار لمراقبة الملاحة في مضيق هرمز(٤٠).

ويبدو أن التجارة البرتغالية كانت في الواقع كبيرة جداً في ذلك الوقت. وكانت مدينة كنج مزدهرة وما لبثت أن تركزت فيها تجارة اللآلئ(٤١). وتبدو أهمية التجارة البرتغالية من قائمة الأرباح التي عثر عليها الهولنديون في سفينة برتغالية أبحرت من مسقط إلى جوا كانوا قد استولوا عليها في خليج عمان. وهذه هي القائمة:

٦٢ر٥ تومان فدية عن ستة وعشرين سجيناً برتغالياً.

٦٠ تومان قيمة مبيعات السفينة (كل تومان يساوي أربعين جلدر هولندي تقريباً).

١٣ تومان عن الخيول العربية المأخوذة.

٦٩ تومان بشكل دو كاتيات مغربية وهي عملة ذهبية.

١٥ر٢٥ تومان بشكل عملة ذهبية برتغالية.

٠ر٥ تومان بعملات أخرى.

- كمية من الآلئ تساوي ١٥٠٠ قيراط

٩٠١٠ أرطال من البخور بقيمة ٩٣٠ جلدر على الأرجح.

٤٠١٣ رطلاً من الخشب الحلو بقيمة ٣٤٥ جلدر ومجموعتان من السجاد بقيمة ٥٩١ جلدر.

٥٩٨ منّ من التمور المجففة بقيمة ٢,٦٢٥ محمودي لكل منّ. (كل منّ يوازي ستين رطلاً هولندياً).

٥٩٨ منّ من التمور المعلبة كلّ منّ يباع بسعر محمودين اثنين.

١٥٠ منّ من الزبيب سعر كل منها ثلاثة محمودي.

- مجوهرات ذهبية تزن إحدى عشرة أونصة، ومجوهرات فضية تزن اثني عشرة أونصة*.

ولقد وصف ثيفينوت، الذي زار الخليج في الخمسينات من القرن السابع عشر، كيف كان البرتغاليون يمارسون سلطتهم على الكثير من موانئ الخليج العربية بعد سقوط هرمز، وكيف كانت السفن الحربية البرتغالية تأتي إلى جزيرة طنب سنوياً. وهناك كانت تنضمّ إليها مراكب من البحرين وقطيف وكنج والجسم وأماكن أخرى وتأتي بالضرائب التي كانت تصل أحياناً إلى مبالغ كبيرة وهذه نصف الرسوم الجمركية في قطيف ومبلغ ١٦٠٠٠ عباسي في البحرين. وكان ممثل البرتغاليين في البصرة يتسلّم كذلك دفعة يومية من الباشا في ذلك المكان(٤٢).

وكانت التجارة الهولندية تتوسع. ويبدو أن الهولنديين في عام ١٦٢٧ قد لحوا بعض الإمكانيات التجارية في البصرة. وكانت الحامية الهولندية المبعوثة إلى الخليج في تلك السنة قد تلقت الأوامر باستكشاف المنطقة، إلا أنها لم تأت بجديد(٤٣). وقد أيّد القنصل الهولندي في حلب دي كروي، فكرة اتفاق الهولنديين مع الشاه للقيام باحتلال هرمز وطرد البرتغاليين. وسوف يتمكن الهولنديون في تلك الحالة من منع البرتغاليين من الدخول إلى الخليج. وإذا غزا السلطان العثماني بغداد ثانية فإنه من الممكن أن تنشئ الشركة هناك مؤسسة وبالتالي تأخذ حظها من التجارة البرية. إلا أن المدراء في هولندا لم يرغبوا في خوض المغامرات. فقد تلقى المقيم الهولندي في بلاد فارس تعليمات تقضي بأنه بإمكانه احتلال هرمز إذا وافق الفرس، ولكن عليه أن لا يتدخل في سياسة الخليج. حدث هذا عندما أرسل أسطول هولندي للتعاون مع الإنكليز في الدفاع عن جزيرة هرمز وتجنب غزو برتغالي لها وهذه التعليمات تنص على التالي:

«إذا أوكل إلينا جلالة الشاه حماية السواحل، فإن تلك الحماية لن تمتد إلى جميع سواحل الخليج ولكن فقط إلى بندر عباس وهرمز ..... وعليك أن لا تستخدم أي شخص من رجالنا ضد أي عدوّ للفرس الآن أو مستقبلاً. ولكن

---

* ARA, VOC. 117, Fol. 47.

فقط ضد من هم أعداؤنا. ولذلك فإننا نمنعك من استخدام الجنود والسفن ضد سلطان القسطنطينية أو ضد أتباعه أو ضد أي شعب آخر تحت حمايته كالعرب مثلاً والشعوب المتواجدة على الجانب الآخر من الخليج عبر ساحل شبه الجزيرة العربية. وعليك أن لا تتدخل في الحرب القائمة بين السلطان وشاه الفرس حول البصرة وفي مناطق أخرى في الخليج، على الرغم من أن البرتغاليين على ما يبدو قد يقيمون تحالفاً مع البصرة .... هذه هي رغبة الأمناء العامين، ونحن نلحّ عليك بأن تطيع أوامرهم وإلاّ فإنك سوف تلقى عقاباً صارماً يودي بحياتك وممتلكاتك»*.

الأحداث في عمان: دولة اليعاربة:

فيما تحتوي المصادر الأوروبية على أفضل روايات للأحداث حتى ذلك الحين، فإن المخطوطة العمانية تمدّنا بالكثير من التفصيلات عن الأحداث في المنطقة من عام ١٦٢٨ إلى عام ١٦٥٠. وهناك نسختان منها(٤). ولكن التسلسل التاريخي للأحداث في المخطوطة العمانية مبهم جداً. ولكي نتمكن من تحديد تاريخ لأية حادثة فإننا نعتمد غالباً على المصادر الخارجية. وهذه لا تهتم بتفصيلات الأحداث التي تتعلق بالوضع الداخلي في عمان. بينما تنفرد المخطوطة العمانية بالمعلومات الشاملة. ولا يعتبر عدم الوضوح الذي تتسم به المخطوطة العمانية فيما يتعلق بتحديد التواريخ افتقاراً للدقة، إذ يبدو هيكل الأحداث التاريخي في المصدر العماني دقيقاً جداً من حيث الإشارات القليلة للأحداث التي يمكن مقارنتها بمصادر خارجية.

وفي عام ١٦٢٤، وفيما كان روي فريري يعزز السيطرة البرتغالية من قاعدته في مسقط على الإقليم الساحلي وصولاً إلى جلفار، كان يجري داخل عمان أحداث خطيرة وهامة جداً. ففي الرستاق قام عدد من قادة الإباضية في المنطقة بانتخاب ناصر بن مرشد من أسرة اليعاربة إماماً. وفي غضون فترة قصيرة من الزمن تمكّن ذلك

* نشرت هذه الوثيقة في دنلوب، برونن، ص: ١٥٨ – ١٥٩.

الإمام الجديد من السيطرة على أجزاء كبيرة من عمان كإقليم عبري ونزوى. وقد تمكن ناصر بن مرشد بمساعدة أهالي الصير من أن يسيطر على منطقة الظاهرة الواقعة بين الصير وساحل الباطنة. ولكن استمر العديد من قادة القبائل في هذه المنطقة، بخاصة قطن بن قطن الهلالي وناصر بن قطن وأتباعهم من قبائل البريمي، في معارضتهم(٤٥). وحسب ما ورد في المخطوطة العمانية انضمّ عدد من الرؤساء العرب، الذين فقدوا مكانتهم بعد ظهور الإمام، إلى البرتغاليين. ولم تُذكر أسماء هؤلاء الرؤساء، ولكن من الآرجح أن مؤلف المخطوطة إنما يشير إلى رؤساء القبائل في المنطقة الواقعة بين دبا وصحار(٤٦).

ومن الناحية الاقتصادية كان من المهم جداً للإمام أن يسيطر على التجارة الخارجية لعمان وكانت ما تزال في أيدي البرتغاليين. ولا يتضح لنا تماماً تاريخ بدء العمليات ضد البرتغاليين. وهي على الأغلب لم تبدأ قبل عام ١٦٣٢ بكثير، إذ يبدو من قراءة المصادر الأوروبية أن البرتغاليين كانوا يسيطرون حتى ذلك الحين على حصونهم دون أن يتعرضوا لأية هجمات. وقد ذكرت المصادر الغربية هجوم العمانيين الأول على معاقل البرتغاليين في الساحل باختصارشديد. إلا أن المخطوطة العمانية تصف تلك الأحداث وصفاً تفصيلياً. وحسب ما جاء في هذا المصدر، فقد انتصرت القوات العمانية بقيادة الشيخ مسعود بن رمضان، على البرتغاليين في القتال ودخلت مدينة مسقط حيث قامت بتدمير وهدم عدد من المباني الهامة. وتؤكد المصادر الهولندية والبرتغالية أن مسقط كانت محاصرة ولكن ليس هناك ما يؤكد بأن الهجوم قد حقق نجاحاً بالمقدار الذي تذكره المخطوطة العمانية. ومن الجدير بالذكر أن المصدر العماني لا يذكر أية نتائج لهذا الهجوم. وهذا يعني على الأغلب، أنها لم تكن أكثر من مجرد غزوة كبيرة بهدف الغنائم(٤٧).

وكان الوضع مختلفاً تماماً في الحملة الأخرى التي أرسلت في نفس السنة إلى ساحل الصير تحت قيادة علي بن أحمد. وحسب ما جاء في المخطوطة العمانية فقد تمكن القائد نصار الدين الفارسي آنذاك، على رأس قوة من الفرس أن يسيطر على جلفار عاصمة تلك المنطقة، بينما كان البرتغاليون قد زوّدوا حصناً آخر لهم في

جلفار بالجنود.

ومن المرجح أن هذا الرجل المسمّى «بالفارسي» كان من سكان هرمز، وأنه من غير المعقول أن ينشأ آنذاك تعاون بين بلاد الفرس والبرتغال في جلفار. ونحن نعلم أيضاً من تعليقات روي فريري أنه كان في جلفار حكام تابعون لهرمز. ويذكر المصدر العماني بأن الهرمزيين قد دافعوا عن أنفسهم بكل ما أوتوا من قوة. إلا أن المدينة ما لبثت أن سقطت بعد أن قُصفت بوابل من القنابل. وبعد ذلك انضمّت إلى الجيش العماني قوات جديدة حيث قاموا جميعاً بمهاجمة الحصن البرتغالي القائم على شاطئ البحر في جلفار. ومن الأرجح أن يكون هو الحصن الجديد الذي بني في عام ١٦٣١(٤٨).

وقبل الهجومين العمانيين على المعاقل البرتغالية بقليل، عرض الإمام قولي خان حاكم فارستان على الهولنديين القيام بحملة مشتركة ضد مسقط. ويبدو أن المدير الهولندي في سورات كان يساوره شك في مدى صدق نوايا الإمام قولي خان وقد أشار إلى الاتفاقية التي تمّ التوصل إليها مؤخراً بين الخان والبرتغاليين. ومن المحتمل أن يكون الخان قد علم بمدى ضعف البرتغاليين وبالتالي فإنه كان يعمد إلى تغيير سياسته. إلا أن الهولنديين لم يغيّروا موقفهم وبالتالي وجّهوا إلى جان كارستنز، قائد الأسطول البحري الذي أُرسل ضد البرتغاليين في الخليج وشرق أفريقيا، أوامر صارمة لرفض أية مساعدة للفرس ولإرشاد الإمام قولي خان في استخدام السفن الإنكليزية القادمة بخاصة لهذا الهدف، ضد مسقط بدلاً من السفن الهولندية. وفي الواقع أن الإنكليز لم يقوموا بأي عمل ضد مسقط(٤٩).

وقد جاء في وثيقتين هولنديتين ملخص لأعمال العرب الهجومية في عمان والصير. فقد توقفت سفن أسطول كارستنز في بندر عباس (بعد أن قامت بزيارة إلى سوقطرة واستولت على سفينة برتغالية محملة ببضائع قيمة في خليج عمان)، وهناك علموا أن العرب قد حاصروا مسقط وأنهم استولوا على جلفار بعد قصفها، حيث مُني البرتغاليون وحلفاؤهم بخسائر كبيرة في الأرواح. وسوف نورد هنا ترجمة حرفية ليوميات كارستنز عن الأنباء التي وصلته من الساحل الجنوبي في الخليج:

«حسب التقارير الواردة من عدة أشخاص، تقع قرب الساحل العربي مغاصات اللؤلؤ التالية:

نيكولو : نخيلوه

أسولو : عسيلوه

ريجديلام : بندر ريج وبندر ديلم

ريجا بندر : وهي إما تكرار لبندر ريج أو ريشهر وجميعها تحت سيطرة شاه الفرس.

بارن : البحرين

قطيف : قطيف. لاسا : الحسا (وهما تحت سيطرة الأتراك)

جلفار تحت سيطرة ملك إسبانيا (كان ملك إسبانيا ملكاً أيضاً على البرتغال) الذي كان لديه في ذلك المكان المهم حصن فيه ما يلزمه من الجنود والمدفعية. وكما بلغنا أنه قد وصلت إلى سلطان بندر عباس أنباء تفيد بأن العرب قد حاصروا المكان بعض الوقت. ثم هزموا البرتغاليين الذين كانوا هناك. كما غزا العرب الحصن حيث قُتل ثلاثون أو أربعون شخصاً. وقد فرّ باقي البرتغاليين هاربين إلى مسقط»(٥٠).

وبعد ذلك واصلت السفن الهولندية سيرها نحو شرق أفريقيا حيث شنّت هجوماً على ممباسا(٥١). وفي عام ١٦٣٣ كتب الحاكم العام لجزر الهند الشرقية الهولندية إلى مدير الوكالة في بندر عباس عن الوضع في المنطقة. وقد أشار في كتابه إلى أنه كان من الممكن أن ينجز الأسطول الذي انطلق عام ١٦٣٢ إلى الشواطئ الغربية من المحيط الهندي لمهاجمة المصالح البرتغالية هناك، أعمالاً أكثر فائدة من الأعمال الهجومية التي كان قد شنها على موزمبيق. إلا أن كارستنز، قائد الأسطول، قد واجه رفضاً وتأنيباً شديداً من رئيسه. فبدلاً من المطاردة في شرق أفريقيا، كان من الممكن أن يقوم بعمل أفضل يتمثل في الاتصال بالقوات العربية التي كانت تحارب البرتغاليين، ومحاولة معرفة ما إذا كانوا بحاجة للمساعدة. إلا أن ذلك الموقف والتأنيب لم يكن له أي مبرّر، وذلك لأن الحكومة العليا كانت قد عبّرت عن رفضها لاشتراك فرقة كارستنز

في المغامرات العسكرية الأنجلو فارسية ضد البرتغاليين(٥٢).

ويبدو في الرسالة أن الحاكم العام والمجلس لم يدركا تماماً الإجراء الذي كان عليهم أن يتخذاه. فقد طلبا أولاً من المدير أن يرسل مبعوثاً إلى الساحل الآخر من الخليج لمعرفة ما إذا كان العرب يرغبون بإقامة حلف ضد البرتغاليين أو ما إذا كانوا بحاجة لبعض المساعدة. من ناحية أخرى فقد ختمت الحكومة العليا رسالتها بقولها إنه من المفيد أن يعلم المدير من الفرس وجهة نظرهم حول احتمال تقديم مساعدة هولندية للعرب:

«رأينا من خلال المذكرة التي يحتفظ بها الكومودور جان كارستنز أن العرب قد حاصروا مسقط ضد البرتغاليين خلال الرياح الموسمية الشرقية لعام ١٦٣٣ وأنهم قد استولوا على جلفار وقتلوا عدداً كبيراً من الجنود فيها. إلا أن كارستنز، الذي كان هناك مع أربع سفن مسلحة تسليحاً جيداً، لم يحاول معرفة ما إذا كان بإمكانه تقديم مساعدة لهؤلاء العرب ضد مسقط. ونحن نعتبر هذا الأمر إهمالاً كبيراً للواجب من جانبه لأنه يجب أن نلحق دماراً بالعدو بقدر ما يمكننا تحقيق مكسب من ذلك، لهذا فإننا نجد أنه من الضروري أن نأمرك بأن تدرك بنفسك مدى قوة العرب هناك وفيما إذا كانوا بحاجة لمساعدتنا في السيطرة على مسقط ومعرفة ما هي القوة اللازمة لتحقيق هذا الهدف وماذا سيقدّم لنا العرب في المقابل»*.

ويمكن أن نرى من ذلك أن الفرس الذين كانوا يراقبون مسقط بأنفسهم، كانوا لا يرغبون بأن يساعد الهولنديون العرب في اقتحامها. ولم تُنفّذ في الواقع أوامر الحكومة العليا الموجهة إلى المسؤول في بندر عباس لإرسال مبعوث إلى الساحل الآخر حيث تولّى المدير بنفسه المسألة مع سلطان بندر عباس. ولكن يبدو أن هذا الرجل كان على اتصال بطريقة ما مع الحكومة البرتغالية فيما كان غيره من الفرس يميلون إلى التخطيط لغزو مسقط. وكان السلطان قد بعث بجاسوس من قبله حيث قام بنقل التقارير إلى الهولنديين الذين اقتنعوا بأنه من الأفضل عدم الاشتراك. وسوف نلاحظ أن الحاكم

* ARA, VOC. Vol. 587 Fol. 397.

العام كارستنز كان أول أوروبي يعبر عن رغبته في التعاون مع العرب في المنطقة(٥٣).

في غضون ذلك استمرت الحرب بين البرتغاليين والعرب. وقد حدث أول هجوم على صحار، حسب ما جاء في المخطوطة العمانية، من قلعة عربية كانت قد بُنيت بالقرب من الحصن البرتغالي هناك. ولم يتحقق نصر من الهجوم على مسقط ومطرح كما توقفت عمليات القوات المهاجمة لصحار، التي حاولت القضاء على آخر الممتلكات البرتغالية في ساحل الباطنة وشبه جزيرة مسندم. ولقد تمكن البرتغاليون، بشكل عام، من تثبيت أنفسهم جيداً في المنطقة الواقعة بين مسقط ورأس مسندم إلاّ أنهم فقدوا قلعتي قريات وصور(٥٤). ولقد شجعت الهزائمُ البرتغاليةَ الهولنديين أن يضعوا خططاً جديدة لغزو مسقط.

وفي عام ١٦٣٥ قدّم الهولنديون في بندر عباس للفرس عروضاً للقيام بعمليات مشتركة ضد البرتغاليين في مسقط وذلك حسب أوامر الحكومة العليا في بتافيا. ويبدو أن المغامر الفرنسي أماند كان يعمل على تجنيد الجنود للشاه في هولندا. إلا أن الفرس استغرقوا بعض الوقت للردّ على العروض الهولندية. وعندما وصل الردّ إلى الهولنديين كانوا قد نشروا قوتهم البحرية، ولهذا لم ينتج عنها شيء(٥٥). وأخيراً أبدى المدراء الهولنديون ملاحظة تفيد بأن الفرس يرغبون بمساعدة الهولنديين خوفاً من البرتغاليين فقط، وكان مدراء الشركة في هولندا يعارضون الاشتراك في حروب الآخرين. وعلى كلّ الأحوال لم يبد الفرس الكثير من الحماس حيث إن مسقط كانت بعيدة عنهم وقتذاك(٥٦).

ولم يحظ العمانيون لفترة من الزمن بانتصارات جديدة حيث إن عمان كانت تعاني من أزمة داخلية. فقد تراجع ناصر بن قطن، وهو أحد قادة المعارضة الرئيسية ضد ناصر بن مرشد، شرقاً إلى الحسا(٥٧). ومن هناك توجّه غرباً إلى منطقة الجافورة ثم هاجم البريمي. إلاّ أن هذا الهجوم قد صدّ وانضم بعدها ناصر وأتباعه إلى البرتغاليين في صحار وسدّوا الطرق البرية بين جلفار وخليج عمان(٥٨). بعد ذلك توجّه أحد أتباع ناصر بن قطن ويدعى محمد بن عثمان أو ابن حامد من الظاهرة إلى الصير وارتكبوا أعمال سلب ونهب هناك. إلاّ أن حاكم المنطقة العماني دعا عثمان

للمثول أمامه. وكان أن أُلقي في السجن ومات بعدها بفترة قصيرة. ومرة أخرى قامت قوات الإمام ناصر بن مرشد بالمبادرة، ولكن قواته حققت القليل في قتالها ضد ناصر بن قطن نفسه الذي استمرّ في شنّ الغارات على حدود عمان(٥٩). ولقد ورد في ترجمة المخطوطة العمانية، التي قام بها المقيم الإنكليزي روس، من خلال الحديث عن القتال بين ناصر بن قطن وقوات الإمام، أقدم ذكر مباشر لقبيلة بني ياس(٦٠). ومن غير الممكن تحديد تسلسل الأحداث الزمني الذي ورد في المخطوطة العمانية بعد معركة صحار عام ١٦٣٣ فقد تكون قد حدثت بين عام ١٦٣٣ وموت الإمام ناصر بن مرشدعام١٦٤٨.

التدخل العسكري الهولندي في الخليج:

لقد اتضح كثيراً أن قيام التعاون الوثيق بين الفرس والإنكليز قد أصبح مستحيلاً، وكذلك استحالة التعاون بين الفرس والهولنديين، حيث إن الأوروبيين والفرس لم يقتنعوا بنتائج تعاونهم معاً. لقد سمح الفرس للإنكليز والهولنديين بممارسة التجارة في بلادهم أملاً في أن يلقوا مقابل ذلك مساعدة عسكرية. وقد قدم الإنكليز والهولنديون فعلاً تلك المساعدة وتوقعوا لذلك أن ينالوا نصيباً من الغنائم. إلا أن الفرس احتفظوا بكل شيء لأنفسهم. ولم يتحقق للأوروبيين سوى جزء من الوعود التي تتعلق بالإعفاء من الرسوم الجمركية. وقد ظلّت الأمور تسير سيراً حسناً طالما كان الإمام قولي خان على قيد الحياة. فقد تمكّن هذا الشخص من إرضاء جميع الأطراف نوعاً ما ويبدو أيضاً أنه كان بإمكانه التعاون مع القبائل العربية في المنطقة الساحلية إذا وجد ضرورة لذلك، ولقد ساعدوه فعلاً ضد البرتغاليين في البحرين والجسم وهرمز. وعندما مات شاه عباس، خلفه شاه صافي الذي كان ضعيفاً. وقد خشي شاه صافي من سلطة الإمام قولي خان الكبيرة خاصة وهو حاكم لشيراز فأمر بإعدامه(٦١). وقد اتخذت الإدارة الجديدة سياسة أخرى في علاقاتها مع القوى الأوروبية، وأصبح من الصعب المساومة بالشروط التي تتعلق بالتجارة. ولم تسفر المفاوضات، التي جرت لبعض الوقت بين الفرس والبرتغاليين حول استعادة هرمز عن

أية نتائج، وذلك لغضب البرتغاليين الشديد بعد أن توقف الفرس عن دفع الضرائب المترتبة عليهم في جسم لهم(٦٢).

وأصبحت العلاقات بين الفرس من جهة وبين الهولنديين والإنكليز من جهة أخرى في غاية الصعوبة بسبب تعثر المساومة في المسائل التجارية(٦٣) أما التجارة الإنكليزية فقد كانت قليلة بينما كانت التجارة الهولندية كبيرة جداً. وكان عليهم أن يدفعوا كلّ سنة جميع أنواع الرسوم وأن يقدموا كذلك هدايا قيّمة. ورأى الأوروبيون أن أفضل حلّ لهم أن يقللوا من اعتمادهم على المسؤولين الجشعين من الفرس في بندر عباس وذلك بالبحث عن أماكن أخرى لتجارتهم في الخليج. ولكن لم يجد الهولنديون فرصة كبيرة للقيام بذلك إذ أنهم كانوا في أمس الحاجة إلى قوتهم البحرية لاستخدامها في حرب كبيرة مع البرتغال في المحيط الهندي. ولهذا لم يكن بإمكانهم الاستغناء عن السفن الحربية الصغيرة المسلحة الضرورية لاستخدامها بمياه الخليج الضحلة، رغم أنهم كانوا يبحثون عن أماكن أخرى للتجارة في الخليج. ولقد ورد ضمن رسالة يعود تاريخها إلى عام ١٦٤١ شرح واف عن رغبتهم في إيجاد بديل عن بندر عباس كالبصرة مثلاً. تقول هذه الرسالة:

«تقع البصرة في شبه الجزيرة العربية في منطقة شمال الخليج ويسيطر عليها العثمانيون. ونظراً لكثرة المياه الضحلة والجرف والمنحدرات الصخرية، فقد كانت الملاحة هناك في منتهى الخطورة وقاع البحر مجهول جداً ومن الصعب إدراك الطرق الملاحية. وتبعد المياه العميقة على مسافة طلقة مدفع من البر، وهي من خمسين إلى ستين قامة ولكن تظهر بعدها الصخور والمياه الضحلة. ومن الممكن الاستعانة بقباطنة خبراء من بندر كنج للوصول إلى البصرة، إلاّ أن أجورهم عالية. ويكون عادة في السفن البرتغالية وغيرها من السفن التجارية اثنان من قباطنة كنج أو أكثر حيث إن البرتغاليين لا يجسرون على الملاحة بدونهم. ومع ذلك فإنهم يخسرون كل سنة بضع سفن. ويتوجه البرتغاليون إلى البصرة عادة قادمين من جوا وديو ودابول ومسقط في مايو ويونيو لجلب بضائعهم. وهي عبارة عن القطن السوراتي كالبفت والبارم

والأردياس والتشادر وجميع أنواع التوابل، ويعودون بعدها في نهاية أغسطس أو سبتمبر قبل أن تظهر سفننا في الخليج. وهم يبحرون أولاً إلى مسقط ومن هناك يتوجه كلٌّ إلى موطنه الأصلي. ويجلبون معهم من البصرة الكثير من النقد بالإضافة إلى اللآلئ والتمور. ويتوجهون عادة إلى جنوب لارك والجسم تحت حماية فرقاطات حربية من مسقط يبلغ عددها من ست إلى عشر فرقاطات، ويواصلون سيرهم بعدها عبر ساحل شبه الجزيرة العربية إلى مسقط دون أن يقتربوا من رأس جاسك. ثم إنهم يتوجهون، بعد إتمام دفع الضرائب في مسقط إلى جوا وديو ودابول وداماو وغيرها من الأماكن الواقعة على البحر، قبل أن تصل سفننا إلى الخليج بحيث لا يظهر سوى قليل من البرتغاليين وقليل من السفن المبحرة بين بندر كنج ومسقط التي لا تذهب عادة إلى البصرة. وهم يقتربون أيضاً من الساحل العربي كثيراً، ويعتبر الاستيلاء على هذه السفن أو الفرقاطات البرتغالية خلف الجسم أو بعيداً عن البر مكسباً كبيراً. ولكن كان يطلق سراحها إذا احتجزت قرب بندر كنج لأن الشاه كان يأخذ عادة نصف الرسوم العائدة من بندر كنج بينما يأخذ البرتغاليون النصف الآخر. ولن يسمح لنا الفرس بالتالي أن نأخذ جزءاً من أرباحهم. ومن المستحسن أن يكون لنا هنا سفينة صغيرة مثل الزاندفورت، ومركب آخر صغير يعمل بالمجاديف للملاحة في سبتمبر وأكتوبر. أما في مايو ويونيو فيعمل بين جاسك ومسقط والجسم. وبعد انتهاء الموسم يبقى المركب ذو المجاذيف راسياً على البر هنا. أما بالنسبة للسفينة فمن الممكن أن تجد خليجاً يصلح للحماية في الشتاء من العواصف على الساحل العربي مثل السفينة التي استخدمها الكومودور وستروورد أخيراً .. »*.

وفي عام ١٦٤٠ تمكّن الإنكليز من بدء عملية تجارية في البصرة. وقد حقّقوا نجاحاً نسبياً حيث كان هناك مجال لغيرهم من الأوروبيين لممارسة التجارة في الخليج. هذا بينما حاصرت البحرية الهولندية البرتغاليين في جوا. وحاول الهولنديون البحث عن

---

* ARA, VOC. Vol. 1035, Fol. 664 - 665.

أماكن أخرى في الخليج. وفي عام ١٦٤٣ بعث أوفرسنخي، القائد الهولندي في جمبرون مندوباً يدعى هوبرتوس كوستيروس، ومعه مبلغ كبير من المال نقداً، أولاً إلى بندر كنج للتحرّي عن تجارة اللؤلؤ هناك، ومن ثم توجه إلى البحرين لمحاولة بيع بضائع من نفس النوع الذي كان الهولنديون يبيعونه في بلاد فارس. وإلى جانب ذلك دراسة مجالات تجارة اللؤلؤ. وكان عليه أن يستخدم المراكب المحلية بسبب نقص السفن الحربية الهولندية الصغيرة. ولكن هذا الأمر كان محفوفاً بالمخاطر. فقد حدث بالقرب من البحرين أن استولى رجال مركب عربي من حاسيلو (وهي نخيلوه في وثيقة في الأرشيف الكرملي) على السفينة التي كان قد استأجرها كوستيروس من سلطان بندر كنج، ظناً منهم أنها سفينة برتغالية. وقد جاء في الوثيقة الكرملية أن سكان نخيلوه كانوا قد دأبوا على قتل جميع البرتغاليين الذين يقعون في أيديهم. وقد تمكّن كوستيروس من إزالة سوء التفاهم هذا وبالتالي أُطلق سراحه. ولكن لم تأتِ هذه الرحلة إلى البحرين بنتائج مثمرة إذ إنه كان من الممكن أن تباع البضائع التي جاء بها الهولنديون بثمن جيد حتى ولو كان مدى استيعاب السوق صغيراً. أما عملية شراء اللآلئ بسعر مربح فقد تبين أنه أمر في غاية الصعوبة. ولم يربح الهولنديون من تجارة اللآلئ في البحرين بسبب الوسائل المتبعة في ممارستها هناك وقد كان العرب والمسيحيون واليهود من حلب والبندقية مهرة في ذلك المجال(٦٤).

في غضون ذلك استمرت العلاقات بين الهولنديين والفرس في التدهور. فعندما علت أصوات الهولنديين في بندر عباس وأصفهان بالاحتجاج، أُودع ممثلوهم السجن. ولم يُطلق سراحهم إلا بعد دفع مبلغ كبير من المال(٦٥). ومما لا شك فيه أن الهولنديين قد غضبوا كثيراً لذلك. وقد كتب المدير الهولندي كونستنت قائلاً:

«إن الكلمات لا تجدي مع هؤلاء الناس وإذا لم نكشّر عن أنيابنا أمام الفرس فإننا لن نحصل على حقّنا من الرسوم».

وقد اقترح كونستانت على حكومة بتافيا العليا أن تزال المؤسسات من بلاد فارس وأن يسد الطريق إلى بندر عباس بأربع أو خمس سفن. كما ذكر أن تصادر البضائع

الفارسية الموجودة على السفن الجوجيراتية من قبل السفن الهولندية المبحرة في الخليج تعويضاً عن المال الذي انتزعه الفرس. وقال كونستنت أيضاً بمحاولة القيام بتحركات ضد البحرين التي كان الشاه يجني منها سنوياً من خمسة وعشرين ألفاً إلى ثلاثين ألف تومان على شكل رسوم جمركية ولآلئ، وكذلك قال بضرورة القيام ببعض الأعمال في بندر كنج. (التومان هو الوحدة النقدية الفارسية وكل تومان يساوي أربعين جيلدر هولندي)(٦٦).

وقد بدا في الأفق بديل جرى من خلال هذا الصراع القائم بين الهولنديين والفرس. وقد ذكر ذلك الرحالة الفرنسي تافرنيير الذي أقام خلال تلك الفترة في المؤسسة الهولندية في بندر عباس. وكان لتافرنيير هذا آراؤه الخاصة فيما يتعلق بالصراع الهولندي الفارسي. وحسب رأيه يعود سبب هذا الصراع إلى خطأ ارتكبه الهولنديون في المفاوضات التجارية التي جرت بينهم وبين البلاط الفارسي. ففي عام ١٦٣٦ قدمت إلى بلاد فارس بعثة دبلوماسية من قبل دوق هولشتاين تحمل معها مشاريع تجارية ضخمة. والمؤرخون المحدثون على علم بهذه البعثة لأن أحد أفرادها كان قد ألّف كتاباً عن بلاد فارس(٦٧). وكان دوق هولشتاين قد جذب إلى مدينته فريد ريخستادت عدداً من المنفيين دينياً من الهولنديين (وهم فرع من الريمونسترانت المضطهدين من الكنيسة الإصلاحية الهولندية) محاولاً بذلك أن يجعل من تلك المدينة مركزاً تجارياً ضخماً ينافس أمستردام. وقد ذكر تافرنيير أن الهولنديين في أصفهان قدّموا بصورة استثنائية أسعاراً عالية جداً للحرير الفارسي لكي يعرضوا بعثة هولشتاين للإخفاق. وعندما تبخّرت جميع مشاريع هولشتاين في الهواء رفض الهولنديون أن يدفعوا تلك الأسعار. وقد سبب هذا صراعاً مع الفرس.

وفيما كان الهولنديون على خلاف مع الفرس وصل أمير ڤودينا أو ميسور العربي في جزيرة الجسم. وقد عرض على الهولنديين أن يغيّروا الطريق التجارية كلياً بين البصرة والمحيط الهندي على أن تصبح الطريق الجديدة في البداية عبر البحر من البصرة إلى القطيف (حيث كانت الطريق البرية عبر صحراء الحسا غير مألوفة) ومن ثم من قطيف براً عبر منطقة أمير مسكالات إلى ڤودينا وهو مكان يلتقي فيه نهران(٦٨).

وليس من الواضح تماماً أي الأماكن هي المقصودة. فقد تكون مسكالات في البريمي أو ليوا(٦٩). ويذكر تافيرنير أن فودينا لا تقع في المكان المحدد لها على الخرائط بل هي بالقرب من مسقط. هذا مع العلم بأن كتاب تافيرنير الذي يعتمد عليه كمصدر لهذه المعلومات ليس دقيقاً جداً. وضمن ملاحظة جانبية يذكر أن أمير فودينا غزا مسقط مؤخراً، ومن الممكن وجود بعض المعلومات الأخرى في الجزء الأخير من الكتاب. ولكن مع الأسف لم تظهر تلك المعلومات. ولذلك فنحن لا نعلم ما إذا كان هذا إشارة إلى المفاوضات الدبلوماسية الأولى للإمام سلطان بن سيف الذي دخل مسقط في عام ١٦٥٠. وإذا كانت معلومات تافيرنير صحيحة فإن فودينا تقع في منطقة صحار ومن الممكن أن تكون بالقرب من ميناء مسقط (إلا أن هذا غير مؤكد. لأن تافيرنير لم يزر تلك المنطقة أبداً وهو ليس دقيقاً من حيث الطبوغرافيا أو الوصف الدقيق لسطح الأرض ومسحها). أما إذا كانت الخرائط القديمة صحيحة فإن فودينا تقع بالقرب من رأس الخيمة وقد تكون على الأغلب ديهان، وهي تتوافق أكثر مع المعلومات الأخرى التي يعطيها تافيرنير عن المكان(٧٠). ومهما يكن فقد كان كلّ هذا مجرد مشروع لنقل البضائع بواسطة القوافل من قطيف عبر طريق موازٍ للساحل وعبر المناطق التابعة لبني خالد ولبني ياس إلي أي ميناء في عمان على أن تكون خارج دائرة النفوذ البرتغالي.

ولا نعلم بماذا نخرج من هذا العرض. إذ يبدو هذا الطريق الطويل عبر الصحراء غير واقعي. وطريق المواصلات هذا لم يكن مجهولاً تماماً فقد قام سالبانكي برحلة من قطر إلى ليما في شبه جزيرة مسندم على ظهر جمل مع قافلة أوائل القرن السابع عشر. وهنا نرى أن بعض طرق القوافل هذه كانت موجودة في ذلك الوقت بينما اختفت في أوقات لاحقة تدريجياً.

وثمة نقطة أخرى تتعلق بالعرض الذي تقدم به أمير فودينا إذ يبين هذا العرض أنه كان يجري بحث وقتذاك عن طرق تجارية جديدة خارج النفوذ الفارسي أو البرتغالي. وفيما يتعلق بالفرس فقد كانت السلطات الهولندية في بتاڤيا وبندر عباس مستعدة لعمل هذه المحاولة ولكن المدراء الكبار في هولندا كانوا يعرفون عن تتبع

خطى قد تكون خطراً على ميزانيتهم. ولقد أدى نجاح البرتغاليين في نفس المجال إلى تشجيع السلطات المحلية الهولندية لممارسة الأعمال العسكرية ضد الفرس، إذ حينما لم يأخذ البرتغاليون نصيبهم من عائدات بندر كنج لمدة خمس سنوات استولوا بالقوة على سفن محملة ببضائع فارسية كانت تعبر بالقرب من مسقط. وأخيراً بعثوا بثمان أو عشر سفن من مسقط إلى بندر كنج للمطالبة بالضرائب التي يجب على الفرس سدادها لهم(٧١). وما لبث أن دفع حاكم لار الفارسي المبلغ. وقد فكّر البرتغاليون أيضاً بمشروع كان قد عرضه عليهم أحد المندائيين في البصرة لاحتلال جزيرة قيس كبديل لجزيرة هرمز، ولكن هذا المشروع لم يتحقق(٧٢).

ولقد نتج عن مفاوضات الصلح بين هولندا والبرتغال عام ١٦٤٥ إمكانية تحويل السفن الحربية الهولندية التي كانت تحاصر طريق جوا إلى العمل في الخليج. ونفّذت السياسة الهولندية بواسطة بعثة خاصة قام بها المفوّض وليبراند جيلينسن دي يونغ مع الكومودور بلوك قائد القوات العسكرية(٧٣). وقد حاول جيلينسن دي يونغ تطبيق السياسة الجديدة أثناء فترة مهمته في الخليج. فبعث بحملة مكوّنة من سفينتين إلى البصرة لنشر الرعب في نفوس الإنكليز الذين شاهدوا الهولنديين يأتون إلى البصرة بكميات هائلة من البضائع. وقد تمكّن جيلينسن دي يونغ أيضاً أن يتفرّغ للأعمال العسكرية في منطقة جنوب الخليج بعد تحويل التجارة الهولندية من بندر عباس إلى البصرة. وفي يونيو من عام ١٦٤٥ كتب جيلينسن من باخرته وهي بالقرب من لارك يقول:

«سوف نبقى هنا حسب أوامر السيد الحاكم العام والسادة الاستشاريين في الهند لوقف رسو السفن الصغيرة رنسبيرخ، هيمسكيرك، پاو وزيميو في بندر عباس والخليج إلى أن نتلقى أوامر جديدة نتوقّع أن تصل في ديسمبر أو يناير القادمين. وفي نيتنا أن نرسل المركب الهيمشكيرك والزيميو في أواخر يوليو إلى البحرين لصيد اللؤلؤ ولحجز مراكب الصيد التي تخص رعايا ملك الفرس. ونرجو من الله أن يوفقنا في تحقيق هدفنا وسوف نبلغكم بالنتائج..»*.

* ARA, VOC. Vol. 452, P. 75.

ونظراً لعدم رغبتهم في قيام صراع مع البحارة العرب فقد تفتتت الخطة التي وضعت ضد الملاحة في البحرين(٧٤). وكان أن حددت القوات البحرية الهولندية نشاطاتها بمنطقة جنوب الخليج نتيجة لذلك. وقد يسّر لهم وجود قوة بحرية كبيرة فرصة لحرية التحرك. وكان أن ركزوا اهتمامهم في ثلاثة أهداف وهي استكشاف سواحل الجزء الشرقي من الخليج وبخاصة منطقة شبه جزيرة مسندم الواقعة تحت سيطرة البرتغاليين، واحتلال حصن الجسم، وشدّ الطريق إلى بندر عباس لإلزام الفرس بقبول مطالب الهولنديين.

وتنحصر أهمية البعثات الاستكشافية إلى شبه جزيرة مسندم في أنها تعطينا أول وصف مفصّل عن المنطقة. وفي عام ١٦٤٥ عبرت سفينة صغيرة مضيق هرمز مقتربة نحو الساحل العربي إلى قيدي في شبه جزيرة مسندم قرب الحدود الحالية بين عمان والإمارات العربية المتحدة. ولقد أقام قائدها اتصالات ودية مع القبليين المحليين واكتشفت هذه البعثة الساحل بين شعم وقيدي (القيد)(٧٥). وبعد بضعة أسابيع تبعتها بعثة أخرى على متن السفينة زيميو. وقد حاولت هذه السفينة التعرّف على بعض الجزر مثل فرور وطنب. وقامت باستكشاف ساحل الخليج الجنوبي بين خصب ودبا. وتوقفت السفينة خلال رحلتها في خصب وكمزار ودبا. ومن خلال تقرير وصفي لهذه البعثة نجد أنه لا تزال القوة البرتغالية متمثلة بكتيبة على رأسها قائد برتغالي، في حصن دبا هو أندري ساردانغ بالهولندية وأندريا ساردانها بالبرتغالية. وقد قام قبطان السفينة زيميو ويدعى كلايس سبيلمان بعمل رسومات صغيرة في السجل الخاص بسرعة السفينة. وبهذا نحن مدينون له بأقدم رسومات بسيطة عن دبا الواقعة على الحدود الحديثة بين عمان والإمارات العربية المتحدة(٧٦).

ويعتبر هجوم الهولنديين على جزيرة الجسم أهم حادثة جرت في تلك الفترة. وقد وثّقت هذه الحادثة توثيقاً حسناً على غير العادة. وتشير عدة تقارير هولندية إلى تلك العمليات العسكرية في الجزيرة كما أنه قد جاء في مذكرات ضابط ألماني شرح وافٍ عن البحرية الهولندية طبع في برسلو عام ١٦٦٨ وهي فعلياً روكلو في بولندا(٧٧). وبعد أن فشلت المفاوضات في بندر عباس ظهرت السفن الهولندية بالقرب من جزيرة

الجسم في عام ١٦٤٥. وقد فشلت محاولة الهولنديين التي جرت في اليوم التالي للاستيلاء على الحصن إذ أدرك الهولنديون مناعة الحصن وقوة جدرانه إلى درجة يتعذر دكّها بالمدافع الخفيفة القائمة على السفن الصغيرة المتواجدة في الخليج. كذلك أدركوا أن عدد الجنود البالغ مئتين وخمسين جندياً ليس كافياً لاحتلال الحصن.

وعندما أدرك الفرس القائمون في بندر عباس الضعيفة التحصين، مدى استعداد الهولنديين لمهاجمتهم، أصابهم الرعب والهلع. وكان هذا من حسن حظ الهولنديين. إذ عرض الفرس على الهولنديين أن يسمحوا لهم بالعودة إلى بندر عباس والاستمرار بحرية التجارة إلى أن يتمّ التوصل إلى اتفاقية مع الشاه. وكان على بلوق، قائد الأسطول الهولندي، أن يتوجه إلى أصفهان للتفاوض من أجل تسوية نهائية. إلا أنه مات في الطريق، ولم يشأ جيلنسن دي يونغ الذي كان يرافق المراكب في بندر عباس، أن يخوّل أحد مرافقي بلوق، وكان دونه مرتبة، بالتفاوض بدلاً عنه. وبعد أن جرت محادثات مع السلطات الفارسية تقرّر أن يبقى الوضع على ما هو عليه وهو حرية الهولنديين في ممارسة التجارة إلى أن يصل سفير جديد من قبل حكومة بتافيا العليا. في غضون ذلك بدأ الفرس بدفع المبالغ التي كان الهولنديون قد طالبوا بها. وبغض النظر عن ضعف النتائج المترتبة عن نشاطاتهم ضد الجسم فإن سياسة العنف التي اتبعوها كانت ناجحة إذ يبدو أنهم قد وضعوا الفرس تحت ضغوط الحصار. وما لبثت أن عادت التجارة الهولندية بسرعة إلى مستواها القديم، ووصلت أرباحها في بلاد فارس عام ١٦٤٧/١٦٤٨ إلى مبلغ ٢٤٦٤٩٢ (F). وفي عام ١٦٤٨/١٦٤٩ وصلت إلى مبلغ ٣٢٦٢٩٠ (F)(٧٨).

ولكن جونز كونايوس السفير الذي عينته حكومة بتافيا العليا، لم يصل إلى أصفهان قبل عام ١٦٥١. وظلت التجارة الهولندية حتى ذلك الحين تسير بطريقة حسنة. وقد نجح كونايوس عند قدومه في عقد اتفاقية جيدة(٧٩). إلا أن السلطات العليا في شركة الهند الشرقية لم ترض عن الطريقة التي تمت بها معالجة المسألة، ولعلّ تصرفاتهمْ تعرب عن الاتجاهات المختلفة التي كانوا يفكرون بها. وقد أبدت حكومة بتافيا العليا بعض التعليقات الرصينة حول الطريقة التي كانت تسير النشاطات في

نطاقها، واعتبرت أنها قد عرضت سمعة الشركة كقوة عظمى للخطر. ورأت أنه كان يجب أن تقوم العملية في جزيرة الجسم بطريقة فعّالة منذ البداية إذ اعتبرت المحاولة الضعيفة التي حدثت ثم التوقف عند أول عقبة يواجهونها، أسوأ الطرق لمعالجة المسألة. وكان أن وجه مجلس المدراء في هولندا وهم تجار بطبيعتهم ولا يهتمون بالمسائل السياسية كثيراً، كلمات قاسية إلى الحاكم العام. فقد أخطأ الحاكم العام في نظرهم واتبع سياسة الحرب دون موافقة المدراء. ورأوا أن المسألة لم تكن مستعجلة جداً إلى درجة تجعل بتافيا تتصرف فيها دون انتظار الموافقة من هولندا. وقد أوضحوا للحاكم العام بألا يقوم بأي نشاط عسكري ضد أية دولة من دول آسيا الكبرى دون إذن من المدراء في هولندا إلا في حال تعرّض المصالح الهولندية للهجوم ابتداءً من قِبَل هذه الدولة(٨٠).

أفراسياب البصرة والمصالح الأوروبية في شمال الخليج:

في الوقت الذي سقطت فيه هرمز عام ١٦٢٢ أصبحت ولاية أفراسياب في البصرة معرضة للسقوط أيضاً. ولقد أصبح من الممكن على ما يبدو أن تنجح خطط الشاه عباس في منع الامبراطورية العثمانية من التجارة عبر الخليج بعد غزو هرمز. فبعد مرور سنة واحدة على سقوط هرمز احتلّ الفرس بغداد ولم يعد أمام البصرة سوى الاتصال بسوريا عن طريق الصحراء. ولقد أدى تتابع الأحداث في الخليج إلى تدهور التجارة الدولية السورية تدهوراً سريعاً. وفي عام ١٦٢٤ ضغط الإمام قولي خان على أفراسياب باشا البصرة للاعتراف بسيادة الشاه عليه. إلا أن أفراسياب لم يرض أن يصبح والياً فارسياً وطلب مساعدة البرتغاليين. ولم يتراجع روي فرييري عن مساعدته، وكان أن صدّ الهجوم الفارسي في المناطق السبخية الواقعة شرق البصرة وذلك بعد فشل الفرس في الاستيلاء على حصن الدورق الذي يتبع البصرة. وفي عام ١٦٢٥ هاجم الفرس الدورق مرّة أخرى وقد ساندهم بذلك عرب جزر الأهوار إلا أنهم لم يفلحوا(٨١). وفي ذلك الوقت مات أفراسياب. وقدم البرتغاليون الذين كانوا يتمتعون بالقوة في البصرة، مساندتهم لعلي، شقيق أفراسياب، كي يخلفه متغاضين

عن مطالب أبناء أفراسياب. وقد طالب علي رسمياً باعتراف السلطان به. وقد حصل على ذلك(٨٢). وفي عام ١٦٢٩، تمكّن علي بمساعدة الشيخ بدر حاكم بني كعب من صد هجوم جديد كان قد شنّه الإمام قولي خان(٨٣). واستعادت البصرة شيئاً من نشاطها في الملاحة لأن جزءاً كبيراً من التجارة القادمة من الهند كان يمرّ عبر مسقط بدلاً من هرمز، ثم تواصل سيرها في اتجاه البصرة تحت حماية البرتغاليين. ويبدو واضحاً هنا أن نظام أفراسياب في البصرة كان على علاقات وثيقة بالبرتغاليين. كذلك كان علي باشا حليفاً مخلصاً للبرتغاليين لكنه ترك لنفسه المجال مفتوحاً أمام فرص أخرى. وبعد أن سقطت هرمز، تركزت مصالح تجارة البرتغاليين في البصرة، وكان التجار البرتغاليون يمارسون نشاطهم التجاري الفعّال هناك. وقد حصل روي فريري على الموافقة لإقامة ديرين برتغاليين فيها للرهبان الأوغسطينيين والكرمليين. وقد أشيع أنه قد سمح للبرتغاليين أيضاً بتشييد حصن بالقرب من البصرة(٨٤).

ولم يكن تاريخ شمال الخليج خلال الربع الثاني من القرن السابع عشر زاخراً بالأحداث مثل تاريخ جنوب الخليج. ولا بد من أن يكون الوضع الاقتصادي في الجنوب قد عانى من السياسة التي اتبعتها بلاد فارس في قطع تجارة الترانزيت القادمة عبرها إلى العراق في اتجاه سوريا. وكان سقوط هرمز يعني تحوّل جزء من تجارة البصرة إلى طرق أخرى. ولم تشجع الحكومة الفارسية، رغبة منها في تجنب الأرباح القادمة إلى المنطقة الواقعة تحت سيطرة العثمانيين، على استخدام الملاحة في شمال الخليج، وفضّلت أماكن واقعة في جنوب الخليج. ونتيجة لذلك فإن المعلومات عن الأماكن الواقعة بالقرب من بوشهر وبندر ريج، مثل ريشهر، كانت ضئيلة جداً. وفي البداية ظهرت بعض الأعمال التجارية البرتغالية في ريشهر(٨٥). وبعد ذلك حاول حكام تلك الأماكن أن يشجّعوا الأوروبيين المقيمين في البصرة على الملاحة إلى موانئهم(٨٦). ويبدو أن الإنكليز قد تعاملوا في ذلك الوقت، تجارياً مع القطيف. ومن الممكن أن يكونوا قد تلقّوا بعض الاقتراحات الشبيهة بتلك التي تلقّاها الهولنديون من جانب أمراء عرب في شبه الجزيرة(٨٧).

ولم يكن موقف علي باشا في البصرة سهلاً، إذ أصبحت الحالة بالنسبة له أكثر

صعوبة. وقد احتج مراراً للهولنديين والإنكليز في بندر عباس وسورات عن الدمار الذي ألحقوه بالملاحة في البصرة(٨٨). من ناحية أخرى تابع الإمام قولي خان محاولاته لغزو البصرة. وعندما تراجعت قوات الفرس عام ١٦٢٧ بعث بحملة لغزو البصرة والحويزة حيث كان الحاكم العربي قد توقف عن تقديم طاعته للشاه. ولكن الهولنديين أو الإنكليز لم يساندوا الخان في مشروعه، إذ أنّ الصداقة مع السلطان العثماني كانت مقيدة بسياسة الحكومتين الإنكليزية والهولندية، ولا يسمح البتة لشركات الهند الشرقية بأن تعصي سياسة الدولة في مسألة هامة كهذه لمجرد إرضاء الشاه فقط(٨٩). وقد ساعد رجال القبائل العربية الفرس بسدّ الطرقات الواقعة بين البصرة وسوريا. ولكن تمكّنت البصرة من مقاومة الهجمات الفارسية كلها. ولقد زعم الفرس أنهم غزوا المدينة عام ١٦٢٩ إلا أن ذلك لم يكن صحيحاً(٩٠). من ناحية أخرى كان البرتغاليون على اتصال بالباشا في القطيف وهو الحاكم العثماني الآخر في الخليج، وقد كان يخشى مثل نظيره في البصرة توسّع نشاط الإمام قولي خان. وفي عام ١٦٢٧ قام البرتغاليون بمساعدة باشا القطيف في حرب ضد البحرين(٩١).

وظل علي باشا يواجه الفرس وحده بعد أن أجرى روي فريري مصالحة مع الفرس وفتح بندر كنج أمام الملاحة البرتغالية. وقد ضعف موقفه إذ كان عليه أن يتجنب وقوع مواجهة مع الشاه وفي نفس الوقت عليه ألا يغضب السلطان، سيده الرسمي. وأصبح في وضع لا يُحسد عليه في حالة وقوع حرب بين العثمانيين والفرس. فمنذ الغزو العثماني لبغداد عام ١٦٣٨ أصبحت سلطة السلطان أقرب إليه. ولهذا يبدو أنه غيّر سياسته وأصبحت علاقاته مع الفرس على أسس ودية أملاً في أن يحصل على مساعدة من الشاه عند ازدياد الضغوط العثمانية عليه لتقديم الطاعة والولاء للسلطان(٩٢). ويبدو أن علي باشا كان يؤمن بالخرافات إذ رضخ لتنبؤات منجمه الخاص وسكن بخيمة في الصحراء بدلاً من المدينة. واضطر أن يؤدي ضريبة سنوية وهي عشرة من الخيول إلى كلّ من الشاه والسلطان(٩٣).

ولم تكن جميع التطورات سلبية أمام علي باشا إذ نتج عن توتر العلاقات بين الفرس من جهة والإنكليز والهولنديين من جهة أخرى محاولة القوتين الأوروبيتين

ممارسة التجارة مع البصرة. وكان الإنكليز أول من دخلوا إلى شمال الخليج. ففي عام ١٦٤٠ توجهوا إلى البصرة، وبدأوا بممارسة التجارة هناك وحصلوا على أرباح نسبية. وكان استقبال علي باشا لهم في البداية استقبالاً ودياً، وتوقّع منهم خيراً. ولكن عندما مارسوا الأعمال التجارية اكتشفوا أن الرسوم عالية، كما أن قيمة البضائع الأوروبية المبيعة التي كانت تحملها القوافل لم تكن تصل إليهم بانتظام. هذا إلى جانب أن مدى استيعاب السوق في البصرة محدود(٩٤). ولقد تنبأ الإنكليز أن الوجود البرتغالي في البصرة سوف ينتهي قريباً، وتوقعوا وصول الهولنديين ومن غير الممكن أن يتواجد الخصمان الهولنديون والبرتغاليون معاً في مكان واحد(٩٥).

وكان الهولنديون قد رأوا ما فعله الإنكليز في البصرة وعزموا على أن يحذوا حذوهم عندما يجدون الفرصة المناسبة. ونظراً للحرب التي خاضوها ضد البرتغاليين في جوا كانت إمكانيتهم في الملاحة محدودة جداً لبعض الوقت. وعندما علموا أن الأرباح التي جناها الإنكليز لم تكن كبيرة، عملوا بتروٍّ(٩٦). ولكنهم سرعان ما اتبعوا سياسة العنف وذلك عندما بدأوا نشاطهم عام ١٦٤٥ إذ بعثوا بسفينتين صغيرتين مجهزتين بالسلاح تجهيزاً جيداً. وكان على متنهما بضائع نفيسة على أمل أن تتمكن كل منهما من إبراز قوتها، وبالتالي القضاء على منافسيها في السوق(٩٧). (ليس بإمكان السفن الكبيرة أن تدخل إلى ميناء البصرة). إلا أن هذه الخطة باءت بالفشل، فقد رافق تلك الحملة الشؤم منذ البداية. ولم يتمكن القبطان الذي كانت السفينة الهولندية قد استأجرته في جزيرة خارج من العثور على دليل. ولهذا فقدت السفن الهولندية مسارها الطبيعي وتوجهت نحو ساحل الكويت (كانت الكويت آنذاك منطقة خالية من أية معالم بشريّة)(٩٨).

ومن نتائج تلك الحملة وغيرها من الحملات الأخرى في الخليج التي نظمها ووليبراند خيلنسن دي يونغ أن أطلق فريق الاستكشاف فيها أسماء هولندية على بعض الجزر في الخليج. ولم يبق معظم هذه الأسماء. وأما ما تبقى فقد ظهر على الخرائط الهولندية التي وجدت فيما بعد(٩٩). وهذه الأسماء هي:

هنديان : سخلفيس (وهو اسم سفينة هولندية).

فارور : دلفسهافن (وهو اسم سفينة هولندية).

أبو موسى : رينسبرخ (سفينة هولندية).

صرى : زيميو (سفينة هولندية).

هندرابي : هورن (مدينة هولندية تأسس فيها أحد مجالس غرف تجارة شركة الهند الشرقية).

شطوار : وولف (سفينة هولندية).

الشيخ شعيب : روتردام (مدينة هولندية تأسس فيها أحد مجالس غرف تجارة شركة الهند الشرقية).

خارج : دلفت (مدينة هولندية تأسس فيها أحد مجالس غرف تجارة شركة الهند الشرقية).

خارجو : انكهاوزن (مدينة هولندية تأسس فيها أحد مجالس غرف تجارة شركة الهند الشرقية).

قوبان : أمستردام (مدينة هولندية تأسس فيها أحد مجالس غرف تجارة شركة الهند الشرقية).

خدز : ميدلبرخ (وهي مدينة هولندية تأسس فيها أحد مجالس غرف تجارة شركة الهند الشرقية، ويظهر هذا الاسم بالإضافة إلى جزيرة أمستردام على الخرائط الصادرة فيما بعد ولكنها أسماء أطلقت فيما بعد على جزيرة صغيرة في شط العرب).

ولم تسر الأمور عند وصولهم إلى البصرة حسب ما كان متوقعاً. فقد استقبلهم الباشا في البداية استقبالاً ودياً كما فعل مع الإنكليز. وقدّم لهم عدة وعود مبهمة. ولكنه طالبهم بالرسوم الجمركية كاملة هذا بينما كان الهولنديون يتوقعون أن يجدوا نفس الامتيازات التي كانوا ينالونها في بلاد فارس. وكان سير التجارة في البصرة بطيئاً. وقد استمرت هكذا لبعض الوقت بسبب النزاع القائم وقتذاك بين الباشا وبين القبائل المقيمة في منطقة أعلى النهر. وكانت النتائج المادية للحملة سلبية وذلك لاشتعال النيران في إحدى السفن الهولندية عندما كانت تغادر أخيراً البصرة(١٠٠).

وفي السنة التالية أُرسلت بعثة جديدة. ولكن سير التجارة كان بطيئاً بسبب النزاعات القائمة بين الباشا وحاكم بغداد العثماني. وعندما رأى الباشا أن الهولنديين رفضوا أن يدفعوا الرسوم الجمركية لكثرتها، أبدى عدم رضاه عنهم. ولقد واجه الهولنديون مشكلة خاصة في البصرة، إذ كان عليهم أن يدفعوا رسوماً جمركية عن جميع البضائع الداخلة إلى البصرة، كما كان عليهم أن يدفعوا رسوماً مرّة أخرى عن البضائع غير المبيعة لإخراجها. ويعود السبب في اتباع هذا النظام إلى أن الشاهبندر، وهو رئيس الميناء والمسؤول عن مكتب الرسوم كان يريد أن يشتري البضائع بنفسه بأسعار قليلة فاستخدم أسلوب مضاعفة دفع الرسوم للضغط على الهولنديين لقبول أسعاره(١٠١). وتتمثل نتيجة أخرى لهذه الحملات الهولندية الأولى في أن مذكرات قادة تلك الحملات كانت تحتوي على وصف مفصل للوضع في البصرة ولحركة التجارة في المدينة. ومن أهم الأمور المشار إليها ما يتعلق بوصول سفينة من جلفار تحمل السكر، إذ يتضح من ذلك أنه كان لذلك الجزء من ساحل شبه الجزيرة العربية نقل بحري خاص به يتمّ لمسافات بعيدة(١٠٢).

ويبدو أن التجارة قد نشطت أيضاً في البصرة. ولكن الحكومة المحلية فرضت رسوماً كبيرة ليس على الأوروبيين فحسب بل على التجار المحليين أيضاً (إن فرض الرسوم على الأوروبيين أمر مفهوم وله مبرراته الاقتصادية والسياسية). كان الباشا بالطبع بحاجة إلى بعض المال لإرضاء قبائل تلك المنطقة ولإرضاء باشا بغداد وسلطان اسطنبول أيضاً. ولكن يبقى الموضوع المتعلق بالضرائب المحلية العالية ومدى استمراره أمراً مشكوكاً فيه دون إثارة بعض المعارضة التي قد تكون أشد خطراً من النزاع مع القبائل أو مع السلطان(١٠٣). وكان على باشا البصرة أن يتعامل ليس مع السلطان والقبائل فحسب بل مع بلاد الفرس. فقد ضعف الخطر القائم من قبل بلاد الفرس نتيجة ضعف البلاد نفسها أيام حكم الشاه صافي. إلا أن الشاه كان يتمتع بنفوذ محدود بين قبائل المنطقة. واضطر علي باشا إلى أن يحافظ بالتالي على صداقته مع الشاه. وكان علي باشا حاكم البصرة، رجلاً كبير السن ماهراً في مناوراته ذات الاتجاهات المختلفة ولكن هذه السياسة كانت لعبة خطرة.

نهاية البرتغاليين في عمان:

لم تكن النتيجة الرئيسية للسنوات الخمسين الأولى من القرن السابع عشر مجرّد الوجود الثانوي للإنكليز والهولنديين في الخليج، إذ ظلت الأهمية الاقتصادية لتجارتهم في المنطقة ضئيلة نوعاً ما، ولكن كان أكثر أهمية نشاط التجار المحليين والتجار الهنود، الذين كانت تتم تعاملاتهم تحت نوع من السيطرة البرتغالية من بندر كنج ومسقط والبصرة(١٠٤). ولم تصبح بلاد الفرس قوة فعلية في الخليج بالرغم من استيلائها على البحرين وهرمز. والأهم من ذلك كان بزوغ دولة عمان العربية الجديدة التي تأسس جزء منها على أنقاض مملكة هرمز. ولقد وسّعت هذه الدولة الناشئة في منطقة نزوة، رقعتها بإضافة ممتلكات هرمز في منطقة الصير.

وكانت عمان الجديدة عبارة عن خليطٍ من عدة عناصر عربية متباينة، ولكن ما لبثت هذه العناصر أن اتحدت قبل عام ١٦٥٠ بقليل، وقد شددت عمان ضغطها الشديد على مسقط وأصبح من الصعب على البرتغاليين حمايتها. ففي عام ١٦٤٣ استولى العمانيون على صحار(١٠٥).

ولعل امتلاك البرتغاليين لمسقط كان الأمر الوحيد الذي منع عمان من أن تصبح أقوى قوة إقليمية في الخليج وأكثرها سلطة. وفي عام ١٦٤٧ أو ١٦٤٨ حاول العرب المتحررون من سيطرة البرتغاليين أن يستولوا على مسقط فجأة، إلا أنهم فشلوا على الرغم من دخول المقاتلين العرب المدينة(١٠٦). وكانت الضغوط تتزايد، وبدأت المفاوضات بين البرتغاليين والعمانيين. وكان الموضوع الأساسي لتلك المفاوضات الاعتراف بحكم البرتغاليين لمسقط مقابل تسليم العمانيين بعض الحصون الصغيرة القائمة بين دبا ومسقط. وباستثناء مسقط كانت ستبقى خصب فقط في أيدي البرتغاليين حيث كان الشيخ مالك صديقاً لهم(١٠٧). وتمّ التوصل إلى اتفاقية بين المبعوثين البرتغاليين واثنين من المفاوضين السياسيين العمانيين المطلقي الصلاحية. وكان أحدهم «سيفو بن علي بن صالح القاسمي». ومن الواضح أنه «سيف بن علي بن صالح» هو أحد القواسم الذين لعبوا فيما بعد دوراً هاماً جداً في تاريخ الخليج كحكام لجلفار(١٠٨). ويبدو أن تلك الاتفاقية لم تدخل مطلقاً حيّز التنفيذ فالبرتغاليون تمكّنوا

من الإبقاء على خصب كما كانت هناك خطة لإقامة دير للكرمليين فيها(١٠٩).

وفي عام ١٦٤٩ وبعد موت الإمام ناصر بن مرشد قام الإمام سلطان بن سيف بضرب حصار تام حول مسقط. ولقد تمكن في الأيام الأولى من هذا الحصار الفجائي أن يسيطر على بعض المواقع الأساسية. وأدى ذلك إلى إضعاف قوة الدفاع البرتغالية إلى درجة لم يتمكّنوا إثرها من الصمود طويلاً. ويشير تقرير هولندي ورد عام ١٦٥٠ عن أنباء جاءت بها إحدى السفن القادمة أن المدينة قد سقطت وأن البرتغاليين قاوموا في حصن واحد فقط على الرغم من أنهم كانوا يطلبون الاستسلام من هناك(١١٠). ويؤكد هذه المعلومات بعض التقارير الأخرى الأكثر تفصيلاً، الواردة في أرشيف الكرميلين في روما، وكان قد كتبها أحد الكرمليين المتواجدين في مسقط آنذاك. ولم يتلقّ البرتغاليون أية مساعدة من مؤسسات برتغالية أخرى. وسرعان ما سقط آخر حصن في مسقط(١١١).

وبهذه الطريقة انتهى حكم البرتغاليين على أهم مواقعهم في الخليج على الرغم من قيامهم ببعض المحاولات في السنوات التالية لاسترجاع موطئ قدم لهم في شبه الجزيرة العربية. وكان بإمكانهم البقاء كتجار فقط في ميناء كنج بنفس الطريقة التي بقي بها الإنكليز والهولنديون في بندر عباس. وكذلك باءت المحاولات الفارسية لتحقيق السيطرة على ساحل الخليج الجنوبي بالفشل. ويعود الفضل في حصول بلاد فارس على منفذ حرّ في الخليج والسيطرة على جزر الجسم ولارك وهرمز إلى مساعدة الإنكليز لهم في عام ١٦٢٢ وإلى التدخل الإنكليزي الهولندي عام ١٦٢٥. ورغم ذلك كان يبدو على بلاد فارس وقتذاك أولى علامات الانحلال الاقتصادي والعسكري والسياسي. وكان أن توصلت القوتان الأوروبيتان اللتان بقيتا في الخليج إلى قرار بأن التعاون الوثيق مع الشاه لن يأتي بنتائج مجدية لهم. وكان لكلتا القوتين بعض الاهتمام في تحسين الناحية الاقتصادية في بلاد فارس لأن هذا سيساهم في إنعاش التجارة. ولكن لم يكن للدولتين ثقة في حكومة فارس. وكان النفوذ الإنكليزيّ يعاني تدهوراً في جميع أرجاء آسيا. أما الهولنديون فرغم أنهم كانوا أكثر قوة لكنهم كانوا أقل اهتماماً بازدهار بلاد فارس. ويبين نشاط شركة الهند الشرقية

الهولندية في فترة الأربعينات من القرن السابع عشر الأزمة الأساسية للوجود الأوروبي في الخليج.

ويميل الوكلاء المحليون للقوى الأوروبية آنذاك على ما يبدو إلى اتخاذ موقف متشدد، إذ رغبوا في تقليد السياسة البرتغالية السابقة في إقامة مراكز للرسوم للحصول على نسبة من دخل التجارة الفارسية كلها، وهم هنا على استعداد أحياناً لأن يشاركوا في خطط عسكرية فارسية. إلا أن مدراء الشركات في لندن وأمستردام، الذين يغلب عليهم العقلية التجارية لم يستسيغوا مثل هذه السياسة الاستعمارية. إذ إن هدفهم هو جني الربح ولم يهتموا كثيراً بمظاهر القوة، ولذلك لم يكن مجد الاستعمار الروماني في القرن التاسع عشر يعني الكثير بالنسبة لهؤلاء التجار النفعيين في القرن السابع عشر.

وقد غاب ذكر العرب المقيمين على الساحل الشمالي للخليج من سجل أحداث عام ١٦٥٠. وقلما جاء ذكرهم في المصادر الأوروبية أو العمانية. ومن الأرجح أن يكونوا قد استمروا في المشاركة بالحروب ضد البرتغاليين(١١٢). ولا شك أن العديد منهم كانوا قد قُتلوا في معارك هرمز أو الجسم وقد هاجر بعض منهم غالباً بمراكبهم إلى الساحل الجنوبي وأما بعضهم الآخر فمن الممكن أن يكونوا قد تأقلموا تحت الحكم الفارسي. وقد جعل هؤلاء السكان العرب من ميناء كنج مكاناً منافساً لبندر عباس. وسرعان ما تدهورت الملاحة في بندر عباس وأصبحت ثانوية بسبب نمو ميناء كنج. ولكن ظلّ ميناء بندر عباس مفضّلاً عند الأوروبيين بسبب ما لديهم فيه من امتيازات. هذا بينما كانت التجارة المحلية في الخليج تتم عبر ميناء كنج الذي احتل بالتالي مكان هرمز أكثر من بندر عباس. وهكذا ظهرت عدة موانئ حلّت أخيراً مكان هرمز في جنوب الخليج وهي: بندر عباس، وبندر كنج ومسقط، وإلى حدّ ما جلفار.

وكان التقدّم الأساسي الذي تمّ إحرازه في تلك الفترة بعد سقوط معاقل البرتغاليين أن أصبحت الملاحة في الخليج حرّة. إلا أن هذه الحرية سوف تواجه الخطر عندما تبدي القوى المختلفة في الخليج رغبتها في زيادة عائداتها الناتجة عن مراكز تحصيل الرسوم التابعة لها لإلحاق الضرربالمراكز الأخرى وهنا تبدأ قضية تحويل الملاحة بالقوة.

الفصل الخامس

التوسّع العربي



توحيد عمان:

بدأ مع تحرير العرب لمسقط عهد جديد في تاريخ الخليج. وقد انتهت منذ ذلك الحين سيطرة البرتغاليين على الملاحة حول ساحل شبه الجزيرة العربية وأصبح بإمكان التجار العرب التحرّك بحرية في الخليج بحماية رايتهم الخاصة بهم. وكانت تلك الفترة في مصلحة العرب، فقد ضعف البرتغاليون كما توتّرت كثيراً العلاقات القائمة بين الهولنديين والإنكليز. ولم تكن القوة الفارسية تعني الكثير(١). وكان الهولنديون يبحثون عن بدائل للأرباح المتناقصة في بلاد فارس. وفيما كان الهولنديون والإنكليز يحسدون بعضهم البعض، اتُّخذت بعض المبادرات في البصرة(٢). ومهما يكن فإنّه يبدو أن الهولنديين قد خطّطوا ليملأوا الفراغ الذي كان البرتغاليون قد تركوه بطريقة سلمية. وعندما تلقّت حكومة بتافيا العليا أنباء عن سقوط مسقط في عام ١٦٥٠ قررت أن تبعث بتعليماتها إلى المدير في بندر عباس تستطلع مدى إمكانيات التجارة في تلك المدينة(٣).

وفي السادس من مارس عام ١٦٥١ طلب مدير الوكالة الهولندية في بندر عباس من التاجر الياس بوداين أن يزور مسقط في طريق عودته من البصرة إلى سورات. ولم يحمل تقرير بوداين أنباء سارة لكل من كان يأمل بأن تكون مسقط ميناءً مهمّاً كبندر عباس بالنسبة للهولنديين. فقد عانت التجارة في مسقط الكثير نتيجة الحروب الطويلة التي خاضها البرتغاليون رغماً عنهم للمحافظة على نفوذهم في آسيا. ولم تهتم القبائل المقيمة في الداخل، التي دخل أفرادها المدينة مؤخراً، بإصلاح ما دمّرته الحرب. وسوف يستغرق استقرار مجموعة من السكان العاملين بالتجارة ثانية بعض الوقت. وقد تكون وجهة نظر بوداين سلبية جداً، فمن المحتمل أن يكون التجار البنيان، الذين كانوا قد أبلغوه عن التجارة المتوقعة في مسقط، قد قللوا من قيمتها قليلاً لإعاقة المنافسين الأوروبيين. ولكن كان بوداين غالباً على حق عندما اعتبر أن الشركة لن تجد كفايتها من التجارة في مسقط، إذ أنها تعتمد على التحوّل السريع ضد النقد رغم كل ما يترتب عليها من مصاريف باهظة للسفن والبحّارة الأوروبيين. وتثبّت التعليقات الإنكليزية وجهة نظر بوداين. ويبيّن التقرير الإنكليزي عام ١٦٥٣

بأن الحالة في مسقط قد تدهورت إلى درجة أن كاتب التقرير يقول أنه كانت تراود الإمام فكرة إعادة تسليم المدينة إلى البرتغاليين(٤).

ولقد عبّر بوداين في تقريره عن خشيته بأن تستخدم السفن التي أخذها العرب من البرتغاليين ضد الملاحة الأوروبية مشيراً إلى هجوم وتذاك على سفينة إنكليزية. ولم يحدث بعد ذلك ما يبرّر خشيته تلك. واستمرّ العرب في حربهم ضدّ الملاحة البرتغالية ولكن لم تتعرّض الملاحة الإنكليزية والهولندية إلى مشاكل من قِبَل القوة البحرية العربية الجديدة.

وكان تقرير بوداين بصورة عامة وثيقة هامة. ولهذا فإننا نورد أدناه نصاً لروايته التي تتضمن أوّل وصف لمسقط كُتب بعد التحرير العربي:

«يحيط بالمدينة جبال عالية ومنحدرة ليس فيها أية معالم للنبات أو العشب. ويمتاز هذا المكان بمناعته لموقع الحصون الثلاثة المبنية على صخور عالية يصعب قصفها بالمدفعية من أماكن أخرى. وليس هناك سوى طريق ضيّق للوصول إليها. ويتعذّر في بعض الأماكن مرور أكثر من واحد أو اثنين جنباً إلى جنب، ولهذا فإن الطريقة الوحيدة للتغلّب على مسقط هو تجويع سكّانها فقط. ويحيط بجانبي الحصون مدافع برونزية جيّدة الصنع تتركز من جهة البحر والمدينة. وقد ترك العرب المدينة، حسب عاداتهم المتّبعة، تنهار كلياً. ويصعب وجود عشرة منازل أو أقل بدون تصدّع جدرانها. فلقد سقطت المنازل وأصبحت كتلاً من الحجارة المتراكمة. وقد قاموا بترميم الحصون بطريقتهم الخاصة حتى الآن، إلاّ أنني أرى أنهم سوف يتركونها تنهار لعدم رغبتهم بالإنفاق عليها لترميمها.

وعندما وصلنا أرشَدنا الدليل إلى البرّ. ولقد أوصلنا بعض البانيان مباشرة إلى منزل الحاكم. وبعد تقديم التحيّات والمجاملات التقليدية شرحت له أهداف رحلتنا. ويبدو أنه اقتنع بها وعرض علينا تسهيلات مُرحّباً بنا، وأبلغنا أن المدينة سوف تفتح أبوابها أمامنا وأمام جميع التجّار الآخرين، وأنه بإمكاننا ممارسة التجارة كما نرغب وبإمكاننا أيضاً أن نغادر دون دفع الرسوم

الجمركية (لم يُطلب من أحد دفع الرسوم منذ غزو المدينة) وقد قدّم لنا بيتاً لاستخدامه في حال عودتنا ثانية للتجارة. فشكرناه جداً. وبعد ذلك استفهمت من رؤساء البانيان، الذين حضروا للترجمة، عن المكان وعن نوعية البضائع الممكن المتاجرة بها سنوياً هنا. وكان جوابهم أنه بإمكاننا المتاجرة بالأرز والفلفل والسكر غير المكرّر والمناديل المستديرة والخشنة مقابل ما بين عشرين إلى خمسة وعشرين ألف جيلدر. ومن ذلك نجد أن هذا المكان غير مناسب للشركة لصعوبة تعويض الشركة عن تكاليفها بسبب ضآلة التجارة والبضائع المباعة. ولكننا جئنا للمحاولة فقط ببعض نماذج السلع وعرضها عليهم. وقد دفعوا مقابل بعض الجوالات والأشياء الأخرى أسعار زهيدة ولذلك قمنا بإعادتها إلى السفن. وتبلغ قيمة تلك البضائع ١٧ر٧٣٧ (ف) وبناء على ذلك فإنّه ليس بإمكاننا أن نبيعها نقداً خلال فترة أربعة أشهر وهذا دليل على عدم صلاحية المكان للتجارة. وكان التجار المجاورون لمسقط وغيرهم من الذين كانوا يقصدون المكان في سفن بسيطة، يجلبون معهم الأرز والسكر الداكن غير المكرّر وكمية قليلة من الفلفل ويقايضونها بالتمور وأحياناً يبيعونها نقداً وفي كلتا الحالتين كان عليهم أن ينتظروا عدّة شهور حتى يقبضوا الثمن. ولقد تمكّن هؤلاء من ذلك بسبب ضآلة تكاليف النقل والملاحة المترتبة عليهم. ومعظم سكان مسقط حالياً من العرب القادمين من الجبال والصحراء للإقامة فيها (بالإضافة إلى بعض البرتغاليين السود الذين اعتنقوا الإسلام)، وهم يُبحرون كقراصنة على متن السفن والفرقاطات المأخوذة من البرتغاليين ويستولون على ما يستطيعونه. ويظهر هذا في حادثة السفينة الإنكليزية ليفوريث القادمة من كنج، فقد أطلقوا عليها نيران مدافعهم مرّة في الليل ومرّة أخرى خلال النهار*»(٥).

وقد حدث أن استُقبل الهولنديون في مسقط استقبالاً حسناً. وقد يعود سبب هذا الاستقبال إلى خشية العرب من احتمال عودة البرتغاليين للانتقام. وبالتالي وجدوا أن

* ARA, VOC. Vol. 1188, Fol. 544V, 546V, Report by Boudaen of November 1651.

الهولنديين قد يشكّلون أفضل حليف لهم ضدّ البرتغاليين(٦). ولقد قام البرتغاليون فعلاً ببعض الهجمات ولكن دون جدوى، بينما استولى العمانيون على سفينة برتغالية محمّلة بالبنّ قرب شواطئ اليمن(٧).

وتشير الوثائق البرتغالية إلى إرسال قوّة صغيرة من جوا بعد تلقّي الأنباء عن ضياع مسقط مباشرة. وحسب ما جاء في المصادر البرتغالية أنه من الممكن أن تكون تلك القوّة قد دخلت إلى الخليج، وصولاً إلى القطيف والبحرين، واستعادت خصب التي كانت مرشّحة لأن تحلّ مكان مسقط أو هرمز، كذلك تفاوض أفرادها مع الفرس التابعين لخان لار في كنج حول موضوع التخلّي عن هرمز أو لارك. ولم يدم احتلال البرتغاليين لخصب طويلاً. ويبدو أن شيخ خصب قد دعا البرتغاليين إلى إنشاء تحصينات منيعة في مدينته وذلك بعد أن دخل العمانيون العرب مسقط. وبدأ العمل فعلاً إلاّ أنّ القوات العربية ما لبثت أن ظهرت في الأفق قبل أن يتمّ العمل في الحصن. وحسب ما جاء في رواية ساخرة على لسان راهب كرملي، أن الجنود الذين كانوا يقومون بتشييد الحصن، فرّوا بسرعة فائقة من الحصن الذي لم يكتمل تشييده(٨). ولم ينتج عن تلك المفاوضات شيء. وبعد أن غادر البرتغاليون كنج وصلت السفن العربية واستولت على بعض السفن التجارية البرتغالية. وليس في المصادر الهولندية ما يثبت صحة هذا الأمر. فهناك إشارة فقط إلى وجود سفن تجارية برتغالية في بندر كنج كان العرب قد استولوا عليها وقتلوا ملاّحيها. وذكر الهولنديون أن أسطولاً عربياً يتألف من خمس سفن حربية ومركبين صغيرين، قد استولى بعد ذلك على سفينة تجارية برتغالية بالقرب من جاسك. ولما أدرك البرتغاليون أن تلك الأحداث قد دمّرت سمعتهم، بعثوا بأسطول كبير إلى الخليج(٩). وفي مارس من عام ١٦٥٢ وصل أسطول برتغالي قوي ما لبث أن شنّ هجوماً على مسقط، ولكنه فشل. وقد أشار الهولنديون إلى تسرّب شائعات تفيد بأن البرتغاليين قد تكبّدوا خسائر فادحة. وكان البرتغاليون قد واجهوا انتكاسة أخرى حين فقدوا قافلة من السفن التجارية تعرّضت لعاصفة بحرية وهي في طريقها من ملبار إلى الشمال(١٠). وبالإضافة إلى ذلك كان حاكم جزء كبير من كنارا، والمدعو سيفاپانيك، قد استغلّ ضعف البرتغاليين وهاجم

عدداً من حصونهم الواقعة على ساحل كنارا. وحيث أن البرتغاليين كانوا قد حاولوا استرجاع تلك الأماكن، لم يبق معهم من يمكّنهم من استئناف سلوكهم العدواني في الخليج(١١).

وفي عام ١٦٥٣ راجت شائعات كثيرة في الخليج. فقد نقلت سفينة قادمة من بندر كنج أنباء إلى البصرة تفيد بأن الهولنديين قد تحالفوا مع العمانيين وأنهم كانوا نيابة عن الإمام يجمعون الضرائب المعتادة عن النقل البحري في الخليج والتي كانت حكومة مسقط البرتغالية تطالب بها في السابق(١٢). وعلى الرغم من عدم صحة تلك الشائعات، إلا أنها تشير إلى أن المجتمع التجاري في الخليج قد أدرك مدى طموح العمانيين في احتلال مكانة البرتغاليين واحتمال مساندة الأوروبيين لتلك الطموحات.

المغامرات التجارية الهولندية والإنكليزية في الخليج ١٦٥٠-١٦٦٠:

بينما كان البرتغاليون منهمكين في أماكن أخرى، كان وضع الهولنديين جيّداً. ففي أوروبا كان الهولنديون طرفاً في نزاع مسلّح مع الإنكليز ولم يأت ذلك النزاع بنتيجة محدّدة. وفي عام ١٦٥٣ استولى الهولنديون في الخليج على ثلاث سفن إنكليزية وسفينة برتغالية. وفي الوقت الذي كانت فيه التجارة في الخليج مصدر الأرباح الوحيد بالنسبة لشركة الهند الشرقية الإنكليزية إلاّ أن خسارتها أدت إلى تجميدها عمليّاً لبضع سنوات(١٣).

وقد فتح الوضع الدولي المجال أمام الهولنديين لتبنّي وجهات نظر جديدة. ويبدو أنه قد ازداد الطلب على اللآلئ في أوروبا الغربية إلى درجة جعلت مدراء شركة الهند الشرقية الهولندية يوجّهون أوامرهم لمحاولة ممارسة تجارة اللؤلؤ في الخليج ثانية بعد أن تناسوا خبراتهم السابقة بها. وقد أعلن مدير الشركة في بندر عباس ردّاً على ذلك بأن الوضع في بندر عباس ليس جيّداً ولكن من الممكن إرسال بعثة إلى جلفار والبحرين طالما أن البرتغاليين لا يعملون وطالما أن الإنكليز قد ابتعدوا أيضاً وذلك لاكتشاف إمكانية شراء بعض البضائع من المنتجين مباشرة(١٤). ولكن لم ينتج عن ذلك شيء. وفي السنة التالية تجدّدت المشاكل مع الإنكليز. وقد تابع مدراء الشركة في هولندا

طلب اللآلئ من الخليج. ولكن المندوبين في بندر عباس أبدوا قليلاً من النشاطات الفعلية في هذه المسألة.

ولم يكن ذكر جلفار كمركز للتجارة ضمن المشروعات الهولندية فريداً من نوعه. فلقد أشار الرحّالة الفرنسي ثيفينوت الذي زار الساحل عام ١٦٦٣ إلى أن جلفار تمتاز بوجود حصن حجريّ اتجهت إليه عدة سفن تجارية من الهند(١٥).

وفي عام ١٦٥١ بدأ بوداين مغامراته في البصرة ثانية. إلا أنها لم تستمر طويلاً. فقد تدهورت التجارة هناك بسبب المشاكل الداخلية. وفي عام ١٦٥٥ اعتُبرت تجارة البصرة فاشلة وترك للمدير الهولندي في سورات أمر إنهاء المشروع(١٦). هذا بينما استمرّت التجارة في بندر عباس في الازدهار وظهرت أوّل ملامح لها عند إعادة افتتاح التجارة الهولندية عام ١٦٥٢. ولكن ظلّت التذمرات القديمة حول جشع المسؤولين الفرس. فقبل عام ١٦٥٥ لم يعان الهولنديون كثيراً من تصرّفات الشاهبندر، ولكن في تلك السنة بالذات تولّى محمد قولي بك، المعروف لدى الهولنديين، منصب الشابهندر. وكان أكثر جشعاً من سلفه. ولهذا، كانت عدّة سفن أجنبية تخصّ المسلمين تحوّل مسارها إلى ميناء بندر كنج بدلاً من بندر عباس وذلك لأن خان لار كان أكثر اعتدالاً من حاكم بندر عباس المحلي(١٧).

واستمرّ العمل يسير سيراً حسناً بالنسبة للهولنديين رغم الانتكاسات العارضة الشبيهة بما حدث عام ١٦٥٦ عندما تأخرت التجارة الهولندية بسبب ضخامة الملاحة السوراتية. ولكن في الوقت نفسه، كانت تجارة الشركة الإنكليزية قد انحدرت إلى اللاشيء تقريباً بالرغم من ازدهار التجارة الخاصة التي كان يمارسها المسؤولون فيها. وفي خلال عام ١٦٥٧ - ١٦٥٨ حصلت المكاتب الهولندية في الخليج على أرباح بقيمة أكثر من نصف مليون جيلدر، ولم يتفوّق عليها سوى اليابان التي كانت قد بلغت أرباحها أكثر من مليون.

وتتضح لنا أهمية التجارة في الخليج لا سيما عندما نرى أن مجمل الأرباح الصافية التي حققتها المكاتب الهولندية من التجارة في آسيا قد بلغت مليون جيلدر(١٨). وشجّع المغامرات التجارية الجديدة إدراك أهمية الصوف الكرماني كمادة

خام لصناعة الأقمشة الهولندية، وبالتالي فهو أحد أهم السلع في التجارة الهولندية في الخليج. ولكن الهولنديين لم يحققوا نجاحاً يذكر في الوكالة الجديدة التي أنشأوها في السند، ولهذا أُغلقت بعد سنتين فقط من افتتاحها نتيجة قلّة النشاطات التجارية هناك. وفي عام ١٦٥٧ عرض الفرس على الهولنديين الاشتراك في عملية مشتركة إنكليزية هولندية فارسية ضد مسقط إلاّ أن هذا العرض قوبل بفتور(١٩).

أما النفوذ الإنكليزي في الخليج فقد انحدر تماماً لبعض الوقت، إذ تعرّضت شركة الهند الشرقية الإنكليزية للإفلاس وتدنى بالتالي مستوى التجارة الخاصة. وكان أن تأسست شركة إنكليزية أخرى ولكن لم يصل وكلاؤها إلى الخليج قبل عام ١٦٥٩(٢٠). في غضون ذلك تدهورت العلاقات بين الهولنديين والسلطات الفارسية المحلية ثانية. فقد عيّن اعتماد الدولة، رئيس الوزراء الفارسي لمرتين متتاليتين، اثنين من أبناء أخيه ليشغلا منصب الشاهبندر في بندر عباس أحدهما في عام ١٦٥٨ والآخر عام ١٦٥٩. وكان كلاهما جشعين(٢١). وفي نفس الوقت نشب نزاع بين الشاهبندر وبين الإنكليز بسبب امتناع الشاهبندر ثانية عن تسديد حصة الإنكليز من عائدات الرسوم. وكان أن هدده الوكيل الإنكليزي بمحصارته بحرياً ولكن دون جدوى.

ومنذ ذلك الحين أبدى الإنكليز المزيد من النشاطات وكانوا يخطّطون للقيام بأول مغامرة استعمارية فعلية في المنطقة. وفي عام ١٦٥٩ أرسل الإنكليز مندوباً عنهم إلى مسقط يدعى رينسفورد لافتتاح وكالة هناك. ويبدو أنهم قد قاموا بهذا الإجراء كرد فعل للعروض الفارسية عام ١٦٥٧. وقد عرض على العرب القيام بعمل مشترك ضد بندر عباس. ومن حسن حظ رينسفورد، أن الإمام كان آنذاك في مسقط (مقر إقامة الحاكم عادة في نزوى). وبما أن رنسفورد كان شخصية عسكرية، فقد خطط لإقامة مؤسسة عسكرية إنكليزية في مسقط. ويقضي هذا العرض بأن تتكوّن الحامية العسكرية في مسقط من الجنود العمانيين والإنكليز بالتساوي، وأن يتسلم الإنكليز المبنى الحكومي البرتغالي القديم. ولم تتحدّد كيفية توزيع عائدات الرسوم وتقسيمها بين الإمام والإنكليز. وفيما كانت المفاوضات قائمة، توفي رينسفورد ولم تحقق البعثة أية نتائج(٢٢). ونلاحظ في هذه المهمة أن الاختلاف في الرأي القائم بين المدراء

في أوروبا والمندوبين في آسيا، هو نفسه الذي لاحظناه لدى الهولنديين. فلقد قام على تنظيم هذه البعثة مندوبو شركة الهند الشرقية في سورات دون إبلاغ مسبق لمدراء الشركة في لندن. وفي الحقيقة أن هذه المغامرة لم تلق استحساناً لدى المدراء في سورات لتخطيهم حدود السلطة المخوّلة لهم.

لم تكن نشاطات الهولنديين بارزة في ذلك الوقت. فقد تورطوا في عدّة حروب تفاوتت بنسبة نجاحهم فيها. وكانوا قد سيطروا على الحصن البرتغالي الرئيسي في جنوب الهند، كما سيطروا نهائياً على سيلان، ولكنهم فقدوا مستعمرة تايوان الهامّة التي أخذها منهم الصينيون.

ولم تستمر عمان في سياسة اللامبالاه النسبية في سياستها الخارجية طويلاً. فبعد فترة الركود التي تبعت سقوط ميناء مسقط بقليل، أظهرت عمان توسّعاً كبيراً عام ١٦٦٠ عندما بدأت موقفها العدائي العنيف ضد أعدائها. وفي عام ١٦٦١ أبلغ مدير الشركة في بندر عباس حكومة بتافيا العليا عن قيام العمانيين بإنشاء أسطول بحري كبير. وقد بدأ هذا الأسطول نشاطه في السنة التالية. وكان أن هوجمت وسُلبت عدّة مواقع برتغالية على الساحل الغربي من الهند. وكانت بومباي أهم مكان هاجمه العمانيون(٢٣). وقد نشب نزاع بين العمانيين وبين شيفاجي حاكم المنطقة النامية الواقعة مباشرة جنوب جوا. وهذا يعني التزام التجار القادمين من أماكن تابعة له مثل برسالور ومنغالور وباتيكالاو بدفع رسوم جمركية هائلة تبلغ ١٧٫٥ بالمائة. ولقد ألحق العمانيون كذلك دماراً كبيراً بالملاحة الخاصة بداماو البرتغالية(٢٤).

ومرّة أخرى أبدى الهولنديون اهتمامهم بمسقط وقد عرض الشاهبندر في بندر عباس على الهولنديين نقل القوات الفارسية إلى مسقط كي ينالوا امتيازات هامة لصالح تجارتهم في بلاد فارس بعد غزوها. وكان دافع الشاهبندر الخاص إلى التقدم بهذا العرض أن بندر عباس قد فقدت الكثير من نشاطها في الملاحة بسبب كثرة الأعمال الملاحية البسيطة بين مسقط والموانئ الفارسية الصغيرة مثل ريج لانعدام وجود مكتب فارسي لتحصيل الرسوم فيها. (بلغ عدد السفن التي قامت بتلك الأعمال من مئة وخمس وعشرين سفينة إلى مئة وخمسين سفينة سنوياً)(٢٥). وقد قلّل

هذا من دخل الشاهبندر الخاص. ولكن فان ويك، المدير الهولندي، لم يثق بمثل هذه العروض لأنه كان يعلم حقّ العلم بأن الحكومة المركزية لا تلتزم عادة بوعود المسؤولين المحليين. ولكي يتجنّب الخدعة، وضع أمام الفرس شروطاً تعجيزية إلى درجة لم يكرّر الفرس إزاءها مطالبهم(٢٦). ولم تهتم بتاتيا بالمشروع الفارسي، إلا أن المدراء في أمستردام رغبة منهم في التفوق على الإنكليز كانوا أكثر إيجابية(٢٧). لقد حقق فان ويك موقفه في تأييد عمان. ولم يكن يصدّق أن البرتغاليين سوف يتمكنون من إلحاق الهزيمة «بالعرب الشجعان». فقد أدرك أن هناك عدة مجالات ممكنة لعمل الإجراءات اللازمة. وبعد الغزو الهولندي لكوشيم وأماكن أخرى في ملابار عام ١٦٦٠ أصبحت شركة الهند الشرقية الهولندية بطريقة ما شريكاً تجارياً هاماً مع عمان. وكانت مسقط محور التجارة المباشرة وتجارة العبور من ملابار. وقد كان الممثلون المحليون لشركة الهند الشرقية الهولندية يبحثون عن طريقة ما تمكنهم من الحصول على نصيب أكبر من هذه التجارة(٢٨).

ولهذا بعث المدير الهولندي هندريك فان ويك برسالة من بندر عباس إلى إمام عمان عام ١٦٦٥ يعرض عليه نوعاً من التعاون ضد البرتغاليين وكذلك إقامة مقرٍ للشركة في مسقط(٢٩). وما لبث أن تسلّم الردّ بعد ذلك بقليل. وسوف نعرض النصّ الكامل لهذه الرسالة لأنها تعتبر أقدم الوثائق التي لدينا من قِبَل حاكم عربي مستقل في الخليج:

«بسم الله الرحمن الرحيم

هذه الرسالة موجهة من سلطان بن سيف إمام المسلمين، ابن متوبا، ابن «أبو العرب» ابن السلطان أعزّه الله ونصره، إلى السيد هندريك فان ويك ..

وصلتنا رسالتك، التي نعتبرها جوهرة لأهميتها. إن رسالتك تلك ملأى بالتفهّم ومفعمة بالتعبيرات اللائقة ومحلاّة بعبارات الود والنبل واللطف والأدب. وهي مصقولة ومضيئة، أنارتنا كما ينير القمر الأرض، وهي مؤثّرة وفعّالة تُدخل السرور إلى أكثر النفوس حزناً لأنها جاءت من طرف أقرب الأشخاص إلى قلوبنا، الذي يتصف باللياقة والرحمة والكرم والقوة والكرامة

والفصاحة وغيرها من الصفات، حفظه الله العليّ.

لقد جاءنا مبعوثك معرباً عن رغبتك بإرسال شخص بإذن الله، إلى مدينتنا التجارية مسقط، على أن يستخدم لهذا المشروع بعض البواخر والمراكب لنقل البضائع منها وإليها لغرض التجارة، وأنه سيحضر إلينا بعض الأشخاص من قِبَلكم للإقامة في مدينتنا التجارية للقيام بكل ما يلزمك من خدمات. ونحن إذ نجيب على طلبك هذا، نودّ أن نؤكد بأن مدينتنا التجارية هي مدينتكم التجارية، وأن مشاعر الصداقة والتحالف سوف تكون متبادلة بيننا، وأنه سوف يعمل بكل التفاصيل المتّفق عليها، وأننا في غاية السرور، يا أعز أصدقائنا، لقدومكم الكريم. ولا تخش من حدوث ما يخالف إرادتنا. ونحن نعد، من طرفنا، أن لا يصدر عنا سوى الصدق والإخلاص في مختلف الظروف وسوف نقوم بكل ما يخدم مصالحنا وازدهارنا المتبادلين. وسوف نعمل مسرورين على إنشاء مقرّ لكم في مدينتنا التجارية آملين أن تقضوا أوقاتاً ملؤها السعادة والهناء فصحبتكم تسعدنا وسوف نقدّم لكم كلّ ما تحتاجون إليه. وهذه هي رغبتنا»*.

تبدو هذه الدعوة بالنسبة للقارئ العادي الحديث مفعمة بالكرم، ولكن حكومة بتافيا العليا وجدت أنها غير كافية. فمن جملة ما علّقوا عليه في هذا المجال، أن ليس في هذه الرسالة ما يشير إلى الامتيازات الخاصة المتعلقة بالرسوم الجمركية المرتفعة جداً في مسقط. وقد رأوا أنه نظراً لمستوى التكاليف المترتبة على التجارة الهولندية فليس من الممكن تحقيق نسبة من الأرباح ما لم يتمّ ترتيب اتفاقيات وامتيازات في هذا الصدد. من ناحية أخرى فقد جرت بعض المناقشات حول الموضوع القائم بين حكومة بتافيا العليا ومدير الشركة في بندر عباس. فلقد طلبت الحكومة العليا من المدير، مشيرة إلى اقتراحات الشاهبندر في بندر عباس حول التخطيط لحملة ضد مسقط. إلا إذا طلب الشاه ذلك في رسالة رسمية موجّهة إلى الحاكم العام وعليها خاتمه. وهذا يعني رفض جميع المشروعات الخاصة المقدّمة من قِبَل الشاهبندر وجميع

* ARA. VOC. Vol. 1251, PP. 1343 - 1344.

القرارات تعود إلى حكومة بتافيا العليا. ولم يكن الحاكم العام متفائلاً من حيث إمكانية ممارسة التجارة في مسقط. وقد علم أن الإمام قد رفع مؤخراً نسبة الرسوم الجمركية فيها إلى مستوى عالٍ جداً خشية منه أن تصبح مسقط، عند توسُّع الأعمال التجارية فيها، هدفاً لأطماع الإنكليز والبرتغاليين وبالتالي غزوها. ونتيجة لهذه السياسة، غادر معظم التجار البانيان مسقط وباشروا بإنشاء أعمال تجارية لهم إمّا في بندر كنج أو في بندر عباس. ومهما يكن فإن الحكومة العليا لم تعارض إجراء اختبار محدّد وبالتالي فقد خوّلوا المدير إرسال مبعوث إلى مسقط(٣٠).

ولقد جاءت هذه الخطة في الوقت الذي كان فيه الهولنديون يفكّرون في إمكانية توسيع رقعة نشاطاتهم في الخليج إلى أبعد من بندر عباس. وكانوا قد رأوا مدى أهمية «التجارة الدولية» بحراً من الهند، كما كانوا يبحثون عن وسائل للاستفادة منها. ونظراً لجودة سوق اللآلئ في أوروبا فقد رأوا أن يرسلوا بعثات إلى بندر كنج والبحرين. ولم تُذكر جلفار آنذاك(٣١). ولكن لم تنجح البعثات التي أرسلت إلى كنج كثيراً حيث إنهم لم يحصلوا إلا على كميات قليلة من نوع اللآلئ المطلوبة في السوق الأوروبية. وكذلك أرسل المدير في بندر عباس أحد البانيان في خدمة الشركة الهولندية إلى البحرين إلا أن هذه البعثة خسرت كثيراً(٣٢).

ولم يتابع الهولنديون هذه الطريقة بل إنهم سيطروا على مغاصات اللؤلؤ في سيلان. وبالتالي لم يكونوا بحاجة إلى شراء الكثير من لآلئ الخليج. وقد تم التخطيط لإرسال أوروبي إلى البحرين عندما تسنح الفرصة لذلك، إلا أن هذه الفرصة لم تتحقّق أبداً(٣٣). وقد اتخذ المزيد من الإجراءات فيما يتعلق بمسقط. وفي الواقع أنه تمّ في السنة التالية إرسال سفينة صغيرة تدعى ميركات من بندر عباس إلى ساحل عمان لاستكشاف الساحل ولعمل خريطة مفيدة، ومعرفة مدى المجالات المحتملة للتجارة(٣٤).

ولقد اقتربت السفينة ميركات من الساحل دون مواجهة أيّ خطر. وفي عام ١٦٦٦ بدأت رحلتها من المنارة البيضاء عند رأس الشيخ مسعود في شبه جزيرة مسندم واتجهت شرقاً عبر الساحل(٣٥). وسوف نورد هنا أجزاء من التقرير لبيان مدى

إخلاص ودقّة ڤوجل، قائد البعثة، في تحقيق مهمته بحيث كان يزور جميع المنافذ للتعرف على موانئ الصيد الصغيرة والقرى الزراعية، كما أن هذه الوثيقة تتضمن أول وصف تفصيلي لعدة مدن وقرى صغيرة في المنطقة. وكان خليج خصب أول خليج دخلوا فيه:

> خصب مدينة صغيرة فيها حصن صغير يرأسه قبطان ومعه حامية قوامها حوالي ثلاثين إلى أربعين جندياً. جدران الحصن من الحجارة المحشوة بالطين. وهو مربع الشكل يبلغ ارتفاعه خمس قامات وليس في الحصن مدفعية. وتقع خصب في وادٍ تكثر فيه أشجار النخيل، وتحت الحصن بعض البيوت أو الأكواخ الصغيرة المبنية على الطراز الهندي، بعضها من الحجارة والطين والبعض الآخر من سعف النخيل. ويبلغ ارتفاع معظم تلك البيوت من ثمانية إلى تسعة أقدام، ويبعد كل بيت عن الآخر مسافة حوالي عشرة رودات (Roeden) (الرود الواحد يساوي حوالي ٣ر٧ من المتر). وعددها كما يبدو من خمسين إلى ستين بيتاً تقريباً. وأما الريف الواقع خلف الوادي فهو صخري وجبلي وفيه قليل من الماعز، ونظراً لفقر السكان فيها ولجفاف الأرض فليس هناك ما يباع أو يُشترى. ومن الممكن الحصول على قليل من المؤن هناك كالماعز والدجاج، كذلك من الممكن الحصول على قليل من الماء ولكن على مسافة بعيدة. وعندما تنضج التمور، يقصد المكان كثير من سكان القرى الساحلية لقطفها. ويحدث هذا عادة بخلال شهر يونيو. ويمكثون فيها حتى سبتمبر. ويعودون بعدها يحملون كلّ ما قطفوه من تمور. ومعظم السكان صيادو أسماك لا يجدون ما يأكلونه غير السمك، ولذلك فهم يأكلون مع السمك التمور بدلاً من الخبز. وهناك خليج جيّد لرسو السفن. وفي الطرف الغربي منه رأس يدعى نقطة غبّي حيث هناك منارة بيضاء صغيرة في واد، وعلى الجانب الشرقي نهر يدعى نهر غبّي حيث كان البرتغاليون في السابق يرسون سفنهم*.

---

* ARA, VOC Vol. 1259, PP. 3367 - 3368.

ويصف التقرير أيضاً مكاناً صغيراً يقع على الجانب الغربي من شبه جزيرة مسندم يدعى كوبالجي (Cobalje) وهو غبّ علي ثم يصف كمزار (وفيها خمسون بيتاً للصيادين) ورأس مسندم وقرى صغيرة أخرى تدعى سيصة وقابل.

وعلى خليج ليما قريتان صغيرتان فيهما بعض أشجار النخيل. وهو خليج فيه قليل من الماعز على الأراضي الجافة وليس هناك مجال للتجارة. وإلى الجنوب من خليج ليما خليج آخر قربه قرية صغيرة تدعى ليما القديمة. ومن هناك رست السفينة بالقرب من دبا:

وفي دبا (التي لم نتمكن من دخولها بسبب العواصف وشدة التيار) حوالي ثلاثمائة منزل بُنيت من أغصان النخيل ... وكان فيها أيام البرتغاليين أربعة حصون ما زال أكبرها قائماً .. وهذا المكان يقع في وادٍ تكثر فيه أشجار النخيل تحتها آبار فيها مياه عذبة .. وعلى الجانب الشمالي نهر يعيش على ضفافه الصيادون ...*

ومن هناك توجهوا إلى لبدية وهي البديّة:

وفي البدية حوالي مئتي منزل بُنيت من أغصان النخيل. وهي تقع على الشاطئ على خط عرض ٢٥ درجة وعلى مسافة خمس دقائق. خلف المنازل يقع وادٍ جميل تكثر فيه أشجار التين وفيه أيضاً عدة آبار يقع أحدها على بعد طلقة مسدس من الشاطئ حيث المياه عذبة. وفي ذلك الوادي قليل من نباتات البطيخ والشمام. ولا يظهر خلف الوادي سوى الجبال الصخرية ولذلك فمن الممكن ممارسة القليل من التجارة. ومن الممكن الحصول على بعض مصادر المؤن هناك: الأبقار والماعز والدجاج والشمام والبطيخ والبصل، ولكن ليس بصورة منتظمة ودائمة. ولا يظهر في هذا المكان أي خليج ولكن فيه مرسى مفتوح يبلغ عمقه من عشر قامات إلى اثنتي عشرة قامة ويبعد حوالي ربع ميل عن الساحل ....**

* ARA, VOC Vol. 1259, P. 3371.

** ARA, VOC Vol. 1259, PP. 3371 - 3372.

ومن هناك وصلت السفينة «ميركات» إلى خورفكان:

تقع خورفكان على خليج صغير وفيها حوالي مئتي منزل صغير قرب الشاطئ وجميعها مبنية من سعف النخيل. وعلى الجانب الشمالي منها حصن برتغالي مثلث الشكل، من الممكن رؤية آثار الدمار فيه. وفي إحدى زوايا الساحل الجنوبي لخليج خورفكان حصن آخر يقع على تلّة، ولا يوجد في الحصن حامية وليس فيها مدفعية أيضاً. وهو في حالة من الدمار. وفي هذا المكان وادٍ جميل تكثر فيه أشجار النخيل وبعض أشجار التين كما ينبت فيه الشمام والبطيخ وشجر المرّ. وتحت الشجر عدة آبار تستخدمه للريّ. مياهها عذبة ومنعشة ولكنها أبعد من آبار البديّة. وعلى الطرف الجنوبي من الوادي الواقع بين الجبال هناك بعض أشجار البرتقال والليمون. وأما الريف الواقع خلف الوادي وحوله، فهو عبارة عن أرض جبلية وصخرية. ويعش الناس على محصولات الوادي وليس هناك مجال للتجارة فيه. ومن الممكن الحصول فيها على الفاكهة المذكورة أعلاه بالإضافة إلى بعض الأبقار الصغيرة والماعز والدجاج ولكن ليس بصورة دائمة ... وهنا ينتهي الشاطئ الرملي الذي يبدأ عند رأس دبا: وجنوب خورفكان هناك جبل صخري يصل إلى كلبا...(٣٦)

ويذكر التقرير الذي كتب عن هذه البعثة عدة أماكن بعد كلبا ولكن لا يرد فيه أيه تفصيلات عنها وهي:

Nabar نابار، Nabor نابور، Ammock عمق، Soar صحار السويق، وجزر السوادي Subye - Soobye وهي سبية، وبركا والسيب*.

وفي التقرير أخيراً وصف لمسقط وهي المدينة الوحيدة المهمة على الساحل:

مسقط مدينة يحيط بها سور من الحجارة، وعلى السور مدافع مصوّبة تجاه الخليج. والمدينة بحجم مدينة بندر عباس تقريباً بُنيت منازلها بنفس الطريقة. وفيها الكثير من الهنود الذين يقصدونها للتجارة. وهي على خط

* ARA, VOC Vol. 1259, PP. 3373 - 3379. (= Floor, First Contacts PP.304 - 306).

عرض ٢٣ درجة وعلى بعد ثماني عشرة دقيقة. وتقع المدينة على منحدر جبلي وفيها ثلاثة حصون قرب شاطئ البحر. فعلى الجانب الشرقي من المدينة حصن يُدعى موغوبلوان قائم على جبل من الممكن الوصول إليه بسلم منحوت في الجبل. وعلى الجانب الغربي من المدينة حصن «مسقط» يتصل به عند قاعدة الجبل قلعة فيها سلم حجري يؤدي إلى الحصن. وإلى الشمال وعلى بعد مسافة طلقة رصاصة من بندقية قديمة من حصن مسقط، وفي أسفل الجبل قلعتان تدعى إحداهما سانت أنطوني، وعلى الجبل من ثمانية إلى تسعة مراكز للمراقبة. ولا نرى خلف المدينة سوى الجبال الصخرية وفيها مجالات كثيرة للتجارة يمارسها المسلمون والبانيان والملاباريون الذين يستخدمون سفنهم كثيراً للنقل. ويتاجرون بجميع أنواع الأقمشة القطنية بالإضافة إلى الفلفل والقهوة والقرفة والزنجبيل والبريري والأرز وخشب الصندل والحديد والجلود غير المدبوغة .. ومن الممكن الحصول هناك على جميع أنواع المؤن الضرورية للمراكب. ولكن أسعار السلع مرتفعة جداً ما عدا السمك الذي يسهل صيده باستمرار ويباع بسعر معقول*.

وليس في التقرير ما يدعو إلى التفاؤل عن إمكانية ممارسة التجارة الهولندية في الساحل العربي إلا مسقط. فالتجارة محتملة في مسقط ولذا فقد تمّ التخطيط للبدء في العمل عام ١٦٧٠ وليس في ذلك تأخير كبير. ولعلّ أهداف هذا المشروع هي نفس الأهداف التي تدفع بالهولنديين لتوسيع نشاطاتهم خارج بندر عباس حيث أن تطوّر التجارة مع الفرس لا يكفي. وكذلك فقد نشأ نوع من الخلافات بينهم وبين الحكومة الفارسية(٣٧). وقد أبدى إمام عمان كلّ ودّ نحو الهولنديين عندما صادر العمانيون سفينة قادمة من الهند على متنها سفير سيام (وهو صديق للهولنديين) متّجهاً إلى الشاه.

وفيما تأجّل موضوع العلاقات التجارية الهولندية مع عمان، نشأت في الخليج عدّة صراعات. ففي عام ١٦٦٧ كان يبدو أن حرباً بين بلاد فارس وسورات على

* ARA, VOC Vol. 1259, PP. 3375 - 3376.

وشك الوقوع ويتعذّر تجنبها. فمنذ الغزو الإنكليزي الفارسي على هرمز ازداد نشاط التجار السوراتيين في مجال التجارة في الخليج. ويبدو أنهم يسيطرون على أكبر نسبة من التجارة الخارجية في الخليج وليس الأوروبيون وكانت سورات في ذلك الوقت إقليماً مستقلاً فعلياً ضمن إمبراطورية المغل. ولم تتورط سورات سياسياً مطلقاً في الخليج. وليس هناك ما يدعو إلى قيام حرب بينها وبين بلاد فارس. ولعلّ السبب الوحيد المحتمل هو تصرّف السلطات الفارسية العدائي ضد التجار السوراتيين. ولحسن الحظ لم تقم الحرب لتزامن ذلك مع موت شاه عباس الثاني في بلاد فارس، إذ أن سليمان، الشاه الجديد، كان أكثر ميلاً للسلام.

من ناحية أخرى شكا البرتغاليون من مدى تباطؤ الفرس في دفع حصتهم من الرسوم الجمركية في بندر كنج. وفي عام ١٦٦٨ ارتكب أسطول بحري برتغالي أعمال عنف ضد العرب من سكان بندر كنج كما ضايقوا الشاهبندر في تلك المدينة. وكان من المتوقع أن يقوم الأسطول البرتغالي بالمحاولة ثانية للسيطرة على مدينة مسقط ولكن لم يحدث أي عمل خطير ضد عمان(٣٨). وفي عام ١٦٦٩ ظهر في الأفق أسطول برتغالي جديد تمكّن بعدها من إلحاق الهزيمة بالسفن العمانية فقط دون الحصول على شيء آخر. وفي السنة التالية عاود البرتغاليون تظاهرهم التافه(٣٩). وكذلك كان الأمر بالنسبة للإنكليز الذين خطّطوا للعمل. ونظراً لتمكّنهم من إنشاء قاعدة ثابتة لهم في بومباي بالمنطقة، فإنهم شعروا بقوة تدفعهم للمبادرة بالعمل. وقد وجّهوا أوامرهم بأن تهاجم قوة إنكليزية بندر عباس حالما يصبح حصن بومباي جاهزاً، وذلك لعرض قوّتهم ومساندة مطالبهم لكي تسدّد بلاد فارس حصّة الإنكليز المتأخرة من الرسوم هناك(٤٠).

وفي عام ١٦٧٠، اتّخذ الهولنديون أخيراً خطوات محدودة لإقامة علاقات مع عمان. وكان عمر، والي مسقط، قد ساهم في دفع المصالح الهولندية. وقد توجّه تاجر هولندي خاص إلى مخا، محاولاً دخول مسقط للتجارة وقد استقبله الوالي استقبالاً وديّاً. وتمكّن من تحقيق أرباح وفيرة في عمان(٤١). وفي عام ١٦٧١ بعث ذلك التاجر الخاص بسفن أخرى. وقد لاحظ الهولنديون وجود سفينة إنكليزية في ميناء مسقط

إلا أنهم لم يخشوا من منافسة الإنكليز لهم فالعمانيون كانوا يكرهون الإنكليز بسبب زواج الملك شارلز الثاني بامرأة من البرتغال. ومرّة أخرى أبدى الوالي مشاعر الودّ وكذلك وكيل مسقط الشيخ عبد الله سليمان (أو عبد السليمان) وهو الممثل المالي للإمام، ونائبه حاجي خليل. وحاجي خليل هذا من أب تركي وأم بحرينية جاء إلى مسقط قادماً من البصرة. وقد اتّهمه الهولنديون بعد ذلك بالتجسّس لصالح العثمانيين(٤٢). وكان الوكيل قد وضع في خدمة الهولنديين جنوداً عمانيين لمساعدتهم في الحرب ضد البرتغاليين. ولكن الهولنديين رفضوا ذلك أنهم كانوا آنذاك في حالة سلم مع البرتغاليين. ولقد أبدى الإمام رغبته في إرسال سفير إلى بتافيا، إلا أن التجار المستقلّين لم يستجيبوا لذلك لأنهم أدركوا أن حكومة بتافيا العليا لا ترغب بوجود مراقبين أغراب في مدينتهم(٤٣).

وبعد أن أبدى العمانيون مجدّداً حسن نواياهم وصداقتهم عندما أطلقوا سراح سفينة تحمل ترخيصاً هولندياً كانوا قد استولوا عليها لانتمائها إلى أعداء الهولنديين في الهند، أمرت الحكومة العليا فان جوينز حاكم سيلان الهولندي بالتفاوض لإبرام تحالف عسكري مع عمان(٤٤).

البعثة الهولندية وملاحظاتها عن أحوال دولة عمان في عام١٦٧٢:

بعث فان جوينز حاكم سيلان فوراً بأحد رجاله ويُدعى بادتبرج برفقة هاركز الذي كان قد شارك في البعثة الأولى الخاصة. وكان على بادتبرج أن يكرّس هدفه حالياً في الحصول على اتفاقية تجارية. ولكن في حال اندلاع الحرب ثانية مع البرتغاليين فإنه قد خُوّل عندئذ بإقامة تحالف عسكري مع الإمام. أما فيما يتعلق بتفصيلات مهمته، فعليه الرجوع إلى المدير الهولندي في بندر عباس. ولقد توقفت سفينة بادتبرج المتجهة إلى بندر عباس فجأة في مسقط حيث أجرى بادتبرج بعض المفاوضات الأولية مع الوكيل الشيخ عبد الله. وكان قد دعاه الإمام «الكبير» وابنه الإمام «الشاب» لزيارة نزوى. ولقد فسر فلور وجود إمامين معاً آنذاك بسبب مرض الإمام سلطان بن سيف بن مالك، ولذلك كان ابنه أبو العرب يدير بعضاً من شؤون

البلاد لفترة محدّدة. ولم يتوصل بادتبرج خلال هذه الزيارة إلى شيء محدّد بسبب ضرورة استشارة السلطات الهولندية المسؤولة في بندر عباس أولاً(٤٥).

ولدى وصول بادتبرج إلى بندر عباس، أكّد القنصل السياسي الهولندي على خطة إرسال بعثة إلى مسقط. وتتضمن الإرشادات التي وصفها القنصل السياسي لهذه البعثة على الكثير من الاعتبارات الموحية لحوافز السياسة الهولندية(٤٦). وكانت البعثة كبيرة. فقد توجّه جورج ويلسون، الذي لديه خبرة كبيرة مع العرب، مع بادتبرج، وكان يتقن الفارسية، كما كان سينصّب رئيساً للمؤسسة الهولندية في مسقط، ومعه أيضاً هاركز سكرتير القنصل في بندر عباس، بالإضافة إلى مبعوث أُرسل للتدرب على التفاوض مع العرب. ولقد توقّع القنصل بأن لا يهتم الإمام كثيراً في الوصول إلى اتفاقية تجارية مع الهولنديين، إذ كان كل ما يريده المساندة فقط ضد البرتغاليين. وكانت تساور القنصل الشكوك حول التجارة في مسقط حيث أنها سوف تقلّل من أهمية بندر عباس التجارية، ولكن يكون هذا مهماً فقط في حال تفجُّر العلاقات بين الهولنديين والفرس. ونظراً لإمكانية تفجير العلاقات مع بلاد فارس دائماً، فقد استمروا في المشروع. وتتضمن مثل هذه الاعتبارات البسيطة عدّة حقائق هامة تقضي بإعادة تصدير جزء كبير من البضائع المستوردة من الشرق إلى بندر عباس ثم منها إلى شبه الجزيرة العربية، وفيما عدا ذلك لن تتمكن مسقط من تدمير بندر عباس.

ولقد تلقى بادتبرج تعليمات تأمره بالتوصل إلى أفضل ما يمكنه في هذه الاتفاقية التجارية على أن تقوم على نفس الأسس التي قامت عليها الاتفاقية التجارية بين الهولنديين وبلاد الفرس (وهي الإعفاء من الرسوم الجمركية مقابل التعويض). ومن الناحية العسكرية أمر بإتمام البعثة بسرّية وحذر كما أنه كان عليه تحرّي قدرات عمان العسكرية ومدى أهميتها كحليف ضد البرتغاليين. وفي حال إلحاح الإمام على إرسال سفير إلى بتافيا، فسوف يوافق على ذلك شرط انتقال ذلك السفير في سفينة هولندية. وترتبط أهمية هذا الامتياز بأنه يشير إلى الأهمية المعلقة آنذاك على العلاقات بينهم وبين عمان.

وفي السادس من يونيو عام ١٦٧٢ غادرت البعثة بندر عباس ووصلت إلى مسقط

بعد خمسة أيام.

وقد أجرى بادتبرج وويلسون مفاوضات مع وكيل مسقط الذي كان رئيساً للجمارك وممثل الإمام في الشؤون الاقتصادية، بينما يمثّل والي مسقط السلطة المدنية والعسكرية في المدينة. وحسب ما جاءه من تعليمات، فقد شرح ويلمسون للوكيل هدف البعثة. وكان ردّ الوكيل شبيهاً برده في السنة السابقة بأنه على استعداد لضم قواته إلى قوات الهولنديين بهدف تدمير البرتغاليين. إلا أن ويلمسون بيّن له صعوبة الأمر آنذاك نظراً للسلام القائم بين الهولنديين والبرتغاليين، وأن الشركة على استعداد للتعاون مع عمان ثانية حالما ينقض ذلك السلام، وأن حكومة بتافيا العليا قد منحت الشركة في بندر عباس السلطة للتفاوض مع عمان حول هذه المسألة(٤٧). ولكن كانت فرصة تحوّل موقف الهولنديين من البرتغاليين في الواقع ضعيفة إذ أن الحرب بين الهولنديين من جهة وفرنسا وإنكلترا من جهة أخرى كانت على وشك أن تبدأ وبالتالي فقد أدرك الهولنديون أن حرباً جديدة مع البرتغال سوف تؤدي إلى تعقّد موقفهم ووضعهم في آسيا وهم لا يرغبون في ذلك. وخلال مقابلتهم للإمام لم يقدّم الهولنديون المزيد. وبالتالي فقد فترت مشاعر العمانيين وكانوا قد عقدوا الأمل على تلقّي المساعدة ضد البرتغاليين من المبعوث الهولندي. ويبدو أن البرتغاليين كانوا آنذاك يستعدون للقيام بهجوم مضاد ضد عمان، أو القيام بعرض قواهم البحرية في الخليج لإجبار الفرس على تسديد الرسوم الجمركية في كنج(٤٨). وبعد ذلك ونتيجة لفشل الهجوم العماني على المؤسسات البرتغالية في الهند، أعلن البرتغاليون الحرب رسمياً، وهنا تحسّنت ثانية العلاقات بين العمانيين والهولنديين، ولكن بصورة مؤقتة(٤٩).

ثم إنّ بادتبرج، رئيس المفاوضات، عاد إلى بندر عباس بعد أن وضع ويلمسون رئيساً للوكالة الهولندية. ولقد حمّله الإمام رسالة ودية إلى رؤسائه من قبيل الرسميات فقط حيث أن الطرفين لم يرضيا في الواقع بتلك النتيجة. ومن ناحية أخرى فإنّ بقاء ويلمسون في عمان لم يكن مستساغاً كثيراً. فقد حاول الحصول على اتفاقية تجارية بناء على رغبة القنصل الهولندي في بندر عباس، إلا أنه تلقى ردوداً غامضة. ولم تسر التجارة سيراً حسناً. وقد واجه ويلمسون أيضاً عدة منازعات مع السلطات

المحلية حول الرسوم الجمركية. وفي عام ١٦٧٤ غادر عمان تاركاً مكانه نائبه ريتسرت ليرأس الوكالة الهولندية.

وحيث أننا قد توصلنا إلى هذه النقطة في حديثنا، فإنه من الضروري إمعان النظر في شؤون عمان الداخلية وخاصة أنها أقدم بناء للدولة العربية في الخليج. ويعود الفضل في معرفة ذلك إلى التقارير التي كتبها ويلمسون وبادتبرج ويمكننا أيضاً إضافتها كمصدر للأحداث التاريخية في عمان. وهي تقارير أولية عن كيفية تأدية تلك الدولة القبلية الكبيرة مهامها الدولية(٥٠).

لم يكن أسلوب تقرير ويلمسون إيجابياً. فقد كان عليه أن يبرّر لرؤسائه الأسباب التي دفعته للاستسلام بسرعة وكذلك أن يبين أسباب عدم حصوله على أرباح وفيرة. ومن الواضح أنه قد حاول إلصاق أخطائه بالآخرين. وعلى الرغم من أنه يوضح في تقريره المضايقات التي تعرّض لها من العمانيين، إلاّ أن هذا التقرير يعتبر مصدراً قيّماً يحتوي على معلومات عن الحالة العامة في عمان خلال حكم الإمام سلطان بن سيف. ومن المهم مقارنة هذا التقرير بتقرير بادتبرج عن بعثته، حيث أن بادتبرج يقدّر نوعاً ما أساليب الحياة العربية وأفضل ما يذكر في ملاحظاته حديثه عن العرب «أنهم تبدو عليهم الخشونة ظاهرياً ولكنهم في الداخل ذوو أخلاق وتصرفات مصقولة». ويتحدث أيضاً بطريقة لطيفة عن مجتمع تسيطر عليه الصفات الشخصية التي تبدو أهم من الصفات المكتسبة عند الولادة. والصورة التي رسمها بكلماته عن الإمام سلطان بن سيف هامة جداً لأنها أقدم صورة مفصلة عن حاكم عربي في تلك المنطقة:

«يتّحد الجميع في طريقة لباسهم. وعندما نصف الإمام الكبير فكأننا نصف أيضاً جندياً عادياً أو راكب جمال، أو فلاحاً. وعندما استقبلنا الإمام بحضور الجمهور، كان يضع على رأسه عمامة صنعت من القطن الخالص، يبلغ طول الجزء الخلفي منها حوالي ثلاثة أرباع الذراع. ولم تكن هذه العمامة عادية لأنه كان يضع على رأسه تحتها قلنسوة صنعت من خيوط الذهب فيما كانت قُبّعات الآخرين بسيطة ومصنوعة من القطن. ويضع الإمام سيفه إلى

جانبه، ولكنه يحمله عادة في حزام عريض على كتفه الأيسر .... ولا تختلف سترة سموّه عن سترات الأشخاص العاديين. فهي مصنوعة من الصوف ومقلّمة بالطول بأقلام بيضاء عرض الكف وتتعلّق على كتفيه كأنها غطاء أو عباءة أو كأنها معطف قائد السفينة، وهي دون أكمام. وكان يرتدي تحتها ثلاث عباءات أخرى وبعض القمصان المصنوعة من القطن، أحدها ذو أكمام واسعة تصل إلى رسغ قدميه. وكان يتمنطق بحزام يضع فيه خنجره وقد نسج عرضاً بخيوط الذهب. وكان حذاؤه أصفر اللون على الطراز الفارسي .... والإمام متوسط القامة داكن البشرة. وتتجه حدقتا عينيه إلى الوسط مما يجعله يغمض عينيه نصف إغماضة عند النظر. وكثير من العرب يفعلون ذلك، وقد يكون السبب في هذا شدّة الحرارة وارتفاعها فوق العادي. ويتّسم الإمام أيضاً بمظهر جيّد وأنف معقوف وهي من الصفات الشائعة لدى العرب، وذلك لأننا رأينا العديد منهم بهذه الصفات .... »*.

وتعليقات بادتبرج أيضاً حول العادات الاجتماعية والسياسية الخاصّة بالعمانيين هامّة جداً إذ يقول:

«يتّصف عرب عمان بالتهذيب والود والكرم والنخوة في تعاملهم مع بعضهم البعض ومع الغرباء أيضاً. وتصرفاتهم في غاية النزاهة إلى درجة مبالغ بها. ولا يؤخذ أي قرار مباشرة قبل عرضه على الجميع وهذا يعود إلى تمكّن الجميع من حضور المجلس العام .... »**.

ولا تُعنى التقارير الهولندية، خلافاً للمصادر العمانية، بالتفاصيل المتعلقة بالتقسيمات القبلية في عمان، ولكنها تعطي نظرة واضحة عن الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي فيها. ويبدو أن عمان واجهتها في هذا الوقت بعض الاضطرابات. ونظراً لتحسن العلاقات بين البرتغاليين من جهة والهولنديين والإنكليز من جهة أخرى، فقد أصبح بإمكان البرتغاليين استخدام قوّاتهم وقدراتهم العسكرية

* ARA, VOC Vol. 1288, Fol. 441v - 442.

** ARA, VOC Vol. 1288, Fol. 441v - 442.

في مجالات أخرى. ولهذا أصبح الهجوم البرتغالي على عمان وشيك الحدوث. وقبل وصول ويلمسون إلى مسقط بقليل، كان البرتغاليون قد أجروا مناورة عسكرية بحرية مقابل المدينة(٥١). ولم تتحدّد مشاكل عمان بالتطورات غير المرضية في نزاعهم مع البرتغاليين. إذ ذكر ويلمسون في تقريره عن وقوع بعض التوترات الداخلية الأخرى.

وقد تأثر ويلمسون في وجهة نظره عن الأوضاع في عمان بنفوذ المعارضة القائمة ضد الإمام الكبير سلطان بن سيف. وعند التمعّن في التقرير يتبيّن لنا أن تلك المعارضة كانت تضم بعضاً من قادة القبائل ومن جماعة التجار أنصار الإمام الشاب أبو العرب الذي كان قد أُبعد ثانية عن الحكم بل نُفي بعد أن تماثل والده للشفاء. وفي تقريره بعض الأصداء الواضحة لتذمرات وشكاوى قادة القبائل والتجار من ثقل الضرائب. وسوف نورد أولاً النص الأساسي لهذا التقرير، وبعد ذلك سوف نحاول تحليل تلك الرواية تاريخياً:

«خضع الحكم في عمان خلال مدة طويلة إلى الأئمة المنتخبين من رؤساء كبار العائلات. وكان يخلفهم أحياناً أفراد من عائلاتهم ولكن كان العمانيون في حال عدم رضاهم عن أحد الأئمة يتّحدون معاً ويقتلون الإمام ومعظم أفراد عائلته. وقلّما ينجو أحد منهم. وتبقى البلاد بعد ذلك ولفترة طويلة دون حاكم. كما كان هناك أكثر من سبعين شيخاً يحكم كل منهم عائلته أو مدينته أو قريته. وكان القويّ يسيطر على الضعيف ويقوم بأعمال سلب وغزو. وأخيراً اقترحت بعض العائلات تنصيب الإمام راشد بن مرشد عليهم (وهو ناصر بن مرشد الخروصي). وهو شخص دائم الصلاة في مسجد نزوى ويتصف بالورع والنزاهة والإخلاص. وبعد أن تمّ تثبيته كإمام، وسيطر على المكان الرئيسي في بلده، كان يحكم الجزء الذي يقع تحت سيطرته ويحميه بجميع الطرق والأساليب السلمية والحسنة بصورة استثنائية. وكان يقصده الكثير من الناس من مناطق أخرى وبالتالي كانت سلطته وسيطرته في ازدياد مستمر. وقد راقه أن يوسّع سلطته وبالتالي قدّم بياناً يصف فيه أسلوبه في

الحكم وكيف كان يؤمّن الحماية لشعبه. وقد وزّع هذا البيان في جميع أرجاء بلاده داعياً الجميع للانضمام تحت حكمه. ولقد استجابت عدة عشائر لندائه وانضمّت تحت لوائه. وقد اكتسب من ذلك قوّة كافية لإلزام باقي القادة للخضوع له وتمكّن من بسط سيطرته على البلاد بأكملها تقريباً بحيث لم يبق أحد ضده سوى البرتغاليين وحلفائهم الذين سيطروا على جهة البحر. وكان يهاجمهم من حين لآخر إلاّ أنه مرض وأحسّ بدنو أجله.

وبما أنه لم يكن لديه وريث من الذكور ترك الحكم للإمام الحقيقي سلطان بن سيف الذي كان في خدمته مدة معينة كحاكم وكقائد وكان يتصف بسمات الرجولة وحسن الرئاسة والحكم. وقبل بضع ساعات من وفاته وبحضور رجال الدين وبعض الأعيان عيّنه حاكماً مكانه. ولكن الإمام الجديد، كسلفه، واجه في البداية الكثير من المصاعب وذلك لعدم اقتناع العديد من العشائر تماماً بانتخابه ولم يستسيغوا صرامته وقسوته فشنّوا حرباً ضدّه. إلا أنه تمكّن من إخضاعهم تحت سيطرته، بعضهم بالمخادعة والحيلة والبعض الآخر بإغداق الهدايا والهبات عليهم، وبعضهم بالقوة. وقد اعتقل بعض الرؤساء لخوضهم في المشاكل وأودعوا السجن وكانوا أحياناً يُقتلون سرّاً وأحياناً أخرى يُعدمون علناً. وبهذه الطريقة استقرّ الأمن والسلام في الداخل. وما لبث أن ظهر البرتغاليون في وجهه إذ احتلوا الموانئ البحرية الرئيسية في بلاده وكانوا يتآمرون مع رجال المعارضة. وعندما أدرك الإمام أن السلام بعيد عنه طالما استمرت سيطرة البرتغاليين على الحصون في البلاد، سخّر جميع قواته لمطارتهم وتمكّن أولاً، وفي الوقت المناسب، من فرض سيطرته على الأماكن الساحلية الصغيرة والتي كان قد وجد بعضها دون حماية. وبعد ذلك هاجم مسقط. وكانت المدينة آنذاك غير مزوّدة بالذخيرة تبعاً لنصيحة أحد البنيان. وبناءً عليه تمكّن الإمام من الانقضاض والسيطرة عليه دون أن يواجه الكثير من المشاكل ...

«وعلى الرغم من أن الإمام كحاكم أعلى كان قد حصل على مركزه

بالانتخاب أصبح الآن وكأنه ملك بسبب سيطرته على جميع الأماكن المحصنة. وكان يستتر في أعماله تحت غطاء من المهابة وقد علّل ذلك بأنها لمصلحة بلاده. وقد شعر العديد من أهالي بلاده بالاستياء إزاء طمعه وجشعه. ولكن لم يجرؤ أحد على معارضته لأنه لا قوة لهم ولا قادة يرشدونهم. ومعظم الناس يطيعونه إلزاماً وخشيةً وليس حباً له، لأن قدمه فوق رقابهم. ويأتي وقت يتمرّد فيه الشعب ويثور عندما يظهر فيهم القائد المناسب الذي يتّسم بالقوة والسلطة ولكن يخضع الآن جميع المسؤولين للإمام. ويحكم كل مدينة أو منطقة والٍ كما يعيّن إلى جانبه قاضٍ. وتنحصر مهمة الأول القيام بالعدل تحت اسم الإمام وجمع الضرائب ودفع ما يلزم منها للجيش وإرسال الباقي إلى بيت المال حيث تكون السلطة فيه للإمام فقط. ويستخدم الإمام الأموال بكل أمانة حيث أنه لا يأخذ فلساً لنفسه بل ينفق ما يلزم لمصلحة بلاده وهو مبلغ يتفق عليه الجميع (المبلغ صغير جداً لا يجسرون على ذكره لأنه قد يبدو غير صحيح). وتنحصر مهمة القاضي في تطبيق الأحكام والعدل حسب الشريعة دون الأخذ بعين الاعتبار مكانة الأفراد أو التغاضي عن أية جريمة مهما كانت ....»*.

ولعلّ أهم المسائل التي تلفت انتباهنا في هذا النص هي التلميح إلى نوع من التوتّر في الداخل والاختلاف في ممارسة الحكم في الدولة من قبل الإمامين معاً. إذ يبدو ناصر بن مرشد وكأنه ملك دستوري نوعاً ما جمع بين أقسام دولته بتقديم عرض مكتوب يشرح أسلوب حكمه. وفي الواقع أنّ عمان التي أسسها لم تكن أكثر من اتحاد قبلي قد يميل أفراده إلى الانتماء لمجموعة معيّنة ولكنهم غير مستعدين للتخلّي عن استقلالهم دون شروط. وما لبثت أن بدت صعوبة معينة فيما يتعلق بالخلافة على الإمامة كما كان قد حدث فيما بعد في عدة مناسبات في عمان. ورغم أنه كان لناصر بن مرشد أبناء فقد عيّن قائده العسكري سلطان بن سيف خلفاً له. وهذه الخلافة للأفضل تنطبق تماماً مع قواعد وقوانين جماعة الإباضية وتتناقض بشدّة مع

* ARA, VOC Vol. 1304, 484v.

مصالح العائلات التي تظهر فيما بعد ضد الأئمة الآخرين.

ويبيّن الجزء الوارد أعلاه من تقرير ويلمسون أنه بدلاً من أن يتفاوض الإمام الجديد مجدّداً مع قادة القبائل لتوحيدهم جميعاً تحت حكمه، عمد إلى القوة وذلك لأن العديد من قادة القبائل كانوا يكنّون له العداء وصار من الصعب تثبيت سلطته عن طريق المفاوضات. ولقد تمكّن من ضبط القبائل بقتل أو سجن بعض أعدائه. وكان على سلطان بن سيف أن يستمر بالطريقة التي بدأها. ولكي يعزّز سلطته ويثبتها، أسس نظاماً بيروقراطياً قوياً بمساندة السلطة العسكرية مبعداً جميع قادة القبائل عن إدارة البلاد وعن الحكم. وقد أسس جيشاً قوياً قيل أن عدده قد بلغ خمسة عشر ألف رجل. ولكن حاميات الحصون كانت أقلّ مما كانت عليه أيام البرتغاليين(٥٢). ولا يذكر ويلمسون ما يتعلق بالاضطرابات التي واجهها ناصر بن مرشد مع قبائل شمال غرب عمان في الأربعينات من القرن السابع عشر (وهي المشار إليها في المخطوطة العمانية). ويبدو أن هذه الاضطرابات قد سبقت النزاع القائم بين الحزبين الهناوي والغافري ولكن ليس هناك ما يشير إلى قيام مثل هذه الاضطرابات خلال حكم سلطان بن سيف. ويبيّن ويلمسون أن الأراضي العمانية قد امتدت إلى موقع يبعد مسافة بضعة أيام نحو الغرب من جلفار (إشارة إلى موقع في منطقة أبوظبي). ومن هنا يبدو أن المنطقة الغربية، حيث انطلقت معارضة آل قطن أيام إمامة ناصر بن مرشد، هي الآن تحت سلطة الإمام(٥٣). ولم يسلم إبعاد قادة القبائل عن الحكم من المخاطر. فقد اعتمد الاستقرار كلياً على الطريقة التي عمد إليها الإمام لدفع أجور الجيش من أجل ضمان ولائهم نحوه. وخلال فترة حكم سلطان بن سيف لم يكن الأمر صعباً بسبب التوسع الاقتصادي الكبير. ثم إن سلطان بن سيف قد تمكّن أيضاً من سداد تلك الرواتب نتيجة مكاسب الغزوات التي قام بها. ولكي يضمن المعاقل الأساسية في بلاده، عيّن اثنين من أبنائه حاكمين على مدينتين رئيسيتين هما بهلا والرستاق. وقد كان هذا الإجراء محفوفاً بالمخاطر أيضاً إذ قد يؤدي إلى نشأة حرب بين الابنين بعد موته(٥٤).

ولكن ما زالت مسقط منعزلة عن باقي عمان. وكان يحكمها والٍ ووكيل يدير

شؤون الداخل الناتج عن التجارة. ولم يمارس السكان المحليون التجارة بل جماعة البانيان والمسلمون الهنود. وفي عام ١٦٧٥ نشب نزاع بين الإمام وابنه الأكبر (أبو العرب حاكم الرستاق) لعدم موافقة الإمام على منح ابنه أدنى نفوذ على التجارة الخارجية. ولقد غضب ابنه للحماية التي قدمها الوالد للوكيل عبد الله الذي كان يظلم التجار الأغراب ويضطهدهم. ومن المهم جداً أن نلاحظ في المخطوطة العمانية وصف حكم «أبو العرب» عندما أصبح إماماً ومدى الثناء على تصرّف ذلك الإمام تجاه التجار(٥٥). وكانت عمان تعتمد في حاجتها للقمح على بلاد فارس، وفي حاجتها للأرز على ساحل كنارا في الهند. أما السكر فقد كان يتمّ إنتاجه في المناطق المحيطة بنزوى وفي عدة أماكن أخرى. ويعتبر السكر والتمور الإنتاج الوحيد للأرض. وكانت تتركز زراعة قصب السكر في نزوى حيث وجدت هناك فقط مصانع للتكرير تحت سيطرة الإمام. ويحصل الإمام على ثلاثة أرباع الحصص الواردة من كلا المصنعين. أما الربع الأخير من كل مصنع فيعود إلى أحد التجار المحليين. وكان يباع معظم إنتاج السكر في بلاد فارس. ويصدّر بعضه إلى البحرين والحسا والبصرة ومخا(٥٦).

ولقد أصبح ميناء مسقط فعلاً محور التجارة عبر الساحل الغربي للمحيط الهندي. وتجمّعت هناك المنتجات المحمّلة من اليمن ومن شرق أفريقيا وكانت ترسل بعدها إلى الحسا والبحرين وقطر والبصرة. ولم تمنع صادرات السكر والكميات الكبيرة من التمور من أن يصبح الميزان التجاري في عمان سلبياً. ولكن كان يتمّ التعويض عن ذلك النقص وتلك السلبية من عائدات التجارة العابرة(٥٧). ومن الممكن أن نتفهم السياسة العدوانية التي اتبعتها عمان ضد البرتغال وضد الدول الهندية من خلال حاجة الإمام الماسّة للمال لتسديد مستحقات الجنود والموظفين الذين كان يحتاجهم لجمع أجزاء دولته تحت لوائه. وتبدو مسقط في هذا الوقت المدينة التجارية المهمة الوحيدة في المنطقة، ومن الممكن استثناء جلفار. ولا يتكرر اسم جلفار كثيراً ولكن تشير بعض الوثائق الهولندية إلى أنها كانت مركزاً تجارياً مهماً أيام دولة اليعاربة(٥٨).

وكان يلزم عمان لتحقيق استقرارها وثباتها أن تنجح في الحرب. وقد حظيت عمان خلال فترة حكم سلطان بن سيف بهذا رغم وضوح بعض المشاكل في المسائل العسكرية. ويوضّح ويلمسون في شرحه أن الإمام تمكن بصعوبة من أن يحافظ على قوّته العسكرية حيث أن التجارة والجنود لم يتلقوا أجورهم كما يجب. ولذلك ضعف حماس السكان للخدمة في الجيش أو البحرية. ويشرح ويلمسون بالتفصيل النشاطات العسكرية العمانية خلال فترة وجوده في مسقط. فقد أجبرت حكومة الإمام، رداً على العرض البحري البرتغالي الذي حدث مقابل عمان عام ١٦٧٤، السفن التجارية العمانية للانخراط في الخدمة العسكرية. ولكن لم يحدث أي نشاط. وقد استنتج ويلمسون أن قلّة عدد البحارة والجنود قد منع العمانيين من اتخاذ المبادرة. وقد وصف قوة عمان البحرية بأنها تتكوّن من خمس عشرة أو ست عشرة وحدة تتضمن ثلاث أو أربع سفن شراعية كبيرة مربّعة أو سفينتين شراعيتين مربّعتين صغيرتين، وتسع أو عشر سفن صغيرة. ولقد بلغ مجمل السلاح الذي تزوّدت به جميع تلك السفن من تسعين إلى خمسة وتسعين مدفعاً ومعظمها من العيارات الخفيفة والتي لم تكن ذات أهمية. ولم يكن لدي العمانيين طاقم دائم من الملاحين للعمل على هذه السفن. إلاّ أنهم كانوا يستدعون الملاحين من مراكب الصيد، كما كانوا يستدعون الحمّالين والجميع عند الحاجة. وكان يبلغ أجر كلّ من الملاحين والبّحارة من تسعة إلى اثني عشر لارين شهرياً (اللارين هو قطعة من العملة الفضية تساوي قيمتها ستة أعشار من الجيلدر الهولندي وأصلها من لار). وقد واجه العمانيون آنذاك صعوبات كبيرة في العمالة. وفيما كان لدى العمانيين عشرون سفينة كان لدى البرتغاليين خمس سفن فقط، ولكن فيما بعد استولى البرتغاليون على ثلاث سفن عمانية في حملتهم الأخيرة على موزمبيق. وبعد ذلك قام العمانيون بحملة ضد كتش (Cutch) على ساحل الهند، ولم تكن أكثر من غزوة سلب حسب رأي ويلمسون. وكان التدريب والنظام في الجانب العسكري العماني ضعيفاً، إذ لم يكن لدى المحاربين القدرة على استخدام المدفعية وكانوا يعتمدون بالتالي على العبيد السود البرتغاليين المأسورين لدى العمانيين. ولم يتقن العبيد السود الرماية بالبنادق. وكان رأي

ويلمسون بهذا أن العمانيين كحلفاء، اتكاليون أكثر من مساندين وذلك في حالة وقوع حرب بين البرتغاليين والهولنديين. وقد حاول العمانيون استخدام النجّارين والحدّادين الهولنديين، إلاّ أنهم أوقفوا محاولاتهم عندما علموا بتدنّي أجور الشركة لهم. وقد أبدوا رغبتهم بشراء عدة بنادق سيلانية من الهولنديين ولكنهم علموا بأن الإنتاج قليل وبدلاً عن ذلك تلقّوا بعض بنادق سيلانية مزخرفة وجميلة كهدية(٥٩).

وقد طلب العمانيون استعارة بعض السفن من الهولنديين لاستخدامها في إحدى حملاتهم ولكن الهولنديين رفضوا ذلك لأن هولندا كانت تخوض حرباً مع إنكلترا وفرنسا في ذلك الوقت. وكان ويلمسون في مسقط عندما بدأت الحملة ضد الهند. وقد استخدم الإمام بعض البحّارة من إقليم السند (لم يستخدم البرتغاليون والعمانيون سكان السند كجنود مطلقاً، ولكنهم كانوا يستخدمونهم كبحارة). وقد بلغ عدد الذين كانوا على متن الأسطول البحري حوالي ١٧٠٠ ـ ١٨٠٠ رجل. وقد بدأت الحملة بهدف غزو القرى البرتغالية في منطقة الباسين(٦٠). واستخدم العمانيون بعض الجنود البلوش كما فعل البرتغاليون قبلهم. هؤلاء البلوش وصلوا إلى عمان بعد استخدام الفرس العنف ضدهم(٦١).

وخلال الحرب الفارسية، كما دعاها ويلمسون، شاهد الهولنديون عائلات بأكملها تأتي إلى عمان في قوارب صغيرة من ساحل بلوخستان. (الحرب الفارسية وقعت بين عمان وبلاد فارس وليس لدينا الكثير عنها ويبدو أنها قد حدثت حوالي عام ١٦٧٠)(٦٢).

ويعتبر البلوش جنوداً وبحارة أقوياء كان يستخدمهم العمانيون في حملاتهم إلى هندوستان ومخا وأفريقيا مقابل أجور شهرية مقدارها من ١٠ – ١٨ لارين. ولعلّ ما يشير إليه ويلمسون عن الحملات العمانية على شرق أفريقيا، يؤيد ما افترضه ريسو بأن هجرة العمانيين إلى منطقة ممباسا وبات قد بدأت أواخر القرن السابع عشر(٦٣).

ولم يوافق ويلمسون على رأي أحد أعضاء هيئة المسؤولين الهولنديين في بندر عباس بعدم ممانعة العمانيين في منح الهولنديين أحد حصون مسقط. وقد كان تبرير ويلمسون لذلك بأن العمانيين قد تكلّفوا كثيراً في الحصول على الحصون ولن يتخلّوا

عنها أبداً. وبالإضافة إلى ذلك فإن أعداء هولندا في الهند قد وصفوا الهولنديين لمشاركتهم العمانيين في التجارة بأنهم أسوأ مضطهدين(٦٤).

وكان قصد ويلمسون بتقريره هذا التنويه لرؤسائه بعدم ممارسة التجارة في عمان. وكان على حق إلى حد ما لعدم وجود مكان حقيقي للهولنديين في إطار النظام الاقتصادي هناك. فالتجار المحليون لم يكونوا بحاجة إلى المنتجات الهولندية، وكان بإمكان عمان أن تزوّد نفسها بالمنتجات من أنحاء أخرى في آسيا ولذلك لم تعر أي اهتمام للهولنديين. ولقد تمكّنت عمان من بناء وتطوير تجارتها الدولية الخاصة بها. وخلال تقريره يعرض ويلمسون بعض الأرقام عن تحركات الملاحة والتجارة فيها. وعلى الرغم من نقاط الضعف أصبحت عمان قوة إقليمية مهمة ذات روابط اقتصادية قوية مع الهند وشرق أفريقيا. وكان البرتغاليون، ومن حين لآخر الفرس، يهتمون بالسيطرة على مسقط ذلك الموقع الاستراتيجي والاقتصادي. ولم يهتم الهولنديون بهذا. وكان العمانيون آنذاك قد سدّوا جزءاً من الفراغ الموجود في حياة العرب الاقتصادية بعد سقوط هرمز. إلاّ أن الهولنديين لم يبدوا أبداً اهتماماً كبيراً بالاشتراك في تجارة الخليج المحلية. ورغم محاولتهم القيام ببعض المشاريع الأخرى، فقد أدرك الهولنديون عدم وجود مصدر للربح لهم في الخليج خارج بندر عباس. ولسنوات قادمة انحصر مجرى نشاطهم في المحافظة على المستوى المنخفض مع القيام بالتجارة المربحة ودون التطلع إلى وسائل نشطة للتوسّع أو تغيير سياستهم.

ولا شك أن الفشل النهائي الذي لحق بالتحالف الهولندي العربي المؤقت أمر مهم. وأهم الأسباب المؤدية إلى ذلك الفشل هو عدم تفهّم كل طرف لحوافز الآخر بالإضافة إلى المشاكل المزاجية التي منعت كلا الطرفين من اتباع سياسة منطقية. لقد جاءت شركة الهند الشرقية الهولندية إلى الخليج بهدف التجارة. وكان من الممكن أن تتولى الشركة المشروعات القصيرة الأمد لمساندة مصالحها واهتماماتها الاقتصادية والمحلية. ولكن المدراء في هولندا لا يتحملون الجهد العسكري الدائم من أجل الأهداف السياسية فقط. ولقد كان التعاون الحقيقي بين القوى الأوروبية والقوى الإسلامية أمراً صعباً للغاية، فقد كان يسيطر على كلّ منهما روح التعالي والتفوّق على الآخر.

والأهم من ذلك كان يقوم بالمفاوضات وسطاء كانت لهم اهتماماتهم ودوافعهم الخاصة بهم، كما أن المسافة بين نزوى وبتافيا حيث تُتخذ القرارات الحقيقية، بعيدة جداً. وبذلك سرعان ما برزت نقاط الضعف وعدم الاتفاق بين الطرفين، وكان ينقص الطرفين أيضاً روح الانفتاح كما كانت تتسم معاملاتهم بالإفراط في الرسميات التي أعاقت حرية المناقشة في المشكلات الشائعة بين الطرفين، واتخاذ القرارات المناسبة التي كان يجب التوصّل إليها من أجل عدالة التعامل بينهم.

وفي عام ١٦٧٥ كانت حكومة بتافيا العليا قد قررت إغلاق مقرها في مسقط. ومن المهم جداً التنويه إلى أن هذا القرار قد اتُّخذ من قِبَل حكومة بتافيا العليا، ولكن كان لا يزال المدراء في هولندا يأملون خيراً بالتجارة في عمان ذلك لأنهم رأوا في تصدير الأرز إلى شبه الجزيرة العربية أرباحاً طائلة. ولقد أدرك المدراء في هولندا بأن البرتغاليين قد تعاقدوا مع حاكم كنارا لتصدير الأرز إلى مسقط والبصرة(٦٥). إلا أن السلطات الهولندية في آسيا كانت تتطلع إلى مصالح مختلفة وبالتالي فقد أدركوا أن نقل بضائع الجملة الرخيصة ليس في صالح الشركة. وقد أشاروا إلى قيام عمان ببيع السكر بسعر رخيص من مزارعها الجديدة في بلاد فارس. وبهذه الطريقة اصطدم العمانيون بالمصالح المباشرة للمديرين العشرة في بتافيا(٦٦).

وعلى الرغم من أن العمانيين قد عملوا بمفردهم إلا أنهم كانوا يخوضون حرباً ناجحة ضد البرتغاليين. وفي عام ١٦٧٦ غزا العمانيون ديو(٦٧). وكان قد أبلغ الممثلون الهولنديون عن وقوع المجاعات الكبيرة نتيجة للجفاف في شبه الجزيرة العربية عام ١٦٧٧. ومن الممكن أن تكون الضغوط السكانية الناجمة عن الحرمان قد أثارت موضوع الامتداد والتوسع العماني(٦٨). وقد تمكّن العمانيون من احتلال بات في منطقة مقديشو ولم يستطع البرتغاليون استعادتها(٦٩). وبهذه الطريقة حصل العمانيون على مقرّ ثابت على ساحل أفريقيا الشرقي يجلبون منه المواد الغذائية والعبيد.

العرب على الساحل الشمالي بمنطقة جنوب الخليج:

وصف الكاهن الفرنسي كاري، المعاصر لويلمسون وبادتبرج، سكان الساحل

الشمالي لجنوب الخليج. وكان قد أرسله الوزير كولبرت لاستكشاف المنطقة حيث تمارس شركتا الهند الشرقية الهولندية والشركة الإنكليزية، نشاطاتهما وذلك لوضع الخطط الفرنسية لممارسة التجارة في آسيا(٧٠).

ولقد زار كاري في مناسبتين مختلفتين أهم الأماكن الواقعة بين بندر ريج وبندر عباس. وفي تقريره وصف تفصيلي للقبائل العربية وطريقة معيشتهم ولكنه لا يحدد أسماء تلك القبائل. وهذا لا يهم لأنه لا يمكن أن يختلف جدول أسماء القبائل المقيمة في تلك المنطقة عن أسماء القبائل في تقرير كنيبهاوزن ونيبور.

وخضعت القبائل العربية، التي وصفها كاري، بالاسم فقط لشاه بلاد فارس. ويروي كاري قصة غريبة عن نخيلوه وهي إحدى المدن الرئيسية في المنطقة. فقد تخلّص سكان تلك المدينة مرّة من حاكمهم الفارسي وهدموا الحصن. ومن المرجح أن تكون هذه الحادثة قد جرت بعد وفاة الإمام قولي خان(٧١). ويبدو من روايات كاري أن نمط التحالف بين القبائل قد تغيّر إلى حدّ ما منذ عام ١٦٦٢. وقد ذكر كاري أن نخيلوه كانت حليفاً رئيسياً للبرتغاليين ضد عمان. ولكن على الرغم من تأييد بعض سكان نخيلوه للبرتغاليين (في قضية علي كمال في أوائل القرن السابع عشر)، إلاّ أن الموقف العام في تلك المنطقة يتمثل بالعداء لهرمز وللبرتغاليين(٧٢).

وكان أهم ما شغل قبائل الهولة في ذلك الوقت هو طردهم من مغاصات اللؤلؤ على يد عرب منطقة شمال الخليج، وهم على ما يبدو بنو كعب في جنوب البصرة، وعرب بندر ريج وبوشهر. وحيث أن الغوص وصيد اللؤلؤ يمثّل أهم مصدر للدخل لهم، فقد كانوا في وضع سيء. وفي عام ١٦٧٤ دعا خان شيراز رؤساء قبائل الهولة من نخيلوه وعسيلوه وشارك وكانجون للاجتماع في بوشهر للتوسط في منازعاتهم مع عرب منطقة شمال الخليج وذلك بعد أن غزت أربعمائة مركب من جنوب الخليج بندر ريج في تلك السنة(٧٣). ولم تُعرف نتائج ذلك الاجتماع، ومن الممكن أن يكون قد فشل وذلك لأنه بعد عام ١٧٠٠ كانت قبائل شمال الخليج بدورها تشكو من أن قبائل الهولة قد طردت من مغاصات اللؤلؤ(٧٤).

الأحداث في شمال الخليج ونهاية حكم أفراسياب:

عانت منطقة شمال الخليج منذ عام ١٦٥٠ من عدم الثبات والاستقرار لأسباب اقتصادية. ولمّا كانت معظم تجارة البصرة تمرّ عبر مسقط، أصبح محتّماً أن تنشأ عدة اضطرابات في أوائل الخمسينات من القرن السابع عشر. ولقد أدى سقوط مسقط إلى تصدّع البناء الاقتصادي ومن ضمنه تجارة البصرة. ومع اختفاء البرتغاليين، كان على باشا البصرة أن يعيد النظر في وضعه. ولحسن حظ الباشا كان سلطان العثمانيين منهمكاً بالحرب مع جمهورية البندقية حول موضوع كريت، ولم يتمكّن بالتالي من صرف طاقته في المشاكل العراقية.

وفي نفس الوقت الذي فقد فيه البرتغاليون مسقط توفي علي باشا، حاكم البصرة الكبير. وقد خلفه ابنه حسين (وفي بعض المصادر حسن). وقد استاء فيثيا (Fethiya) وغيره من أبناء أفراسياب الباشا الأكبر لإبعادهم عن خلافة الحكم إثر وفاة والدهم(٧٥). وتتناقض المصادر حول حسين باشا. فقد نعته لونجريج بالقسوة والفظاظة على رعاياه، رغم تحرّره في التعامل مع التجار الأغراب، متبعاً في رأيه هذا المصادر اللاحقة التي قارنت بين هذا الباشا وبين خلفائه(٧٦). وتتضمن مذكرات الحملات الهولندية ضد البصرة في أعوام ١٦٥١ - ١٦٥٤ وجهة نظر أسوأ من السابقة، ويبدو أنها تعكس آراء التجار المحليين الذين استاءوا من تقلبات الباشا ومن الضرائب الثقيلة التي فرضها عليهم(٧٧).

ويبدو أن السكان المحليين لم يميلوا إلى خلفاء أفراسياب. ومن المحتمل أن تكون هذه الأسرة من أصل محلي إلا أنهم حكموا البصرة وكأنهم أغراب. وقد حكموا المدينة وعاشوا على دخلها وشاركهم في ذلك بعض السياسيين غير الرسميين من الانكشاريين كحكام نصف مستقلين بنفس الطريقة التي كان يمارسها حكام الجزائر وتونس في بلادهم. وكان حسين باشا طموحاً. فقد أراد أن يسيطر على الخليج كما كان يحمل في جعبته خططاً لغزو الحسا وعمان(٧٨).

وكانت العلاقات بين حسين باشا ومرتضى باشا والي بغداد العثماني وجاره في الشمال، سيئة للغاية. فقد كان حسين باشا يحتل بضعة حصون على الحدود في

أعلى النهر حيث يلتقي الفرات بدجلة. وقد انتقم باشا بغداد بمساندته للمعارضة في البصرة. ولقد تجسدت هذه المعارضة في أوائل فترة حكم حسين باشا حول فيثيا وحول ابن آخر من أبناء أفراسياب(٧٩). وكان فيثيا قد جعل نفسه، على ما يبدو، قائداً لجبهة المعارضة الشعبية ضد حسين باشا، فنشأت بعض الاضطرابات وكان ردّ حسين باشا على ذلك عنيفاً. وقد هرب فيثيا مع شقيقه الأصغر من البصرة إلى بغداد، ثم سافر إلى اسطنبول مستخدماً الأموال التي كانت تصله من المعارضة في البصرة. وفي عام ١٦٥٣ عاد على رأس بعض الجنود بعد موافقة السلطان على ذلك. ويبدو أن حسين باشا قد تردد في إغضاب السلطان. وفي سبتمبر عام ١٦٥٣ أقام سلماً مع فيثيا. وقد دخل كلاهما البصرة دون أن يثق أحد بمدى صدق وإخلاص الآخر. وبعد ذلك بقليل ألقى حسين باشا القبض على فيثيا وعزم على نفيه إلى الهند، ثم إنه كان يخطّط بعد ذلك لقتله. ولكن والدة حسين تدخلت في الأمر ومنعت حدوث ذلك وما لبثت أن ساعدت فيثيا على الهرب إلى بغداد(٨٠).

وهناك ساعد مرتضى باشا فيثيا عسكرياً في الوقت الذي نشأت فيه الاضطرابات بين سكان البصرة المحليين. وقد انضمت القبائل العربية في المنطقة إلى المعارضة حيث كانوا يغزون المنطقة الواقعة خارج المدينة. ويبدو أن حسين باشا لم يثق بأحد، فقد سجن قائد قواته مصطفى بك في الحصن القديم. وقد طلب الباشا وأعوانه المساعدة من بلاد فارس حيث رأوا أن الأتراك لن يهاجموهم لانشغالهم بحرب قوية وشرسة ضد البندقية حول الجزر اليونانية ومني فيها الأتراك بسلسلة من الهزائم البحرية. وفي سبتمبر من عام ١٦٥٤ انهارت فجأة مكانة الباشا. ففي البداية كان قد عزم على قتل أمه لتوسطها في العام الماضي لصالح أقربائه الذين استدعوا الأتراك آنذاك. ولكن الأم تمكنت من النجاة بمهارة. وبعد ذلك توجّه حسين باشا إلى الحصن للانتقام من قائد الجيش المسجون محمد بك. ولكن حاكم الحصن حمى السجين. ونشب قتال بينهما أدى إلى هزيمة الباشا. وقد فرّ حسين باشا من المدينة مع بعض الخدم فقط، كما أسرع قريباه إلى البصرة قادمين من بغداد بصحبة باشا بغداد(٨١).

في غضون ذلك، تعرضت البصرة للهجوم من ناحية العرب، ولكن كتيبة

الانكشارية التابعة لحسين باشا كانت تسيطر على الجسر الصغير. وفي السابع والعشرين من سبتمبر عام ١٦٥٤ وصلت الجيوش من بغداد وغزت المدينة بعنف. وقد عيّن مرتضى باشا أحمد باشا حاكماً على البصرة. وكان أن اغتصب باشا بغداد العثماني زوجات عدد من أتباع أفراسياب المشهورين(٨٢).

ولم يخدم كل هذا شعبية الحكومة الجديدة. فلم يكن موقف مرتضى باشا قوياً لأنه كان يجب أن يتأقلم مع الثورات القائمة في منطقة بغداد، ويبدو أنه رتبت في اسطنبول عدة خطط للإطاحة به.

في غضون ذلك ظلّت قوات حسين باشا تسيطر على بعض الحصون القائمة على الطريق بين البصرة وبغداد. وقد تمكن حسين نفسه من جمع بعض المساندين له من العرب المقيمين في مناطق السبخة. وازدادت بالتالي ضغوطه على البصرة. وأخيراً، وفي الثالث من أكتوبر، أمر مرتضى بقتل اثنين من عشيرة أفراسياب، التي كانت قد دعته إلى البصرة. وفيما بعد أُعدم معظم أعضاء عائلة أفراسياب. ولكن هذا كان كثيراً على السكان المحليين، فقد شبّت ثورة في الحصون القائمة على الحدود في منطقة البصرة وظهرت بعض القبائل العربية قرب المدينة. وبعد ذلك بقليل، فرّ مرتضى باشا من البصرة صفر اليدين، ووصل إلى بغداد. وهناك عُزل عن الحكم في بغداد وأصبح حاكماً على حلب. وقد تميّز هناك بسوء التصرف. وأخيراً رفض شخصياً الانضمام إلى القوات العثمانية في الحرب الدموية ضد البندقية حول جزيرة كريت مما دعا السلطان لأن يُصدر الحكم بإعدامه(٨٣).

وقد عاد حسين باشا إلى البصرة كحاكم نصف مستقل(٨٤). وفي البداية رأى الهولنديون أنه من الأفضل أن يغادروا البصرة كما فعل الإنكليز من قبل، ولكنهم ظلّوا يمارسون التجارة هناك بأرباح كبيرة(٨٥). ويبدو أن حسين قد غيّر من طُرقه لفترة من الزمن ولم يعد هناك أي تذمُّرات وشكاوى ضدّه. وقد ظهر أن العثمانيين كانوا أسوأ من حسين وأن البنادقة قد أصابوا القوة العسكرية العثمانية بقسوة. وبدا لفترة وجيزة أنهم سوف يختفون تماماً كقوة في الخليج، بعد أن خسروا معقلهم في الحسا ولم يتضح كيف حصل ذلك. وجاء في بعض المصادر أن قبيلة بني خالد قد ألقت وراء

ظهرها بقايا الحكم العثماني المباشر والرمزي على الحسا في عام ١٦٢٢(٨٦). وأورد الرحالة المعاصر تيفينوت بعض التفاصيل الإضافية لكنه يحدّد تاريخاً مختلفاً قليلاً. يقول تيفينوت أنه قد غزا القطيف شيخ عربي عام ١٦٦٤ كان قد تحالف مع حسين باشا البصرة. وكان باشا البصرة قد طالب بالسيادة المطلقة على القطيف على أنها حصته من أرباح الحملة. ورغم أن باشا القطيف السابق قد فرّ إلى اسطنبول، إلا أن الشيخ لم يرضَ الاعتراف بباشا البصرة كسيّد له(٨٧). ومن الممكن دمج الروايتين معاً والاستنتاج من ذلك أن غزو القطيف قد تمّ بتحالف أفراسياب وبين خالد معاً.

ومن الممكن أن الحملة العثمانية التأديبية ضد البصرة التي جرت عام ١٦٦٤ - ١٦٦٥، كانت نتيجة لتذمّرات باشا قطيف السابق في اسطنبول. وكان بإمكان حسين باشا المحافظة على منصبه بإعطاء العثمانيين بعض الأموال(٨٨). ولكن لم يستمر هذا طويلاً حيث ظهرت أمام العثمانيين فرص أخرى. وكانت الحرب في كريت وقتذاك تسير لصالحهم. وفي عام ١٦٦٨ تلقّى حاكم بغداد محمد باشا الذي عُيّن مؤخراً، الأوامر باستعادة البصرة والحسا. وقد جمع محمد باشا جيشاً كبيراً من سوريا وديار بكر وشمال العراق وانطلق متوجّهاً نحو الجنوب تسانده مجموعة كبيرة من قبائل الصحراء الشمالية. وفي قرنة واجهوا قوات حسين التي انضمت إلى باقي قوات أباظة الثائر السابق في أرض الروم. وقد وجد الأتراك صعوبة في الاستيلاء على قرنة، وبدأوا بالمفاوضات. وتمّ التوصل إلى اتفاقية تقضي بتراجع حسين إلى مكة وتنصيب ابنه أفراسياب باشا على البصرة مقابل دفع مبلغ كبير من المال (ثمانمائة ألف قطعة من الفضة بالإضافة إلى مبلغ عشرين ألف أرسلاني أو دولار فضي تدفع سنوياً)(٨٩). ولكن لم ينتج عن هذه التسوية شيء. فقد عاد الجيش العثماني إلى بغداد كما عاد حسين إلى البصرة حيث كان السكان المحليون قد استولوا على المدينة تحت قيادة تاجر مسيحي من الهند. ولقد تمكن حسين من قمع هذه الثورة دون رحمة. وقد انتزع المال الذي وعد به العثمانيين، من السكان وبعث بابن أخيه يحيى إلى أدرنة لتسليم السلطان المال. وكان في أدرنة مبعوثون من أهالي البصرة جاءوا لتقديم شكوى ضد الباشا. وقد غدر يحيى بعمه، وخانه، وعرض على السلطان أن يدفع له

نفس المبلغ الذي عرضه حسين إذا أخذ الحكم. وقد مُنح الحكم فعلاً. بعد ذلك تلقّى باشا بغداد المعيّن جديداً فراري مصطفى أوامر لإرسال جيش ضد البصرة. وقد فرّ حسين إلى بلاد فارس وأصبح يحيى آخر حاكم على البصرة من سلالة أفراسياب وتمكن من الدخول إلى المدينة بعد أن دفع لأفراد الكتيبة الانكشارية مبالغ طائلة ثمناً لولائهم وإخلاصهم(٩٠).

وبعد ذلك بعث السلطان بالدفتردار (وهو المفتش المالي) ويدعى رحمة قاسم زادة، لعمل قائمة للدخل في البصرة. كذلك احتلّ العثمانيون قرنة بواسطة قوة كبيرة من الانكشاريين للإبقاء مستقبلاً على الطريق مفتوحة. ولكن يحيى لم يتحمّل الدفتردار وفرّ طلباً للسلامة. وعندما علم السلطان بذلك، وكان آنذاك في بروسه، عيّن مصطفى آغا حاكماً على البصرة. وكان مصطفى آغا هذا زوج ممرضته. ويبدو أن يحيى فقد السيطرة على البصرة مرّة أخرى. وذلك أنه بعد أن أخذ البصرة أول مرّة، سار نحو قرنة حيث انهزم. وفرّ إلى الحدود الفارسية حيث جمع جيشاً من القبائل العربية(٩١). وبعد أن استعاد قوّته زحف نحو البصرة حيث ارتكب جنوده أعنف الأعمال. وأخيراً غزا فراري مصطفى، على رأس جيش عثماني كبير مدينة البصرة بمساندة قبيلة بني لام وطرد يحيى إلى بلاد فارس. وقد عمد الأتراك إلى قتل العديد من العرب المعارضين. وسرعان ما فقد مصطفى آغا منصبه كحاكم، وقد منح المنصب إلى فراري مصطفى الذي نُصّب باشا على بغداد. وهكذا عاد الحكم العثماني المنتظم على البصرة(٩٢).

ولقد برهنت الإدارة العثمانية بأنها أسوأ من سالفتها. وهو السبب الذي أدى إلى تفضيل حكم حسين على البصرة حيث كان يمتدح الحاكم الأفراسيابي مقارنة بسلفه المباشر. وتتمثل مشكلة الحكام العثمانيين الأوائل برغبتهم في الحصول على المال كأسلافهم كما أنهم كانوا يطلبون مساهمة القبائل المحيطة بهم. وقد انتهى الأمر بقيام صراع خطير مع القبائل وخاصة ما يتعلق بالتجارة. وقد لاحظ كاري شدة انحدار البصرة في عام ١٦٧٢ ولكن التقارير الهولندية تبيّن أن هناك أملاً في التحسّن(٩٣). ويبدو أن خلفاء فراري مصطفى قد فرضوا وضعاً أفضل منذ عام ١٦٧٢. فقد انتعشت

البصرة وبالتالي تزايدت التجارة الهولندية وحسب ما جاء لدى كاري فإن الهولنديين الذين حصروا مهام مؤسساتهم بإرسال البريد عن طريق البرّ، وهو أمر هام جداً في وقت الحروب البحرية مع الإنكليز والفرنسيين. قد جنوا أرباحاً طائلة جعلتهم يحتفظون بالبصرة لأسباب تجارية(٩٤).

والمعلومات التي لدينا عن أماكن أخرى من منطقة شمال الخليج مبهمة. ويتحدث كاري عن النشاط الملحوظ في أماكن أخرى مثل بندر ريج وبوشهر(٩٥). ولهذا علاقة بانحدار البصرة رغم استمرار نشاطها. وهناك ما يشير إلى أن ريج كانت تصدر القمح وأنهم كانوا يجلبون إليها التجارة المحوّلة من بندر عباس بسبب تصرفات موظفي الجمارك هناك(٩٦). وكان العرب هناك وعرب خارج وساحل العراق يتمتعون بقوة بحرية كبيرة. ويبدو أنهم كانوا قد انتزعوا السلطة على مغاصات اللؤلؤ في البحرين من مجموعة الهولة مثل العبيدلي وآل علي والنصور والحرم الذين كانوا يبيعون لآلئهم في كنجون(٩٧). وهناك ما يؤكد أنه في عام ١٦٨٥ أصبحت البصرة سوق اللآلئ الرئيسية مما يدلّ على أن صيد اللؤلؤ كان في ذلك الوقت ما يزال يخضع إلى حدّ كبير لسيطرة قبائل شمال الخليج(٩٨).

وقد اختفت سلطة العثمانيين في الحسا بشكل تام. ويبدو أنه لم يؤمها أي أوروبي وليس لدينا تقارير عن ساحل شبه الجزيرة العربية الشمالي الشرقي. ويبدو أن بعض النشاطات التجارية قد استمرت هناك. وكان يتمّ تصدير بعض المنتجات من الشرق من مسقط إلى الحسا، ولا يعلم بالضبط ما إذا كانت تعبر براً بواسطة القوافل أو بحراً (هناك طريق بريّ من مسقط إلى قطر)(٩٩). وبالطبع إن الطريق البحري أقلّ تكلفة ولكنّنا لا نعرف شيئاً عملياً عن الملاحة عبر الساحل الجنوبي. ويشير كاري إلى وجود عدد كبير من المراكب الصغيرة في أماكن مثل نخيلوه. وكانت هذه المراكب تُستخدم عادة للغوص، كما كانت تُستخدم للتجارة في غير موسم الصيد، ويُستثنى من ذلك صيد السمك(١٠٠).

التنافس بين الأوروبيين:

حدث خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر بعض التغيّرات في ميزان القوة في أوروبا. وفي عام ١٦٦٠ تسببت استعادة الستيوارتيين في انجلترا بثبات تلك القوة داخلياً مما مكّنها في توسيع مصالحها في آسيا مرة أخرى. وبدأت فرنسا تحت حكم لويس الرابع عشر الاهتمام بآسيا. وبعد أن خسر البرتغاليون ملبار وسيلان، أصبحوا قوة ثانوية في آسيا. وأصبح ما تبقى من ممتلكاتهم في الهند تدريجياً تحت رعاية الحكام المحليين المجاورين، ولكنهم ظلّوا يمارسون نشاطهم في الخليج كما ظلوا يطمحون باستعادة مسقط وهرمز كما كانت أساطيلهم تتعمق في مياه الخليج بين الحين والآخر. وفي عام ١٦٧٣ ظهر الأسطول البرتغالي ثانية في البحرين وجرت مفاوضات بينهم وبين الفرس حول الضريبة الفارسية لجزيرة الجسم(١٠١).

ولاستعادة الدولتين الأوروبيتين الكبيرتين: فرنسا وانكلترا لقوتهما آثار عكسية على المدى الطويل حول الوضع في هولندا وهي الدولة الصغيرة جداً. وكان الهولنديون وقتذاك قد ثبتوا أنفسهم في آسيا إلى درجة لم يعد بإمكان غيرهم من الأوروبيين تحديهم. وكذلك لم تسمح هولندا لأي دولة بمهاجمة مواقعها الرئيسية. ومع ذلك بدا المستقبل متجهماً للهولنديين.

وكان الوجود الهولندي في الخليج يفوق وجود القوى الأوروبية الأخرى. واحتلّ الفرنسيون المرتبة الثانية بين القوى في آسيا. وعندما كانوا يبعثون بسفارتهم الكبيرة بمظهرها والفارغة بمفعولها، إلى أصفهان أو إلى دلهي لعرض إقامة تحالف ضد الهولنديين، لم تأخذ تلك الحكومات المسألة جدياً، لا سيما أنها كانت تشاهد حركة تنقلات السفن الهولندية واختفاء القوة البحرية الفرنسية تماماً(١٠٢). وكان الانكليز يثبّتون أقدامهم تدريجياً ثانية، ولكنهم كانوا بعد أزمة الحرب الأهلية التي مرّوا بها في حالة ضعف شديد بحيث لم يتمكنوا من إبراز أنفسهم كثيراً وخاصة في الأوقات التي كانوا فيها في حالة حرب مع الهولنديين. وكانوا يحاولون أحياناً أن يتدخلوا. ففي عام ١٦٥٩، وخلال فترة من السلام مع الهولنديين، بدت رغبتهم فجأة باستعادة مصالحهم واهتماماتهم التي كانوا قد فقدوها في بلاد فارس. وقد ضغطوا على

الحكومة الفارسية لتسديد المتأخرات من رسوم الدخل في بندر عباس. وعندما لم يتجاوب الفرس إيجابياً، عمدوا إلى فرض حصار على بندر عباس بالطريقة نفسها التي اتبعها الهولنديون في الأعوام ١٦٤٤ ـ ١٦٥٥(١٠٣). وفيما بعد، في الوقت الذي أخذت فيه الشركة البريطانية بومباي، وضعوا خطة جديدة للقيام بهجوم عسكري على بندر عباس(١٠٤). ولم تأت تلك الخطة بجديد، وذلك لأن الوسائل لم تكن كافية.

وأهم ما أثّر في الخليج آنذاك، بالنسبة لتاريخه في المستقبل، ما جرى في لندن عام ١٦٦٢ عندما تزوج الملك شارلز الثاني من أميرة برتغالية وكانت هدية زواجه جزيرة بومباي. وبالحصول على هذه الجزيرة حصل الانكليز على جزء ثابت من الممتلكات الواقعة في الجزء الشمالي الغربي من الهند اقتصادياً وسياسياً، إذ تمكّنوا من تأسيس موقع مناهض لاستعمار الهولنديين لبتافيا في جاوة(١٠٥).

لقد حاول الهولنديون، ولمدة طويلة، تثبيت أقدامهم في تلك المنطقة بمهاجمة البرتغاليين في جوا وديو ولكنهم فشلوا. والآن أصبح من الممكن أن تكون القوة الانكليزية أكثر استقراراً في الجزء الغربي من المحيط الهندي. وكانت النتيجة أن ركّز الهولنديون في السنوات التالية على السيطرة على المناطق الشرقية، بينما تركّزت مصالح الانكليز في الغرب. وعلى المدى الطويل، أدّى هذا إلى نتائج كبيرة في منطقة الخليج وهو استقرار القوة الهولندية كقوة غالبة لعدة سنوات قادمة في الخليج وليس في الهند.

وفي حوالي عام ١٦٧٠ خشي الهولنديون في الخليج من قيام تحالف بين الانكليز والبرتغاليين قد يشكّل خطراً عليهم إذ قد يقدّم الانكليز المساعدة للبرتغاليين في استعادة مواقعهم التي خسروها لصالح الهولنديين أو أن يقيم كلاهما مواقع جديدة وامتلاكها. ولم يكن الهولنديون وحدهم الذين قلقوا إزاء هذا الأمر، إذ كان الوضع أيضاً خطيراً جداً للعمانيين الذين كانوا في حالة حرب مع البرتغاليين وتزايد قوة البرتغاليين يهددهم. وليس غريباً أن يحاول الهولنديون والعمانيون توطيد العلاقات بينهم آنذاك.

المنازعات بين بلاد فارس والقوى الأوروبية بعد عام ١٦٨٠:

بدأت أمور الهولنديين والانكليز تسوء في الخليج في نهاية السبعينات من القرن السابع عشر. فقد أدى استمرار الحكم السيء إلى تدهور الاقتصاد الفارسي تدريجياً. وقد بعث سكان بندر عباس وميناب المبعوثين إلى البلاط للشكوى من الشاهبندر ومن سلطان بندر عباس. إلا أن اعتماد الدولة لم يهتم بالشؤون الاقتصادية(١٠٦). وفي عامي ١٦٧٨ - ١٦٧٩ اتضح موقف أرباح تجارة الشركة الهولندية في آسيا. كانت بلاد فارس ولمدة طويلة أول أو ثاني مصدر للربح هناك، أما الآن فقد قلّ نصيب بلاد فارس. وكان الربح يبلغ في السابق حوالي ثلاثمائة ألف جيلدر سنوياً إلا أن كوردماندل وسورات واليابان قد أصدرت كل منها ما يوازي ضعف أرباح بلاد فارس(١٠٧). ومهما يكن فإن الحكومة العليا رفضت فكرة إغلاق الموقع خوفاً من حصول الانكليز أو الفرنسيين على موطئ قدم ثابت لهم هناك وهذا سوف يؤدي إلى تدمير مصالح الشركة في آسيا.

وفي أبريل من عام ١٦٨١، تدهور الوضع إلى درجة لم تعد الأرباح في بلاد فارس تكفي لتغطية ثمن الحرير الخاص بالشاه. وقد جرت منازعات بين اعتماد الدولة وبين الهولنديين وقررت الحكومة العليا بالتالي إنهاء العقد الخاص بالحرير(١٠٨). كذلك واجه الفرنسيون والانكليز المشاكل في بلاد فارس. فقد واجهوا، كالهولنديين بعض المنازعات مع الشاهبندر في بندر عباس الذي فرض عليهم رسوماً جمركية كبيرة. وقد حاول الفرس استرضاء البرتغاليين الذين عانوا أيضاً من الوضع ولكنهم حاولوا عند ذلك مصادرة سفن المسلمين وهي في طريقها من الهند إلى بندر كنج(١٠٩).

وفي عام ١٦٨٣، قررت الحكومة العليا أن تقوم بالإجراءات اللازمة عندما علمت باستمرار السلوك العدواني الذي كانت تمارسه السلطات الفارسية ضد ممثلي الشركة الهولندية. وعندما رأوا أن البرتغاليين قد استفادوا نتيجة أعمال العنف، أملوا هم أيضاً بالاستفادة. ثم إن كازمبروت، مدير الشركة، الذي سافر إلى بتافيا لشرح الوضع، عاد برتبة مفوّض ومعه المزيد من السفن ومئتان وأربعون جندياً. وقد أصدر كازمبروت تعليماته بعدم استخدام القوة إلا وقت الضرورة وفي أقسى الظروف. وفي طريقه إلى

بندر عباس استولى الأسطول الهولندي على عدة سفن أوروبية، وقد تمّ احتجازها مؤقتاً مع حمولتها(١١٠). وعند الوصول إلى بندر عباس بصحبة خمس سفن فقط، نقل كازمبروت رسالة احتجاج من الحكومة العليا إلى أصفهان. إلا أنه لم يتلقّ رداً. وبدأ الفرس بتحصين معاقل هرمز ولارك وجزيرة الجسم. وعندما لم يؤدِّ حصار كازمبروت لبندر عباس إلى أية نتائج في أصفهان، قرّر اللجوء إلى القوة. وقد رسا أسطوله مقابل جزيرة الجسم ومن ثمّ شنّ الجنود هجوماً على الحصن بعد إنزالهم إلى الجزيرة. وقد استسلمت الحامية الفارسية فوراً. وبذلك كان كازمبروت أفضل حظاً من بلوق في هجومه على جزيرة الجسم عام ١٦٤٥(١١١).

وفي نفس اليوم وصلت أنباء إلى بندر عباس تفيد بقرار الشاه في تخويل سلطان بندر عباس للتفاوض مع الهولنديين. وكان الهولنديون يعتبرون السلطان مرتضى قولي صديقاً لهم. ولكن مرتضى، صرّح بعد أن سيطر الهولنديون على جزيرة الجسم، بأنه لن يُجري أي مفاوضات قبل أن تصله تعليمات جديدة من الشاه. وكانوا متأكدين من عدم موافقة المدراء في هولندا على المبادرة العسكرية في الخليج لأنهم يهتمون أكثر بالتجارة. ولكن المشكلة تكمن في أن وصول الأوامر من هولندا إلى بتافيا كانت تستغرق وقتاً طويلاً وكان من الصعب تلقّيها في فترة قصيرة والأسوأ من ذلك أن الهولنديين وجدوا أنفسهم في مأزق في الخليج. ومن المفروض أن لا تكون القوة البحرية أكثر من مجرد التظاهر بالقوة. ويدلّ وجود مئتين وخمسين جندياً بحرياً فقط على متنها على عدم تخطيط الهولنديين لخوض حرب ضد الفرس بل على نية القيام ببعض الأعمال العسكرية البسيطة في بندر عباس. وكان من الممكن بالطبع أن تنزل القوة الهولندية أضراراً بالغة بمصالح الشاه إذ أنه بإمكانهم سدّ الطريق التجاري في بندر عباس. إلا أن هذا الخطر كان محدوداً. وقد تمكن الهولنديون من سدّ الطريق أمام ملاحة المسلمين والبرتغاليين، ولكنهم منعوا بهذا الانكليز من الدخول أيضاً مما قد يؤدي إلى بداية حرب مع انكلترا. وفي مثل هذه الظروف لم يكن الحاكم العام مخوّلاً بتوريط هولندا بحرب مع انكلترا(١١٢).

ولم تكن نتائج الحصارات التي كان يقوم بها الهولنديون في الخليج، مثل عملية

حصار جزيرة الجسم هذه ناجحة لأنه كان من المستحيل منع الانكليز عن تقديم سفنهم إلى التجار المسلمين لحمل بضائعهم من وإلى بندر عباس لكسر هذا الحصار(١١٣). ومهما يكن فمن الخطأ تقييم وضع الهولنديين بنظرة سلبية وتشاؤمية، إذ على الرغم من أنه لم يكن لديهم سوى مئتين وخمسين جندياً أوروبياً لم يعتادوا على مناخ الخليج، إلا أنهم تمكّنوا من تنفيذ خططهم في ميناء بلاد فارس الرئيسي. بالإضافة إلى ذلك لم يكن موقف الفرس قوياً وبالتالي فإن احتمال وقوع حرب مع الهولنديين قد يؤذي دخل الشاه. ومن ناحية كان الانكليز قوة ضعيفة إلى حدّ ما ومن الصعب أن تعوّض ملاحتهم الحصار الهولندي. وقد أصدر الحاكم العام أوامر باستمرار احتلال جزيرة الجسم ومقاطعة بندر عباس وبيع بضائعها في البصرة، ما لم يقم الشاه بمنح الامتيازات(١١٤).

ولكن بدا أن الفرس راغبون في التفاوض. واتخذ الهولنديون الخطوة الأولى بإعادة حصن الجسم وجميع السفن المحتجزة مقابل وعد الفرس بتوفير حرية التجارة للهولنديين في بندر عباس، كما أن عليهم أن يدفعوا رسوماً جمركية يتفق عليها في المفاوضات القادمة. ولكن لم يتمّ الإفراج عن البضائع الخاصة بالتجار الفرس التي كان قد احتجزها الهولنديون قبل أن يعاد لهم جميع ما انتزع من بضائع وأموال(١١٥).

وكالعادة، عندما كانت تسوء العلاقات بين الهولنديين والفرس كانوا يبحثون عن غيرهم ليشاركهم في التجارة في الخليج. وعندما لم تتقدّم المفاوضات مع الفرس، منع الشاه التجار الفرس من شراء البضائع من الهولنديين. وقد ردّ الهولنديون على ذلك بتحويل وجهة سفينة إلى البصرة بدلاً من بندر عباس، وقد نشطت حركة التجارة في البصرة نتيجة خفض الرسوم الجمركية. ويبدو أن البصرة كانت آنذاك المركز الرئيسي لتجارة اللؤلؤ. وبالتالي فقد كانت الحكومة العليا تدرس إمكانية شراء اللؤلؤ من هناك(١١٦). وهذا تطوّر هامّ لأن تدهور العملة الفارسية قد جعل من الضروري البحث عن أشياء أخرى قيّمة وسهلة التحويل لتأمين ثمن الصادرات الهولندية إلى الخليج(١١٧).

وفي أغسطس من عام ١٦٨٥ توفي المفوض كازمبروت. وتوقفت المفاوضات

نظراً لصعوبة القضية المتعلقة بالتزام شراء الحرير. لقد رفض الهولنديون متابعة شراء الحرير الفارسي وعرضوا عليهم بدلاً عن ذلك دفع مبلغ إجمالي سنوياً قدره ألفا تومان بدلاً من الرسوم الجمركية (خمسة وثمانون ألف جيلدر، وهو عشرة بالمئة من قيمة الواردات والصادرات المقدّرة). ولم يتوصّل فان دن هوفْل المدير بالوكالة إلى أي اتفاق مع الشاه حتى عام ١٦٨٧(١١٨). ولكن حكومة بتافيا العليا لم تقتنع بتلك الاتفاقية وعمدت إلى استدعاء فان دن هوفْل. ويعتبر الفرمان الجديد الذي وضع عام ١٦٨٧ أساساً للعلاقات القائمة بين الفرس والهولنديين لفترة طويلة(١١٩).

وتبرهن الأرقام الصادرة في جمبرون في نهاية ١٦٨٨ أن سياسة الهولنديين القوية أدت إلى نتائج حسنة حيث وصلت قيمة المبيعات السنوية للمنتجات الهولندية في الخليج إلى (٩٨٣٢٦١) جيلدر. وكان إجمالي المبيعات في البصرة وحدها لا يقل عن (٢٨١٨٦٦) جيلدر، دُفع جزء منها لآلئ. بعد ذلك أصبحت العلاقات بين الفرس والهولنديين أقلّ توتراً بسبب النزاع القائم بينهم وبين الانكليز الذين لم يرضوا عن شروط التجارة في بلاد فارس، وهاجموا الفرس في بندر كنج، وبالتالي أمر الشاه السلطان في بندر عباس بتحسين علاقاته مع الهولنديين(١٢٠).

ولقد نمت التجارة الهولندية في الخليج خلال السنوات التالية بشكل مرض. وتحسّنت العلاقات بين الهولنديين وبين الحكومة في أصفهان، وأصبح الخليج مرة أخرى منطقة مهمة لتجارة الهولنديين المربحة في آسيا(١٢١). وتشير الوثائق الهولندية إلى بعض التغيّرات الاقتصادية في تلك الأثناء. ويحلّل المراقبون هذا باحتمال وقوع أزمة في بلاد الفرس. فقد شاعت التذمرات من التصرفات السيئة لكبار الفرس المحليين. واهتم الأوروبيون في مسألة قرب حدوث أزمة اقتصادية لأنها تخدم مصالحهم في تجارة اللؤلؤ في الخليج. وقد أدّى افتقار الهولنديين إلى السبائك الذهبية في الخليج للبحث عن أشياء قيّمة أخرى، كاللآلئ مثلاً لاستخدامها وسائل للدفع. وكان ميزان التجارة الفارسية مع شركة الهند الشرقية الهولندية سلبياً لعدة سنوات. وقد قلّ الطلب على الحرير، وهو أهم سلعة تصدّرها بلاد فارس، وبالتالي قلّ إنتاجه. ونتيجة لكل ذلك كانت سبائك الذهب واللؤلؤ تُنقل من الخليج إلى بتافيا. ولا تقلّ

التحـوّلات في حركـة الملاحة أهمية عن ذلك. فـفي عام ١٦٨٧ غيّرت ثـلاث سفن إنكليزية مـن أصل خمس، كانت قـد وصلت إلى الخليج، اتجاههـا الأساسي من بندر عبـاس إلى بندر كنج. كل هذا يشيـر إلى ازدياد حركة التـجارة خارج بندر عـباس. وقد لاحظ الهولنديـون والإنكليز أن بندر كنج كانت تأخذ قـسماً كبيـراً من التجارة من بندر عـباس. وكانت مـعظم التجـارة المغربيـة تتمّ هناك بدلاً من بندر عـباس لأن المغاربة يفـضّلون التجارة فيهـا حيث أن خان لار لم يضغط كـثيراً على التجـار كما كان يفـعل عدد من الشاهبنـادر وسلاطين بندر عبـاس خلال السنوات الأخيـرة. وقد يكون هناك سـبب آخر وهو أن بندر كنج كـان سوقاً هامـاً جداً لتجـارة اللؤلؤ. ولـم يثق كلٌ من الهولنديين والانكليز باستقرار الوضع في بندر عباس. وكانوا يبحثون عن البديل(١٢٢).

وكان الانكليـز والهولنديون يبحـثون عن إمكانيـات أخرى تساعـدهم في التقليل من الاعتـماد على بندر عباس. فـفي الثمانينات من القرن الـسابع عشر كـان قد حقّق الإنكليـز نجاحـاً ملموساً في البـصرة. وقـد أسّست شـركة الهند الشـرقـية الهـولندية مؤسـسة صغـيرة في بندر كنج للاستفادة، على مـا يبدو، من التـحركات التـجارية المحلية في الخليج، وزادت من نشاطاتها في البصـرة. ويبدو أنه قد ارتفع فجأة الطلب على اللآلئ(١٢٣). ولكن، مـرة أخرى، لـم ينجح الهـولنديون في تنويع نشـاطاتهم في الخليج. ففي البداية بدأت الأمور تسير سيـراً حسناً. فقد ازدهرت التجارة في البصرة ومنحت النتـائج الأوليـة في بندر عبـاس آمـالاً واسعـة. إلا أن الهـولنديين أخطأوا في تقدير قوة البرتغالـيين واعتقدوا أنها أقلّ مما هي عليه. وفي الحقيـقة أن البرتغاليين ادّعوا أنهم قد أبـرموا عقـداً مع الفرس لتـقسيـم عائدات الرسوم في بـندر كنج بينهمـا. وقد أساءت النشـاطات الهولندية للمصـالح البرتغالية مـن ناحيتين: الأولى عندما اسـتولى الهولنديون على جزء من التجارة بين الهند وكنج وخـفضوا الملاحة تحت حماية العلم البرتغـالي، والثانيـة عندما طالبـوا بإعفائهـم من الرسوم الجمـركيـة وأساءوا بذلك إلى مـصـالح البـرتغاليـين بالإضافـة إلى مـصـالح مـسـؤول الرسوم الـفارسي. وقـد وجـد البرتـغاليون طـريقة أكثـر مهـارة لإخراج الهـولنديين حيث حـرّضوا السلطات المحـلية

الفارسية بإنزال علم الشركة الهولندية عن مقرّها في كنج بالقوة. ولكن الهولنديين لم يطالبوا أبداً رسمياً بحق رفع علمهم هناك. وبهذا أصبح من الصعب على المدير في بندر عباس معالجة القضية. فهو لم يقبل التحدي والإهانة وبناء على ذلك أعاد المندوب الهولندي في بندر كنج(١٢٤).

وقبل هذه الأحداث مباشرة كان الهولنديون قد قاموا بمبادرة أخرى. فقد أرسل المدراء في هولندا جواهرياً من أمستردام يُدعى جاكوبوس هوج كامر إلى آسيا، لكي يستطلع بصورة خاصة عن تجارة اللؤلؤ ولكي يعمل على تنظيم التجارة الهولندية بأفضل الطرق وأكثرها فائدة عليهم. وقد ظلت مغاصات سيلان وجنوب شرق الهند أهم مصدر للآلئ للشركة الهولندية، فقد كانت هذه المغاصات تحت سيطرة الهولنديين وكانت تصدّر أجود اللآلئ في السوق الأوروبية. كذلك أرسل هوج كامر إلى الخليج حيث أقام في كنج فترة من الزمن. ومن هناك توجه إلى البحرين ليبحث موضوع تجارة اللؤلؤ في مصدره. وقد استأجر مركباً وبعض الغواصين وذهب شخصياً إلى مغاصات اللؤلؤ في البحرين للبحث عن اللآلئ. ولا يدعو تقريره حول هذه المغامرة إلى التفاؤل. وفيما يلي ترجمة عن النتيجة الرئيسية التي وردت في تقريره والتي تتحدث عن نفسها(١٢٥).

«فيما يتعلق بالغوص وصيد اللؤلؤ لا أنصحكم بالاشتراك وذلك لأنني أرى الأرباح قليلة. فمن بين عشرة مراكب، يسدّد واحد فقط تكاليفه. ويصلح الغوص للذين لم يتعلّموا وبالتالي ليس بإمكانهم القيام بأعمال أخرى وهم يكرّرون المحاولة كل سنة أملاً في الحصول على بعض الأرباح ووجدتُ أيضاً أنه لا يمكن الوثوق بهم. وعند مراقبتهم نجد أنهم يُخفون الأشياء القيّمة التي يحصلون عليها من الصيد للاحتفاظ بها لأنفسهم».

وبهذا فإن آخر محاولة لشركة الهند الشرقية الهولندية من أجل توسيع نطاق مصالحها مع اقتصاديات العرب في الخليج قد باءت بالفشل.

ولم تستمر الشركة أيضاً في الحصول على الكثير من الأرباح في البنصرة. وفي عام ١٦٩٠ انتشر وباء الطاعون(١٢٦). وقد سبّب الهجوم الذي قامت به القبائل

العربية، وهي حسب قول لونجريج قبيلة المنتفق وقبائل جزر الأهوار بدمار اقتصادي. ولكنهم هُزموا وقُتل الباشا العثماني في المعركة وظلت المدينة صامدة لمدة سنة واحدة إلى أن استسلمت عام ١٦٩٤ لشيخ المنتفق مانع بن مغامس. وقد هزم مانع جيش إمداد عثماني، وأجرى معاهدة سلم مع السلطان وأصبح لفترة من الوقت حاكم البصرة(١٢٧).

مبادرات برتغالية جديدة:

اتّسمت السنوات منذ عام ١٦٨٠ بالهدوء من الجانب العماني في الخليج. فقد مات الإمام سلطان بن سيف عام ١٦٨٠، وكان ابنه الأكبر أبو العرب أكثر هدوءاً من والده، فهو لا يحب الحرب. ولم يرق الجوّ في العاصمة التقليدية نزوى للإمام الجديد، فنقل مقرّ إقامته إلى جبرين. ومازال الحصن بخطوطه ورسومات جدرانه فريداً من نوعه في المنطقة، وشاهداً على ذوقه وأسلوبه(١٢٨). وفي نهاية عام ١٦٨٩ حاول الإمام والوكيل الشيخ عبدول (عبد الله سليمان) عقد اتفاقية مع البرتغاليين. وقد أبرم الإمام بالفعل اتفاقية مع المبعوث البرتغالي جونسالو سيمويس. وكانت شروط الاتفاقية في صالح البرتغاليين إذ سمح لهم بافتتاح وكالة لهم في مسقط، ومنح رئيس الوكالة راتباً من قِبَل الإمام، وبناء حصن في خصب إذا رغبوا بذلك. وقد سمح البرتغاليون بالمقابل للسفن العمانية بزيارة الموانئ البرتغالية في الهند، كما يؤدي البرتغاليون الرسوم الجمركية الطبيعية في مسقط(١٢٩).

لقد أثارت البنود المقرّرة المعارضة في عمان، وانتهت بالتالي أيام الهدوء. وكان يبدو النزاع حول الحكم واضحاً. وقد قاد سيف بن سلطان، شقيق الإمام، مجموعة المعارضة.

وفي الواقع أن المعاهدة مع البرتغال كانت قصيرة الأمد إلى درجة لم تعلم بها القوى المنافسة للبرتغاليين. وقد أعدّ سيف بن سلطان انقلاباً واحتلّ حصون مسقط وجبرين. وقامت مجموعة من العرب بمهاجمة ميناء بندر كنج وذلك للإعلان عن انتهاء السلام مع البرتغاليين. ومرّة أخرى تجمّدت التجارة في مسقط، مما دفع

الهولنديين إلى القيام بجهود جديدة لممارسة التجارة فيها والتي كانوا قد بدأوها قبل فترة قصيرة(١٣٠).

ومنذ عام ١٦٩٠، زاد البرتغاليون من نشاطاتهم في الخليج. وقد دفعهم إلى ذلك انهماك انكلترا وهولندا وفرنسا في الحرب، وفي أثناء الحرب تتحوّل الملاحة تحت حماية أعلام دول محايدة. وفي عام ١٦٩٠ حاول البرتغاليون التوصل إلى اتفاقية مع حكومة البصرة ولكن النتائج لم تكن مرضية(١٣١). وفي السنة التالية حاول البرتغاليون ضمان الاتصالات مع بندر كنج والبصرة بإرسال حملة بحرية إلى الخليج(١٣٢). ولم تحقّق المؤسسة البرتغالية في البصرة أية أرباح. وليس هذا غريباً إذا اعتبرنا مجرى الأحداث بعد وباء الطاعون. ولكن النفوذ البرتغالي في البصرة كان ما يزال قوياً وفعّالاً. وكانت الاتفاقية حول القوة المتواجدة ما تزال قائمة حتى عام ١٧٠١. فقد كان البرتغاليون يتسلمون بموجبها مبلغاً كبيراً من المال من البصرة لتأمين الملاحة للأسطول الموسمي الشتوي للسفن التجارية بين البصرة والهند(١٣٣).

وقد تناقش البرتغاليون حول السيطرة على سير الأحداث. ويقضي أحد المشاريع باحتلال هرمز والضغط على الإمام لإعلان تبعيته وخضوعه لملك البرتغال وكان البعض الآخر يؤيّد قيام تحالف مع الفرس ضد عمان وتحسين التجارة البرتغالية مع بلاد الفرس. وفي عام ١٦٩٥ أرسلت حملة ضد هرمز ولكنها لم تتمكن من الوصول مطلقاً(١٣٤).

وسوف نجد في الفصل التالي بداية عهد جديد من العنف. فالبرتغاليون كانوا يرغبون في استعادة معقل ثابت لهم في الخليج. ولكن سياسة عمان في ذلك الوقت كانت تعارض ذلك. وكانت قد نشأت في السنوات الماضية منازعات بين عمان والبرتغاليين في بحر العرب. وسوف يكون الخليج فيما بعد ساحة النزاع تلعب فيها بلاد الفرس دوراً مباشراً لاهتمامها بتجارة البرتغاليين في الخليج.



الفصل السادس

الحرب بين فارس وعمان



المرحلة الأولى:

أبدت فارس اهتمامها من حين لآخر بالتوسع نحو عمان. وتُظهر الوثائق المتيسّرة أن الصفويين لم يطالبوا قانونياً، بأقاليم عمانية رغم أنهم أخذوا بعين الاعتبار لمصالحهم مسألة احتلال مسقط أو منطقة جلفار. وقد اقتصر وجود القوات الفارسية في هذه المنطقة على فترة قصيرة فقط بين أعوام ١٦١٨ – ١٦٢٣(١)، بينما كان البرتغاليون ضعفاء وتلقى الفرس أثناءها المساندة من السفن العربية. ونظراً لافتقار الفرس أنفسهم إلى وسائل الملاحة لتوفير الطعام والذخيرة لجنودهم المتواجدين على الجهة المقابلة من الخليج، فإنّ استمرار الوجود العسكري لفترة طويلة هناك لم يكن ممكناً.

وقد تناقش الفرس مع الإنكليز والهولنديين مراراً لغزو مسقط في الوقت الذي كانت ما تزال فيه تحت سلطة البرتغاليين. ومرّة أخرى أُخذت مثل تلك الخطط بعين الاعتبار في أوائل الستينات من القرن السابع عشر، عندما كان حكم اليعاربة في تدهور وذلك خشية من وقوع مسقط في أيدي البرتغاليين أو الإنكليز(٢).

ولم يكن موقف الهولنديين إزاء هذه الخطط إلاّ مجرّد اهتمامات حذرة خوفاً من أن يكرّر الفرس معهم ما فعلوه في هرمز بأن يجعلوا الأوروبيين ينفّذون بينما يحتفظون هم بالأرباح لأنفسهم. ولقد رأى الهولنديون أخيراً بأنه من الممكن الاستفادة قليلاً من العمانيين كحلفاء ضد البرتغاليين حتى في حال عدم التوصل إلى تحالف رسمي. وإضافة إلى ذلك فإن الهولنديين لم يهتموا كثيراً بمواجهة عدائية مع قوات عمان البحرية في مناطق ليس لهم فيها وسائل بحرية قوية. ولم يتضارب تطوّر عمان اقتصادياً وتجارة عرب المنطقة في البحار مع المصالح الهولندية، بينما كان هذا أكثر إيذاءً وتدميراً للبرتغاليين والإنكليز الذين كانوا يهتمون مباشرة بالنقل البحري المغربي الإسلامي إلى الجزء الغربي من الهند.

وكانت عمان في نزاع مستمر مع حكام الهند من مسلمين وهندوس، ومع البرتغاليين أيضاً. ولم تتوقف تجارة عمان مع كوشيم الواقعة في ساحل ملبار والتي تغلّب فيها الهولنديون على البرتغاليين. وكانت تلك العلاقة الاقتصادية الحسنة سبباً

على الأرجح لأن يستصعب الهولنديون القيام بأي نشاط ضد عمان.

وفي عام ١٦٩٤ واجه البرتغاليون ضغوطاً كبيرة من الانتفاضات التي قامت ضد مؤسساتهم في شرق أفريقيا. وقد طلب سكان جزيرة بمبا (Pemba) قرب زنجبار من العمانيين مساندتهم ضد البرتغاليين. ويرى بوكسر بأن فكرة إلهاء العمانيين عن التدخل في أفريقيا، قد جعلت البرتغاليين يسعون لإقامة حلف مع بلاد فارس(٣). ويبدو هذا نوعاً من التقلّب بين الأسباب والنتائج. وسيتضح فيها بعد أن فارس قد سعت إلى التحالف مع البرتغاليين بعد مهاجمة عمان لها.

وفي عام ١٦٩٥، وصلت إلى بندر كنج قوة كبيرة من السفن العمانية. واستولى العرب على السفن الراسية في الميناء كما سلبوا المدينة. كذلك تمّ الاستيلاء على عدة سفن برتغالية(٤). ويرجع السبب في وقوع هذه الحادثة إلى رغبة عمان في جعل مسقط محور التجارة المحلية في الخليج وإنهاء دور ميناء بندر كنج كمنافس لها وكمركز لتجارة أعدائهم البرتغاليين. ولو نظرنا إلى سياسة البرتغاليين السابقة لرأينا أن الهجوم على كنج قد جاء نتيجة استفزاز قريب. ومهما يكن فقد كان ميناء بندر كنج في غاية الأهمية لاقتصاديات فارس. وقد تكون مهاجمة ذلك الميناء الخطوة الأولى لهجوم عام على الطرق التجارية التي يسيطر عليها البرتغاليون بين البصرة والبحرين وبين كنج والهند وذلك في محاولة عمانية للسيطرة على التجارة في الخليج. وفي مثل هذه الظروف كان من المتوقع وقوع حرب بين فارس وعمان.

وتبدو نوايا عمان في مهاجمة كنج واضحة في رسالة بعث بها الإمام إلى الشاه. ويبيّن الإمام في هذه الرسالة أن الهجوم لم يكن موجّهاً ضد الفرس بل إن العمانيين يطالبون فقط بالمزايا التجارية التي يتمتع بها البرتغاليون في بلاد فارس. ولم يردّ الشاه على هذه الرسالة(٥). ومن الضروري، من أجل تفهّم أسباب الحرب، تحليل هذا الهجوم بالتفصيل، بالإضافة إلى ردود الفعل المترتبة عنه.

كانت أعمال عمان الهجومية موجّهة ضد البرتغال بصورة خاصة، إذ كان معظم النشاط التجاري الذي رغبت عمان في السيطرة عليه يُمارَس تحت حماية العلم البرتغالي. ولسنوات عديدة كانت القوات العمانية تهاجم المدن الساحلية في البلاد

المجاورة بهدف إلزام سكان المنطقة استخدام النقل البحري تحت سيطرة العمانيين في تجارتهم، واستخدام ميناء مسقط كميناء عبور. إن الهجوم على بندر كنج هو نتيجة طبيعية للغزوات العمانية في شرق أفريقيا. ولم يتمكن خصوم عمان من القيام بأعمال انتقامية كافية بعد غزو كنج. فالبرتغال كانت القوة الوحيدة التي بإمكانها القيام بهجمات مضادّة ضد المناطق العمانية، ولكن لم يقم البرتغاليون فعلياً بأي نشاط من ذلك القبيل(٦). ولقد تجنّب العمانيون مضايقة الهولنديين، وإلى حدّ ما الإنكليز، بسبب وقوع تجارتهما خارج دائرة اهتمام مصالح العمانيين من ناحية، ومن ناحية أخرى لأنه ليس من الممكن مواجهة قوّتهم البحرية دون التعرّض إلى المخاطر. ومهما يكن فإنّ الهجوم على كنج كان يعني التهديد المباشر للفرس. لقد تعرّض الفرس للأذى وفي حال غياب التجارة البرتغالية كان من الممكن الاعتماد كلياً على الوكالتين الإنكليزية والهولندية في تجارتهم الخارجية. وفي مثل هذه الحالة سوف تقلّ عائدات الرسوم الجمركية في جنوب بلاد فارس. وتختلف تجارة بندر كنج عن تجارة بندر عباس في امتلاك المصالح المحلية لمعظمها (من التجار الأثرياء الفرس والعرب). وعلى الأرجح أن الفرس قد ضغطوا على الشاه للانتقام نتيجة للنشاطات العمانية. كذلك لعبت المصالح الإنكليزية والهولندية دوراً في كنج. فقد مارست كلتا الدولتين موخّراً التجارة فيها(٧). وفيما كان الشاه بانتظار الأوروبيين لم يتّخذ الفرس أية إجراءات. وكانت قد ظهرت بعض السفن البرتغالية مقابل هرمز إلاّ أنها لم تقم بأيّ عمليات. وقد رأى الهولنديون أن البرتغاليين كانوا قد وعدوا الفرس في حال إرسال الشاه بجيش إلى مسقط، بأن يتوجّه نائب الملك شخصياً على رأس أسطول من جوا لمساندته. وكان البرتغاليون والفرس قد عقدوا اتفاقية مبدئية حول هذه المسألة. ولكن لم ينجم عن هذه الاتفاقية أية نتائج فعلية(٨).

كان من المتوقع أن تطلب المساعدة من القوى الأوروبية الأخرى المتواجدة في بلاد فارس. ولقد شاع مفهوم مبهم حول التزام الوكالتين الهولندية والإنكليزية بتقديم مساعدة عسكرية بحرية لفارس حيث كانت الوكالتان تنعمان بامتيازات فيها. وفي البداية رفض الإنكليز والهولنديون المساعدة زاعمين بأنهم بحاجة إلى قوّاتهم لأنهم

كانوا في حالة حرب مع فرنسا، ولأسباب أخرى أيضاً(٩). ثم إن الإمام بعث برسالة أخرى إلى الشاه تحمل تهديداً بتدمير بندر عباس إذا لم تطبّق شروطه. وكانت النتيجة الوحيدة لذلك أن بقيت السفينة الإنكليزية، التي كانت تحمل البضائع في بندر عباس، في الميناء لحمايته لبعض الوقت(١٠). في تلك الأثناء استمرّت المفاوضات بين البرتغاليين والفرس. وكان أن أُرسل مبعوث برتغالي عام ١٦٩٦، ولكن لم يبدُ في الأفق أيّ استعداد للنشاطات العسكرية في صيف ذلك العام*. وقد نشر التقرير الصادر عن تلك البعثة في كتاب ج. أوبان**.

وبعث البرتغاليون سفيراً من جوا. ولكن بعثته باءت بالفشل إثر وصول أنباء إلى بلاد فارس عن هجوم عماني على ممباسا، ولقد جاء في كتاب لوكهارت (ص٣٩٢) أنه على الرغم من ضآلة مساعدة البرتغاليين للفرس، إلا أنها دفعت العمانيين لمهاجمة منجالور في الهند، وغزوا ممباسا أخيراً عام ١٦٩٨. ويبدو أن هذا قد قلب الأمور رأساً على عقب. فالعمانيون يفضّلون البرتغاليين على الفرس. ويذكر أوبان في كتابه إمباساد (ص٢٥) أن القوة البرتغالية التي أُرسلت لمساعدة الفرس كانت صغيرة جداً وبالتالي لم تنجز شيئاً. وفي ديسمبر من عام ١٦٩٦ اختلف البرتغاليون مع الفرس ثانيةً حول موضوع دفع نصيبهم من عائدات الرسوم الجمركية في بندر كنج. وكان أن عبّروا عن عدم رضاهم عن الموقف الفارسي بالاستيلاء على سفينة قادمة من السند بالقرب من جزيرة الجسم(١١).

ولقد حظي الفرس بعطف فرنسا، حيث شجّع الكاهن الفرنسي في بلاد فارس جودرو، وضع الخطط لغزو فرنسي على مسقط، وهذا سوف يساعد الفرس على إذلال أعدائهم الهولنديين. ولكن لم يكن لدى فرنسا القوة للقيام بمثل هذه المغامرات(١٢).

وخلال فصل الشتاء التالي، أبدى الفرس مشاعر الودّ نحو الهولنديين وقدّموا لهم

---

* F 14 p 6m $ F.

** L' ambassade de Gregorio pereira Fıdlagc a la cour du Chah Soltan. Hosseyn (Lisboa 1971), CF Generale Missiven, Vol. 5, P. 860 (19-1-1691: "not yet"), Vol. 5, 810 ARA, VOC. 1598 (part persia) Fol. 87.

عدّة امتيازات. وقد طلب علي مردم خان، قائد الحملة المعيّن ضد مسقط، المساعدة من الهولنديين، وعرض على ممثلي الشركة الهولنديين الكثير من الامتيازات. ولما أدرك الهولنديون سرعة نمو التجارة مع بلاد فارس وازدياد أهميتها، خشوا من أن يعمد منافسوهم البرتغاليون إلى عرض امتيازات على الفرس للحصول على تلك المزايا ويحظون على أثرها بمكانة في السوق الفارسية، هنا أبدى الهولنديون استعدادهم للمساعدة. وفي يونيو من عام ١٦٩٧ قرّرت حكومة بتافيا العليا أن تردّ إيجابياً على طلب الفرس للمساعدة. وتشمل هذه المساعدة نقل قوّات الفرس. مع ذخيرتهم ومؤونتهم دون السماح باشتراك القوات الهولندية بأي عمل حربي مطلقاً، ودون السماح أيضاً للسفن الهولندية بمساندة القوات الفارسية بمدفعيتهم عند الإنزال. وكان أن تمّ إعداد خمس سفن كبيرة في بتافيا للإبحار تجاه البحر العربي، ولكن لم تتوجّه نحو بندر عباس سوى سفينة واحدة فقط. أما الباقي فقد تقرّر أن تلحق بها عندما يكون الفرس جاهزين، وإلاّ فسوف تستخدم تلك السفن الأربع للتجارة في سورات(١٣). وعندما اطّلع الشاه على العرض الذي قدّمه الهولنديون أبلغ السفير البرتغالي بأنه ليس بحاجة لمساعدته(١٤). ولقد استغل الهولنديون حسن العلاقات مع بلاد الفرس فباشروا ببناء مقرّ جديد تماماً خارج بندر عباس مباشرة. واستغرق العمل عدة سنوات، وعندما أصبح ذلك المبنى المحصن الجديد جاهزاً كان وضع الهولنديين في بندر عباس قوياً وآمناً(١٥).

كانت فترة السنوات الأخيرة من القرن السابع عشر ملأى بالفوضى في البحر. فلم يكن العمانيون وحدهم يهاجمون سفن أعدائهم، بل كان قد ظهر في البحر أيضاً أسوأ قراصنة من الأوروبيين. وقد اعترض القراصنة الأوروبيون المقيمون على جزر صغيرة شمال مدغشقر الملاحة في البحر الأحمر. وكان العديد من هؤلاء القراصنة لاجئين هربوا من الاضطهاد الديني في غرب أوروبا. فقد أُجبر بعض الفرنسيين البروتستانت وبعض الكاثوليك الإنكليز على مغادرة بلادهم، وقد عاشوا كقطاع طرق ولصوص. وكانت أربع سفن من القراصنة الإيرلنديين (وهم كاثوليك على الأرجح) عملوا في البداية قراصنة مغامرين في التجارة في البحر الكاريبي ثم وصلوا

أخيراً إلى جزيرة الجسم، ولكن سرعان ما غادروا المكان ليجرّبوا حظهم بالتجارة على سواحل أخرى في آسيا(١٦). أما الهولنديون فقد جَنوا أرباحاً طائلة بسبب تهديدات العمانيين وغيرهم بشأن الملاحة بين الهند وبلاد فارس حيث كان عدد من التجار الهنود يحملون بضائعهم على سفن هولندية مما يشكّل زيادة في دخل الوكالة الهولندية(١٧).

وقد فشلت خطط الفرس الكبيرة عام ١٦٩٧ لغزو عمان بمساندة الهولنديين في النقل وذلك لعدم توفّر الجنود الفرس لمهاجمة مسقط بسبب انهماكهم في حرب ضد البصرة، ولأن الشاه، كما يقول الهولنديون ساخرين «كان مشغولاً جداً بزوجاته». لقد شعر رجال الشركة الهولندية بالارتياح لعدم التزامهم بمساعدة الفرس في مغامرة خطرة وباهظة التكلفة، مما كان سيلقى معارضة المدراء في هولندا. وكان أن كتب حاكم بتافيا العام إلى رؤسائه في أمستردام يقول: «لقد تخلّصنا من التزامنا باستخدام السفن للحرب»(١٨). وكان هذا من حظ العمانيين إذ أن الهجوم المباشر عليهم من قبل قوة بحرية منظمة قد يؤدي إلى نتائج خطيرة. وهكذا كان العمانيون في عام ١٦٩٧، جاهزين للتدخل في أفريقيا. فقد طلب منهم في السابق مساندة الانتفاضة القائمة ضد البرتغاليين في بمبا (Pemba) التي بدأت عام ١٦٩٤، فحاصر العمانيون ممباسا وتمكّنوا من احتلال هذا الموقع البرتغالي المهم بعد حصار دام واحداً وعشرين شهراً. وكان سقوط ممباسا حدثاً هاماً في انحلال الأقاليم البرتغالية تدريجياً في الجزء الغربي من المحيط الهندي(١٩).

وفي عام ١٦٩٨، أراد الأوروبيون أن يتفرغوا لحماية الملاحة ولم يرغبوا في الارتباط بعمليات كبيرة وعنيفة في ظروف خطرة كالنشاطات ضد عمان نيابة عن الشاه. لقد خشوا على سفنهم وحرصوا على سلامتها حينما قدم القراصنة الإيرلنديون السابق ذكرهم إلى جزر قريبة من شرق أفريقيا، ومارسوا نشاطهم هنالك(٢٠).

وفي السنة التالية، لم يعد الهولنديون مقتنعين بنشاطات الفرس ضد عمان. وفي تلك السنة انهارت العلاقات بين الهولنديين وبلاد فارس واتّهم الفرس الهولنديين ببناء حصن لهم في بندر عباس. ولم يكن اتهامهم هذا بدون أساس، فالمبنى الجديد

للوكالة الهولندية كان محصّناً تحصيناً متيناً(٢١).

ولكن لم يستمرّ التوتر القائم بين الفرس والهولنديين طويلاً. إذ أن العلاقات بين البرتغاليين والفرس قد توتّرت ثانية بشأن الرسوم الجمركية في كنج. ولقد غيّرت السلطات الفارسية سياستها ووعدت الهولنديين بتقديم مكافآت كبيرة إذا طرد الهولنديون البرتغاليين من بندر كنج. ولكنهم لم يُحسنوا اختيار الوقت. فالعلاقات بين الهولنديين والبرتغاليين كانت آنذاك في أوجها(٢٢).

ولبعض سنوات، لم يظهر أي نشاط تقريباً في مسألة الصراع القائم بين بلاد فارس وعمان. فالعمانيون اكتفوا كما يبدو بنتائج هجماتهم الأولى، وكانوا يهاجمون بدلاً عن ذلك الملاحة في سورات وفي ساحل الهند. أما الفرس فقد واجهوا بعض المشاكل في منطقة شمال الخليج(٢٣). ولا نعلم سبباً وراء الهدوء المؤقت العماني نظراً لعدم وجود الكثير من المعلومات عن تاريخ النزاعات في داخل عمان في تلك السنوات. كذلك فإن سبب رغبة الفرس فجأة لتجديد القتال عام ١٧٠٢ ليس واضحاً. فقد طلبوا المساعدة من شركة الهند الشرقية الهولندية ولكن حكومة بتافيا العليا قرّرت عدم الموافقة على طلب الفرس للمساعدة في حربهم ضد مسقط بسبب الحرب التي بدأت في نفس السنة بين هولندا وفرنسا.

وفي الواقع بدأ الهولنديون يتذمّرون غاضبين من مثل هذه المطالب، وقد خشوا من استخدام الفرس لسفنهم عنوة ضد العمانيين. وبعثت حكومة بتافيا العليا إرشادات سرية خاصة بهذا الشأن(٢٤). وعندما تلقّى الفرس رفض الهولنديين المساعدة، طلبوا المساعدة عندئذ من البرتغاليين الذين ما لبثوا أن لبّوا طلبهم وبعثوا فعلاً بست سفن إلاّ أن هذه السفن لم تقم بأيّ نشاط. فقد عانى ملاّحوها من الجوع في الخليج وبالتالي تنحّى الكثير منهم عن العمل(٢٥).

وفي عام ١٧٠٤ خيّمت على المنطقة حالة عامّة من الحرب. إذ بينما كان التحالف الإنكليزي الهولندي موجّهاً ضد الفرنسيين، انفجر صراع مسلّح بين سورات والهولنديين. وقد وصلت تعليمات إلى القباطنة الهولنديين للاستيلاء على جميع السفن السوراتية التي يلقونها باستثناء السفن المرابضة في موانئ بلدان صديقة كبلاد

فارس أو عمان(٢٦). ولم يحالف الحظ العمانيين في تلك السنة في حروبهم المتواصلة ضد البرتغاليين. وكان أن استولى البرتغاليون على عدة سفن عمانية في سورات(٢٧). كذلك بدا فجأة احتمال قيام صراع بين الإنكليز والعمانيين. فقد استولى العمانيون على سفينة إنكليزية كانت تمارس التجارة بين مخا وسورات. وقد ادّعى العمانيون، كما جاء في مصدر هولندي أن عملهم هذا كان انتقاماً للمذبحة التي ارتكبها الإنكليز ضد العمانيين في سورات عام ١٧٠٤. ولقد غضب الإنكليز غضباً شديداً وكتب مدراؤهم معلنين أن حروبهم في أوروبا هي الشيء الوحيد الذي يمنعهم من مهاجمة وتدمير «عرب مسقط التي أطلقوا عليها معقل القراصنة»(٢٨).

أما الهولنديون فقد حاولوا تجنّب التورّط في نزاع مع عمان بأي ثمن. وفي عام ١٧٠٥ تلقّت السفن الهولندية أوامر تقضي بمنع السفن العمانية من التوقف في سورات أو في أي ميناء من موانئ المغل دون التعرّض لها. ولكن الأعمال التجارية استمرّت. وكانوا يستخدمون سفن العدو أحياناً عندما يرون في ذلك أكثر أماناً وفائدة. وبهذه الطريقة كانت تُرسل البضائع الخاصة بأحد عملاء إمام عمان في سورات، على متن سفينة عربية تخصّ شيخ العبادلة المقيم في كنج حيث وكالة البرتغاليين الخاصة أعداء عمان التقليديين(٢٩). ويبدو أن العمانيين قد عرضوا في عام ١٧٠٥ خسائرهم التي منوا بها في عام ١٧٠٤. فقد انتقموا بشن هجوم على مدينة داماو البرتغالية(٣٠).

والآن بدأ الهولنديون أنفسهم يعانون من الحرب. فقد انخرط بعض البحارة الأتراك الذين كان العمانيون قد استخدموهم ضد داماو ثم احترفوا بعد ذلك أعمال القرصنة. وقد استولى هؤلاء الأتراك على سفينة هولندية صغيرة بالقرب من جوا وقتلوا ملاّحيها(٣١). وفي عام ١٧٠٦ طلب الفرس مجدّداً المساعدة من الهولنديين. فقد طلبوا من الهولنديين الاستيلاء على جميع السفن العمانية التي يعتدون عليها، وتدميرها، وكذلك محاصرة مسقط. إلا أنه كان من الصعب على الهولنديين تحقيق تلك المطالب لوجود مصالح مشتركة بينهم وبين العمانيين. وفي عام ١٧٠٦ بدأ العمانيون منازعاتهم مع سورات في الوقت الذي استمرّت فيه الحرب بين الهولنديين

وسورات(٣٢). ولقد ساعد الهولنديون الفرس عسكرياً في حالة واحدة فقط عندما بعثوا عام ١٧٠٨ بإحدى سفنهم إلى جزيرة لارك لطرد عصابة من القراصنة الهنود من رعايا سلالة مهراتا في أنجريا المقيمين هناك(٣٣).

ولم تكن سياسة عمان متقلّبة كما تبدو. فهناك خلفية واحدة مشتركة وراء الصراعات القائمة مع البرتغال وبلاد فارس وسورات تتمثل في رغبة عمان في السيطرة على التجارة بين الخليج والهند. صحيح أن عمان لم تتمكن من القضاء على أية قوة من هذه القوى الكبيرة، ولكن العمانيين نجحوا في محاولتهم حينما هاجموا الموانئ والملاحة في مواقع مختلفة، من تحويل التجارة إلى الاتجاه المطلوب. وفي عام ١٧٠٧ انتهت الحرب بين عمان وسورات وتفرغ العمانيون ثانية لشن حرب ضد الفرس(٣٤).

الاضطرابات في منطقة شمال الخليج:

رأينا في الفصل السابق غزو عرب المنتفق للبصرة. وقد يكون ظهور قوة اتحاد المنتفق القبلي الفجائي كبيراً، ولكن أساسه كان ضعيفاً. ولا يمكن أن يكون باشا بغداد العثماني قد استساغ هذا الوضع الذي خنق اقتصاديات البصرة بإعاقة مرور التجار. ولا بد من أن تكون هذه الاقتصاديات قد تأثرت أيضاً بالنتائج السلبية للهجمات العمانية في منطقة جنوب الخليج منذ عام ١٦٩٥. ولقد أدّت الأحداث المتعلقة بمسقط إلى حدوث أزمة في تجارة البصرة عدّة مرات. وفي الشرق لم تتمكن سلالة المشاشة التي كانت تحكم الحويزة (وهم عرب ولكنهم رسمياً مدرجون مع حكام الأقاليم في نظام الحكم الفارسي) من التوفيق بين مصالحهم وبين فقدان جزء من أراضيهم لصالح اتحاد المنتفق القبلي. وكان مجتمع التجار في البصرة نفسها يدرك تماماً مزايا الحكم العثماني وبالتالي حافظ على موقفه التقليدي في تأييد العثمانيين.

وفي عام ١٦٩٧ هزم فرج الله، والي الحويزة، قوّات المنتفق في هجوم شنّه عليهم. وعندما أدرك أعيان البصرة مدى ضعف المنتفق احتكموا إلى العثمانيين. وقد عيّن الباب العالي حسن باشا حاكماً على البصرة فزحف إلى الجنوب وتمكّن من احتلال

قرنة ملتقى نهري دجلة والفرات، ولكنه توقف هناك.

ثم إن حسن باشا الوالي العثماني، اتفق مع فرج الله الذي كان بالاسم شريفاً فارسياً بأن يحاول فرج الله احتلال البصرة. وفعلاً في عام ١٦٩٧ استولى فرج الله على المدينة وأُعلنت البصرة رسمياً ملكاً لشاه فارس ولمّا لم يشأ الشاه إثارة نزاع مع العثمانيين في تلك الفترة بالذات، بعث الشاه إلى السلطان العثماني مفاتيح المدينة. ويبدو أن هذا لم يكن أكثر من إجراء شكلي. فقد كان يحكم البصرة حاكم فارسي رغم أن والي البصرة كان آنذاك هو والي الحويزة العربية. ولم يكن فرج الله إسمياً سوى أحد رعايا الشاه. وتشير التقارير الهولندية لعام ١٦٩٩ أن الفرس كانوا يخشون من مهاجمة مسقط لهم في تلك السنة وخافوا أن يباغتهم فرج الله من الخلف(٣٥).

وفي الواقع لم تكن السلطة الفارسية في المنطقة في مركز أفضل من النفوذ العثماني إذ أن القوة الفعلية كانت بأيدي قادة القبائل العرب الذين كانوا غير مستقرين في تحالفهم وصراعاتهم مما جعل من المستحيل لكلتا الامبراطوريتين السيطرة على الوضع تماماً.

ولقد تزايدت الحرب القبلية بشكل مفاجئ بسبب التحركات القبلية، على ما يبدو إثر سلسلة من الهجرات. وما لبثت السلطة الفارسية أن انهارت عندما نشأ صراع بين حكومة أصفهان ووالي الحويزة. وفي البداية طلب فرج الله المساعدة من العثمانيين، ولكن بعد أن عزله الشاه ووضع مكانه داود خان حاكماً على البصرة، تصالح فرج الله مع مانع شيخ حلف قبائل المنتفق. وبهذا يكون قد تشكّل تحالف عربي قويّ يهدّد بغزو البصرة والسيطرة بالتالي على رأس الخليج(٣٦). ويبدو أن الثورات في محيط القبائل العربية قد اتسعت إلى مناطق أبعد من شمال الخليج. ففي عام ١٧٠٠ أمر السلطان العثماني جميع باشوات المناطق التي تحدّ الصحراء بمهاجمة جميع القبائل، بعد أن هاجم رجال القبائل قافلة من الحجّاج في طريقها إلى مكة(٣٧).

وكان الفرس أضعف من أن يعالجوا المسألة، وكذلك لم تحقّق فرق القبائل التي جنّدتها السلطات الفارسية في الخليج للخدمة قرب البصرة إلا القليل. وأصبح العثمانيون آنذاك في وضع أفضل بعد أن اتخذ الشاه قراراً مفاجئاً بإعادة البصرة إلى

السلطان العثماني عام ١٧٠٠ لأسباب لم يفهمها المراقبون المعاصرون(٣٨). وقد انتهت آنذاك الحرب المأساوية بين تركيا من جهة والنمسا والبندقية من جهة أخرى بمعاهدة كارلوفشي عام ١٦٩٩، وأصبح بإمكان الأتراك تسوية قضاياهم في أماكن أخرى. وعيّن العثمانيون علي باشا والياً على البصرة، وتمّ إرسال جيش قويّ بقيادة دلتابان مصطفى باشا والي بغداد. وكانت النتيجة أن هُزم فرج الله واستسلم، وتصالح الشيخ مانع مع العثمانيين. أما داود خان فقد غادر البصرة. وفي عام ١٧٠١ دخل علي باشا المدينة(٣٩). ويبدو أنه حاول أن يعيد للبصرة مجدها وازدهارها السابق عندما وجّه دعوة للهولنديين لاستئناف التجارة فيها(٤٠).

وعلى الرغم من عودة النفوذ العثماني إلاّ أن الوضع لم يكن مستقراً تماماً. فتجارة البصرة لم تزدهر. وفي عام ١٧٠٤ أصاب المدينة وباء أودى بحياة ثمانية آلاف شخص. وبعد ذلك بدت بوادر الأمل عندما تقلّد خليل باشا عام ١٧٠٥ منصب الوالي بدلاً من علي باشا الذي وصفه الهولنديون بالرجل الغادر(٤١). ولكن ثبت أن تلك الآمال كانت باطلة. فلقد بدأ خليل باشا فور وصوله نزاعاً مع شيخ المنتفق الجديد مغامس بن مانع. وقد حاول العثمانيون أن يضعوا مكانه رئيساً يكون ألعوبة بأيديهم، ولكنهم فشلوا. وفي عام ١٧٠٦ بدأت معظم قبائل المنتفق انتفاضة كبيرة تحت قيادة مغامس. وقد غزت القبائل العربية البصرة وتكبّد الهولنديون خسائر مادية فادحة. ولم يتمكن الجيش العثماني من القضاء على هذه الثورة، رغم أن البصرة ظلّت بأيدي العثمانيين.

وتولى حسين باشا والي بغداد أمر حكومة البصرة كي يسيطر على أحوالها ونصّب عليها نائباً عنه (متسلّم). وظلّت البصرة بأيدي العثمانيين ولكنها بقيت عاجزة عن استرجاع ازدهارها السابق لفترة من الزمن(٤٢). وقد تكون الأزمة التجارية في الخليج الناتجة عن الحرب بين بلاد فارس وعمان هي المسؤولة عن ذلك. وقد أخلى الهولنديون وكالتهم في البصرة عام ١٧٠٦ بسبب تدهور التجارة وثقل الضرائب(٤٣). وظلوا بعيدين لفترة طويلة. وقد جرّب الإنكليز التجارة عام ١٧١٥ – ١٧١٦ إلاّ أنهم تكبّدوا خسائر فادحة وتراجعوا أيضاً عن التجربة ثانية(٤٤). وخلال

الحرب، أصبح الوجود الأوروبي في البصرة مقتصراً على دير الكرمليين، وكان السجلّ الذي دوّنه الرهبان المصدر الأوروبي الوحيد للأحداث في المنطقة.

وظل تاريخ منطقة شمال الخليج خارج منطقة البصرة مجهولاً، والمصادر قليلة جداً. وقد تكون المناوشات في البصرة سبباً لتحوّل التجارة الطبيعية إلى أماكن أخرى. ويبدو هنا ميناء كاظمة الشمالي التابع لبني خالد عند مدخل الطرق التي تمرّ بها القوافل إلى حلب، واضحاً على الخرائط المطبوعة منذ عام ١٧٢٠. ويدل هذا على ازدياد أهمية هذا المكان عما كان عليه في سنوات سابقة(٤٥). ومن ناحية أخرى، سدّت قبائل الهولة الطريق في وجه قبيلة بني خالد وحلفائهم في الساحل الآخر من الخليج. وكان أن طرد الهولة العتوب وهي القبيلة المهمة التي يعمل أفرادها في البحر تحت حماية بني خالد، في مغاصات اللؤلؤ في قطر والبحرين، وهاجروا إلى منطقة البصرة. وتوضّح هذه الحادثة تغييراً مهماً في أحوال البحرين ففي السبعينات،من القرن السابع عشر غزت قبائل منطقة شمال الخليج مغاصات اللؤلؤ، وكانت الهولة قد استعادت نفوذها آنذاك في جنوب الخليج وأصبحت هذه المنطقة لسنوات عديدة تحت سيطرتها(٤٦). ونتيجة للحرب بين عمان وبلاد فارس تحوّل ولاء عرب الحويزة بعيداً عن الفرس. وكان للسيد عبد الله وهو ابن فرج الله، يد في نزاعات الحدود مع الأتراك. فقد ساند الهجمات الفارسية ضد عمان. وفي عام ١٧١٨ احتل الأتراك منطقته، وعيّنوا شقيقه سيّد محمد حاكماً، فيما تولى سيّد عبد الله منصباً ضمن جيش الشاه سلطان حسين الفارسي(٤٧).

ومن الممكن أن تكون التجارة قد حولت جزئياً من البصرة إلى الموانئ العربية على ساحل الخليج الشمالي حيث كانت تتواجد فيه أيام السلم مداخل للقوافل من بغداد إلى حلب. ويشير مصدر هولندي أن حركة التجارة قد نشطت في ميناء بندر ريج تحت حكم مير حمد. ويشير هذا المصدر الأخير إلى فترة الاضطرابات في البصرة حوالي عام ١٧٠٠، وذلك لأن اتصالات الهولنديين القديمة مع بندر ريج قد حدثت في عام ١٧٠٥، عندما قامت سفينة هولندية بتجربة التجارة معها(٤٨). ولا يوجد في ذلك الوقت معلومات أخرى عن ميناء بوشهر سوى أن سكان الميناء كانوا يؤيّدون

الفرس ضد العمانيين. أما القبائل العربية في المنطقة المحيطة بهذا الميناء والتي أيّدت العمانيين فقد عاقبها الفرس على موقفها هذا عام ١٧١٦(٤٩).

المرحلة الثانية من الحرب بين بلاد فارس وعمان:

لم تكن الحرب بين عمان وبلاد فارس خلال المرحلة الأولى ذات قيمة ولم تكن أكثر من رد فعل للأعمال الحربية العمانية ضد البرتغال والتي آذت بلاد فارس، وهنا جرت بعض المحاولات الفاشلة للانتقام. ولم تكن المحاولة الأساسية التي قام بها العمانيون ضد البرتغاليين في الخليج بل في أرض شرق أفريقيا حيث سيطر العمانيون على مدينة ممباسا المهمة. ومن ممباسا وسّع العمانيون سيطرتهم نحو كلوة (Kilwa) وبمبا (Pemba) وزنجبار(٥٠). وبعد ذلك نتج عن الحرب بين عمان وسورات تحوّل عندما أبرم العمانيون السلم مع سورات، واستأنفوا بقوّة هجماتهم ضد بلاد فارس والبرتغال.

وفي عام ١٧٠٧ عرضت السفن العمانية قوّتها قرب بندر عباس عندما كانت تستولي على السفن الفارسية كلما استطاعت(٥١). وقد أُرسل مبعوث فارسي إلى بتافيا يطلب المساعدة من الهولنديين، إلا أنه تمّ إرجاء المهمّة نظراً لحاجة ذلك الرجل إلى المال لإتمام رحلته الطويلة(٥٢). وفي السنة التالية قام العمانيون بمحاولة ضد جوا، ولكنها كانت مبالغاً بها وبالتالي فشلت. وخلال الاستعداد لهذا الهجوم، كاد أن ينشأ نزاع بين العمانيين والهولنديين. وذلك أنه وصلت إلى مسقط سفينة هولندية فيما كان الأسطول العماني مستعداً في المرسى للخروج والهجوم. وقد احتجزت السفينة في الميناء فترة للإبقاء على سريّة الاستعدادات. ولكن الهولنديين احتجّوا على ذلك، وكان أن ردّ العمانيون على احتجاجهم بحسن معاملتهم للسفن الهولندية الأخرى، وبذلك زال خطر ذلك الصراع(٥٣).

كذلك بعث الفرس بمبعوث إلى بومباي يطلب المساعدة من الإنكليز ضد عمان. ولكنه فشل في مهمته. ولقد آثر مبعوث آخر وهو ميرزا ناصر عدم العودة بعد فشله، وزاول التجارة(٥٤). وتبيّن قصة هذين المندوبين الفارسيين أن سياسة الصفويين قد

أصبحت مهزلة. وفي أصفهان ناقش الفرس مع السفير الفرنسي ميشيل قضية النزاع مع عمان. وقد جاء مندوب الملك لويس الرابع عشر باقتراح غريب وهو أنه إذا وافق الفرس على طرد الهولنديين والإنكليز من بلادهم فإن فرنسا سوف تملأ الفراغ الذي سببته تلك القضية للتجارة الفارسية، وسوف يغزو الفرنسيون مسقط، مكافأة لهم على ذلك، لصالح العرش الفارسي. ومن سوء حظ الفرس أن الفرنسيين لم يملكوا قوة في آسيا تمكنهم القيام بأي عمل يتعدّى الملاحة المخوّلة من قِبَل الحكومة لحماية الغير وكان الفرس حكماء جداً حيث أنهم لم يأخذوا العروض الفرنسية جدياً(٥٥).

وفي عام ١٧٠٩، وبعد سنتين من السلام انفجرت الحرب ثانية بين سورات وعمان. ولم يحقّق الأسطول العماني في السنة الأولى منها أي نجاح. أما في السنة التالية فقد استولى العمانيون على عدة سفن سوراتية في البحر الأحمر وحاصروا عدة سفن أخرى في ميناء عدن(٥٦). وقد التزم العمانيون جانب العقل وأوقفوا القيام بالاشتباكات في مرات متتابعة كما حاولوا التفاوض للسلم مع بلاد فارس. ولقد أُرسل سفير عماني إلى أصفهان حيث عرض عليهم أن تتوقف هجمات السفن العمانية والسفن العربية المتحالفة معهم، في الخليج، إذا منحت بلاد فارس العمانيين حق الدخول إلى الموانئ الفارسية ودفعت لهم نصف رسوم كنج كما كانوا يدفعون للبرتغاليين من قبل. إلاّ أن سير المفاوضات كان بطيئاً. ولقد ظل السفير العماني مدة سبعة أشهر في أصفهان قبل أن يُكلَّف بالتوجه إلى حاكم كوجالو مباشرة كما تلقّى أوامر بأن يبعث شخصاً من بعثته إلى مسقط ليأتي بردّ الفرس للإمام(٥٧). في غضون ذلك تابعت عمان الحرب مع سورات واضعة كل قوتها في البحر الأحمر، حيث أرسلت أسطولاً كبيراً استولى على عدة سفن للتجار السوراتيين قرب مخا(٥٨). ويذكر أن حادثة من هذا القبيل قد وقعت مع سفينة إنكليزية(٥٩).

وفي عام ١٧١١ قامت حملة عمانية جديدة في البحر الأحمر لكنها لم تأتِ بنتائج مجدية لأن حاكم عدن كان قد حذّر السفن السوراتية للمغادرة في الوقت المناسب(٦٠). ويبدو أن الإنكليز في ذلك الوقت، وبعد كثير من الضغوط، وعدوا الفرس بمساعدتهم ضد مسقط بنقل القوات الفارسية إلى عمان، ولكن وعودهم لم

تتحقق(٦١).

وفي نفس السنة (أي عام ١٧١١) توفي الإمام سيف بن سلطان الأول. وقد تابع ابنه الذي خلفه سلطان بن سيف الثاني سياسة والده(٦٢). وكان الصراع بين عمان وبلاد فارس، لفترة ما، دبلوماسياً فقط. ولم يُذكر شيء عن قيام الهجمات العمانية رغم أن الظروف كانت مؤاتية لأن الفرس كانوا في حرب مع البرتغاليين عام ١٧١٢. ولقد أبدى نائب الملك في جوا غضبه من الفرس لتباطؤهم بتسديد نصيب البرتغاليين من الرسوم الجمركية في بندر كنج فأرسل بضع سفن استولت على مركبين يخصان رعايا الفرس قرب ميناء بندر عباس المنافسة لبندر كنج، ثم نُقل المركبان إلى بندر كنج. عند ذلك طلب الفرس من الهولنديين المساعدة ضد البرتغاليين كما طلبوا منهم الهجوم على مسقط. ولكن الوقت الذي اختاروه كان سيئاً. فالهولنديون كانوا أصدقاء للبرتغاليين في ذلك الوقت كما كان هناك عدة أسباب وقضايا تزعجهم في حكومة الشاه سلطان حسين. ولم يكن أمام الفرس سوى مصالحة البرتغاليين بتسديدهم الرسوم المستحقة(٦٣).

وعلى صعيد آخر، كان الوضع الدولي في المنطقة يزداد تعقيداً، فقد كانت عمان في حالة حرب مع بلاد فارس ولكنها ركزت جهودها في الحرب مع دولة كنارا في الهند، فيما كانت تحاول التوصل إلى سلام مع سورات(٦٤). وكان البرتغاليون أيضاً مشغولين بحرب مع كنارا ولم يهتموا آنذاك بخوض حرب مع عمان. وقد اغتاظ الإنكليز بعد البرتغاليين من الفرس. وسدّوا الطريق عن بندر عباس وحوّلوا تجارتهم إلى مسقط مؤقتاً(٦٥). وحدث أن ساءت العلاقات بين الفرس والهولنديين بعد أن عمد الفرس إلى إقناع مندوب هولندي غبي في أصفهان بتجاهل جميع التعليمات الموجّهة إليه وقرض الشاه، الذي لا يستحق مبلغاً كبيراً من المال. وعندما عاقبت السلطات الهولندية العليا مندوبها في أصفهان، تدخّل الفرس في الشؤون الداخلية للشركة الهولندية تدخلاً كبيراً. لقد خسر الفرس إثر تدخّلهم هذا كلّ ما يمكن من المزايا من قِبَل المدير الهولندي في بندر عباس ومن قِبَل حكومة بتافيا العليا(٦٦).

المرحلة الثالثة:

وفي عام ١٧١٢، جمّع العمانيون ثانية قواهم لحروب جديدة. وكانت قد جرت معظم النشاطات الحربية العمانية السابقة في البحر العربي ضد البرتغال والهند المغلية. لقد تركّزت طاقة العمانيين في هذه المرحلة الثالثة والأخيرة على الحرب مع بلاد فارس ووجّهوا ضربتهم الأولى على جزيرة الجسم ثم تبعتها هجمات ضد الملاحة البرتغالية في البحر العربي(٦٧).

بعد ذلك شنّ العمانيون في عام ١٧١٤، هجوماً على نطاق واسع ضد بندر كنج ودمّروا المدينة واستولوا على السفن البرتغالية المرابضة في الميناء. وكان أن فرّت إحدى تلك السفن إلى بندر عباس وتبعها العرب وهاجموها على مرأى من القلعة الفارسية. وقد طلب البرتغاليون من القائد الفارسي مساندتهم بالمدفعية من القلعة، ولكن الفرس رفضوا بسبب الحرب القائمة بين عمان وبلاد الفرس(٦٨). ولكن السلطات الفارسية لم ترضها العمليات العمانية، وقاموا بالردّ عليهم. وقد اتهم المدير الهولندي، باكر جاكوبز، بإجراء اتصالات سريّة مع عمان وإقناع العمانيين بمهاجمة بندر كنج. ولم يمنع هذا الاتهام الفرس من الإلحاح في طلب المساعدة من الهولنديين لإغلاق الساحل قرب بندر كنج لمعاقبة القبائل العربية في المنطقة في حال مساعدتهم للعمانيين عندما يجدون فرصة لذلك. ويوضح طلب الفرس هذا للمساعدة موقف القبائل العربية من جنوب الخليج، وعلى الأرجح المرازيق أو آل علي، الذين يبدو أنهم انضموا إلى العمانيين، في الوقت الذي لم يتمكّن فيه الفرس من التصرف(٦٩).

ولم يقدّم الهولنديون مساعدة للفرس. وكان الرهبان الكرمليون الفرنسيون في أصفهان قد اقترحوا على حكومتهم بأنه قد يكون للهجوم على مسقط فائدة كبيرة لفرنسا، إلا أن فرنسا لم تمتلك وقتذاك أية وسائل لذلك في المنطقة(٧٠).

أما الفرس فلم يكن لديهم وسائل لخوض حرب بحرية في الخليج، كما أنهم قد شُغلوا بالاضطرابات الداخلية إذ أن أحد جنرالاتهم وأكثرهم ثقة تمرّد وأصبح الوضع في شمال بلاد فارس خطراً. كان نظام الحكم الصفوي يميل نحو الانحلال. ولم يعد الشاه كفؤاً في منصبه، كما كان وزراؤه يتصفون بالفساد وأصبحت حالة

الامبراطورية المالية في حالة من الفوضى، كما كان نظام الضرائب لديهم يهدم اقتصادياتهم الخاصة(٧١). وفي أكتوبر عام (١٧١٥) اضطر الفرس إلى النظر في وضع الخليج بجدّية أكثر. وقد حاولت القوات العمانية القوية اجتياح البحرين مرتين خلال ذلك الشهر، وقد صدّ الهجومان وتكبّد العمانيون نتيجة لذلك خسائر فادحة (حسب الوثائق الهولندية أن الخسائر في الأرواح بلغت ألف رجل)(٧٢). وهذا يعني أيضاً أن الحرب قد أخذت منحىً خطيراً جديداً بالنسبة للفرس إذ أن خسارتهم للدخل الكبير الذي كان يعود عليهم من مغاصات اللؤلؤ في البحرين كان بمثابة ضربة قاصمة للوضع المالي الضعيف والمتدهور في بلاد فارس(٧٣). ولقد تمّ إعداد قوة خاصة للقتال ضد العمانيين تحت قيادة صافي قولي خان(٧٤). وكان يلزم العمانيين بعض الوقت لجمع صفوفهم وتنظيم قواتهم بعد الهزائم الأولى. وفي عام ١٧١٧ عادوا ثانية. وفي فبراير حاولوا اجتياح هرمز فغزوا الجزيرة وقتلوا حاكمها لكنهم فشلوا في السيطرة على الحصن(٧٥). وفي أواخر صيف عام ١٧١٧ هاجموا البحرين ثانية وتمكّنوا هذه المرّة من الاستيلاء على الحصن بعد حصار دام شهراً تقريباً(٧٦). وثمة تقرير غير مؤكد بأن العمانيين لم يستخدموا سفنهم الخاصة فحسب، بل إنهم استخدموا أيضاً السفن الإنكليزية التي كانت قد حولت مسارها مؤقتاً من خط سورات بندر عباس(٧٧).

وهكذا استولى العمانيون على البحرين وأخضعت قواتهم مباشرة حصون جزيرة الجسم ولارك. وبذلك سيطروا على تحركات موانئ جنوب بلاد فارس وسدّوا المنطقة في وجه أعمال الملاحة لجميع الشعوب باستثناء الإنكليز والهولنديين(٧٨). وكان هدفهم الثاني هرمز ونزلت القوات العمانية في الجزيرة ودخلت المدينة حيث قامت بإطلاق سراح ثائر فارسي كان قد تمرّد ضد الصفويين. وعندما لم تستسلم الحامية الفارسية في حصن هرمز بدأ حصار طويل الأمد(٧٩). ولم يكن في هرمز وقتذاك حاجتها من الماء، ولم يكن الحصن أيضاً في حالة جيّدة لعدم ترميمه، كما كانوا بحاجة للمؤونة. وكان من المتوقّع أن لا يصمد الحصن. وقد حاول الفرس الحصول على مساندة الهولنديين ضد العمانيين في هرمز إلاّ أن محاولتهم باءت بالفشل. وكان الكسب الوحيد الذي قدّمه الهولنديون للفرس بأن بعثوا رسائل إلى القادة العمانيين في

جزيرتي هرمز والجسم محذّرين من تدمير التجارة في بندر عباس وكان هؤلاء القادة يبعثون أحياناً مراسلات وديّة للهولنديين ودعوتهم للتجارة في مسقط. إلاّ أن الهولنديين رأوا أنهم لن يستفيدوا من التجارة في عمان، ولن يستفيدوا أكثر من مساعدة الفرس(٨٠).

وفي فبراير من عام ١٧١٨ جرى أهم اتصال بين الهولنديين وبين القوات العمانية في هرمز. كانت السفينة هارنجتاين (Haringtuyn) في طريقها من بتافيا إلى بندر عباس. وعندما دخلت الخليج نفدت منها المواد الغذائية الطازجة. وقرر بعض البحارة فيها أن يتوجّهوا على مركب شراعي صغير لصيد السمك قرب لارك لمحاولة شراء شيء من هناك. ولم يكونوا على دراية بأحداث الحرب فيها. فاستوقفت سفينة مراقبة عمانية المركب ظنّاً منها أن البحّارة من البرتغاليين ونُقل البحارة إلى المعسكر العماني في هرمز. وهناك قابلوا ضابطاً عمانياً كان في بتافيا عبداً لكابتن برتغالي فأزال سوء التفاهم، وقبل أن يغادر البحّارة الهولنديون المكان، زاروا قادة الجيش العماني في هرمز. وهذا وصف من الوثائق الهولندية لما حدث:

«حوالي الساعة الثامنة، قادنا ذلك الكابتن وبعض الضباط الآخرين إلى القائد العماني، ومررنا بصفّ من الجنود عددهم ألف جندي مسلّح يحيّون ببندقياتهم. وذهبنا إلى مبنى قديم شبه متهدّم، حيث شاهدنا رجلين جالسين على سجّادة جميلة يحملان السيوف والدروع بدا لنا أنهما من الأعيان. ودعانا الرجلان للجلوس على السجادة إلى جانبهما وسألانا عن جنسياتنا. فأجبنا أننا من هولندا وأننا نخدم الوكالة. ثم سألنا أحدهم عن الجهة التي جئنا منها. فأجبته أننا قادمون من بتافيا ووجهتنا بندر عباس. ثم سألنا عن كيفية معاملتنا في جزيرة لارك وأجبته أنها كانت حسنة وأننا مدينون لهم بالشكر وأنني سوف أُبلغ قائدنا بحقيقة الأمر. ثم سألني عن سبب قدومنا إلى لارك. فأجبته أننا جئنا لشراء الغنم وأننا لم نكن نعلم بالحرب الدائرة بينهم وبين الفرس. وبعد ذلك سألني ما إذا كان لدينا بعض البارود في سفينتنا. فأجبته أنه لدينا قدر حاجتنا للدفاع عن السفينة. ثم سأل ما إذا كان في السفينة بعض

الأقمشة فأجبته أنني لا أعلم لأنه ليس من شأني الاطلاع على أوراق السفينة. ثم طلب مني عدم إبلاغ الكابتن أو مدير الوكالة الهولندية في الخليج شيئاً سيئاً وأعطاني رسالة لأسلمها للكابتن. ثم سمح لنا بالمغادرة. فوقفنا وشكرناه على المعاملة اللطيفة التي عاملنا بها. ثم غادرنا على صوت الأبواق ومررنا بصف الجنود متوجهين إلى حيث كان الكابتن. وهناك دُعينا لتناول الأرز والتمر وكعكة اللوز. وبعد الطعام طلبوا منا أن نغادر وتوجّهنا نحو مركبنا الشراعي مع الكابتن ومجموعة من خمسة وعشرين جندياً ذهبوا على متن إحدى سفنهم حيث قادونا عبر صف من السفن التي حاصرت الجزيرة. وعندما عبرنا السفن قاموا بتحيّتنا، فرددنا التحية بترداد كلمة «هوسا» (Hussa) ثلاث مرات وهي تحية هولندية تُرمى فيها القبعات إلى أعلى»*.

وما تزال ترجمة الرسالة التي تسلّمها البحّارة الهولنديون من القائدين ناصر بن عبد الله بن أحمد الحناس** والشيخ رحمة بن مطر بن رحمة بن محمد الهولي، إلى المسؤولين الهولنديين موجودة حتى الآن وهذا نصها:

«بعد التحية، أؤكّد لكم برسالتي هذه صداقتي تجاهكم. أما من حيث احتجاز شعبنا المركب الشراعي التابع لسفينتكم وثلاثة من رجالكم في لارك (والتي هي تحت حكم الإمام)، فقد حدث ذلك نتيجة لجهلهم تماماً ما إذا كان البحّارة من الهولنديين أو الإنكليز أو البرتغاليين أو الفرنسيين أو الدانماركيين. فقد أبلغني الرجال الموجودون على الجزيرة بالأمر وأرسلوهم إليّ. وفور علمي بأنهم هولنديون، أطلقت سراحهم وأرسلتهم إليك وهذا واجبي. لقد أمرني الإمام أن أحترم الشركة الهولندية الموقّرة في جميع المسائل وعليّ الطاعة التامة، وسف ألبّي جميع طلباتكم.

أدام الله مجدكم»***.

---

* ARA, VOC Vol. 1913. Fol. 442 - 443.

** هكذا وردت لدى نص المؤلف وقد تكون الحبوس.

*** ARA, VOC/ 1913, Fol. 437 - 438.

وتبيّن هذه الاتصالات بين الهولنديين وبين القائدين العمانيين وضع القوات العمانية. فقد كان أحد القائدين الشيخ رحمة بن مطر الهولة أو بالأحرى القاسمي وينتمي إلى عائلة سبق ذكرها في الحرب مع البرتغاليين عام ١٦٤٨. وبعد عام ١٧١٨ بقليل ورد ذكر رحمة نفسه كأمير لجلفار ثم أصبح مؤسساً لإمارة مستقلة هناك. وفيما بعد حاول الشيخ رحمة ثانية أن يأخذ هرمز. وقد يشير وجوده في جلفار إلى أن الحرب في الخليج تتعلق بالجزء الغربي من عمان. وهناك مفهوم معيّن يتعلّق بالهولة. فالشيخ رحمة يلقب بالهول وهو مفرد من الهولة، وقبائل الهولة في منطقة بندر كنج كانت تساند العمانيين(٨١).

في غضون ذلك كان الفرس يعدون جيشاً من ثمانية آلاف رجل لمهاجمة البحرين ثانية تحت قيادة لطف علي خان. ولقد أجبرت أنباء مغادرة هذه القوة الهائلة القادة العمانيين في هرمز برفع الحصار عن الحصن ومغادرة المكان إلى البحرين بسرعة لتقديم المساعدة هناك. وكانت النتيجة أن تمكّن الفرس من إرسال بعض التعزيزات إلى هرمز وترميم الحصن. ولم يحقّق الفرس الهدف الرئيسي من الهجوم المضاد. فقد هُزم الفرس في معركة دامية في البحرين حيث فقدوا ثلث قواتهم. ولكن ظلّت هرمز صامدة في أيديهم دون أن يحاول العمانيون مجدّداً السيطرة عليها(٨٢).

ولم يُظهر الفرس مهارة دبلوماسية. لقد كان نظام الحكم الصفوي ينتظر بعض الأنباء السارّة، لهذا ادعى الفرس أنهم قد أحرزوا انتصاراً كبيراً في البحرين وكان هذا، إلى جانب تخفيف الضغوط من قبل المتمرّدين على الحدود الشمالية سبباً كافياً للابتهاج في العاصمة أصفهان. ثم أنهم طلبوا من المدير الهولندي في بندر عباس أويتس (Oets) مساعدتهم بطرد العمانيين من لارك وجزيرة الجسم، ووعد الفرس الهولنديين بامتيازات كبيرة مكافأة على ذلك(٨٣). إلاّ أن أويتس لم يهتم بذلك مشيراً إلى ضرورة تمكّن الفرس، الذين ألحقوا الهزيمة بالعمانيين في البحرين ببراعة، من طرد العمانيين من جزيرة الجسم دون مواجهة أية مشاكل. لقد كان ردّه هذا تعبيراً عن سخريته وذلك لأن أويتس كان على علم بهزيمة الفرس في البحرين(٨٤).

مرّة أخرى، لم يبق أمام الفرس حلّ آخر سوى أن يطلبوا من الهولنديين المساعدة

ثانية. ولم يكن الوقت سيّئاً. إذ قبل ذلك بقليل أرسل الهولنديون سفيراً فوق العادة يدعى جان جوزوا كيتيلار (Jan Josua Ketelaar) إلى أصفهان للتفاوض في إنهاء الجمود في العلاقات التي نشأت منذ عام ١٧١٣ إثر حادثة المندوب الهولندي في أصفهان. وكان كيتيلار هذا ماهراً جداً وذا خبرة واسعة بإجراء المفاوضات. وكان يتقن اللغات الشرقية (فهو أول من كتب قواعد اللغة الهندوستانية). وكان قد حظي بسمعة حسنة في المفاوضات المستعصية في اليمن ودلهي. وفي مايو من عام ١٧١٧ وصل كيتيلار، وظلّ هناك لأكثر من سنة وكان أن ضغط الشاه ووزيره الرئيسي فتح علي خان، على كيتيلار لتقديم المساعدة ضد عمان، خاصة بعد أن غزا العمانيون البحرين. إلا أن كيتيلار رفض وأخطر اعتماد الدولة أنه غير مخوّل بتحويل السفن من مهماتها الاعتيادية (وأن قباطنة السفن الهولندية يعلمون أنه لا يسمح له بإصدار أية أوامر مشابهة لهم) وأن السفن الهولندية الموجّهة لممارسة التجارة بين الموانئ العميقة المياه، ليست مجهّزة للقتال ولا يمكن استخدامها في المياه الضحلة على السواحل العربية(٨٥). ولم يكن كل ما قاله كيتيلار صحيحاً ومن المرجّح أن الفرس لا يدركون ذلك. ثم إن الفرس هددوا بطلب المساعدة من البرتغاليين كما هدّدوا بمنحهم الامتيازات التي كانوا قد وعدوا الهولنديين بها سابقاً. لم يتأثر كيتيلار بذلك وأبلغ الفرس أنه بإمكانهم أن يفعلوا ما يشاؤون لأن هذا ليس من شأنه. وما لبث الفرس أن باشروا بالتفاوض مع الأب أنطونيو ديستيرو (Antonio Desterro) وهو كاهن كاثوليكي برتغالي يقيم في أصفهان ويعمل أيضاً كمبعوث للبرتغاليين لدى البلاط الفارسي. وقد اقترح الأب أنطونيو بأن يرسل الفرس مبعوثاً إلى جوا. ولكنّ الفرس لم يقتنعوا بذلك (وكيف لهم أن يبعثوا بسفير إلى جوا فيما يسيطر العمانيون على الطرق البحرية؟) ومرة أخرى حاول الفرس إقناع كيتيلار. وكان ردّ كيتيلار أنه لا يملك السلطة وأن الهولندي الوحيد الذي بإمكانه توجيه الأوامر إلى السفن الهولندية للتدخل بالقتال هو الحاكم العام في بتافيا. واقترح عليهم بأن يبعث الشاه طلباً رسمياً إلى جاكرتا مع السفن المستعدة لمغادرة بندر كنج. ولم يكتف الفرس بهذا فاقترحوا إقامة معاهدات رسمية مع الهولنديين حول موضوعات النزاع القديمة، إذا قدّم الهولنديون

عوناً لسفيرهم للتوجه آمناً إلى نائب الملك البرتغالي في جوا. وقد تمّ هذا العون وحصل كيتيلار على مكافأته وهي الفرمانات التي كان يسعى إليها. وعندما أنجز كيتيلار مهمته غادر أصفهان(٨٦).

ولقد جرت أيضاً مفاوضات بين الفرس والفرنسيين ورغم أن القنصل الفرنسي في شيراز باديري (Pade`ry) كان يخضع رسمياً لأوامر القنصل العام في بلاد فارس جاردان (Gardane)، فقد تفاوض مع الفرس بشأن عملية مشتركة ضد عمان ضد إرادة ورغبة رئيسه. وكان لدى باديري بعض الأصدقاء ذوي الشأن في فرنسا إلا أن أهمية هذا التصرّف غير المخوّل كانت ضئيلة جداً، وجاء حكم جاردان حول سلبية الخطة صحيحاً وفعلاً لم يأتِ بنتيجة(٨٧).

ولم يتخلّص الهولنديون من جميع المشاكل ففي الثاني عشر من مايو عام ١٧١٨، توفي كيتيلار وهو في طريقه من أصفهان إلى بندر عباس(٨٨). وقد حاول الفرس إثر ذلك إجبار السلطات الهولندية الأقل مرتبة في بندر عباس على تقديم الامتيازات. وأبلغوا الهولنديين بأن العمانيين يعتقدون أن السفن الهولندية القادمة من بتافيا موجّهة للحرب ضدّهم، وسوف يهاجمون الهولنديين بدون شك. كما حاولوا أيضاً منع السفن الهولندية من مغادرة بندر عباس، وكان ردّ الهولنديين على ذلك أنه في حال عدم مغادرة السفن الهولندية الميناء، فإنه لن يتم نقل رسالة الشاه إلى الحاكم العام وبالتالي فإن مساعدة الهولنديين سوف تتأخر أكثر(٨٩).

ولم يبق أمام الفرس سوى انتظار البرتغاليين وقد وصل فعلاً إلى بندر كنج في نهاية عام ١٧١٨، أسطول برتغالي مكوّن من أربع سفن كبيرة أوروبية الصنع مزوّدة بالأسلحة، وهي قوّة قتالية هائلة. إلاّ أن معظم جنودها كانوا من الهند وأفريقيا وليس من الجنود والبحارة المهرة المنظمين الأوروبيين، مما أعاق فعاليتها. وقبل البدء بأي نشاط رغب البرتغاليون في تسوية المسائل المعلّقة أولاً، وتتمثل في الحصول رسمياً على الامتيازات التي وعِدوا بها، وتسديد جميع ما تأخر من الرسوم المستحقة وتحمّل نفقات الأسطول. وعندما تأخر الفرس في الوفاء بوعودهم توقّف الأسطول البرتغالي في بندر كنج انتظاراً للامتيازات الفارسية. أما العمانيون فلم ينتظروا بدء هجمات

البرتغاليين عليهم بل بدأوا باستفزازهم. وقام الأسطول العماني بعروض عسكرية ساخرة على مرأى من السفن البرتغالية. ولم يتمكّن البرتغاليون بكبريائهم التغاضي عن ذلك. وفي يناير من عام ١٧١٩ تحرّك البرتغاليون من بندر كنج. وقد تراجع العمانيون إلى المياه الضحلة قرب جلفار حيث عرض العمانيون ساحة للقتال كانوا قد اختاروها وبدأت المعركة. وادّعى البرتغاليون النصر ولكن في الحقيقة تساوت الخسائر في الأرواح بين الطرفين. وفي آخر النهار تراجعت السفن البرتغالية إلى بندر كنج بينما دخلت السفن العمانية ميناء جلفار. وفي اليوم التالي جرت معركة أخرى. ولم تكن هذه المعركة أيضاً حاسمة. ففي نهاية النهار عاد البرتغاليون إلى كنج ثانية، بينما توجه العمانيون إلى جزيرة الجسم. وتوضّح هذه التحركات الأخيرة حقيقة نتائج المعارك السابقة إذ لم تتمكن القوات البرتغالية من دحر العمانيين أو حتى احتلال البحرين أو انتزاع السيطرة على المياه الإقليمية حول جزيرة الجسم منهم. وبعد ذلك عاد البرتغاليون إلى جوا تاركين الفرس يواجهون مشاكلهم(٩٠). ثم إن الجيش الفارسي قمع ثورات العرب في الساحل الفارسي وفي الحويزة دون تحقيق نتيجة حاسمة(٩١).

وأصبحت الحرب آنذاك في وضع حرج. فالفرس لم يتمكنوا من إحراز نصر ضد العمانيين. ولم يقم العمانيون بأي نشاط جديد. وفي أبريل أو مايو من سنة ١٧١٩ مات الإمام سلطان بن سيف، وتبع هذا الموت المفاجئ وهو غير مناسب للأوضاع، فترة طويلة من عدم الاستقرار. ولم يكن لدى سلطان بن سيف سوى ولد وحيد هو سيف بن سلطان. وكان هذا في الثانية عشرة من عمره، وقد اختلفت الآراء لدى الدوائر القيادية في عمان ما إذا كان من الممكن أن يصبح ذلك الفتى الصغير إماماً. وقد تصادم هذا مع النظريات الإسلامية الإباضية السائدة في عمان. وأصبح سيف بن سلطان إماماً لفترة قصيرة. فقد نشبت ثورة في القصر حيث وضع شخص آخر من سلالة اليعاربة يدعى مهنّا بن سلطان مكانه. وفي عام ١٧٢٠ بدأ الإمام مهنّا بإجراء مفاوضات سلام مع بلاد الفرس(٩٢). وقد سارت المفاوضات في البداية سيراً حسناً إذ كان القائد الفارسي الذي قاد الحرب ضد عمان، لطف علي خان، قد أدرك تماماً أنه لم يبق أمامه أي حلّ سوى إقامة سلام. وفي عام ١٧٢٠ تمّ التوصل إلى معاهدة

مؤقتة. وكان على العمانيين، وفق هذه المعاهدة، التنازل عن جميع غزواتهم، وأن يأخذوا في المقابل مكاناً في جزيرة الجسم لإصلاح سفنهم، وضريبة مقدارها أربعة آلاف تومان أو مئة وسبعة وعشرين ألف وخمسمائة جيلدر(١٢٧٫٥٠٠) تعويضاً عن البحرين. ونصّت هذه الاتفاقية أن الفرس سوف يمنعون البرتغاليين من ممارسة التجارة في بندر كنج شرط أن يدافع العمانيون عن الفرس ضد أي هجوم برتغالي. وهكذا أعيدت جزيرة الجسم ولارك مباشرة إلى الفرس(٩٣). إلا أن مهنا بن سلطان لم يحظ بشعبية لدى عدد من القادة العمانيين. وبعد حرب أهلية قصيرة عُزل ووُضع شخص آخر من سلالة اليعاربة يدعى يعرب بن أبو العرب مكانه في الحكم. ولم يقتنع يعرب تماماً بمعاهدة السلم المبرمة مع بلاد الفرس فرفض تسليم البحرين إلى أن يتمّ التوصّل إلى معاهدة جديدة أكثر فائدة ويبدو أن امتلاك العمانيين للبحرين لم يستمر دون مشاكل. فقد كتب هاملتون الرحالة الإنكليزي الذي زار عمان بعد ذلك بقليل، يقول إنه بعد الغزو العماني، «غادر صائدو اللؤلؤ الأمناء البحرين فيما كان العرب يسيطرون عليها، كما غادر الذين وجدوا أن مؤسستهم الجديدة لم تكف لتسديد النفقات دون صائدي اللؤلؤ»(٩٤). ثم إن لطف علي خان أمر بأن يودع المندوبون العمانيون، الذين كانوا في كنج للتفاوض معه في السجن (في نهاية عام ١٧٢٠)(٩٥). وأخيراً وفي عام ١٧٢١ اتفق الفرس والعمانيون على إعادة البحرين إلى الفرس مقابل مبلغ ستة آلاف تومان، أي ما يوازي ربع مليون جيلدر، وهو مبلغ أكبر بكثير من المبلغ المشترط عليه سابقاً. وفي نهاية عام ١٧٢٢ دُفع المبلغ وأعيدت جزيرة البحرين(٩٦). وحسب ما جاء في مصدر آخر فيما بعد، أن إعادة البحرين النهائية قد تمّت بتدخل شيخ عربي يدعى محمد بن ماجد(٩٧). ولقد أُبرم السلام رغم عدم الثقة كثيراً بسلامة الملاحة. وفي مايو من عام ١٧٢٢ أمر الشاه بحامية السفن التجارية الفرنسية من قبل الجنود الفرس ضد «قراصنة مسقط»(٩٨).

ومن الصعب تقدير أثر هذه الحروب المتقطعة على تطوّر الأحداث التاريخية في بلدان الخليج فأحداث الحرب بحد ذاتها لم تكن مهمة جداً. لقد اتضح بالطبع مدى ضعف القوة الفارسية في المنطقة الساحلية. إلاّ أنه يبقى من المشكوك فيه ما إذا كان

هذا الضعف نتيجة للحرب. أو أن الحرب هي نتيجة لهذا الضعف. وتُظهر رحلة كاري في السبعينات من القرن السابع عشر أن سلطة الفرس في منطقة الهولة لم تكن ذات شأن كبير(٩٩). فالامبراطورية الفارسية وقتذاك قد عانت من نقطتي ضعف رئيسيتين هما أولاً حروب الحدود المستمرة في الشمال (القوقاز وأفغانستان) وثانياً عدم مقدرة الحكام على ضبط أمورهم المالية دون تعرّض نشاط الدولة الاقتصادي للدمار. والواقع أن فشل السلالة الصفوية في حماية الحدود الشمالية وفي ضبط أمورهم المالية كان مأساة أكبر من المشاكل الصغيرة نسبياً في منطقة الخليج. ويبدو أن ضعف إنجازات بلاد فارس في الخليج كانت أيضاً سبباً في ضعفها العام.

وأصبح العرب قوة بارزة في المنطقة إلاّ أنهم كانوا منقسمين داخلياً. وهنا تظهر المعالم الأولى للأوضاع السياسية. فقد انقسمت عمان إلى تجمّع قبلي غربي وشرقي. وهو انقسام قد يتجسد فيما بعد في نشأة وحدتين سياسيتين: إمارات الغرب المتجمعة حول رحمة بن مطر في الصير، والإمامة في الشرق ومركزها في نزوى. أما قبائل الهولة في ساحل بلاد فارس فقد كان استعدادهم لتقبّل السلطة الفارسية يتناقص، كما كانوا على خلاف مع العتوب في ساحل الحسا حول مغاصات اللؤلؤ(١٠٠). ولم يكن لدى الفلاحين الشيعة وتجار البحرين ومنطقة قطيف قوّة عسكرية وبالتالي كان عليهم أن يخضعوا إلى فئات مقاتلة محيطة بهم أكثر ميلاً للحرب. وكان العرب المقيمون في المنطقة السبخية نحو أعلى رأس الخليج، يشكّلون خطراً يهدّد السلطة العثمانية. وقد استخدموا الصراعات القائمة بين العثمانيين والشاه وسيلة لتحقيق المزيد من القوة. ولقد أبرزت الحرب بين العمانيين وبين الفرس هذه التطورات الجديدة إلى درجة كبيرة وأصبح تاريخ الخليج مزيجاً متزايداً من الصراعات والتحالفات المعقدة بين القبائل العربية.

وكان الأوروبيون هم الخاسرون في هذه التطورات. إذ لم يدركوا على ما يبدو الأخطار المحدقة بهم ولكن لم تتأثر مع ذلك أرباح التجارة الهولندية كثيراً بالحرب(١٠١). وليس لدينا أرقام عن مدى أرباح التجارة الإنكليزية ولكن يبدو أيضاً أنها قد استمرّت بأرباح جيدة. وقد اعتمد الأوروبيون أساساً على النشاط

الاقتصادي الفارسي ولم يدركوا تماماً أن بلاد فارس كانت بصورة عامة على شفير الهاوية. وكان موقف الهولنديين نموذجياً فقد برهنوا على حسن توقّعاتهم بإنشائهم المؤسسة الجديدة في بندر عباس كحصن، لأنهم سوف يحتاجون إلى الدفاع عن أنفسهم وبضائعهم ضد الإزعاجات المحلية. ولكنهم كانوا لا يزالون يتوقعون أرباحاً طائلة. ولم يواجه الأوروبيون في البحر مشاكل خطرة. وكان يتواجد عادة سفينة هولندية صغيرة تُستخدم للتنقل بين البصرة وبندر عباس، ومنذ عام ١٧١٦ أعدّ الإنكليز مركبين محليين للقيام بدوريات بحرية(١٠٢). ويبيّن مستوى تكاليف هذين المركبين ومهمة كيتيلار أن الهولنديين والإنكليز كانوا يتوقعون استمرار انتعاش التجارة. ولكنهم أخطأوا.

لقد كان مغزى اختفاء البرتغاليين من كنج بالنسبة لهم أنه دليل على الضعف البرتغالي. ولكن من الممكن أن يكون أيضاً إشارة إلى أن تجارة الهنود في الخليج كانت في تدهور. وقد يكون انحدار تجارة البصرة أثناء الاضطرابات المحلية انتكاسة كبيرة أخرى للهنود. وقريباً سوف يظهر انحدار تجارة الهنود بارزاً على المدى البعيد.

أما في البحر الأبيض المتوسط، فسوف يتوقف تدهور التجارة الهولندية مع الامبراطورية العثمانية في الثلاثينات من القرن الثامن عشر وذلك لأن البواخر الهولندية كانت تنقل التوابل والمنسوجات الهندية إلى الموانئ العثمانية الواقعة على البحر الأبيض المتوسط بدلاً من طريق القوافل القادمة من البصرة إلى حلب. وبهذه الطريقة فقد الخليج جزءاً من دوره الاقتصادي ومن الممكن أن يكون هذا سبباً في المزيد من الفقر وعدم الاستقرار وأصبح الخليج بذلك يدور في رحى دائرة من الفساد والقسوة.

الفصل السابع

الأزمة الأفغانية والقبائل العربية



ظهور قادة القبائل العربية في جنوب شرق بلاد فارس وأرض الصير:

لقد أدّت الأحداث السياسية المعقدة خلال السنوات التالية لمعاهدة السلم المبرمة بين عمان وبلاد فارس إلى بناء قوة جديدة تماماً في منطقة عرب الخليج. هذا بينما تدنّت القوة الفارسية وأصبحت أقل مما كانت عليه قبل الحرب. وكان من الممكن للهولنديين والانكليز وحتى للبرتغاليين نظرياً أن يملأوا بعض هذا الفراغ ولكنهم لم يفعلوا لسبب وجيه وهو ما نتج عن الانحلال السياسي الذي عانت منه بلاد فارس من آثار اقتصادية أيضاً. لقد انحدرت أهمية تجارة الدول الأوروبية في الخليج إلى درجة الانقراض. ولما أدركت السلطات الأوروبية العليا ضعف قيمة الخليج اقتصادياً رفضت الاشتراك في مغامرات عرضها عليهم ممثلوهم هناك. ولم يكن للأتراك وقتذاك أي نفوذ في هذه المنطقة هذا بينما ضعفت شوكة عمان نتيجة للحرب الأهلية.

لقد بدأت القبائل العربية المقيمة على ساحل الخليج الشمالي في توسيع نفوذها في هذا الفراغ. وبدأت منطقة جلفار وقتذاك، وهي الإقليم الشمالي الغربي من عمان، تتصرّف كقوة مستقلة. وكان هناك على الأرجح روابط قبلية بين منطقة جلفار وقبائل الساحل الشمالي. فقد تدخّل رحمة بن مطر، حاكم جلفار، عدة مرّات في مسائل قائمة على الجانب الشمالي من الخليج. كذلك أثّرت نشاطات القبائل العربية كثيراً على مستقبل البحرين.

ولأول مرة كرّرت المصادر الأوروبية أسماء عدد من الشيوخ العرب البارزين في المنطقة. وعلينا، قبل سرد الأحداث التاريخية، محاولة وصف مكانتهم في بناء القوى غير المتوازنة في الخليج. لقد دخل تاريخ جنوب الخليج آنذاك أربعة عناصر عربية أساسية. وكان بإمكان هؤلاء الشيوخ الأربعة المذكورين في الوثائق فرض أنفسهم بوسائل مختلفة. وكانوا بالطبع رؤساء قبائل صغيرة أو كبيرة. وكان أساس قوّتهم الحقيقية وجود عدد من الرجال المسلّحين تحت إمرتهم. وقد تمكّن بعضهم من التوسّع في إنشاء تحالفات قبلية متعددة، وبالتالي تحقيق بناء جيوش كبيرة. وكانت هذه التحالفات في حالات عديدة سريعة الزوال. وكان شيخ جلفار الوحيد الذي أسس كياناً سياسياً من قبائل متعددة دامت طويلاً. وتصف المصادر الأوروبية أحياناً

رؤساء القبائل أنفسهم بأنهم تجّار كبار. وهذا الوصف فيه شيء من الصحة إذ أن وصفهم كرؤساء قبائل ومستثمرين في صيد اللؤلؤ يجعل لديهم السفن والعائدات التي تمكّنهم من أن يلعبوا دوراً مهماً في حياة الخليج الاقتصادية. ولقد تمكّنوا، بالثراء الكبير الذي حققوه، من تدبير سبل أخرى لزيادة ثرائهم ونفوذهم واستطاعوا شراء مناصب عالية ومربحة من السلطات الفارسية مثل رئيس الرسوم الجمركية (الشاهبندر). ولكن كان في استثمارهم هذا مخاطرة كبيرة ذلك لأن عدم الاستقرار في بلاد فارس كان يعني عدم معرفتهم بمدة بقائهم في ذلك المنصب (الشاهبندر).

ويُعتبر رحمة بن مطر القاسمي، أمير جلفار، أكثر الشيوخ المذكورين في هذه الفترة نجاحاً. وتشير المصادر لانتمائه إلى الهولة دون توضيح النّسب. وكان يمكن اعتباره قائد الهولة التالي، فهو السنّي الذي أبرز تضامناً عربياً ضد انتهاكات الفرس والانكليز، وهو القويّ على ساحل الخليج. وتشير بعض المصادر الهولندية القديمة إلى كونه أحد أغنى التجار في الخليج. ويتضح منذ البداية أنه لم يرأس قبيلة واحدة فحسب بل ترأس اتحاداً تاماً من القبائل. وكان الشيخ رحمة أحد قادة القوات العمانية الذين حاصروا هرمز عام ١٧١٨ وبالتالي كان على اتصال بالهولنديين. وقد اشترك أيضاً في الحرب الأهلية العمانية حيث برز كأقوى قائد قبلي في المنطقة الشمالية الغربية. ويبدو أن سرّ قوّته العسكرية يعود إلى أنها تضمّ رجال قبائل الشحوح، بالإضافة إلى استخدامه بعض المدافع. ولقد منحت الحرب الأهلية في عمان رحمة استقلالاً فعلياً إذ أصبحت جلفار منذ ذلك الحين دولة مستقلة فعلياً(١).

وأعطى وجود شيخ القواسم في جلفار على الجانب الجنوبي من الخليج، حماية ضد طمع المسؤولين من الفرس الذين تسبّبوا في دمار غيره من الشيوخ حيث كان من السهل وصول القوات الفارسية إليهم. وتشير المصادر إلى أن مدينته جلفار كانت تنعم باستقلال تجارتها البعيدة المدى من تدخّل الاقتصاديات الفارسية أو العمانية المركزية(٢).

أما الشيوخ العرب الآخرون فقد عانوا من قرب المسافة بينهم وبين السلطات الفارسية. فلم يكن لهم قاعدة ثابتة. وكان أكثرهم قوة الشيخ راشد حاكم باسيدو

في أقصى الغرب من جزيرة الجسم. ولا يتضح اسم القبيلة التي ينتمي إليها. ويشير لوريمر مثلاً إلى أنه قاسمي، ولكن ليس هناك ما يثبت صحة هذا الأمر في المصادر الانكليزية رغم أن مصدراً هولندياً يشير إلى وجود روابط قوية مع رحمة بن مطر(٣).

وكان يقيم في باسيدو، في جزيرة الجسم، حيث مقرّ الشيخ راشد، بعض التجار من جلفار ومن بندر كنج (في منطقة المرازيق وهي إحدى قبائل الهولة التي ارتبطت فيما بعد ارتباطاً وثيقاً بالقواسم) ومن مسقط أيضاً(٤). وليس هناك ما يشير لانتمائه إلى بني معين الموجودين في لفت على جزيرة الجسم وهم قبيلة عبدل الشيخ التي اتبعت منحىً سياسياً مختلفاً تماماً(٥). ويشير مصدر برتغالي عام ١٧١٦ إلى أهمية الشيخ راشد. ومن المحتمل أنه ينتمي إلى المرازيق المقيمين في منطقة مقابل باسيدو تماماً على البرّ الرئيسي المحيط ببندر كنج. ولكن هذا الاحتمال غير مؤكد. فقد كان راشد أحد سكان بندر كنج البارزين قبل عام ١٧٢٠(٦). وبعد عام ١٧٢٢ حلّت باسيدو اقتصادياً محلّ بندر كنج عندما انحدرت مكانة هذا الميناء بسرعة. ولعدّة مرات حاول الشيخ راشد توسيع نفوذه باتخاذ منصب الشاهبندر على الموانئ الفارسية(٧). وقد بدت خلال بعض الوقت الإمكانية في أن تصبح باسيدو هرمزاً أخرى وذلك لاتّباع الشيخ راشد سياسة الانفتاح في الاقتصاد كلّما تمكّن من ذلك.

والشيخ جبارة شيخ عربي آخر كانت له قوة. وهو من طاهري على ساحل بلاد فارس الجنوبي. ويبدو أنه حقق ثروته وقوته عندما نال منصباً مهماً ضمن حاشية الأعيان من الأفغان. وأصبح فيما بعد أحد أهم الشخصيات في المنطقة الذين انضموا إلى جانب الصفويين. وكانت قبيلة النصور التي ينتمي إليها إحدى أكثر فروع الهولة عدداً. وكان يتعاون أحياناً مع الشيخ راشد حاكم باسيدو. وقد تزوّج من أرملته فيما بعد. وكان كالشيخ راشد، يهتم بالحصول على المناصب الفارسية(٨).

وفيما بعد، لعب آل علي في شارك وقيس والعبيدلي في نخيلوه، وهما فرعان آخران من الهولة دوراً مهماً في الأحداث الجارية في الخليج. وذلك لأن كل أفرادها كانوا من البحارة وتبعوا إلى حدّ ما قيادة الشيخ راشد حاكم باسيدو لفترة من الزمن.

واتبع كذلك قادة القبائل التي تشكّل مجموعة الهولة، إلى حدّ ما نفس الخطى

حتى منتصف الثلاثينات من القرن الثامن عشر وذلك عندما سيطر الفرس عليهم. وقد أدّى هذا إلى انشقاقهم. وسوف نرى فيما تبقّى من هذا الفصل كيف تعاملوا مع الفوضى التي حدثت إثر انحلال بلاد فارس عام ١٧٢٢.

الأحداث خلال فترة غياب هيبة الحكومة ١٧٢٢-١٧٢٧:

ارتبطت أحداث منطقة الخليج في بلاد فارس، وتأثرت إلى حد ما بالغزوات الأفغانية وبسقوط حكم الصفويين في عام ١٧٢٢. وتبعد بندر عباس عن العاصمة أصفهان. وكانت سيطرة الحكومة الفارسية المركزية على المناطق الواقعة في الطريق بين المكانين ضعيفة. وقد نتج عن ذلك تطوّر الأحداث في بندر عباس بطريقة مختلفة. وسوف يتركز الاهتمام في هذا الكتاب على أحداث فارس في منطقة الخليج أما الأحداث الجارية في وسط بلاد فارس فسوف نتحدث عنها باختصار(٩).

تفجّر الوضع على ساحل بلاد فارس الشمالي بعد انتهاء الحرب الطويلة بين بلاد فارس وعمان مباشرة. فقد طرد الشاه كبير وزرائه فتح علي خان، وقائد الجيش ابن أخيه لطف علي خان. ولقد نتج عن هذا عدّة ثورات. وفي أواخر عام ١٧٢١ زحف القائد الأفغاني محمود قندهار إلى الجنوب، داحراً جميع القوات الفارسية في طريقه. وفي مارس من عام ١٧٢٢ أُبيد الجيش الفارسي ووضعت أصفهان تحت الحصار. ولقد تمكّن أحد الأمراء الصفويين طهماسب (Tahmasp) من الفرار من أصفهان، ولكن الشاه ظلّ في المدينة المحاصرة إلى أن سلّم الامبراطورية والعاصمة إلى القائد محمود في أكتوبر عام ١٧٢٢. ثم إن الأفغان احتلّوا جزءاً كبيراً من بلاد فارس. ولكن استمرّ في المقاومة عدد من المطالبينَ بالعرش والذين أصبح طهماسب فيما بعد أهمهم. ونظراً لانتشار الولاء للصفويين في شرق فارستان فقد أصبحت تلك المنطقة مسرحاً للعديد من المعارك على يد الموالين لهم من جميع الأجناس ضد الأفغان. وكان لكل هذا نتائجه فيما يتعلق بالوضع في جنوب الخليج.

ولم تكن عمان في وضع يسمح لها بالاستفادة من الاضطرابات الفارسية حيث أنها كانت تعاني هي الأخرى من أزمتها الخاصة بها، فقد عارض الشعب الإمام

يعرب أبو العرب لأنـهم كانوا يؤمنون بشرعيـة إمامية الفتى سـيف بن سلطان الثاني. ولقـد تزعّم هذه الحركـة أحـد أعمـام سيف بن سلطـان ويُدعى أبو العرب بن ناصـر، حيث تمكّن من السيطرة على الرسـتاق ومسقط. ولم يتمكن يعرب مـن احتواء الثورة فـاستسلم وسلّم إمامته عـائداً إلى جـبرين. ولقـد أدى هذا الانشقـاق في عمـان لأن الوصي أبو العرب قـد وقع مباشرة في نزاع مع محـمد بن ناصر قائد الحـزب الغافري الذي تمكّن من اكـتسـاب مسـاندة الإمـام السـابق يعـرب بن أبو العـرب إلى جـانب مساندة قبـائل الشـمال الغربي (بنو ياس وبنو قتب) وكذلك مسـاندة الشيخ رحمة بن مطر أمير جلفار. ومنذ ذلك الوقت كان انقسام عمان إلى حزبين قبليين، رغم أنه ظهر في زمن مبكّر، أكثر وضوحاً. وبدأت المصـادر تذكر هذين الحزبين الغافري والهنّاوي (لقد ورد ذكر بني هنة من قبل حيث دورهم الأساسي في سقوط الإمام يعرب بن أبو العرب)(١٠).

وتروي المخطوطة العمانية رواية بسيطة عن أساس هذا النزاع(١١). ولا شكّ بوجود سبب أعمق من ذلك. لقد تركزت سلطة الحزب الغافري في الجزء الشمالي الغربي من عمان. وفي النـصف الأول من القرن السابع عشـر استمرت المعارضـة في هذه المنطقة ضد إمامة اليعاربة. وهناك بعض الإشـارات إلى أن الحزب الغافري الذي يحتوي على عناصر سُنّية قـوية، كان عنصـراً قيادياً في الحرب ضد بلاد الفـرس. فرحـمة بن مطر كان في هرمز، بينما كان الإمام المعارض للهناوي يعرب بن أبو العرب أكثر شدة ضد الفرس من الأئمـة الذين يساندهم حـزب الهناوي. وكانت منطقـة الحزب الغافـري قد أقامت عـلاقاتها التجـارية الخارجيـة الخاصة بها بـعيداً عن مسـقط. وفي عام ١٧٠١ نشأت بعض المشاكـل حول التجارة بين جلفار وكنارا على سـاحل الهند الغربي(١٢). وسوف نرى فيـما بعد أن المدن أو القـرى الساحلية كرأس الخـيمة والشارقـة أصبحت مراكز للمبادلات بين السفن التجارية وقبائل الصحراء(١٣).

وباختصار كـان في عمان منطقتان مهمـتان سياسياً واقتـصادياً. ولم تتحدّد هذه المناطق بوضوح فـقد كانت عمـان مزيجاً من قـبائل الهناوي والغافري. وكـان الجزء الغربي من الـظاهرة وحتى ساحل صير معـقل الغافـريين في ذلك الوقت. ويرتبط هذا

الجزء بمجموعة الهولة على ساحل الخليج الشمالي وكان العديد منهم من الحنابلة السنيين أو الشافعية. كما وكان هذا هو حال العديد من القبائل في الجزء الغربي من عمان. ولا بدّ من الإشارة هنا إلى أن النزاع الغافري الهناوي كما كان عليه الحال في الحروب الأهلية العمانية في النصف الأول من القرن الثامن عشر، قد اختلف الآن عما كان عليه من قبل. فهو يبدو نزاعاً جغرافياً ودينياً أكثر مما كان عليه في السنوات اللاحقة. وكانت بعض القبائل تغيّر من ولائها أيضاً. ومَثّلَ على هذا التغيير حلف بني ياس الذين ساندوا الغافري في القرن الثامن عشر، ولكنهم وقتذاك كانوا يعتبرون قبيلة هناوية.

بدأ الانقسام في عمان يشكّل خطراً على وجود أكبر دولة عربية في الخليج وهي أيضاً الوحيدة في ذلك الوقت. وذلك أنه عندما دمّر إعصار التيفون* مسقط في أغسطس عام ١٧٢٣، عرض شيخ قبيلة عربي على القنصل الفرنسي المغامر في شيراز، بادري، إرسال سفينتين لمساعدته وتسليمه مدينة مسقط بالمقابل في غضون أسبوعين. وهي اقتراحات غريبة وبوادر أزمة خطيرة(١٤).

وقد سارت الأحداث في بندر عباس في طريق ملتوٍ وارتبطت ارتباطاً واهياً بالأحداث في وسط بلاد فارس. ففي نهاية حكم الشاه سلطان حسين، حلّ مكان نور الله خان حاكم فارستان عربي يدعى سيد عبد الله خان وكان والي عربستان سابقاً. وهو عضو في سلالة المشاشة التي تتسم بالقوة وتسكن عربستان. وقد لعب دوراً شرّيراً في الأحداث حول حصار أصفهان على يد الأفغان. كذلك أصبح ميرزا سيد علي من العشيرة نفسها شاهبندراً على الموانئ البحرية. وفي الوقت نفسه عيّن ميرزا أبو القاسم حاكماً على بندر عباس. وقد شغل الأفغان في مناطق أخرى عن توسيع نفوذهم في منطقة جرمسير (وهي الأراضي الحارة الواطئة في شرق فارستان). وبالتالي استعاد المسؤولون الصفويون نفوذهم بعض الوقت(١٥).

ولا شك أن الحالة الاقتصادية في فارستان قد عانت الكثير. ويتضح هذا من خلال التحوّل في التجارة الهولندية (الأرقام الإنكليزية غير معروفة) فبعد عام ١٧٢١

* التيفون هو إعصار استوائي في منطقة الصين أو الفيليبين.

- ١٧٢٢، عندما كانت الأرباح توازي ٦٤٩٥٣٨ جيلدر، هبطت الأرباح الهولندية بسرعة وأصبحت أدنى من مئة ألف جيلدر عام ١٧٢٤ - ١٧٢٥(١٦).

كذلك كانت بندر عباس في وضع صعب نتيجة استمرار الانتهاكات البلوشية. وكان ميرزا سيد علي قد عيّن من قِبَل الشاه الأفغاني شاهبندراً ثم فيما بعد حاكماً على بندر عباس أملاً بأن يعترف سيّد علي بالحكم الأفغاني دون حاجة لإرسال الجيوش الأفغانية. ومن ناحية أخرى رفض شاه محمود أن يدافع عن سيد عبد الله خان الذي كان منذ البداية منضماً إلى جانبه، لأنه على الأغلب لا يثق بالخائنين كثيراً(١٧).

ويبدو أن ميرزا سيّد علي كان يميل إلى طاعة الحكام الجدد، ولكنه وجد لدى وصوله إلى بندر عباس أن الحامية المحلية قد رفضت الاعتراف بمحمود شاه وقد حاول قادة حامية هرمز إقناعه بمساندة الجانب الصفوي. ولم يتضح وقتذاك ماذا كان في نيّة الشاهبندر، إذ أنه عاد إلى بندر كنج بعيداً عن عيون جيش بندر عباس. ويبدو أنه قد أقام هناك نوعاً من العلاقات مع الأفغان. إلاّ أنه لم يتمتع بالسلطة لمدة طويلة(١٨). ونظراً لضعف مكانة بندر عباس الاستراتيجية ووجود حامية قوية في هرمز موالية للصفويين، فقد وجد الأفغان في بندر عباس صعوبة في مدّ نفوذهم إذا لم يتمكن جيشهم من عبور شيراز ولار اللتين كانتا ما تزالان في أيدي خصومهم. وكان يبدو في البداية، أن الأفغان سيأتون بسرعة. وفي صيف عام ١٧٢٣، غزت القوّات الأفغانية شيراز، وأُصيب من تبقّى من المسؤولين الصفويين في بندز عباس بالذّعر. وطلبوا من الهولنديين مساعدتهم في الدفاع عن بندر عباس وهرمز. ولكن الهولنديين لم يعلموا مدى قدرة الصفوية وبالتالي رفضوا المساعدة. وفي خريف عام ١٧٢٣ تباطأ الأفغان في زحفهم، وقد أعطى ذلك القوّات الصفوية بعض الشجاعة.

وفي أواخر خريف عام ١٧٢٣، نشأ صراع مفاجئ بين السلطات الإنكليزية والصفوية في بندر عباس قُتل فيه رجل إنكليزي كما جرى تبادل بالقصف المدفعي بين القوات الصفوية في القلعة والإنكليز. وعندما اقتربت سفينة إنكليزية نحو البرّ لمساندة الوكالة الإنكليزية دُمّرت تماماً. وقد استمرت المعارك بين الإنكليز وقوات

ميرزا سيّد علي والحاكم أبو القاسم أحد عشر يوماً في نوفمبر. أما الجنود الفرس فقد انشغلوا بالسلب والنهب في المدينة. وأخيراً توسط الهولنديون في وقف القتال وكان على الإنكليز أن يدفعوا غرامة مقدارها أربعة آلاف تومان أو مئة وستون ألف جيلدر(١٩).

بعد ذلك حاولت الحكومة الأفغانية إقناع القوات المحلية الأخرى الاعتراف بسلطتها. وفي يناير عام ١٧٢٤ عيّن محمود شاه الشيخ راشد حاكم باسيدو في منصب الشاهبندر. وقد كتب الشيخ راشد إلى الهولنديين يبلغهم بتعيينه إلا أن رئيس الوكالة الهولندية رفض التدخل في أيّ صراع من أجل السلطة كما رفض مناقشة المسائل السياسية مع الشيخ راشد. ونظراً لإدراك راشد بمدى قوة الصفويين في بندر عباس، لم يضغط للاعتراف بسلطته وبقي بالتالي منفصلاً(٢٠).

وأخيراً وفي عام ١٧٢٤، قبلت مدينة لار بالحكم الأفغاني، وعيّن محمود شاه خسرو بك، وهو مسؤول صفوي شاهبندر على بندر عباس. وكان خسرو بك هذا يتمتع بسمعة حسنة لدى الهولنديين حيث كانوا يأملون من أن يتمكن محمود من تثبيت مكانته وذلك لأنه من الممكن تحقيق الاستقرار في بندر عباس تحت حكمه. إلاّ أن الحكم الصفوي ألقى القبض على خسرو قبل وصوله إلى المدينة وأدخله إلى هرمز سجيناً. ومهما يكن فإن الحكم الصفوي على المنطقة لم يكن قوياً جداً. فقد خشيت السلطات الصفوية في بندر عباس من احتمال ظهور الأفغان يوماً ما فاستعدوا لمغادرة المدينة بسرعة عند الضرورة(٢١).

ومن الغريب أن تنتعش باسيدو في ظلّ هذه المصاعب. فهي تقع على جزيرة وليس من السهل الوصول إليها فيما لم يتضح موقف الشيخ راشد وكان يستقبل جميع التجار. وقد أقام الهولنديون علاقات صداقة مع باسيدو حيث ازداد التركيز على الملاحة المحلية(٢٢). ولقد حاولت بعض السلطات المحلية التي استاءت من الوضع إبعاد الهولنديين لكي تتسلم مسؤولية بندر عباس وهرمز، ولكن الهولنديين لم يقبلوا التعاون في الدفاع عن بندر عباس وفيها الجيش الصفوي الذي يحتقره الهولنديون لجبنه. وكانوا يهتمون نوعاً ما بالعروض المقدمة للسيطرة على هرمز حيث كان رئيس

الوكالة الهولندية يدرس بجدية الاستفادة من الاقتراحات الفارسية في تحريك ونقل الوكالة الهولندية إلى هرمز. وطلب من حكومة بتاڤيا العليا أن تسمح له بذلك إذا ساءت الأوضاع(٢٣).

في غضون ذلك، لم يحرز الأفغان تقدّماً كبيراً في السيطرة على فارستان. وقد فقدوا مدينة لار ثانية لصالح أتباع شاه طهماسب الصفوي الذي كان يطالب بالعرض تحت قيادة الأمير مير علي. وقد أجرى القادة الصفويون اتصالاً في بندر عباس. وفي يونيو من عام ١٧٢٥ ادعى الشيخ راشد بأنه من أتباع الصفويين بعد مواجهته القصيرة مع الأفغان، حيث طلب منه إدارة مكتب الشاهبندر، واحتل فجأة حصن هرمز ورفع العلم الفارسي هناك. وقد احتل الشيخ علي، وهو ممثل الشيخ راشد في هرمز، القلعة ورفع العلم الصفوي عليها وقد استمرّ الشيخ راشد في منصبه في بندر عباس لفترة طويلة حتى وصول الشاهبندر الجديد مرتضى قولي بك(٢٤).

وفي أبريل من عام ١٧٢٦، نشبت ثورة في القصر، ونُصّب الرئيس الأفغاني أشرف على عرش بلاد فارس بدلاً من محمود، الذي لم يتمكّن من القضاء على المعارضة الصفوية الأخيرة. ولقد عالج الشاه الجديد المسائل بأسلوب أكثر حيوية: وقد ساعده على ذلك انحلال الحزب الصفوي. وفي لار عمد أحمد الذي ينحدر من السلالة الصفوية من ناحية الأم، إلى تثبيت نفسه كشاه عليها. ولكن حكمه لم يدم طويلاً. وفي الخريف انهارت سيطرة الصفويين على جنوب بلاد فارس ثانية. وقد دحرت القوات الأفغانية المعارضة جماعة الصفويين في لار وأدّى ذلك إلى عزل بندر عباس ثانية. وأصاب الذعر الإدارة المحلية وطلبت الحماية من الأوروبيين(٢٥).

ومع نهاية عام ١٧٢٦ حدث المزيد من التغييرات في المناصب الرئيسية الصفوية في بندر عباس فقد نصّب محمد صالح بك نائباً للحاكم بدر بن مرتضى قولي بك، الذي أصبح مسؤولاً في هرمز(٢٦). وقد جُمّدت أثناء ذلك التجارة في بندر عباس بينما كانت ما تزال نشطة ومزدهرة في باسيدو.

أما الوكالة الإنكليزية فقد واجهت مصاعب خطيرة. وأدّى التوسع الإنكليزي المتزايد في منطقة سورات إلى ظهور الاصطدامات الخطيرة الأولى بينهم وبين عرب

الخليج المنافسين للتجار الهنود في تجارة الخليج. وعندما ادّعى الإنكليز السيطرة في تلك المنطقة، كانوا طرفاً في تحالفات صعبة ومعقّدة ومنازعات جعلتهم يواجهون الكثير من المصاعب. وكانت مسقط هي السبب في مجموعة المشاكل الأولى. فقد كانت عمان في حالة من النزاع الدائم مع أجزاء معيّنة من غرب الهند، وقد تدخّل الإنكليز في هذا النزاع. وثمّة سبب آخر للنزاع وهو أن الإنكليز لم يتنازلوا بعد عن مطالبهم بنصف عائدات بندر عباس من الرسوم وأسوأ من كل ذلك أن الإنكليز حاولوا جعل الملاحة المحلية في الجزء الشمالي الغربي من المحيط الهندي تحت سيطرتهم، مطالبين بضرورة حصول السفن المحلية القادمة من الهند إلى الخليج على تصريح إنكليزي(٢٧).

وقد بدأ النزاع في شتاء عام ١٧٢٦ عندما وصلت سفينة عمانية تُدعى الرحماني تخص الشيخ محمود بن حسان إلى الخليج. وفي بندر عباس حاول بحارتها الاستيلاء على سفينة سوراتية ترفع العلم الإنكليزي. وقد طلب رئيسها الإنكليزي من النائب أن يأمر السفينة العمانية بمغادرة بندر عباس. ولكن السفينة «رحماني» أبحرت نحو باسيدو. ومن هناك وصل بلاغ كاذب يفيد بأن «الرحماني» قد استولت على سفينة إنكليزية. وقد انتاب الإنكليز فزع كبير نتيجة لذلك لأن عدّة سفن عربية كانت تُبحر قرب شواطئ جزيرة الجسم. وقد عزموا على استعراض قوّتهم عندما بعث لهم قبطان سفينتهم بروفيدنس (Providence) تقريراً عن سوء المعاملة في باسيدو. ولقد أبدى البحّارة العرب في الميناء استياءهم بوضوح. ولم يكن الشيخ راشد على استعداد لدفع التعويض. واعتبر الإنكليز ذلك نوعاً من التحدّي والإثارة. فقد صرّح رئيسهم في تقارير جمبرون قائلاً:

«نعتبر هذه المسألة، كما تبدو تأكيداً لضرورة توقّف التجارة وإعاقة الآخرين بقدر الإمكان. وذلك لأن الشيخ راشد لا يريد أن يخضع بل إنه يسعى بالقوّة لأن يكون لصّاً طالما أنه يحمي ويشجّع بوضوح من يضطهدون ويسلبون حتى أولئك الذين يمارسون التجارة معه وفي مينائه».

وفي يناير من عام ١٧٢٧، استولت سفينة من نوع «غراب» الإنكليزية التابعة

للكابتن بنسون على سفينة عربية وعلى «غراب»* أخرى حيث اعتبرها المقيم الإنكليزي مغنماً شرعياً، وبيعت في بندر عباس وذلك لكي يوضّحوا للعمانيين بأن الإنكليز جادّون. ولقد قام الإنكليز بإبلاغ الإمام بتلك الخطوة وحذّروه بشدّة وصرامة(٢٨).

وقد يتساءل المرء ما إذا كان كلّ هذا العنف ضرورياً. إن الهولنديين واجهوا القليل من المشاكل مع العرب لأنهم كانوا أقلّ عنفاً. وقد جرت حوادث قليلة استولت فيها سفن الشيوخ العرب على السفن العربية التي تحمل العلم الهولندي، ولكن كانت المسألة تُحلّ برسالة احتجاج إلى الشيخ ويصحبها أحياناً هديّة صغيرة. وكانت قوّة الهولنديين العسكرية في المنطقة تفوق قوّة الإنكليز إذ كان لديهم حامية بندر عباس وسفن مجهّزة بأسلحة ثقيلة، ولكن اقتصر استخدامهم للقوّة البحرية على حماية تجارتهم الخاصة. لقد واجه الإنكليز المشاكل لأنهم اتبعوا سياسة إخضاع البحر لسلطتهم كما فعل البرتغاليون من قبل. وكان أن بعث رئيس الوكالة الهولندية برسالة إلى الحكومة العليا ينتقد فيها بشدّة موقف الإنكليز وتصرّفهم. وخير دليل على ذلك الملاحظة التي أدلى بها المسؤول الهولندي بيتر تلام الذي صرّح بأن الإنكليز قد حاولوا السيطرة على الخليج نتيجة غزوهم هرمز عام ١٦٢٢، وأن خير علاج للموقف أن يحتل الهولنديون هرمز(٢٩).

وبالطبع لم يقبل الهولنديون بادعاءات الإنكليز حول الحكم والسيطرة على البحر وذكروا أن الشيخ راشد كان ماهراً في تعامله معهم وفي خياره بين الأفغان والصفويين، وكان نتيجة معاملته الحسنة للتجار أن أصبحت باسيدو غنية. وقد أشاروا بأسلوب مبطّن إلى الشائعات المنتشرة في بندر عباس بأن الشيخ راشد قد خبّأ أمواله في جلفار ودعا العمانيين إلى تدمير الملاحة الإنكليزية. وقد علّلوا ملاحة السفن الإنكليزية قرب جزيرة الجسم بأنها محاولة لردّ احتمال مساعدة من الجانب الآخر للشيخ راشد(٣٠).

ولقد أدى الصراع بين الإنكليز والعرب إلى تدمير التجارة الإنكليزية في ذلك

* «الغراب» هي سفينة متوسطة الحجم وكانت تصنع في الخليج أو في الهند.

الوقت. وفي ربيع عام ١٧٢٧ لم تدفع السفن الإنكليزية على دخول الخليج. وقد بدأت سفن الوكالة الإنكليزية تبحر مقابل جزيرة الجسم لمراقبة التحركات العربية. وفي لفت اكتشفت السفن الإنكليزية سفينة برتغالية وبعض المراكب العربية. وقد اعترضوا سفينة من الهند في طريقها إلى باسيدو. ولقد تلقّن النواخذة درساً قاسياً «بأن عليهم أن يدركوا بأن الإنكليز هم أسياد هذه البحار وأنهم سوف يستمرون هكذا بإبقاء قوة مناسبة في الخليج لتحقيق هذا الهدف»(٣١).

ورغم أن الشيخ رحمة حاكم جلفار قد عرض على الشيخ راشد في البداية المساعدة بثلاثمائة جندي إذا رغب في مقاومة الإنكليز، إلاّ أن الشيخ راشد قد أذعن بسيادتهم(٣٢).

وعندما رأى الشيخ راشد أن التجارة في باسيدو كانت تواجه منعاً من الإنكليز بعث برسالة استرضاء إلى المقيم الإنكليزي في بندر عباس. ولكن لم يردّ الإنكليز على حركة الشيخ راشد هذه. وقرّروا إيقاف جميع عمليات الملاحة في باسيدو وبعثوا له برسالة تهديد شديدة اللهجة يطالبونه بأن يدفع للإنكليز المبالغ التي كانوا يطالبون بها من عائدات الرسوم التي كان الشيخ راشد يحصّلها عندما كان يشغل منصب الشاهبندر في بندر عباس. ووبّخ الإنجليز الشيخ راشد لذهابه إلى باسيدو واستقبال أعداء الشاه هناك مسبّباً بذلك الدمار لميناء بندر عباس، فصم عرى التعاون بين الفرس والإنكليز القائم منذ زمن الشاه عباس.

ولم يجد الشيخ راشد، الذي كان يتوقع وصول السفن التجارية إلى باسيدو حلاً آخر سوى أن يقدّم للإنكليز دفعة أولى مقدارها ألف وخمسون تومان ولكن لم يكن في نية الإنكليز أن يتركوا باسيدو وشأنها فقد بعثوا بسفينة للاستطلاع. وقد وجد فريق الاستطلاع الإنكليزي أن ميناء باسيدو نشط نسبياً، وفيه عدّة سفن من الهند. وقد وصلت إليه مؤخراً سفينة خاصة بالشيخ راشد عليها حمولة من ملبار. كما وجدوا سفينة تخصّ تاجراً من باسيدو يدعى سيفيزان. وكان من المتوقع وصول سفينة أخرى تخصّ تاجراً محلياً آخر يدعى مداجي. ولقد أدّت تلك الحملة إلى التعامل مع الشيخ راشد بقسوة(٣٣).

وخلال صيف عام ١٧٢٧، ازدادت الضغوط الأفغانية على الصفويين في جنوب بلاد فارس. وقد تصالح السيّد أحمد الصفوي الذي اغتصب العرض، وحكم لارستان لبعض الوقت، مع الأفغان، وأصبح حاكماً على لارستان تحت اسم سيّد أحمد خان. وكان الشيخ راشد قد غادر إلى بندر كنج في يوليو لعرض مساومة للسلام على الشاهبندر الأفغاني سيّد علي خان. ولكن الشاهبندر طالب الشيخ راشد بمبلغ هائل من المال. هذا بينما استمرّ الإنكليز في ضغطهم على الملاحة في باسيدو. وفي يوليو من عام ١٧٢٧، اعترضوا سفينة بالقرب من شواطئها تخصّ عرباً من عسيلوه ولا تحمل تصريحاً إنكليزياً، ويبدو أن الإنكليز قد سيطروا تماماً على الملاحة حتى ما يخص منها السكان المحليين على غرار الطريقة البرتغالية. كذلك غضب الإنكليز من أهالي الحرم الذين يسكنون عسيلوه بسبب معاملتهم السيئة لسفينة إنكليزية. وقد قرّر الإنكليز رداً على ذلك أن يحرقوا عسيلوه وأن يمارسوا عرضاً بحرياً بالقرب من بوشهر، ولكن تلك الخطة لم تنفّذ(٣٤).

وفي سبتمبر من العام نفسه ١٧٢٧، اقتربت القوات الأفغانية من بندر عباس. وقد دخل قائد القوات الأفغانية زابرداست خان ميناب، كما دخل أخيراً سيّد علي خان وهو الشاهبندر الذي عيّنه الأفغان إلى بندر عباس. ولكن ظلت جزيرة الجسم وهرمز في أيدي السلطات الصفوية(٣٥).

فترة سيطرة الأفغان في بندر عباس:

لم يرق الوضع السائد في بندر عباس في وجه الإدارة الجديدة. فالهولنديون الذي أيّدوا الصفويين، لم يؤيّدوا بالطبع السلطات الجديدة. ونتيجة لذلك تدمّرت الأنصاب التذكارية القائمة خارج بندر عباس لأصحاب المقامات الرفيعة مثل كيتيلار وأوتيس. كما تمّ الاستيلاء على السفن المحلية القائمة في خدمة الهولنديين وأُجبر المواطنون العاملون لدى الهولنديين على دفع الضرائب بالقوة. وقد حاول الإنكليز الاتفاق مع الشاهبندر سيّد علي خان للتعاون في تدمير باسيدو، ولكن الوقت لم يكن كافياً لأن سيد علي خان اختلف مع سيّد أحمد خان ونُقل سجيناً إلى لار. وما لبث

أن تمكّن الإنكليز بعد ذلك بقليل من إجراء اتفاقية مع سيد أحمد خان للقيام بعملية مشتركة ضد باسيدو(٣٦).

وكان الشيخ راشد حاكم باسيدو ما يزال يحاول أن ينجو من كل هذا بالتقرّب إلى القائد الأفغاني زابرداست خان، ولكن دون جدوى. فقد احتجزه زابرادست هذا رهينة إلى أن دفع مبلغاً كبيراً من المال وتمّ غزو باسيدو ولقد توقفت تجارة الذهب الهولندية هناك وأصبح الوضع الاقتصادي في المنطقة في أسوأ حالاته(٣٧).

وفي فبراير من عام ١٧٢٨، فيما كان يُعاد تنصيب سيّد علي خان في وظيفة شاهبندر، أطلق الأفغان سراح الشيخ راشد مقابل دفع مبلغ ألفين وخمسمائة تومان نقداً ونفس القيمة ألزم دفعها بعقود محرّرة. في غضون ذلك ظلّ الوضع في بندر عباس غير مستقر، فيما استعادت باسيدو ازدهارها السابق. وكان قد نشأ نزاع بين الإنكليز وسيد علي خان. وهدّد الإنكليز بأن يتركوا بندر عباس ويتوجهوا إلى باسيدو(٣٨). ولقد أدى تعيين زابرداست خان لشيخ مكران البلوشي المدعو بلال حاكماً على بندر عباس إلى خوف كبير(٣٩).

كما شهدت هذه الفترة آخر تدخّل للبرتغاليين في الخليج. فالبرتغاليون تمكّنوا من الاستفادة من الاضطرابات في عمان. ففي عام ١٧٢٨، أخذ البرتغاليون ممباسا من العمانيين(٤٠). وفي السنة ذاتها ظهرت قوة بحرية برتغالية قبالة جزيرة الجسم. وعندما علم البرتغاليون بالوضع المضطرب في أسفل بلاد فارس، أدركوا على ما يبدو أن الفرصة قد واتتهم لاستعادة معقل لهم في الخليج. ويبدو أنهم قد تعاونوا مع أهالي السند لإنجاح هذه العملية في الخليج(٤١). فاحتلوا مكتب الرسوم في باسيدو وسلبوا ممتلكات الشيخ راشد الذي رفض أن يتكبّد خسائر جديدة دون المقاومة. فدعا حلفاءه آل علي من شارك لشن هجوم على البرتغاليين. وكانت القوات البرتغالية كبيرة تتألف من خمسمائة أوروبي وعدد من الهنود. وقد ادّعوا أن خطتهم تنحصر في طرد الإنكليز من جزيرة الجسم وإقامة مقرّ لهم فيها، واحتلال لارك وهرمز أيضاً. وألقوا القبض على الشاهبندر سيد علي خان وأخذوه إلى جوا معلنين بأنهم سوف يعودون خلال الربيع المقبل.

إلا أن عرض القوى البرتغالي هذا لم يدم طويلاً. ففي عام ١٧٢٩ طُرد البرتغاليون من ممباسا ولم يتمكن الأسطول البرتغالي عام ١٧٣٠ من استعادة المكان(٤٢). ولم تعد الفرصة سانحة لديهم لممارسة أي نشاط في الخليج. ولقد تمكّن الشيخ راشد من العودة إلى باسيدو ولكنه ظلّ على خلاف مع الإنكليز الذين طالبوا بوجوب تنقّل السفن القادمة من باسيدو بتصاريح إنكليزية(٤٣).

في ذلك الوقت تغير الوضع في الخليج بشكل مزعج ولم يعرف بعض ذوي الشأن من الفرس مثل حكام الحصون في جزيرتي الجسم وهرمز كيف يتصرفون إزاء الصراع القائم بين الصفويين والأفغان وإزاء ظهور البرتغاليين الذي يشكل تهديداً جديداً لهم. وأخيراً عثروا على حل يتمثّل في تقديم حصونهم للهولنديين أو للإنكليز لتأمين الحماية لهم. وكان بعض المسؤولين قد قدّموا هرمز إلى الهولنديين بعض الوقت قائلين: «لماذا تبقون في هذا المكان الخطر؟ بإمكانكم أن تكونوا ملوكاً في هرمز». وهكذا مُنحت هرمز إلى الهولنديين فيما أعطيت جزيرة الجسم للإنكليز. لقد تمكن الانكليز من استلام جزيرة الجسم في حذر وبسهولة(٤٤). أما رفع العلم الهولندي على هرمز فقد سبّب قلقاً. ولقد علم المجلس السياسي الهولندي في بندر عباس حق العلم بأن حكومة بتافيا العليا لن توافق على الخطط الموضوعة لأخذ هرمز، ولكن رئيس الوكالة الهولندية بيتر تلام تمسّك بعرض قادة حامية هرمز بكلتا يديه لأنه رأى في كسب هرمز وسيلة لإجبار الفرس على تسديد الديون الهائلة البالغة ١٫٧٠٠٫٠٠٠ جيلدر وكان قد جمعها الصفويون. ولكن المفاوضات لم تجرِ كما كان متوقّعاً. ففي أكتوبر من عام ١٧٢٨، وافقت حامية هرمز على رفع العلم الهولندي. ولكنها رفضت بشدّة السماح للقوات الهولندية بالدخول إلى الحصن. ولم يكن الهولنديون وحدهم الراغبون في السيطرة على هرمز، حيث كان للشيخ رحمة حاكم جلفار مندوب في الجزيرة، وقد حاول إقناع الحامية الاعتراف برحمة سيداً على هرمز، إلا أن الهولنديين ربحوا السباق؛ وما كان من مندوب رحمة إلا أن قدّم تهانيه بكل لباقة إلى البعثة الهولندية مُظهراً بذلك روح التسامح(٤٥).

ولعل عودة ظهور الشيخ رحمة بن مطر هذا في هرمز وهو قائد رئيسي للحزب

الغافري، تُنبّهنا إلى الأحداث الجارية على ساحل الخليج الجنوبي حيث حقق الإمام الغافري محمد بن ناصر نجاحاً نسبياً في توسيع رقعة نفوذه. لقد استولى على صحار بواسطة جيش كبير، تعاونه قوةٌ كبيرة من رجال القبائل في الغرب وهم بنو ياس، وبنو قتب والنعيم. وما لبث أن نشأت إثر ذلك بعض المشاكل بين الإمام وهذه القبائل التي تركت على إثرها جيشه (في المخطوطة العمانية رواية رائعة عنها). وقد قُتل محمد بن ناصر في مواجهة أخرى بين القوات الغافرية والهناوية؛ وفرّ الإمام الهناوي سيف بن سلطان من حرّاسه، وأصبح إماماً مستقلاً دون وصاية في ربيع عام ١٧٢٨، حيث إنه قد بلغ السن القانونية. وهذا لا يعني أن الحزب الغافري قد أُبيد. لقد خسروا فقط قائداً، أما جيشهم فلم يخسر كثيراً. وتشتت القبائل الغافرية ولكنها ظلت قوة كبيرة. وسرعان ما اتضح أن سيف بن سلطان لم يتمكن من مدّ نفوذه على المنطقة الغافرية بل على العكس، فقد توزّعت منطقته الخاصة إلى أجزاء بين أيدي القائد الغافري الجديد أبو العرب بن حمير، الذي انطلق من منطقة الظاهرة معقل الغافريين الرئيسي الذي توسّع في نشاطه إلى قلب عمان(٤٦).

وإنه لمن الصعب معرفة ما حدث بالضبط في ذلك الوقت في منطقة بندر عباس. فهناك بعض الاختلاف في المذكّرات اليومية الهولندية والانكليزية الصادرة من جمبرون. وهذا الاختلاف ليس في تعليلهم للأحداث فحسب بل أيضاً في أسماء الشخصيات المتعلقة بالموضوع. كانت نتائج رفع العلم الهولندي في هرمز خطيرة. وقد غادر الأفغان بندر عباس بطريقة أو بأخرى بمفردهم، ولكنهم قرّروا بعد تحريض الانكليز لهم (كما ظن الهولنديون) أن يفعلوا شيئاً فيما يتعلق بالوضع هناك، إذ عيّن أشرف سيد عبد الله خان حاكماً على جارمسير، وهي المنطقة الساحلية، وبعث بارود خان، الذي كان قد عيّن على بندر عباس بدلاً من محمود صالح بك، إلى مدينته لإلقاء القبض على قادة الهولنديين وإرسالهم إلى أصفهان. تلك هي وجهة نظر الانكليز على الأقل(٤٧). وقد رغب الانكليز في إظهار تعاطفهم فنقلوا القوات الأفغانية إلى جزيرة الجسم ولارك لاحتلال هاتين الجزيرتين(٤٨). في غضون ذلك انهمك الأفغان والهولنديون بأمر غريب من نوعه فقد كتب الهولنديون إلى زابرداست

يبلغونه بأنهم قد احتلوا هرمز مؤقتاً لأن الانكليز كانوا يخطّطون لتثبيت أنفسهم في الجزر، وبعثوا بأدلّة تثبت تلك الخطط. وأرسل زابرداست يهنئ الهولنديين لعدم تركهم هرمز للإنكليز(٤٩). وتفيض المذكرات الهولندية في شرح هذه المسائل بطريقة مختلفة تماماً عن الانكليز. ولهذا من المستحيل تقريباً الحكم على صحّة الأحداث. ومن المحتمل أن يكون الهولنديون قد فعلوا ذلك خشية تعرّضهم للنقد من بتافيا، بينما لم يكن الانكليز على معرفة تامة بالدوافع الهولندية. وفي السابع عشر من ديسمبر ١٧٢٨، وصل إلى المقرّ الهولندي مبعوث بارود خان يحمل رسالة في غاية التهذيب يعلم فيها بارود خان عن قدومه إلى بندر عباس في اليوم التالي. ولدى وصوله توجّه المسؤول برفقة نائبيه الاثنين لتحية الخان. ولكن أُلقي القبض عليهم. وهم الرئيس بيتر تلام (الذي كان قد تلقى رداً إيجابياً على طلب نقله وإحلال المقيم في البصرة دي كلين محلّه) والتاجر مولنجراف، أما الثالث ميشليز فقد كان يستعد للذهاب إلى البصرة ليشغل منصب المقيم. بعد ذلك وصل إلى بندر عباس سيد عبد الله خان وأساء معاملة السجناء الهولنديين. وقد مات ميشليز في السجن. وطالب الخان بفدية عن السجينين معلناً أنه تلقى أوامر بترحيلهما إلى أصفهان وطلب المساعدة من الانكليز لاستعادة هرمز. ولكن الهولنديين كانوا أسرع منه إذ استخدموا قوّتهم الصغيرة المكوّنة من الجنود الأوروبيين والبالينيين وشنّوا هجوماً على منزل عبد الله خان محاولين تحرير السجينين. وبعد أن اجتازوا الأبواب، دخلوا ساحة المنزل حيث كان عبد الله خان يدخّن النارجيلة وما لبث أن فرّ مع أعوانه. وعندما خرج الهولنديان من باب السجن تبعهما الحَرس وأطلقوا عليهما رصاص مسدساتهم حيث أصيبا بجراح. وكانت جراح بيتر تلام خطيرة وتم نقله محمولاً. أما مولنجراف فقد تمكّن من السير يسانده جنديان. ومالبث أن جرى خارج المنزل تبادل لإطلاق النار، قُتل فيه مولنجراف ومساعدوه. ولكن الهولنديين، بعد أن قُتل عدد من جنودهم، تمكّنوا من العودة إلى حصنهم. وتكبّد الفرس خسائر كبيرة في مواجهتهم للقوات الهولندية المنظمة. وقد وُضعت المقيمية الهولندية في حالة دفاع، ومالبث بيتر تلام أن مات بعد أربعة أيام متأثراً بجراحه تاركاً وراءه أرملة شابة حيث كان الاثنان قد

تزوجا قبل الحادث ببضعة أسابيع فقط(٥٠).

أما سيد عبد الله خان فقد طلب المساعدة من الانكليز. وقد جاء في التقارير الانكليزية أن الانكليز رفضوا المساعدة ولكن تفيد التقارير الهولندية بأن الانكليز قدّموا البارود للفرس. وكان الهولنديون في حالة سيئة فرغم تمتعهم بمقرّهم المحصّن الجديد، اجتاحهم وباء أصاب عدداً كبيراً منهم وفارقوا الحياة. ولقد سيطرت القلعة البرتغالية القديمة في بندر عباس على جزء من المقيمية الهولندية ولكن نيران المدفعية التي كانت تطلق من هناك دون مهارة قد تمكّنت من إلحاق الدمار بها. ودافع باقي أعضاء المجلس السياسي الهولندي عن المكان بكل شجاعة. وتمكّن الهولنديون من جلب مدفع ثقيل من سفنهم إلى المقرّ وبدأوا يطلقون النار منه. وعندما رأى الفرس ذلك قدّموا بعض التسهيلات فعرضوا إقامة السلام وإعادة الحقوق القديمة للهولنديين. وأخيراً تم التوصل إلى اتفاقية بوساطة الشيخ جبارة وكان حاكم طاهري وهو من قبائل النصنور، وهو المسؤول المالي لبارود خان، وكان الشيخ علي اليد اليمنى لكل من جبارة والشيخ راشد(٥١).

ولم يخاطر الهولنديون خلال المفاوضات إذ رفضوا التوجّه إلى المبنى الحكومي دون رهينة فارسية وسُمح أيضاً لجنود مسلحين بمرافقتهم داخل المبنى(٥٢). وفي الثالث والعشرين من شهر يناير عام ١٧٢٩ توصلوا إلى اتفاقية دون أن تتضمن تغييراً في الوضع حول هرمز. أما الحامية الصفوية هناك، فقد استمرت في رفع العلم الهولندي بغض النظر عن الضغوط الانكليزية للاستسلام للأفغان. وأما الهولنديون فقد دفعوا مبلغ ألف ومئة تومان، ولكنهم رفضوا ما عرضه الفرس عن حرية الرسوم الجمركية أو عن المساواة في الحصن من عائدات الرسوم الجمركية كما كان للانكليز مقابل مساعدة الأفغان في السيطرة على هرمز(٥٣).

وقد قدّم الشاه أشرف مكافأة حسنة للشيخ جبارة نظير دوره البنّاء في المفاوضات مع الهولنديين فقد اعترف به رسمياً من ضمن الأعيان الفرس وأصبح حاكماً على البحرين وأطلق عليه لقب باراخان. ومن الممكن أن يكون هذا وسيلة سهلة للأفغان للاعتراف بسلطتهم على البحرين دون الالتزام بإرسال قوات غازية إليها. ولا شك

أنه كان لدى أقوى شيخ من قبائل الهولة، وهم النصور، قوات بحرية مكّنتها من السيطرة على قبيلة الحرم في عسيلوه حيث أن الجزيرة كانت في حوزتها لعدة سنوات. ومن المعروف أن شيخ قبيلة الحرم سنكت (Sanct) كان موالياً لطهماسب شاه ومن الممكن أن يكون هذا سبباً آخر للهدية المقدّمة إلى جبارة(٥٤).

ويرى بعض المؤلفين أن الشيخ جبارة قد أخذ البحرين قبل هذا التاريخ وبأسلوب مختلف، إلا أن رأيهم هذا يستند على فهم خاطئ للمصادر(٥٥).

وفي مايو ١٧٢٩، فيما كان ما يزال العلم الهولندي مرفرفاً فوق هرمز، ثار أفراد الحامية في جزيرة الجسم ضد الأفغان الذين حاولوا خطف ثماني فتيات من الجزيرة. ولم تكن مساعدة الانكليز قريبة، كذلك رفض الهولنديون مساعدة بارود خان وعرضوا الوساطة فقط. إلا أن بارود لم يلتزم بكلمته وباءت المفاوضات بالفشل. كذلك اعترض بارود في أماكن أخرى بعض المصاعب، فقد كان عليه دفع مبلغ كبير من المال إلى الشيخ بلال شيخ مكران للحفاظ على السلام مع هذا القائد البلوشي. وفي أغسطس حاول الهولنديون والانكليز التوصل إلى السلم في جزيرة الجسم، ولكن الأمور تطورت بطريقة مختلفة. فقد حدث أن وقع مبعوثون من جزيرة الجسم، يحملون رسائل إلى الأوروبيين، في أيدي الشيخ شابونة، وهو عربي مجهول النسب، ولكنه صديق للأفغان وكان يقيم على الجزء الشرقي من جزيرة الجسم. فطلب من أهالي جزيرة الجسم الاستسلام له وعندما استسلموا أمر بإعدام عدد كبير منهم وأُرسلت رؤوسهم المقطوعة إلى بندر عباس لعرضها هناك(٥٦).

وظل موضوع سيطرة الأفغان على جزيرة الجسم غير مؤكد. وانتشرت الشائعات داخل بلاد فارس عن هزائم الأفغان. ومالبث عبد الله بن مسعود وكيل مسقط، أن غزا مدينة جزيرة الجسم. ولا يتضح تماماً كيفية تلاؤم هذا التوسع مع أحداث الحرب الأهلية العمانية. وعندما طلب الوكيل من الهولنديين شراء الأسلحة رفضوا. وليس غريباً في ظل هذا الوضع أن يحاول الهرمزيون تقوية أواصر الصداقة مع الهولنديين. وفي سبتمبر من عام ١٧٢٩ طلبوا ثانية من الهولنديين جعل مقرّهم الرئيسي في جزيرة هرمز بدلاً من بندر عباس. ولكن الهولنديين رفضوا اتخاذ مثل هذه الخطوات

الخطيرة. ومالبث الهرمزيون أن استسلموا للأفغان وأنزلوا العلم الهولندي(٥٧).

ولم يكن من المؤكد في بندر عباس إمكانية ردّ السلطات الهولندية في بتافيا على أحداث شتاء عام ١٧٢٨ - ١٧٢٩. ففي سنوات سابقة كان الهولنديون يتصرّفون بعنف إزاء الإساءات الموجهة إليهم. وفي الحقيقة أن حكومة بتافيا العليا لم تعلم بنبأ وفاة بيتر تلام قبل أغسطس من عام ١٧٢٩. ولم تردّ عليه إذ اعتبرت أن ما حدث كان نتيجة لسوء تصرف بيتر تلام الذي عصى أوامرها المتشددة في الابتعاد عن أوضاع هرمز، وبالتالي لم تخطّط لاتخاذ أي إجراء. ومن الغريب أن المدراء في هولندا، رغم أنهم يعارضون عادة جميع المغامرات العسكرية، إلا أنهم تعاطفوا أكثر مع تلام ولكنهم كانوا أبعد من أن يتمكنوا من إبلاغ بتافيا برأيهم في الوقت المناسب(٥٨).

في غضون ذلك، ظلّ الانكليز يقومون بدور الشرطة في تصيّد «القراصنة»، وفي تقارير جمبرون الانكليزية لصيف عام ١٧٢٩ إشارات عديدة عن هذا. ولقد طالبت السلطات العثمانية في البصرة إرسال سفينة إنكليزية لمطاردة القراصنة كما كانوا يسمّونهم، أو بالأحرى الخصوم في منطقة البحرين. وقد زارت السفينة الانكليزية بالفعل جميع موانئ الخليج وطردت الشيخ خلفان وبعض مراكب القراصنة منها(٥٩).

وكان الوقت يداهم الأفغان. ففي سبتمبر كانوا ما زالوا يتظاهرون بالنصر ضدّ قوات شاه طهماسب وطلبوا من الهولنديين تزويدهم بالذخيرة التي كان يجب تسليمها إلى شيخ عربي مسؤول وهو ابن رحمة حاكم جلفار(٦٠). ومالبثت الانتصارات أن تحوّلت إلى هزائم. ففي أواخر الخريف من عام ١٧٢٩، طرد الجنرال طهماسب قولي خان، وهو جنرال الشاه طهماسب، الأفغان من أصفهان وتحوّل معظمهم نحو شيراز ولار وبندر عباس. ومع نهاية عام ١٧٢٩، قدم إلى ميناء ميناب ممثّل عن طهماسب قولي خان ويدعى أمير مير علي، متوجهاً إلى بندر عباس.

وكانت الأحداث في بندر عباس تسير آنذاك بشكل معاكس. فبينما كانت القوة الأفغانية تتداعى في جميع أنحاء بلاد فارس، كان نفوذهم ينتعش في بندر عباس. وفي التاسع والعشرين من نوفمبر، عندما وصل الأمير علي إلى بندر عباس، جرى

قتال مع الأفغان. ولقد ساند الأمير مير علي أحد قادة حامية هرمز ويُدعى علي بك الذي نقل إلى بندر عباس مع قوّاته على متن سفينة انكليزية. أما الهولنديون فلم يقدّموا شيئاً حتى وسائل النقل. لقد قدّموا فقط بعض الإرشادات ببقاء القوّات الفارسية معاً كجزء واحد منظّم وعدم الانتشار في المدينة. ومهما يكن فقد افتقرت التقاليد الصفوية إلى الانتظام في قواتها العسكرية، وبالتالي فرّ الأمير مير علي(٦١).

وكانت القوات الأفغانية قد وصلت من مسقط في الثالث والعشرين من نوفمبر لمساندة بارود خان الذي لم يواجه مشكلة في مطاردة الأمير مير علي وإرجاعه إلى ميناب في أوائل ديسمبر. ومن ميناب، كتب الأمير علي نيابة عن طهماسب إلى الهولنديين والانكليز يطلب منهم مساعدته في القضاء على الأفغان، ولكنه لم يلق الكثير من المساعدة. فالانكليز كتبوا رسالة فقط تساند أوامر طهماسب قولي خان الموجّهة إلى رؤساء قبائل المنطقة الساحلية لوقف الأفغان وإيقافهم من أن يصلوا إلى البحر(٦٢).

وفي فبراير وصلت رسالة من طهماسب قولي خان يأمر الهولنديين بالقبض على بارود خان وأخذه سجيناً وتسليمه إلى الأمير مير علي. وقد ردّ الهولنديون باختصار أن الأمير علي قد فرّ من بندر عباس قبل فترة. وفي رسالة أخرى أبلغ طهماسب قولي خان الهولنديين أنه علم من الانكليز بأن الهولنديين لم يساعدوا في السيطرة على بندر عباس ولكنهم ساعدوا الأفغان بدلاً عن ذلك. كما كتب يقول بأنه (أي الخان) لم يصدّق ذلك وأنه يطلب الآن المساعدة من الهولنديين. وقد أدرك الأفغان عندئذ أن وضعهم ميؤوس منه حتى في حال تمكّنهم من إلزام الأمير علي على التراجع. وبدأوا يتفاوضون مع الانكليز والهولنديين بنيّة ترك المدينة في أيدي الأوروبيين بعد تراجعهم. ثم إن الأفغان عيّنوا الشيخ العربي محمد بن ماجد حاكماً ولكنه رفض ذلك الشرف المريب. أما الهولنديون فقد تصرّفوا بسرعة وسيطرت قوّتهم المكوّنة من جنود أوروبيين وباليين على حصن بندر عباس الصفوي. ولقد خشي القائد الهولندي من سقوط الحصن البرتغالي القائم فوق الحصن الصفوي والذي من الممكن أن يغطيه بالمدفعية، في أيدي الخارجين عن القانون، وبالتالي أمر بتجريده من الأسلحة.

ومالبث أن أبلغ الهولنديون طهماسب قولي خان بسيطرتهم على الحصن «باسم الحاكم الشرعي»(٦٣).

في غضون ذلك عين شاه طهماسب الوكيل الإنكليزي هورن حاكماً مؤقتاً وفي نفس الوقت شاهبندراً على بندر عباس. وهكذا تسلّم هورن إدارة المدينة من الهولنديين. وبالطبع فإن سلطة الإنكليز كانت محدودة من حيث حقيقة سيطرة الهولنديين على الحصن. وأخيراً تسلّم المدينة والحصن مندوب عن القائد طهماسب قولي خان، وهو قائد الشاه طهماسب ويدعى كلب علي خان(٦٤).

وبهذا انتهى دور الأفغان في بندر عباس ولكن استمرّت في المدينة بعض الأوكار المعارضة. وكان الشيخ العربي أحمد مدني يسيطر على المنطقة الواقعة حول شارك من حصنه مرباغ وكان يستقبل اللاجئين الأفغان هناك إذ أنه لم يعترف بسلطة طهماسب. وكان قد فرّ بعض القادة الأفغان إلى المنطقة التي تسيطر عليها القبائل العربية. ولكن الحظ لم يحالفهم هناك فقد كان لدى الكثير من العرب ما يدعو لكره الأفغان وبالتالي قتل العديد منهم. وقد تمكن غيرهم من الفرار إلى الجانب الآخر من الخليج إلى جلفار، حيث لم يحسن الشيخ رحمة بن مطر معاملتهم(٦٥).

وبهذا لم يعد الأفغان يشكلون قوة في منطقة بندر عباس. إلا أن الشيخ أحمد المدني ظلّ لفترة من الزمن مسيطراً دون تحدّ بل إنه تمكن من احتلال لار(٦٦). كان ذلك أحد المشاكل العديدة التي كان على النظام الصفوي في بندر عباس أن يواجهها بعد عودته. صحيح أن سيطرة الفرس على بندر عباس لم تكن سهلة ولكنها ستستمر للوقت الحاضر.

عودة الصفويين إلى الحكم ١٧٣٠-١٧٣٦:

لقد تأثر المؤرخون المعاصرون والمحدثون بسجلّ طهماسب قولي خان أو نادر شاه الذي أُطلق عليه «نابوليون الفارسي» بعد أن أزاح الصفويين جانباً واستولى على العرش لنفسه عام ١٧٣٦. ولكن التمعّن في الموضوع يُظهر لنا أن الصورة كانت أقل إشعاعاً، إذ انحصرت انتصارات طهماسب قولي خان أو نادر شاه في هزيمة الأفغان

وغـزو جزء كـبـيـر من إمبـراطورية المغل. في ذلك الـوقت لم تشكل قـوة الأفغـان أو امبـراطورية المغل العسكرية قوة رئيـسية في العـالم، فلم تبرز نشاطات نادر شـاه ضد تركيا رغم أن تركـيا كانت آنذاك ضعيـفة جداً، وكان سجل نادر شـاه كحاكم على بلاد فارس سيئاً بسبب تصرّف جـميع من عيّنهم بطرق تناقـضية وعشـوائية. وكان النظام الجـديد يعاني من الإفلاس كـالنظام الصفـوي دون الأخذ بعين الاعـتبـار حجم الغنائم الضخم من الهند. فلقد أدّت الضرائب الباهظة للإنفاق على الجيش، إضافة إلى سـوء المساندة المطلوبة للجـيش من حـيث النقل والمعدّات، إلى انفـجار الثـورات في شتى الأقاليم وإلى تمرّد القوات المسلحة. لقد شهـد عهد نادر شاه في الواقع أكبر عدد من الثورات إذ فـاق بذلك غيره من الحكّام خـلال القرنين السـابقين. والأسوأ من ذلك هو طموحه في إنجاز قـوة بحرية خارقة وتحقيق السـيطرة على مناطق الخليج الساحلية وقد أوحى له بذلك حـاشيتـه في جنوب بلاد فارس. ولا تستطيع سـوى الدول الغنية باقتـصادياتها أن تتحـمل تكاليف إنشاء قوّة بحـرية إذ تفوق تكاليف إنشائهـا إعداد جيش برّي منظّم. وكان يلزم هذه القوة البحرية شـراء السفن الباهظة الثمن والمدفعية، واستخدام الخبراء لاستعمال السفن الحربية الكبيرة في القرن الثامن عشر. لم يكن لدى بلاد فارس آنذاك المال لشراء تلك السفن الغالية الثمن أو لاستخدام الخبراء الأوروبيين. فـاضطرت السلطات الفـارسيـة إلى الضغط علـى المنطقة الجنوبيـة للحـصول على مـا يلزمها من المال، فيما كانت تلك المنطقة تعاني من تدنّي ازدهارها.

ومـا لبث أن اتضح بعـد تولي الـصفـويين الـسلطة في بندر عـبـاس أن المنازعـات ضدّهم لم تتوقف. ففي عام ١٧٣٠ مارس الموالون للأفغان ضغوطاً شديدة على منطقة بندر عباس(٦٧). ولقد أخلص قائدان من العرب الولاء للأفغان حيث كانا يتلقيان بعض المساندة من مـسقط. وكـان الشيخ أحمـد مدني، سيّد المربق، القائد العربـي الرئيسي الذي سـاند الأفـغـان. والمربق مكان في الوادي الـكبـير الـواقع خلف سلسلة الجـبـال السـاحليـة التي تربط بين نخيلوه وشارك. وبـالتالي فـهي مـوضع ممتـاز لممارسـات حروب العصـابات. أما القائد الآخر المساند للأفغـان فهو شابونة قائد القبـيلة البحرية المقيمة في الجـزء الشرقي من جزيرة الجسم. ولقد تركّزت العناصر الأفـغانية في المنطقة

التي كـان يسيطر عليـها الشـيخ أحمد مـدني وبدأت بممارسـة الضغط عـلى لار. أما شابونة فكان يمارس نشاطه حول جزيرة الجسم(٦٨).

وفيما بعد انضم إلى مـوالي الشاه طهماسب قائدان عربيان مهـمان أقواهما الشيخ راشـد حاكم باسـيدو، الذي كـان قد أبدى بعـض التردّد في مـوقفه إذ لم يكن هناك دوافع خاصة تجعله يفضّل طرفاً عن الآخر فظلّ حـيادياً لأكثر من عام. ويبدو أن راشد قد خشي بشـدة معاقبة الموالـين للصفويين له، إلا أنه لم يواجه في البـداية أية مشـاكل. وظلّ موضوع التوصل إلى اتفاقيته مع الحكومة المركزية بشأن تسوية حسابات إدارته لمنصب الشـاهبندر يشكّل تهديـداً له. كانت كل حكومـة محليـة جديدة تعبث من حين لآخر بالموضوع المتعلق بدعـوة راشد لدفع مـبالغ كـبيرة من المال بحـجة عـدم تسـديد الحكومـة الرسوم الجمركـية التي جمعهـا. من ناحية أخرى ادّعى الـشيخ راشد بأن السلطات الفارسـية كانت مدينة لـه بمبالغ كبيـرة. ولا يشير المراقبـون الهولنديون بوضـوح إلى مدى صـحة كلّ من الادعـائين السابقين. ومن حين لآخـر ظلّت مسـألة تسوية الحـسابات تسبّب المـشاكل للشيخ راشـد. ومثال على ذلك طلـب الهولنديين الحكومـة الفارسيـة بتسـديد الديون الكبيرة المتـوجّبة عليـهم حينمـا وجدوا الفـرصة ملائمـة بعد عودة الصـفويين. ولكن الشـاهبندر رفض لعدم توفّر المال لديه بحـجة أن الشيخ راشد لم يدفع مـا عليه. وطلـب من الهولنديين استـخدام سفنهم لجلب المال من الشيخ راشد في باسيدو، ويبدو أن الهولنذيين اقـتنعوا بهذا في البداية ولكنهم سرعان ما بدأوا يفـقدون الثقة بالعـرش واكتفوا بتـوجيه رسالة إلى الشـيخ راشد(٦٩). وأخيراً استسلم الشيخ راشد رسمياً وتذلّل إلى الصفويين وذلك في فبراير من عام ١٧٣٢(٧٠).

ويبدو أن الشيخ راشد عاد بعد ذلك إلى سيـاسته السابقة. وقد جاء في المذكّرات الإنكليـزية شكاوى جديدة عن توقّف سـفن محليـة في باسيـدو لا تحمل التـصاريح الإنكليزية، وهذا دليل أكيد على استئناف التجارة كما كانت سابقاً(٧١).

كـان من الغبـاء أن يتوقّع الهـولنديون استـعـادة جزء كـبيـر من المال من السلطات المحلية، وهو المال الـذي كانوا قد أعـاروه إلى الشاه سلطان حـسين. وقد استـمرّ وضع بلاد فارس المالي في غاية الضعـف. وكانت حامية هرمز الموثوق بها تهـدّد بالتمرد ما

لم تتسلم مستحقاتها المتأخرة لسنوات عديدة(٧٢). لقد تعرّضت منطقة بندر عباس خلال حكم طهماسب ونادر شاه فيما بعد، إلى سلسلة من الثورات بسبب عدم تمكّن الفرس من دفع الأجور للجيش وتوفير الطعام لهم.

وكان تردّد الشيخ جبارة شيخ طاهري في ولائه أكثر غرابة من موقف الشيخ راشد. فقد عيّن جبارة حاكماً على البحرين بعد الهزيمة التي لحقت بأشرف ولكنه لم يسر على خطى رئيسه السابق بارود خان الأفغاني في مغادرة بندر عباس بل إنه تبع طهماسب. وفي مايو عام ١٧٣٠ ما لبث أن ثبّته الصفويون في منصبه كحاكم للبحرين. كان تصرّف الصفويين هذا تجاه أتباع الأفغان في غاية التساهل ولكن من الضروري أن نأخذ بعين الاعتبار حاجة الإدارة الصفوية الجديدة الماسة للمساندة العسكرية في المنطقة التي كان أحمد مدني وشابونة يقومان بنشاطاتهما فيها. كذلك لم يجد الفرس آنذاك وسيلة لغزو البحرين فرأوا أنه من الأفضل لهم أن يحكمها جبارة باسمهم. ومن المحتمل أن تكون صداقة جبارة للإنكليز المقرّبين جداً من المسؤولين الصفويين الجدد، قد ساعدته على ذلك(٧٣).

وقد استمرّت الحرب بين قادة الصفويين المحليين وأحمد مدني حتى أوائل صيف عام ١٧٣٢. وفي عام ١٧٣١ عيّن على كرمان حاكم جديد يدعى محمد تقي لمهاجمة أحمد مدني. وكان هذا الحاكم مفضّلاً لدى طهماسب قولي خان. ثم أصبح هذا الرجل، الذي يتّصف بالفساد وعدم الكفاءة، مهماً جداً في تاريخ جنوب الخليج في السنوات التالية. وعندما علم أحمد مدني عن وصول قوات فارسية ضخمة استسلم متعهداً بتسليم ونقل الأفغان الذين كانوا معه إلى شيراز ودفع تعويض كبير. واستعاد أحمد بالمقابل مكانته القوية بالقرب من الطريق المهم الواقع بين لار والساحل. كان هذا الانتصار ثانوياً للفرس فقد ظلّ أحمد في مركزه وبالتالي كان من الممكن أن يشكّل خطراً ثانية(٧٤).

في الحقيقة أن الأحداث ما لبثت أن أبرزت استمرار وضع الصفويين غير المستقر. ففي عام ١٧٣٢ خلع طهماسب قولي خان سيده الشاه طهماسب عن العرش ووُضع الطفل عباس الثالث مكانه. وأصبحت بلاد فارس تحت سيطرة قائد سني تماماً رغم

أنه كان يحكم البلاد باسم الصفويين الشيعة. وفي عام ١٧٣٣ واجه طهماسب قولي خان أول ثورة كبيرة في الجنوب الشرقي. فقد انضم محمد خان البلوشي حاكم كوجالو إلى الأفغان، بينما لم ينجز الشيخ أحمد شروط السلام في تسليم الأفغان الذين كانوا يختبئون بمربق. وبدا لفترة قصيرة أن الحكم الفارسي في الجنوب سوف ينهار ثانية. إلا أن طهماسب قولي خان برز بسرعة بميزاته العسكرية على رأس جيشه في منطقة محمد خان حيث ألحق به الهزيمة وقد فرّ محمد خان إلى مربق حيث استقبله الشيخ أحمد. وقد بعث طهماسب قولي خان بأحد قوّاده ويُدعى طهماسب خان يالاير للقضاء على قوة الشيخ أحمد نهائياً. ولقد تحقق في ذلك الوقت النصر التام. ففي أوائل عام ١٧٣٤ تمّ الاستيلاء على حصن أحمد مدني حيث سجن الشيخ أحمد. أما ابنه فقد فرّ إلى جلفار. ثم إن محمد خان عاد إلى منطقة لنجة ومعه مجموعة من الأفغان العرب(٧٥).

لقد ارتبكت السلطات الفارسية في حماسها للقضاء على آخر العناصر غير المخلصة لها وسبّب ذلك فوضى كبيرة. وطلب الفرس من الهولنديين والإنكليز مساعدتهم في الإشراف على منع انسحاب أعدائهم بمساندة الشيخ راشد والشيخ جبارة(٧٦). وكان على لطيف خان الذي عينه طهماسب قولي خان أخيراً أميراً للبحر تنسيق العمليات والإشراف على مغامرة جديدة كلياً. كان عليه أن يؤسّس قوّة بحرية فارسية بإنشاء أسطول. وكان لطيف خان قد أمضى فترة في اسطنبول وكان يُعتبر ثاني أقوى رجل في بلاد فارس بعد طهماسب قولي خان، وميرزا تقي أقرب أصدقاء طهماسب قولي خان(٧٧). لقد كان الهدف الأساسي وراء هذا المشروع البحري الكثير التكاليف القضاء على سيطرة العثمانيين في البصرة وسيطرة الفرس على تجارة الترانزيت عبر الخليج(٧٨).

ولم تنجح مخططات الفرس في منع تراجع آخر الأفغان ومسانديهم إلى الجانب الغربي من الخليج. حيث نجا الهاربون من قوات الهولنديين والإنكليز وأتباع الشيخ راشد المشتركة. ويبدو أن الإمام سيف بن سلطان قد استخدم قسماً كبيراً من الهاربين البلوش والأفغان والعرب في عمان لاحتواء المعارضة الغافرية المتزايدة ضد

حكمه(٧٩).

ولكن انضمام عدد جديد من الجنود مع الإمام لم يغيّر من الوضع كثيراً هناك وذلك لأن جيش الإمام الجديد كان قد هزم على يد خصمه الغافري أبو العرب بن حمير. ولم يبق تقريباً سوى القائد أحمد بن سعيد والي صحار مخلصاً في ولائه لسيف بن سلطان. وقد وقع خلاف محدود بين السيد أحمد والإمام ولكن ما لبث أن سوّي بعد فترة. وانقسمت عمان فعلياً إلى قسمين(٨٠).

وقد اتهم الشيخ راشد حاكم باسيدو بأنه كان سبب هروب الأفغان والموالين لهم إذ زعم بأنه قد أطلع بعض أصدقائه من العرب على الأوامر التي وصلته من لطيف خان، فعمد هؤلاء إلى تحذير الهاربين. وقد يكون تصرّف الشيخ راشد هذا مجرّد طيش أو عدم حكمة وليس خيانة. فقد عانى هو شخصياً من جرّاء ذلك بسبب تعرّض مدينته باسيدو للغزو الأفغاني. أما لطيف خان الذي كانت عداوته للشيخ راشد واضحة فقد طلب من الأوروبيين اعتقال الشيخ راشد وفعلاً ألقى الإنكليز القبض على الشيخ راشد فيما حاصر الهولنديون سفينته وسلّموها إلى لطيف خان مقابل وصل استلام مكتوب (ومن حسن حظّهم أنهم فعلوا ذلك كما سيتضح فيما بعد)(٨١). وكان ما يزال لدى الشيخ راشد بعض الأصدقاء. فقد بعث طهماسب قولي خان برسالة إلى الهولنديين يعبّر فيها عن غضبه ويتساءل عن سبب اعتقال الشيخ راشد بدلاً من قيامهم بعمل مفيد. ولقد ردّ الهولنديون بسخط شديد بأنهم فعلوا ذلك بناءً على طلب كتابي من السلطات الفارسية. وكان ردّهم هذا صحيحاً. فلم يكن هناك ما يستدعي نزاعهم مع الشيخ راشد الذي كان قد ساعدهم في استعادة السفن المحلية المؤجّرة من قبل أمين المخازن الهولندي، والتي استولى عليها رجال القبائل في شارك(٨٢). أما الإنكليز الذين أقاموا علاقات مودّة وصداقة فجائية مع الشيخ راشد، فقد حاولوا حمايته من الفرس المحليين(٨٣).

ولحسن حظ راشد تدخّل في الأمر ميرزا تقي حاكم شيراز السابق وأقرب مساعدي طهماسب قولي خان والذي كان قدْ أصبح حاكم فارستان تحت اسم تقي خان. كان هذا الشخص المهم على الأرجح في حاجة ماسّة للمال. وقد أعلن أولاً أنه

تمّ تغريم الشيخ جبارة والشيخ راشد معاً مبلغاً كبيراً من المال قيمته عشرة آلاف تومان (نصف مليون جيلدر تقريباً). ولكن اتضح فيما بعد أن تقي خان قد عرض عليهما فرصة استئجار عائدات رسوم الشاهبندرية لمدة ثلاثين شهراً مقابل دفعة أولى من هذا المبلغ (كان الشاهبندر محمد صالح بك قد طرد خزياً وعاراً) وقد توجه الشيخ راشد حراً نحو باسيدو لجمع المال (وهذا يدل أنه كان يتوفر لديه من السيولة المادية ما يوازي المبلغ الذي كان بحوزة شركات الهند الشرقية الأوروبية في الخليج!). وفي غضون ذلك ألغى طهماسب قولي خان عرض منصب الشاهبندر الذي قدّمه محمد تقي إلى الشيخ راشد والشيخ جبارة، معيّناً بدلاً عنهما ميرزا إسماعيل، وهكذا بَعُد راشد الآن عن الخطر المباشر ومن ثمّ عاد إلى باسيدو(٨٤).

لقد أصبحت سواحل بلاد فارس تحت سيطرة ضباط طهماسب قولي خان. وفي عام ١٧٣٦ توفي الطفل شاه عباس الثالث واستولى طهماسب قولي خان على العرش مطلقاً على نفسه اسم نادر شاه. وقد اعترف الأوروبيون بحركته هذه ولكن مع حقد وضغينة. وبعد العمليات القائمة ضد الأفغان الهاربين مباشرة، طلب لطيف خان من الهولنديين والإنكليز في بندر عباس بيعه السفن لإنشاء قوّة بحرية فارسية. ولم يكن الوقت ملائماً. فقد تجرّد الإنكليز من سحر الفرس. وكانوا يخطّطون لمغادرة بندر عباس والاستيلاء على بعض السفن العربية تعويضاً عن خسائرهم(٨٥). وقد رفض الهولنديون أن يبيعوا سفناً موضّحين للفرس بأنهم على استعداد لحماية الموانئ الفارسية دون الاشتراك بعمليات عسكرية ضد دول تربطهم بها معاهدات كالامبراطورية العثمانية، وامبراطورية المغل وعمان(٨٦). كذلك رفض الإنكليز؛ ولكن نظراً لوجود سفن إنكليزية خاصة في المنطقة، تمكن لطيف من شراء ثلاث سفن منها. وقد سبّب ذلك الاستياء الشديد لرئيس الوكالة الإنكليزية في بندر عباس(٨٧). ثم إن الفرس رغبة منهم في شراء سفينة رابعة من الطراز الأوروبي، طلبوا من الشيخ راشد أن يبيعهم سفينته الخاصة «التوكّل» ولم يبد الشيخ راشد رفضه غير أنه لم يثق بالفرس كثيراً. وأخيراً تمت عملية البيع والدفع وكان الهولنديون يقومون فيها بدور السماسرة. ويظهر في هذه الاتفاقية استخدام القبائل العربية في الخليج

لوسائل الدفع الحديثة وذلك من خلال استخدامهم عهود المبايعات فيها(٨٨). وقد تمّ استئجار عدد كبير من رجال القبائل العرب مع سفنهم. وكان يعمل لدى لطيف أيضاً مستشار بحري أوروبي وهو القبطان الإنكليزي كوك، وبذلك أصبحت البحرية الفارسية أقوى وحدة قتالية في الخليج(٨٩).

وهكذا تمّ تأسيس قوة بحرية في بوشهر وهو مكان يقع ضمن منطقة أكثر ولاء للحكومة الفارسية من جرمسير. كما شجّع الفرس على إنشاء الوكالات الأوروبية هناك(٩٠). إلا أن القوة البحرية الجديدة لم تُستخدم مطلقاً لهدفها الأساسي الذي بنيت من أجله وهو الحرب ضد الأتراك. لقد ظلّ نظام الحكم الفارسي يتبع أسلوب المفاجآت دون العمل ضمن استراتيجية متماسكة. فقد حدث أول تحوّل للوسائل البحرية نتيجة حماقة وجشع الحكومة المحلية في بندر عباس التي تتشكل من الشاهبندر وميرزا إسماعيل والحاكم (السلطان) أمير مير علي وكان سبب تلك الحادثة الشيخ راشد دون قصد منه. فقد مات فجأة في أواخر ربيع عام ١٧٣٦(٩١). ووجدت السلطات في بندر عباس الفرصة مؤاتية لتسوية حساباتهم وإثراء أنفسهم. فبعثوا بقوة صغيرة لإلقاء القبض على أرملة الشيخ راشد والاستيلاء على ثروته الكبيرة. وقد وردت الحادثة في المذكرة الإنكليزية في جمبرون كالتالي:

«لقد حاول الفرس على ما يبدو الحصول على ما يستطيعونه من زوجة الشيخ، ولكن نظراً لقوّتها ومهارتها فقد وقفت ضدّ خططهم ودعت العرب من جلفار ومن أماكن أخرى لمساعدتها. وفي باسيدو الآن الكثير منهم. كما يحيط بالجزيرة مراكب مستعدة لنقل المرأة خارجها في حال وقوع أية محاولة ضدها، وهذا يعني أنه إذا لم يكن الفرس حذرين في تحركاتهم، فقد يتسببون بإشعال الفتيل الذي يؤدي إلى مشاكل كبيرة في باسيدو وفي المناطق القريبة منها»*.

وعندما وصل المبعوثون الفرس إلى باسيدو وجدوا بالفعل عدداً كبيراً من رجال القبائل العربية مستعدّين للقتال. ولكنهم لم يتوخوا الحذر وانتهت الحادثة بقيام ثورة

---

* EGD 10 - 7 - 1736 J.

عربية عامة على الساحل الجنوبي، فيما التجأت أرملة الشيخ راشد وابنه عاشور إلى الشيخ رحمة بن مطر في جلفار. وقبل أن يتمكن لطيف من استخدام القوة البحرية الفارسية في العملية التي تمّ الاستعداد لها مطولاً ضد البصرة، وجد نفسه فجأة مضطراً لاستخدام قواته لاحتواء تلك الانتفاضة(٩٢).

ولقد قامت السفن العربية بنهب السواحل كما تعرّض مركب محلي في خدمة الهولنديين للهجوم. ولقد أعيد هذا المركب بعد تبادل رسائل مع الشيخ رحمة بن فيصل حاكم آل علي(٩٣).

وكالعادة توجّه الفرس أولاً يطلبون المساعدة من الأوروبيين. ولم تكن السفن الأوروبية الكبيرة مجهّزة حسناً لمطاردة المراكب العربية الصغيرة، بينما كان الأوروبيون مستعدين لإرسال بعض سفن لعرض قواهم حول جزيرة الجسم. ولهذا الغرض حملت السفينة الهولندية «ريتذم» (Ritthem) بعض الجنود الفرس. وقد تحولت نحو جزيرة الجسم وفرّت مجموعة من المراكب العربية. وأخيراً استولت السفينة الهولندية «ريتذم» على مركبين صغيرين. وقد استجوب المجلس السياسي الهولندي في بندر عباس البحّارة العرب قبل تسليم المركبين للفرس، وعندما صرّحوا بأنهم صيادو لؤلؤ من جلفار أُطلق سراحهم ويبدو أن عرب جلفار كانوا يحظون بسمعة حسنة لدى الهولنديين(٩٤).

وواجه الشيخ جبارة بعض المشاكل نتيجة الأحداث التي وقعت مع أرملة الشيخ راشد. فقد تزوّج من هذه الأرملة واستخدم رسوم باسيدو. وقد مارس لطيف خان ضغوطه عليه عندما ظن بأنه قد حصل على الأموال من الأرملة (ذاكراً بفظاظة أنه ليس هناك من يتزوج امرأة كبيرة في السن إلاّ من أجل مالها)(٩٥).

ولا بدّ من الإشارة هنا إلى مدى تمتع الأميرال لطيف خان بالمزايا الحسنة. فقد تمكن من إخضاع العرب دون استخدام العنف مباشرة. وقد جاء في كتب التاريخ الحديثة أن لطيف خان كان يحظى بثقة العديد من رجال القبائل العرب. وقد عمل معه شيخان عربيان مع قبائلهما وهما الشيخ عبدل، شيخ بني معين في لفت الواقعة في جزيرة الجسم، والشيخ رحمة بن شاهين شيخ العبيدلي في نخيلوه(٩٦).

وقد ختم الفرس تهدئتهم للوضع في المنطقة الساحلية بالتخطيط لهجوم ضد البحرين. وتقدّم لطيف خان وطلب مساندة الهولنديين له في هذه العملية ولكن الهولنديين رفضوا ذلك بعد مناقشة الموضوع بإسهاب في المجلس السياسي. وقد اتهم الفرس فيها بعد الهولنديين بأنهم قد أبلغوا العرب عَن الخطط السرية المعدّة في العملية ضدّ البحرين، إلاّ أنني لم أجد ما يؤكد هذه الاتهامات(٩٧). فقد رفض الإنكليز أيضاً طلب الفرس للمساعدة وليس هناك ما يشير إلى توجيه الاتهامات ضدهم(٩٨). وقد تمّ غزو البحرين دون أن يحدث الكثير من القتال مما رفع أسهم لطيف خان لدى طهماسب قولي خان(٩٩). إنّ الحافز لهذه الحملة غير واضح. ويصفها ميرزا مهدي، وهو مصدر غير دقيق، بأنها حملة تأديبية. وهو يذكر أن جبارة قد فرّ إلى مكة بعد أن علم بالخطط المعدّة لهذه الحملة. أما نائب جبارة فلم يبدِ مقاومة كبيرة(١٠٠). وتشير المراسلات الهولندية آنذاك إلى أن الحملة لم تكن موجهة ضد جبارة. ويشار إلى جبارة أنه كان ما يزال عضواً بارزاً في بلاط الحاكم تقي خان بعد الغزو الفارسي للبحرين (وهو سابقاً ميرزا تقي الذي عُيّن حاكماً على فارستان). ولم يستمر ولاء جبارة للفرس طويلاً. ففي عام ١٧٣٨، أي بعد سنة من تلك الأحداث قيل أنه انضم إلى حركة قامت بها القبائل العربية ضد الفرس بعد هزيمة القوة البحرية الفارسية أمام العمانيين. ومن الضروري الإشارة إلى أنه بعد مرور بضع سنوات على ذلك، نُصّب شخص يبدو أنه ابن جبارة، حاكماً على البحرين وكان ممثّلاً للفرس(١٠١). ومن الصعب إدراك ما حدث بالفعل. ومن المفترض أنه خلال ثورة العرب إثر وفاة الشيخ راشد، استولت مجموعة من رجال القبائل من الساحل الشمالي على الجزيرة (مثلاً قبائل الحرم التي كان جبارة قد طردهم منها عام ١٧٣٠).

وتورّطت بعد ذلك الحكومة الفارسية في مغامرة جديدة في منطقة الخليج ولكنها كانت تفتقر إلى قدرة اختيار الأفضل وتخضع للظروف المفاجئة والمستجدة. وقد هيأ لها الوضع في عمان تلك الفرصة. فمع نموّ المعارضة بعد فترة وسقوط مسقط أخيراً في أيدي الأعداء، وهي معقل الإمام الرئيسي ومصدر عائداته من التجارة من أفريقيا وغيرها وجد الإمام سيف بن سلطان نفسه في وضع يائس. وكان اللاجئون

البلوش الذين تركوا بلاد فارس بعد فشل ثورتهم عام ١٧٣٤، قد ساندوا الإمام في البداية، ولم يبق أمامه سوى طلب المساعدة من الشاه للخروج من محنته(١٠٢) خاصة والفرس وقتذاك لديهم السفن، وكان أيّ تدخل فعّال في الجزء الشمالي الغربي من عمان يتيح للفرس الفرصة لوضع حدّ لسطوة عرب جلفار وسكان المناطق المحيطة المقيمين في سواحل الخليج الشمالية الذين سبّبوا للفرس المشاكل. ولن توجه العمليات الفارسية التالية في الخليج ضد عمان أو ضد البصرة. وجاءت حرب الشاه في عمان مأساة إذ كان جيشه غير منظم وبحريته ليست ماهرة لعدم استعدادها للحرب في الصحراء وفي السواحل الملأى بالخلجان حيث يتمكن أعداؤه من الاختباء فيها. وخلال السنوات العشر التالية سوف تقضي تلك الحرب على معظم موارد فارستان وتؤدي بالتالي إلى انهيار ذلك الإقليم الغني سياسياً واقتصادياً.

منطقة شمال الخليج خلال فترة الاضطرابات الأفغانية في بلاد فارس:

ليس من السهل تدوين تاريخ منطقة شمال الخليج خلال فترة سيطرة الأفغان في أصفهان. فمن ناحية هناك بصفة خاصة وثائق غنية عن البصرة. وجاء في التاريخ الكرملي تفصيلات كثيرة. كما منحت عودة الأوروبيين قليلاً من الوثائق الإنكليزية والفرنسية وكثيراً من الوثائق الهولندية. ومن ناحية أخرى فإن الوثائق عن منطقتي الشمال والجنوب الساحليتين في الخليج نادرة.

وليس لدينا أي دليل وثائقي حول الساحل الجنوبي. وقد تكون تلك الفترة هي التي ظهرت فيها قبيلة العتوب، والتي كانت ما تزال تحت سلطة بني خالد، وبرزت بما يسمى الكويت حالياً، وأن مدينة الكويت حالياً والتي كانت تسمى آنذاك بالقرين قد بدت خلالها في بداية وجودها. وليس هناك في المصادر الأوروبية ما يشير إلى بني خالد أنفسهم آنذاك. وفي عام ١٧٣٣، تمرّد بحّارة السفينة الهولندية «وندهوند» (Windhond) ودخلت ميناء قطيف التابع لبني خالد بهدف القرصنة، ولكن السلطات المحلية أرسلت السفينة وبحّارتها إلى الوكالة الهولندية في بندر عباس(١٠٣).

كذلك فإن معلوماتنا عن ساحل منطقة شمال الخليج محدودة. فما تزال عربستان

إقليماً فارسياً بالاسم تحت سلطة قبائل المشاشة ذوي العقل المتحرر وقد ساندت قبائل المشاشة الأفغان ولكن لا يتضح مدى إخلاصهم لهم. ولو اعتبرنا أن موقف قريبهم سيّد علي في بندر عباس دليل على ذلك فهذا يدلّ على غموض موقفهم على الأقل. وعلى الأرجح لم تكن قبائل المشاشة متماسكة في موقفها. فقد نشأ من حين إلى آخر خلافات كبيرة بين أعضاء العائلة. إذ انحاز خلال الأزمة الأفغانية الوالي سيّد محمد خان وهو من المشاشة إلى الجانب العثماني. وكان أن أعطيت الحويزة للامبراطورية العثمانية ضمن بنود المعاهدة العثمانية الفارسية عام ١٧٢٧(١٠٤). ومع زحف طهماسب قولي خان انتهت سيطرة العثمانيين في المنطقة. وفي عام ١٧٣٠، دخلت القوات الفارسية الحويزة ونفي سيّد محمد خان إلى البصرة. ولكن سرعان ما تمكّن من العودة إلى الحويزة بمساعدة قبائل المنتفق، ولكن كان عليه الاختفاء من مسرح الأحداث بعد المعاهدة العثمانية الفارسية لعام ١٧٣٢، وهنا أصبحت الحويزة فارسية تماماً. وفي عام ١٧٣٣ وضع طهماسب قولي خان والي المشاشة سيّد عليّ خان شقيقه رضا وذلك لمساندة الوالي السابق للثورة القائمة في الإقليم(١٠٥).

ونكاد لا نعرف شيئاً عن المنطقة الواقعة إلى الشرق. وليس هناك ما يشير في المصادر الأوروبية عن وجود حركات للمطالبة بالاستقلال المحلي بل كان ولاؤهم للمطالب بالعرش الصفوي كما كان في منطقة جنوب الخليج. وقد يعود هذا إما لضآلة اهتمام الأوروبيين في وضع تقارير عن المنطقة أو لأنه كان من السهل للسلطات في أصفهان السيطرة على أماكن مثل بوشهر. ولم يكن هناك الكثير من المشاكل. كذلك ليس هناك ما يشير بوضوح إلى إستمرار ازدهار بوشهر أو بندر ريج النسبي وهو ما ذكر عام ١٧٢١، في تلك الفترة(١٠٦). بل إنه من الأكثر ترجيحاً بأن تكون تجارتهم قد انحدرت كما حدث في الموانئ الفارسية في جنوب الخليج.

ونظراً لتوفّر المصادر، فإن تاريخ البصرة هو الأكثر تفصيلاً. ففي عام ١٧٢٩ نشأ في البصرة بعض المشاكل الشبيهة بما هو متعارف عليه في نظام الحكومة العثماني. فقد نصّب محمد باشا مكان الضابط إبراهيم قائد الجند الذي كان حاكم المدينة الفعلي، شخصاً يدعى مصرلي أوغلو، بعد أن استدان منه مبلغاً كبيراً من المال. وقد

حاول أوغلو هذا الحصول بسرعة على عائدات كبيرة ولكن ابتزازاته أدت إلى معارضة القائدين العربيين الأساسيين في البصرة وهما محمد بن مانع والشيخ أنيس. ويبدو أن الأوّل كان قائد المنتفق، أما الشيخ أنيس فليس هناك معلومات كثيرة عنه. وقد ذُكر مراراً في الوثائق الهولندية وفي المخطوطة الكرملية. ومن المؤكد أنه كان قائد العرب المقيمين في ضواحي البصرة مباشرة. وكان يقيم في مكان قرب المدينة في مكان يدعى لاريدج (Laredje) ولم نتمكّن من تحديده(١٠٧).

وقد ألقى الشيخ أنيس القبض على مصرلي أوغلو وأعيد الكخيا السابق إبراهيم. ثم أن مصرلي أوغلو أُعدم شنقاً إرضاءً لغضب شعب البصرة. ولم يكن من السهل على الباشا استعادة النظام كلياً. فقد ظلت قبائل المنتفق في حالة من التمرّد بينما كانت بعض القبائل تميل إلى التحالف مع الفرس. وفي عام ١٧٣٠ فشلت محاولة حلّ عسكري وذلك لأن قابودان باشا في البصرة (وهو قائد الأسطول النهري الذي كان يحرس المنطقة الواقعة بين بغداد والبصرة) قد تعاطف مع المنتفق. وقد دفع هذا محمد باشا أخيراً للتوصل إلى تسوية معهم وذلك لأن المنتفق قد سدّوا جميع منافذ المؤونة إلى المدينة(١٠٨).

ومنذ عام ١٧٢٢، ازداد نشاط التجار الأوروبيين في البصرة. ويتضح في المذكرات الهولندية تنقّل منتظم للسفن الفرنسية والإنكليزية، ومنذ عام ١٧٢٥ السفن الهولندية أيضاً. وكانت جميع الدول الأوروبية آنذاك تحاول خفض التكاليف بطرق جديدة. فلقد حدّدت المعاهدات بينها وبين الامبراطورية العثمانية نسبة الرسوم الجمركية بثلاث بالمئة (٣٪)، ولكن هذه النسبة لم تُطبّق في البصرة مطلقاً حيث أن باشوات أفراسياب قد طالبوا بالضعف ولم يأتِ خلفاؤهم بأيّ جديد. ويبدو أن الفرنسيين هم أول من نجح عام ١٧٣١، في دفع مبلغ كبير من المال للباشا. ولقد تثبتت المسألة بفرمان حصل عليه السفير الفرنسي في اسطنبول من السلطان(١٠٩). وفي عام ١٧٢٩ حاول السفير الهولندي في اسطنبول ذلك لكنه لم يحصل على أفضل من نسبة أربع بالمئة (٤٪) عندما تسلّم أخيراً فرماناً من السلطان عام ١٧٣٢(١١٠). وكان الإنكليز قد قاموا بمحاولات شبيهة في عام ١٧٢٨ - ١٧٢٩،

ولكنهم حصلوا فقط على نسبة (٥٪) فيما كانت معاهدتهم مع السلطان قد حدّدت نسبة (٣٪)(١١١).

وكانت باسيدو على ما يبدو قد استولت خلال فترة الحرب الأهلية في عمان، على جزء من نشاط الملاحة العمانية. وفي المذكرات الهولندية ما يشير إلى وصول سفن إلى البصرة قادمة من باسيدو آنذاك(١١٢).

لقد شكّل نهوض القوة الفارسية تهديداً خطيراً على استقرار الحكم العثماني غير المستقر تماماً في العراق وكان من الممكن أن يردوا على أي هجوم أحمق يقوم به الشاه الصغير طهماسب. ولكن في عام ١٧٣٣ قام طهماسب قولي خان نفسه بهجوم لردّ الأقاليم التي كانت قد استولى عليها الأفغان. لقد تركزت محاولات هجوم الفرس على بغداد حيث أن المستنقعات السبخية والأنهار وشرق البصرة لم تغر الفرس بسبب تفوق العثمانيين عليهم من حيث عدد السفن. وفي نهاية مارس عام ١٧٣٣، بدأ طهماسب قولي خان بهجوم على بغداد وأمر بني لام، وهي أقوى القبائل في أعلى النهر، بمهاجمة البصرة. ولعدة أشهر لم يظهر مباشرة ما يشير إلى الهجوم. وفي الصيف ازداد الوضع في البصرة توتّراً. وفي الأول من يوليو خرج الشيخ أنيس من المدينة محاولاً إقناع قائد المنتفق الشيخ محمد بن مانع بعدم الانضمام إلى الفرس. وقد أعطى محمد بن مانع الشيخ أنيس فرماناً فارسياً يأمر المنتفق بالانضمام إلى مير سيّد خان والي الحويزة، الذي كان يحاصر مع جيشه عرب الجزائر. ثم إن مير سيّد خان بعث بهدايا إلى الشيخ محمد وطلب منه شن هجوم على البصرة. وفي الثامن من يوليو، اتضح في البصرة أن عرب المنتفق قد عزموا على الانضمام إلى الفرس. ولقد تعاون المتسلّم مع الشيخ أنيس في الدفاع عن المدينة. وفي البداية بدا الوضع في غاية الخطورة ولكن لم يحسن عرب المنتفق اختيار الوقت. فقد وردت أنباء، خلال ثلاثة أسابيع بعد انضمامهم إلى الجانب الفارسي، عن هزيمة الجيش الفارسي أمام بغداد(١١٣).

وأصبح وضع البصرة أكثر سهولة. فقد كان للفرس مشاكلهم في أماكن أخرى. وأصبح من الضروري التعجيل في وضع حدّ لأعمال الشيخ محمد مدني وغيره من

الأشـخاص الذين يشكّلـون خطراً في منطقـة جنوب الخليج. ثم إن حكومـة البصـرة ساعدت خلال فترة الانفراج الجيش الفارسي العائد إلى منطقة الحدود مع العراق، في التقليل من روح الاستقلالية لدى العرب في عربستان وفي قوبان(١١٤).

وفي فبراير هاجم الفـرس أعداءهم بني كـعب في جزيرة قـوبان وحاصـروهم في حصن هناك(١١٥). ولا تذكر التقارير الهولندية شيئاً عن ذلك.

واستمرّ السلم حول البصرة رغم أن طمـوح الفرس لتوسيع حدودهم في المنطقة لم يهدأ. ونـشطت التجـارة. وكانت الاستـراتيجـية الفـارسيـة ضد العـثمانيين تـخضع للتغـييـر. وقد صمّمـوا على مهـاجمة العـثمـانيين من الجنوب بدلاً من الشمـال. ولهذا كانوا يحتاجـون إلى أسطول ولكنهم استغرقوا وقتاً لجمعه، وظلّ الوضع هادئاً خلال تلك الفتـرة. وفي عام ١٧٣٦ انتـهـوا من إعداد الأسـطول ولكنهم كـانوا في حاجـة ملحة إليه لإنهاء مـشاكلهم مع العـرب بعد الأحـداث الجارية مع أرملة الشـيخ راشد حاكم باسيدو.

الفصل الثامن

حروب نادر شاه في عمان



ضعف الأوروبيين:

تُعتبر الفترة بين عام ١٧٣٧ وعام ١٧٤٤ من أكثر السنوات اضطراباً في تاريخ الخليج. ولم تكن محاولات الحكومة الفارسية لاحتلال عمان أمراً جديداً. فقد استمرت المحاولات لفرض السلطة الفارسية على شبه الجزيرة العربية منذ زمن شاه عباس. ولم تكن رغبة الفرس في السيطرة على عمان في الحقيقة مظهراً لرغبتهم في التوسع الإقليمي. بل إن أكثر الدوافع أهمية كانت تنحصر في قطع تجارة البصرة مع الهند. وبهذه الطريقة كانت سياسة بلاد فارس التجارية في الخليج جزءاً من صراعها العام مع الامبراطورية العثمانية. وفي العشرينات من القرن السابع عشر دعا شاه عباس الأول الإنكليز والهولنديين لقطع الطريق التجاري البرتغالي بين هرمز والبصرة. ومع اختفاء البرتغاليين أصبح من الضروري قطع الروابط الأخرى بين البصرة والمحيط الهندي. وبقي هناك رابطان من هذا النوع وهما الملاحة العمانية والملاحة الهندية. ولم يكن هناك وسائل كثيرة لسدّ الطريق التجاري من الهند لأن الإنكليز استولوا على سورات كما كانت بومباي أيضاً في حوزتهم. ولقد أدى إسقاط نادر شاه لإمبراطورية المغل إلى تعزيز مكانة الإنكليز في الجزء الشمالي من الهند. ولكن كان من الممكن أن يؤدي احتلال بلاد فارس لعمان إلى تدمير البصرة ولهذا حاول نادر شاه أن يُخضع عمان.

ولم تكن سياسة الأوروبيين في ظلّ هذا الوضع المعقّد منطقية. فقد توقعوا من ناحية أن إعادة تثبيت السلطة المركزية في بلاد فارس تحت سلطة نادر شاه سوف تؤدي إلى انتعاش في تجارتهم السابقة والمربحة في بندر عباس وكان هذا التوقع، كما تظهر التحسينات المؤقتة في الأرباح في شركة الهند الشرقية الهولندية صحيحاً.

وكان من المفروض أن تكون الحرب الفارسية في عمان مجرّد تدخّل من قِبَل الفرس لمساعدة أحد الأحزاب في الحرب الأهلية العمانية وليس غزواً. وهذا يعني أن الهولنديين والإنكليز لم يتقيّدوا بالتزاماتهم السابقة بعدم مساندة الفرس في هجماتهم على عمان. وفي تلك الظروف اعتبر الفرس أن الأوروبيين ملتزمون كلياً بمساعدتهم(١). ولكن الفرس لم يتلقوا تلك المساعدة المتوقعة. فالأوروبيون لم يقدّموا .

سفنهم للنقل أو لحراسة الخليج من وقت لآخر إلا بعد خضوعهم لتهديدات الفرس. وكانت شركة الهند الشرقية الهولندية عادة أوّل من كان يتلقى طلباً للمساعدة لوجود سفن حربية صغيرة لها في الخليج، ولأن أعمالها التجارية في بلاد فارس كانت تفوق تلك من قبل الشركة الإنكليزية المنافسة لها. وكانت مخازن الشركة الهولندية الغنية في بندر عباس عرضة للتهديدات والمخاطر هذا بينما كانت معظم الملاحة والتجارة الإنكليزية تخصّ تجاراً ذوي نشاط خاص وليسوا تابعين لشركة الهند الشرقية نفسها. ولهذا شاركت بعض السفن الإنكليزية فعلاً بالحرب. أما الهولنديون فكانوا يفعلون عادة ما بوسعهم للحدّ من تدخّلهم، إذ أن السفن الهولندية كانت تُستخدم فقط للنقل وليس للقتال. وكان المرّة الوحيدة التي استخدمت فيها السفن الهولندية مدافعها عندما خشوا من أن يؤدي تمرّد البحرية الفارسية عام ١٧٤٠ إلى استخدام السفن التي سيطر عليها المتمردون ضد التجارة في الخليج.

وقد نتج عن مطالب الفرس المتكررة لاستخدام السفن الهولندية أن تكبّدت الشركة الهولندية تكاليف باهظة. ولم تقتنع حكومة بتافيا العليا ومجلس المدراء في هولندا بسياسة مندوبهم في الخليج. ووجّهت الانتقادات إلى رئيس الوكالة لعدم كفاية معارضته لمطالب الفرس، ولأن نشاطاته التجارية لم تكن مرضية كما أن تقاريره كانت مفصّلة جداً مما جعل قراءتها غير مهمة. ويبدو أن كاريل كويناد، وهو ألماني من هامبرج، ورئيس الوكالة الهولندية في بندر عباس، كان يخشى على منصبه إذ كان تحت رحمة رجال ميليشيات نادر شاه غير النظاميين. ويعطي في تقاريره السيئة بعض تفصيلات عن الأحداث في المنطقة بهدف إظهار مدى خطورة وضعه(٢). ولقد وجد المدراء أن تقاريره لا تقرأ وكانوا يتساءلون دائماً ما إذا كان من الأفضل إغلاق الوكالة في الخليج. أما المؤرخون المحدثون فهم مدينون لكويناد بتقاريره المسهبة التي تعتبر الآن مصدراً تاريخياً مهماً.

كان المدراء في هولندا يدركون تماماً أن هناك خطأ ما يحدث في تجارة الخليج. فقد لاحظوا نشاط التجّار الإنكليز وتساءلوا لماذا لم تتمكن المؤسسات الهولندية في البصرة وبندر عباس من أن تحذو حذوهم. وكان الرد أن الشركة الهولندية كانت أبطأ

من أن تتماشى مع تقلّبات السوق. ورأى المدراء أن مندوبيهم في الخليج قد تمكّنوا من إثراء أنفسهم بالتجارة الخاصة (وهو أمر ممنوع) وتساءلوا عن السبب في عدم إبرازهم لمثل هذا الحماس للشركة. في الواقع لم يكن هناك أيّ حلّ لمشاكلهم. فقد كان من الممكن للمدراء أن يفتحوا المجال للتجارة الهولندية الخاصة في الخليج، ولكن هذا لن يعالج خسائر الوكالة إذ أن الرسوم الواجب تحصيلها من التجار الخصوصيين لا تكفي للمحافظة على المؤسسة الكبيرة والكثيرة التكاليف في بندر عباس وأن التجارة الخاصة سوف تقضي بسرعة على تجارة الوكالة وتطردها من السوق. لقد حاولت حكومة بتافيا العليا معالجة الوضع باتخاذ إجراءات يسيرة ضد الاحتيال والمخادعة (ومن الممكن أن يكون أعضاء الحكومة العليا أنفسهم قد تورّطوا في التجارة الخاصة المحرّمة في الخليج) وانتظروا فقط حتى يتحسّن الوضع. ولكن هذا التحسن لم يحدث قط بل تكبّدت الشركة بدلاً من ذلك الكثير من الخسائر.

وكانت حكومة بتافيا العليا تأمل أنّ تعوّض تدهور التجارة مع بلاد فارس، بإنعاش تجارتها مع البصرة. ولقد ظهر بالفعل تحسّن في ذلك. ومع أنه كان يُنفق جزء كبير من هذه الأرباح في تجارة البصرة على التكاليف والخسارة في بلاد فارس، إلا أن الفضل يعود إلى تجارة البصرة لأن تجارة الهولنديين في الخليج كانت من حين لآخر مربحة. ولكن هذه الأرباح لم تصل مطلقاً إلى المستوى المطلوب فالسوق هناك صغيرة والتنافس مع الملاحة الإنكليزية الخاصة والمرنة كان حاداً.

أما الإنكليز فقد كانوا في وضع أفضل نوعاً ما، وليس هذا لأن الظروف كانت تلائمهم. لأننا سنرى كيف تورّطوا مباشرة في مراحل الحرب الأولى أكثر من الهولنديين ولكن يعود هذا على الأرجح إلى أنه كان لمندوبي شركتهم القليل من السلطة على قباطنة السفن الخاصة. وعندما اختفت سفن الوكالة الإنكليزية الخاصة في الأوقات الحرجة من الخليج، تمكّنت الوكالة الإنكليزية من الابتعاد عن أسوأ المشاكل. فالملاحة الإنكليزية الخاصة لم تعان كثيراً وكانت تحوّل مسارها تدريجياً من بندر عباس إلى البصرة. ولم تكن زيادة هذه الملاحة بسبب الإنكليز وحدهم بل تعود إلى تجّار الهند، الذين استمرّوا في نشاطهم وتحت حماية العلم الإنكليزي.

وبينما استمرّت الشركة الهولندية في الخليج تمثل المغامرة والمضاربة التجارية الأساسية في المنطقة استمرّت الشركة الإنكليزية بتطوراتها بأن تصبح الحامية للملاحة الخاصة التابعة لرعايا الإنكليز من أوروبا والهند. ولكن ظلّت تجارة الشركة الإنكليزية في الخليج أقلّ دائماً من منافستها الهولندية. وكانت تتلقى رسوماً كبيرة على السلع من الملاحة الخاصة، ولكن يبقى من الضروري البحث عمّا إذا كانت تلك الرسوم تكفي لاستمرار الوكالات الإنكليزية، حتى ولو كانت أصغر بكثير من الوكالة الهولندية في بندر عباس إذ انحدر حجم التجارة في الخليج كثيراً، وفي الفترة التي تلت عام ١٧٣٦، كان لفقر فارستان وعمان تأثير سلبي على التجارة في منطقة جنوب الخليج. لقد وقف المندوبون الإنكليز في الخليج قليلاً في وجه مطامع نادر شاه الخطيرة والسيئة. كان عليهم مواجهة التكاليف في تقديم الهدايا لأسياد الفرس فيما كان دخلهم من التجارة يتضاءل، ولكن في ذلك الوقت كان وضع الإنكليز ثابتاً. وكان أسوأ ما في الأمر الخطر الكامن من احتمال تصاعد الأعمال الحربية البحرية في الخليج بشكل يضع الملاحة التي ترفع العلم الإنكليزي في خطر مباشر ولكن هذا الوضع لم يحدث بعد رغم أن اشتراك الإنكليز لصالح الفرس قد جعل الخطر أكثر وأقرب احتمالاً.

غزو جلفار وحصار مسقط الأول:

لقد كتبت وثائق كثيرة عن فترة تدخّل نادر شاه في الحرب العمانية الأهلية. وفي عدّة فصول من كتابه «نادر شاه» يروي لوكهارت هذه الأحداث. وتعتمد روايته أساساً على مذكّرات جمْبرون الإنكليزية وعلى مخطوطة ابن رزيق كما نشرها بادجر وكما وردت في المذكرة الإنكليزية. ولم يكن من السهل تلاؤم الأحداث كما وردت في الوثائق الهولندية نظراً لخلافات الرؤية بين الوثائق الهولندية والإنكليزية.

في بداية عام ١٧٣٧، كان تقي خان يساند بنشاطه الإمام سيف بن سلطان ضد أبو العرب. وثمة شكوك في أن طلب العمانيين للمساعدة كان مجرّد ذريعة لمحاولة غزو مسقط(٣). وقد نقلت القوات إلى جلفار وخورفكان منذ بداية شهر أبريل. ولم

يتضح موقف السلطات المحلية هناك، ولكن يبدو أن الفرس لم يثقوا بهم كثيراً. أما الشيخ رحمة أمير جلفار فلم يحارب كثيراً كما يبدو ولكنه أُخذ سجيناً ونُقل إلى بندر عباس على متن سفينة هولندية كان قد طلبها الفرس لنقل المؤونة. وقد عومل الشيخ رحمة في بندر عباس معاملة حسنة رغم أنه كان سجيناً. كذلك استولى الفرس على خورفكان دون مواجهة الكثير من المقاومة. وقد حصل الفرس على غنائم كثيرة كانت مثار نزاع بين السلطات المركزية وبين قادة القتال في المعركة حول نصيب كل منهم فيها(٤).

وفي جلفار، انضمّ الإمام سيف بن سلطان إلى الفرس. وزحفوا منها معاً في أول الأمر داخل منطقة غافرية إلى البريمي ثم إلى عبري حيث ارتكب الفرس أعمال عنف عديدة. وقد استاء سيف بن سلطان من تصرّف حلفائه هذا فاتّجه نحو مسقط بمفرده(٥). ولم يكن للحملة الفارسية ضد عمان، بعد هذه الانتصارات الأولية، نتائج سريعة. وقد عبّر المدير الهولندي في الخليج في رسالة بعث بها إلى زميله في سيلان عن تفاؤله إزاء الفرص المتاحة أمام الفرس في عمان، إلاّ أن موقفه كان سلبياً من حيث نتائج الحرب الاقتصادية:

« ... لقد أصبح الجزء الأسفل من بلاد فارس، كما أصبح العرب، يعانون من الفقر نتيجة ما ألحقته بهم قوات جلالة الشاه تحت قيادة الحاكم محمد تقي خان. لم يكن احتلال جلفار يقتضي هذا العدد الكبير من الجنود، وقد كانت جلفار مع البحرين، تسيطر على تجارة اللؤلؤ في الخليج بأكملها، وقد أصبحت الآن خاضعة للفرس. فلقد أرسل أحد عشر ألف رجل تحت قيادة لطيف خان كما أقام في معسكر حول مدينة بندر عباس نفس العدد تقريباً من الجنود المشاه والخيّالة. وكانوا يعانون يومياً من الحصول على الطعام وعلف الماشية. وكانوا يحصلون على احتياجاتهم بوسائل شتى. والأسوأ من ذلك أن التجارة كانت تتقلّص نتيجة لتدمير العرب فيما كان لطيف خان يحاول مع جيشه أن يجعل الإمامين المتنازعين سيف بن سلطان وأبو العرب تحت سيطرته أو أن يعمد إلى تدمير الأخير (أبو العرب). فقد طلب منه مساعدة

الأول (سيف بن سلطان) ومن المتوقع أن يتقلّص منصب إمام مسقط المتبقي إلى منصب تابع لفارس ... »*.

ولقد سبّب انتشار الوباء في أوائل الخريف، انتكاسة جديدة للعمليات الفارسية. ويقال أن ذلك الوباء كان وباء الطاعون الذي قضى على العديد من الضحايا ضمن القوات الفارسية(٦). ومن المرجّح أن تأخير العمليات الحاسمة ضد عمان قد نجم عن الانتكاسات التي عانى منها نادر شاه نفسه ضد قندهار في أفغانستان والتي أدت إلى تناقص في السيولة المادية وعدد الرجال وكمية المؤونة في حرب الخليج(٧). ولقد أدّت النتائج غير الحاسمة في العمليات الفارسية في شتاء ١٧٣٧ – ١٧٣٨، إلى طلب المساعدة ثانية من المؤسستين الأوروبيتين في بندر عباس إذ تتابعت مطالبهم لجميع أنواع المعدّات، التي كان من الصعب الحصول عليها، للسفن الحربية الكبيرة مثل الحبال والمراسي والأشرعة وكذلك النجّارين الأوروبيين المهرة ذوي الخبرة. وفي التقارير الهولندية والإنكليزية أن المندوبين في بندر عباس كانوا يلبّون جميع مطالبهم بعد إبداء الكثير من المعارضة والتذمّر(٨). ومن المحتمل جداً أن تعكس تلك التقارير الحقيقة؛ ولكن هناك برهان واحد على الأقل يوضّح عدم تصديق الرؤساء الكبار خارج الخليج لهذا كلياً. ويبدو أنهم كانوا أحياناً يشكون بأنه لدى مندوبيهم في بندر عباس مصالح خاصة هي التي تدعوهم للموافقة على المطالب الفارسية. ورغم عدم وجود أدلة رسمية فإنه من المحتمل أنه كان يصحب المطالب الفارسية الرسمية للمساعدة من الوكالتين، رشاوى خاصة لبعض المسؤولين الهولنديين أو الإنكليز؛ وقد استخدم الفرس وسيلة أخرى للحصول على المساعدة من الهولنديين حيث تعهدوا بمساعدتهم في التخلّص من الدّين الكبير الملقى على عاتقهم منذ عدة سنوات لصالح سلطات ميناب المحلية(٩).

وفي ربيع عام ١٧٣٧، أعارت الشركة الهولندية الفرس سفينتين هولنديتين وهما **«أنطونيا»** اليخت الذي كان يتواجد دوماً في الخليج، وسفينة **«هايز دي فورست»** (التي نقلت الشيخ رحمة حاكم جلفار)، لنقل الجنود والمعدات والمؤونة إلى جلفار

* ARA, VOC Vol. 2448, Fol. 489 - 990.

وخورفكان دون التدخّل في القتال. ويبيّن سجل البارود المستخدم في هذه المرحلة بأن الطلقات الوحيدة المستخدمة في الرحلة كانت للتحية فقط وتنبيه المنارات في جلفار، ولم تجسر السفن الهولندية الكبيرة على الدخول إلى الميناء الخطر هناك(١٠).

بعد ذلك عرض تقي خان بعض الاقتراحات الودية على الهولنديين ولكنه سرعان ما ألحقها بمطالب جديدة للمعدّات. وفي يناير من عام ١٧٣٨، طالب الفرس ثانية باستخدام السفينتين «أنطونيا» و«هايز دي فورست» ولكن الهولنديين أبلغوا تقي خان بوجوب مغادرة السفينة الكبيرة إلى بتافيا وأنه بإمكانهم وضع يخت أنطونيا فقط تحت تصرفه لنقل مئة حصان. وعندما علم تقي خان بهذا غضب غضباً شديداً وهدّد الهولنديين بخسارة جميع امتيازاتهم(١١). وفي فبراير من عام ١٧٣٨، وقع اشتباك كبير بين القوات الفارسية والعربية قرب بهلا في وسط عمان(١٢)، حقّق فيه الفرس نصراً ساحقاً. وأصبح الطريق إلى مسقط مفتوحاً أمام الفرس. وقد فرّ الإمام سيف بن سلطان إلى منطقة البريمي حيث توصل إلى اتفاقية مع الغافريين. وكان أن تنازل الإمام الغافري أبو العرب عن منصبه وأصبح سيف الإمام القانوني الوحيد(١٣). ولكن لم تستمر هذه الوحدة في عمان طويلاً فسرعان ما انتخب الحزب الغافري سلطان بن مرشد إماماً لهم(١٤). وفي ظل هذا الوضع غير المستقر حاول الفرس تعبئة قوّاتهم للاستيلاء على مسقط. ومرّة أخرى ضغط على الأوروبيين في بندر عباس للحصول على بعض المساندة. وكانت الضغوط الفارسية على الهولنديين قوية إلى درجة احتمال وقوع صراع بين الهولنديين وتقي خان. وقد أصدر الرئيس كوينناد التعليمات لوضع الوكالة الهولندية وسفنها في حالة دفاع، وفي حال إظهار الفرس نوايا سيئة، تحاول السفن الهولندية وقتذاك أن تُلقي القبض على الحاكم والأميرال لطيف خان. وقد حاول كل من أبو الحسن شقيق الحاكم ونائب بندر عباس التوسّط ولكن بلغ الأمر بالهولنديين إلى الاستعداد لمغادرة بلاد فارس كلياً(١٥). ولقد بدت آراؤهم ونواياهم تلك في رسالة موجهة من الرئيس والمجلس في بندر عباس إلى المقيم الهولندي في أصفهان وفيها يعبرون عن رغبتهم في فشل عمليات تقي خان ضد مسقط(١٦).

وأخيراً وافق الهولنديون على تقديم المراكب الصغيرة من النوع المحلي وكانت مؤسساتهم تستخدمها في نقل المؤونة. وفي يوليو نقلت تلك المراكب بعض الجنود والأموال إلى جلفار(١٧). ولم يكتف الفرس بذلك. فقد عبّر تقي خان عن استيائه في رسالة تعتبر نموذجاً جيداً لأسلوبه السلس:

«أود أن أبلغكم أن رسالتكم قد وصلتني في الوقت المناسب. ولقد جعلني مضمون الرسالة أفكّر بالدوافع التي تذكرونها لعدم إرسال سفينة الشركة الهولندية القوية إلى جلفار. لقد اتضح لي من خلال هذه المسألة مدى كرهكم لي. وإني لأشكر الله أن العمل في شبه الجزيرة العربية قد شارف على الانتهاء. ولا أحتاج الآن إلى سفن الشركة الهولندية الموقرة وحتى لو تعرضت لمقاومة سيف، حاكم مسقط شخصياً، فما يزال لديّ في جلفار من سبع إلى ثمان سفن من أسطول جلالته، وسفينة تابعة للشركة، ومئة مركب كبير وصغير تابعة للعرب ولرعايا جلالته. وليس لدى سيف سوى سفينتين قديمتين ومدمرتين، وبهذا فكلّي يقين بأن أسطولي بمشيئة الله وبركاته سوف يتمكّن من تحقيق النصر على السفينتين القديمتين.

وانطلاقاً من صداقتنا، طلبت منكم ومن الشركة الهولندية القوية إرسال سفينة لإخراس من يُسيئون الحديث ويقولون أنكم أصدقاء للعرب ضد صاحب الجلالة وامبراطوريته ولكن حدث أنكم لا تفرّقون بين الخير والشر ولا يسرّكم إفادة جلالته، فبإمكانكم البقاء على حالتكم تلك، فأنا لست بحاجة لمركبكم. لقد طلبت المركب فقط بسبب صداقتي للشركة الهولندية والعاملين في خدمتها. ولكن إذا حدث وتعرّضتم في المستقبل إلى أي تصرّف سيئ ضد العاملين لديكم من قِبل الأمراء المحليين فلا تخبروني بذلك إذ لن تحظوا بأي عون. أرجو إبلاغي دائماً عن حسن حالتكم ولكم إخلاصي الدائم»*.

وكانت أمور الفرس تسوء آنذاك. ففي شهر أبريل زحفت قوات الجيش الفارسي

* ARA, VOC Vol. 2476, Fol. 257 - 259.

والقوات البحرية الفارسية نحو الجنوب عبر الساحل يساعدها سفينة انكليزية، في محاولة لشن هجوم على مسقط. ولكن كانت نتيجة هذه العملية فشلاً ذريعاً. فقد نجحوا بأخذ المدينة ولكنهم فشلوا في السيطرة على الحصنين. وفي غضون ذلك قامت السفن العربية بعمل هجوم مضاد حيث حاصرت الفرس في جلفار وقد مُني الفرس بهزيمة كبيرة في مسقط. فقد هلك الجيش الفارسي بأكمله تقريباً. وقتل لطيف خان الأدميرال نتيجة انفجار لغم خلال الهجوم على أحد الحصون الرئيسية في مسقط(١٨). وقد ورد في مصدر آخر أن تقي خان هو الذي قتل لطيف خان مسموماً، حسداً منه، خلال محاصرة القوات الفارسية لمسقط(١٩). كما هزم الجيش الفارسي الذي كان يحتل منطقة بهلا داخل عمان(٢٠).

وقد جرت قرب جلفار معركة بحرية بين العرب وبعض سفن القوات البحرية الفارسية اشتركت فيها سفينة إنكليزية. وقد تمكّن العرب من مطاردة السفينة الإنكليزية نحو الشاطئ. وفي المعركة قُتل كوك الإنكليزي الذي كان يعمل سابقاً قبطاناً تجارياً وخدم الفرس كمدير للمعدات في أسطولهم البحري. وقد تمكن تقي خان من الهرب من المعركة إلى بندر كنج بمساعدة مركب رجل مالي هولندي محلي، وكان أن هزمت السفن الفارسية بشكل مخزٍ، رغم أن العرب لم يتمكّنوا من تدميرها أو الاستيلاء عليها جميعاً. ولقد علّق الهولنديون على هذا قائلين بأنه لو كانت قوّة العرب كما كانت عليه في عام ١٧١٨ لما نجا الفرس من الدمار الشامل. ولقد استولى العرب على السفينة الإنكليزية ولكن ما لبثوا أن أطلقوا سراحها بعد أن حذّروا الإنكليز بشدة من عدم الظهور مطلقاً في أقصى جهة من خليجهم وإلاّ فإنهم سوف يهاجمون الوكالة الإنكليزية في بندر عباس ويدمّرونها. وقد اتهم الفرس الإنكليز بأنهم كانوا سبب الهزيمة. وقد ظلت جلفار تحت الحصار ولم يبقَ فيها سوى ثلاثة آلاف جندي للدفاع عنها(٢١).

وفي الأرشيف الهولندي عدة إشارات على هذه الأحداث:

« .. عادت سفن الشاه إلى جلفار (بدون لطيف خان والكابتن الإنكليزي كوك، اللذين قُتلا في معركة مع العرب اشتركت فيها سفينة إنكليزية). أما

الحاكم فقد نجا بأن هرب إلى بندر كنج على مركب ذي جدّافات بمساعدة مركب أمين مخزن الهولنديين وقد ترك في جلفار قوة عددها ثلاثة آلاف رجل قوي. ولو كان الجنود العرب كما كانوا عليه عام ١٧١٨ من القوة، للحق الدمار بالجيش الفارسي بأكمله، ولكن أفتقارهم للوحدة أضعف قوّاتهم، كما منحت عودة السفينة الإنكليزية (التي ساعدت القوة البحرية الفارسية) إلى بندر عباس الحاكم دوافع الادعاء بأن الدول الأوروبية كانت سبب الهزيمة الفارسية فالإنكليز تركوا المكان والهولنديون رفضوا المساعدة ...»*.

وفيما يلي تقرير هولندي آخر يعطي المزيد من التفاصيل:

« ... لقد طرد العرب الفرس من مسقط وحاصروا جيش الفرس وقواتهم البحرية في جلفار وهم دون مؤونة. أما سفن الشاه فقد حوصرت في الداخل كما أنه تمّ مطاردة بعضها إلى الشاطئ في معركة بحرية. كذلك استولى العرب على سفينة الأميرال الفارسية «فتح شاهي»، وأما السفينة الإنكليزية التي أعارها الإنكليز للفرس لنقل مؤونتهم وذخيرتهم والتي كانت ما تزال هناك، فقد استولى عليها العرب وكانوا على متنها حيث قبضوا على قبطانها مع اثنين من البحارة. وقد عادت السفينة دون أن تقدّم أية مساعدة أخرى للفرس وذلك بعد أن أنذر العرب بحارتها بأنهم سوف يشعلون النار بالوكالة الإنكليزية في بندر عباس إذا ما تجاسر الإنكليز على العودة .. »**.

وتختلف رواية لوكهارت قليلاً عن هاتين الروايتين وعن الأحداث التالية أيضاً. فهو يرى أن القوات العمانية التي طردت القوة البحرية الفارسية من مسقط إلى جلفار وهاجمتها هناك، هي جزء من القوة البحرية الفارسية المزوّدة برجال عرب تمرّدوا على الفرس. وليس هناك ما يؤيّد هذه الرواية في الوثائق الهولندية. ومن المشكوك فيه ما إذا كان هناك مسألة تمرّد أو عصيان من قبل قوات فارسية حقاً (كما حدث عام ١٧٤٠) أو أن القوات العمانية ومساعديهم من العرب قد اتّبعوا ببساطة خطى إمامهم

* ARA, VOC. Vol. 2476, Fol. 89 - 90.

** ARA, VOC. Vol. 2476, Fol.182 - 183.

القانوني(٢٢).

ولكن لم تكن هزيمة الفرس كاملة فتمكّنوا بالتالي من شن هجوم مضاد على العرب. وجرت معركة بحرية قرب خصب احترقت فيها السفينة العربية الرئيسية «مالك»، ولكن ظلّ مصير المعركة غير محدّد لأن القتال توقّف نظراً لسوء الأحوال الجوية(٢٣). وقد هاجمت قوة عربية كبيرة (قيل أنها تتألف من عشرين ألف رجل) الحامية الفارسية في جلفار. وكان قائد المكان الفارسي عاشور قولي سلطان قد غادر لتوه، ولكن هذا الهجوم العربي قد صُدّ(٢٤). ولقد شجعت هزائم القوات الفارسية الشجاعة جميع العناصر العربية التي كان لديها ما يكفي من الأسباب لقتال الفرس. وانفجرت ثانية ثورة الهولة التي قامت بعد موت الشيخ راشد عام ١٧٣٦ وقد أخمدها ظاهرياً لطيف خان ولكنها الآن عادت بشكل أقوى لانضمام الشيخ جبارة حاكم طاهري إليها، وقد هاجم الشيخ جبارة الفرس من قطيف. وهاجمت قوات الهولة باسيدو ثم تركّزت هجماتها فيما بعد في وسط الخليج حيث هاجموا البحرين وحاصروها(٢٥). ومن الممكن أن يكون موت لطيف خان قد أثّر على وضع القوات الفارسية السيئ إذ كان يعتبر صديقاً لبعض القبائل العربية السنّية التي كانت تقيم على الشواطئ الجنوبية في شرق بلاد فارس. وكانت تزوّد سفن القوات البحرية الفارسية الرئيسية بالرجال. أما الذين خلفوه فقد اتخذوا موقعاً معاكساً ومن الممكن أن يكون هذا أحد أسباب التمرّد خلال السنوات التالية.

وتوقّع الهولنديون في غضون ذلك، أن تؤدي الهزائم التي لحقت بتقي خان إلى سقوطه نهائياً لصالح الشاه. وقد رأوا دلائل لسقوط الحاكم من خلال تقدّم جيش السردار أمير حسن خان، وهو عدّو تقي خان اللدود(٢٦). كذلك حدث أمر مهم جداً وهو تعيين محمد علي بك حاكماً على البحرين إلا أنه لم يتمكن من الوصول إلى الجزيرة لأن الهولة كانوا ما يزالون يحاصرون الحصن فيها(٢٧). ولكن تقي خان نجح في تبرير هزائمه للشاه. وبدلاً من معاقبته، مُنح ميّزات جيّدة وجديدة. أما الشيخ رحمة بن مطر، الذي احتجز رهينة في بلاط الشاه، فقد سُلّم إلى تقي خان وعُيّن في الوقت نفسه حاكماً على جلفار مدى الحياة مما يشير على الأقل إلى مصالحة بين

القواسم والحكومة الفارسية. وقد مُنح تقي خان قوات جديدة وزوّد بالمال وأُمر باستئناف الهجوم على مسقط(٢٨).

ولم تُبذل جهود كبيرة في الحرب ضد مسقط خلال السنة التالية. ومن المحتمل أن يكون الفرس قد استسلموا هناك(٢٩). وكان تقي خان يقود غزوة على بلوشستان وكانت محدودة النجاح(٣٠). وفي جلفار، كانت القوات تحت قيادة عاشور قولي سلطان في عزلة. ولم يمرّ نقل المؤونة إلى جلفار دون عقبات؛ وكثيراً ما دُعي الأوروبيون في بندر عباس للمساعدة في حالة الطوارئ(٣١). ولم يجدّد الشاه أوامره لمهاجمة مسقط حتى أوائل عام ١٧٤٠. وقد خلف الأميرال مير علي خان تركمان، وهو عديم الخبرة العسكرية البحرية، رجل آخر يدعى محمد تقي خان مشدي ويجب التفريق هنا بينه وبين الحاكم محمد تقي خان شيرازي(٣٢).

ويبدو أن ميرزا رضا وهو ابن تقي خان قد أرسل قائداً لأسطول صيد اللؤلؤ في البحرين لجمع المال، ولكنه لم يحقّق في هذه المهمة سوى القليل(٣٣). ويبدو أن الفرس قد خطّطوا لضم هذه الحملة إلى هجوم على عرب الحسا (بما فيهم على الأرجح عتوب الكويت) الذين هاجموا البحرين بالتعاون مع الهولة(٣٤). ولكن الفرس كانوا بطيئين في استعداداتهم. وما لبث أن تدهورت القوة البحرية. ويبدو أن روح الفرس المعنوية قد عانت الكثير من نتائج حملة تقي خان غير المهمة على بلوشستان. فقد تمكنوا فقط من احتلال منطقة مكران وجوادار ولكن لم يتمكنوا من تثبيت السلطات الفارسية في باقي الإقليم. ونظراً لسوء تدبير المؤونة، مات عدة بحارة وجنود من العطش والجوع، وقضى الطاعون على عدد كبير آخر منهم. وفيما بعد أدى تركيز الجيش والبحرية في بندر عباس إلى إثارة المشكلات في الحصول على المؤونة، والتي لم يتمكن الفرس من حلّها. ولقد شكّل وجود قوة من الجيش والبحرية يعاني نصفهم من الجوع في المنطقة خطراً على الاستقرار في بندر عباس(٣٥). كذلك فإن حالة الجيش الفارسي السيئة، أعطت الهولنديين بعض الأمل بأن يتخلى الفرس عن عملياتهم ضد عمان. ولقد تزايد هذا الأمل بسبب استمرار الإشاعات عن توجّه القوات الفارسية ضد الحسا(٣٦).

تمرّد قوات نادر شاه البحرية:

كان خطر وقوع تمرّد داخل الأسطول كبيراً إذ لـم يتلقَّ البحّارة أجورهم كما كان هناك قصور في المؤونة والذخيرة اللازمة للأسطول؛ ومن جهة أخرى كانت المشاكل تتفاقم نتيجة احتمال حدوث المنازعات بين الأميرال الفارسي والبحارة العرب. وكان الأسطول البحري بقيادة مير علي خان في وضع سيئ. وفي أواخر الربيع عام ١٧٤٠ انشقت بعض السفن عن الأسطول، ولقد تمّ إثر ذلك سحب المعدّات الأساسية من السفن تجنباً لمزيد من الانفصالات(٣٧).

خلال الصيف نشب تمرّد كبير في الأسطول الفارسي. وقد كتب القنصل الفرنسي في البصرة جان أوتر إلى سفيره في اسطنبول يصف ذلك التمرّد. ونورد هنا ترجمة حرفية لهذه الرسالة:

«كان الأسطول البحري يرسو في لفت وهو مكان قريب من بندر عباس. وكان قد انضمّ إليه مير علي خان قائد الأسطول البحري. ولقد شدّد هذا الخان الحصار على العرب لعدم ثقته بهم ولم يسمح لأيّ منهم بمغادرة سفينته. وعندما لم يزوّدوا بشيء مقابل احتجازهم، وجدوا أنفسهم ملزمين بتناول السمك المجفف. ولكنهم لم يتمكّنوا من أن يستمرّوا بدون التبغ، فقرّر بعضهم أن يأخذوا مركباً صغيراً للبحث عنه في مكان ما. وعندما علم الأميرال في اليوم التالي بذلك استدعى رئيسهم الشيخ مطر بن شاهين. وعندما وصل الشيخ مطر على متن بارجة الأميرال، سُئل عن سبب سماحه للمركب بالمغادرة. فأجاب بعدم معرفته بذلك مُعقّباً بأنه يجب أن لا يمنع البحارة من التوجّه للبحث عن حاجياتهم بأنفسهم طالما أنهم حرموا من هذه الحاجيات الأساسية. وعندما سمع الخان ردّه هذا غضب غضباً شديداً فاستلّ خنجره من حزامه بغية قتل الشيخ. وأصيب الشيخ بوجهه لا بصدره. وعندما أدرك الشيخ أنه قد جُرح استلّ خنجره، فما كان من الخان إلا أن قطع يد الشيخ لشل يده عن سلاحه. أما الشيخ فطلب المساعدة من أتباعه العرب، كما استلّ أحدهم سيف الخان وقتله به ثم عمد العرب إلى قتل جميع من كان من الفرس

على متن السفينة. وكانت هذه الحادثة بداية للثورة. وسرعان ما توجّه العرب إلى سفن الأسطول وقتلوا الفرس الذين كانوا على متنها، ثم أشعلوا النار في بارجة الأميرال ورحلوا على متن ست سفن حيث كانوا يسلبون كل ما يواجهونه في طريقهم ... »*.

ولا بدّ لنا من التعليق على مدى صحة هذه الحادثة. ولا شك أن حادثة إحراق بارجة الأميرال خالية من الصحة. فلم يرد في تقارير الرئيس الهولندي كويناد، الذي شاهد كل هذا شيء من ذلك. فقد كان أوتر في البصرة ولا بدّ أن تكون معلوماته أقلّ دقة. وثمة خطأ آخر وقع في الرسالة من ناحية اسم الشيخ المذكور. فالاسم «مطر» هو بالأحرى مزيج من اسمي شيخين مهمين هما: رحمة بن مطر القاسمي في جلفار ورحمة بن شاهين من نخيلوه. ولا يرد في المصادر الهولندية أو الإنكليزية اسم «مطر بن شاهين».

وفي رسالة للسردار الفارسي اسم رحمة بن شاهين وهو شيخ نخيلوه الذي هرب على متن بارجة الأميرال «فتح شاهي» وقد كان أحد شيخي نخيلوه في عام ١٧٥٦ يدعى رحمة بن شاهين. ولم يذكر شيء آخر، سوى هذا الخطأ، عن تورط الشيخ رحمة بن مطر القاسمي بهذا التمرّد(٣٨).

وسوف نحاول الآن توضيح الحادثة كما حدثت من خلال التقارير الهولندية القريبة من الأحداث. لقد جاء في التقارير الهولندية أن الأسطول كان يرسو خلال الصيف في بندر عباس. وكان القادة الفرس قد عاملوا العرب الذين كانوا على متن الأسطول معاملة سيئة جداً. وأخيراً في ليل الخامس والعشرين من أغسطس عام ١٧٤٠ غادرت ثلاث سفن من أكبر سفن الأسطول وهي السفن الإنكليزية «فتح شاهي» و«قابيتانية» و«پال»، ثم سفينة «التوكل» (التي كانوا قد اشتروها من الشيخ راشد)، مرسى بندر عباس تحت قيادة ثلاثة شيوخ هم الشيخ عبدل وهو شيخ بني معين،

* Otter, Voyage, Vol. 2, pp. 130-132, The menuscript vesion is in paris, Bibliothe, que Nationale NAF 989 Fol. 59, V: letter by Otter to the French Ambassador in Istanbul 22-9-1740.

والشيخ عبد الخور، وأصله غير معروف لدينا، والشيخ رحمة بن شاهين من نخيلوه. وقد تبع السفن الكبيرة عدد من المراكب الصغيرة. ولم يبق تحت سلطة الضباط الفرس من السفن الأوروبية الكبيرة سوى «فتح رحماني». ولمّا لم يتفق القادة تماماً في هذه الحركة، تفرّقوا فوراً حيث أبحر رحمة بسفينة «قابيتانية» و«فتح شاهي» وهي أكبر سفنية في الأسطول، يرافقه معظم المراكب الصغيرة إلى بندر كنج. فيما توجه عبدل الشيخ مع «الپال» و«التوكل» مهدّداً بالاستيلاء على العدد القليل الباقي من السفن تحت طاعة الضباط الفرس وأجبروا أهل جزيرة الجسم على المساهمة معهم في هذا التمرّد(٣٩).

ولم ترعب تلك الأحداث الفرس فقط بل الأوروبيين أيضاً. إذ خشي الأوروبيون من أن يحاول العرب بقوتهم الجديدة وقف طريق النقل التجاري البحري في الخليج تماماً(٤٠). ولم يكن للإنكليز في ذلك الوقت سفن في المنطقة أما الهولنديون فكان لديهم سفينتان صغيرتان هما كرونتبرغ (Cronenberg) وميدنراك (Middenrak). وقد استعاد محمد بكر بك نائب بندر عباس بعضاً من تفاؤله نتيجة موقف عبدل الشيخ الذي كان من المتوقع أن يخضع ثانية للشاه عندما يتمكن الفرس من استعادة قواهم. وقد طلب الشاه المساعدة من الهولنديين ولكنهم رفضوا في البداية كعادتهم، ولكن ما لبثوا أن أذعنوا للأمر خشية وقوع ثورة في الخليج. وفي النهاية كانوا أسرع من العادة في تلبية مطالب الفرس، إذ طردت السفن الهولندية المتمردين الذين كانوا يهددون بالاستيلاء على جزيرة الجسم، إلا أن عبدل الشيخ فرّ هارباً مبحراً نحو صحار ومعلناً إخلاصه للشاه وزاعماً أنه قد أخذ السفن نتيجة تهديد الأميرال الفارسي له(٤١).

وتعطي الوثائق الكثيرة الرسمية في مجموعة بتاڤيا الهولندية لعام ١٧٤٢ وصفاً جيداً عن الفوضى وردود الفعل الغريبة في بندر عباس. وأهم هذه الوثائق نص الإرشادات الموجّهة في أوائل سبتمبر إلى الضباط في السفينتين الهولنديتين لمساعدة الفرس. ولا يقلّ أهمية عن ذلك التقرير الذي كتبه المحاسب ويليم سلارز ضابط الارتباط بين ضباط السفينتين الهولنديتين والأميرال، وضباط القوة الفارسية الصغيرة

التي كانت على متن سفن هولندية والموجهة ضدّ القراصنة. وقد اختير سلارز لهذه المهمة لإتقانه اللغة الفارسية. ولم يدرك الأميرال الفارسي في البداية إلى أين يتوجّه هل إلى نخيلوه حيث كان الشيخ رحمة ومعه «فتح شاهي» و«قاپيتانية» و«فتح رحماني»، أم إلى خورفكان حيث عبدل الشيخ. وبعد أن أبحر مع رجاله نحو نخيلوه قرّر تغيير وجهة سيره إلى خورفكان.

في غضون ذلك استولت الحامية الفارسية المرافقة على سفينة عربية صغيرة كانت في طريقها من جلفار إلى جزيرة الجسم وبها حمولة من الملح. وبعد استجواب نوخذتها بقسوة من قبل الفرس، أفاد بأن سفينتي «التوكل» و«پال» تحت قيادة عبدل الشيخ كانتا في خورفكان مع بعض المراكب الصغيرة. وبعد مرور أيام قليلة، بعث سردار إمام وردي خان إلى الأميرال يأمره بتغيير وجهته ثانية إلى نخيلوه للتشاور معه حيث كان مع جيشه هناك. وفي تلك الأثناء أفادت الأنباء الواردة من بعض البحارة الذين فرّوا من السفن إلى بندر كنج، بأن الشيخ رحمة كان مع سفنه في جزيرة الشيخ شعيب وفي جزيرة قيس. وقد اقتربت السفينتان الهولنديتان من القوات العربية ولكن لم تشتبك القوتان حتى السابع عشر من سبتمبر نتيجة سوء الرياح، وهاجمت السفينتان الهولنديتان سفن الشيخ رحمة دون جدوى لصغر السفينتين «ميدنراك» و«كرونتبرج» وقلّة عدد الملاّحين الأوروبيين. وكان الفرس الذين كانوا على متنها غير مدرّبين مما أضعف من قوّتهم القتالية. وعلى الرغم من أن بعض البحّارة الهولنديين قد قتلوا، تمكّنت السفينتان من التراجع سليمتين تقريباً(٤٢).

ولم يكن وضع الفرس حسناً آنذاك. فهم لم يخسروا معظم قوّتهم البحرية فحسب، بل إنهم أصبحوا غير قادرين على الاتصال مع جيشهم الرئيسي الذي كان ما يزال على الجانب العربي من الخليج. وكان أفراد الحامية في جلفار يعانون من الجوع ولم يجد الفرس وسيلة لتوصيل المؤونة إلى الجانب الآخر. فضغطوا على الهولنديين لمساعدتهم في ذلك. ولم يتأخر كاريل كويناد عن مساعدة الفرس هذه المرة لأنه أدرك خطورة إبادة القوات الفارسية في جلفار(٤٣). ولحسن حظ الفرس، حدث انشقاق بين المتمرّدين. وفي أوائل عام ١٧٤١ انتشرت شائعات عن وقوع

خصومات بين قادة التمرّد. وقيل أن الشيخ رحمة ووالده الشيخ شاهين قرّروا إعادة السفن الثلاث الكبيرة التابعة للأسطول الفارسي مع بعض المراكب الصغيرة إلى الفرس نتيجة وساطة الهولنديين(٤٤). في غضون ذلك حاول الفرس إعادة بناء قوّتهم البحرية. فقد حاولوا إنشاء أحواض لبناء السفن في شمال الخليج وجلب النجّارين الأوروبيين من بندر عباس للعمل فيها، كما قرّروا شراء السفن من الهولنديين. إلاّ أن الهولنديين رفضوا طلبهم هذا(٤٥). كما طلب الفرس مرّتين من متسلّم البصرة العثماني منحهم سفينة إنكليزية كانت في الميناء ولكن دون جدوى(٤٦).

ومرّة أخرى حاول الفرس الحصول بالقوة على سفنية إنكليزية راسية في بوشهر. ولكن محاولتهم فشلت بسبب مهارة قبطان السفنية الإنكليزية(٤٧). ثم إن السردار طلب استعارة السفن الهولندية الراسية في بندر عباس للقيام بحملتين إحداهما مرافقة وحماية الحاكم المعيّن جديداً في السند إلى مقرّه، والأخرى القيام بحملة جديدة ضد باقي المتمرّدين، على أن يقوم السردار إمام وردي خان بقيادة السفينتين وعلى متنهما جنود من الفرس. لكن الهولنديين لم يرغبوا في النزول بحراً في ظل شروط فارسية. وفجأة جاء الفرس بعدد من جنودهم إلى السفن الهولندية. وعندما رأى البحارة الهولنديون ذلك رفضوا البقاء على متنها وغادروها(٤٨). ثم إن الفرس أبحروا بالسفن التي بقي عليها قليل من المسؤولين الهولنديين لحراسة ممتلكات الشركة(٤٩). وحاولوا مهاجمة العرب المقيمين على الجزر غرب جزيرة الجسم. وفي الرابع والعشرين من أكتوبر عام ١٧٤١ غادروا بندر كنج ووصلوا إلى جزيرة قيس حيث سمعوا أن سفينة «فتح شاهي» قد غادرت نحو البحرين ومعها خمسون مركباً. وفي جزيرة قيس شنّ العرب هجوماً على السفن الهولندية. وقد شهد الهولنديون الذين كانوا على متنها بمدى كفاءة العرب كما أقروا بعدم براعة الفرس وضعفهم. وقد وقعت الحادثة الأولى عندما اعتلى أحد الفرس ظهر السفينة وهو يحمل البارود في يد والكبريت المشتعل في اليد الأخرى، وكان أن قتل وجرح العديد. إلا أن تلك الحادثة لم تكن تحذيراً كافياً للفرس ليكونوا أكثر حذراً في تصرفاتهم. فقد حاول الفرس النزول في جزيرة قيس إلا أن العرب صدوا ذلك الهجوم. وقد أمر السردار بمساندة الإنزال بنيران المدفعية من

السفن وكان هو نفسه على ظهرها يساعد في تحديد هدفها. وكان أن ضاعف الفرس مخزون المدافع بهدف الحصول على نتائج أفضل وكانت النتيجة أن انفجر مدفع صغير أودى بحياة السردار وعدد من رجاله(٥٠).

وعقب انتكاسة الفرس هذه، هاجم العرب بندر كنج حيث ألقوا القبض على الشيخ مذكور حاكم بوشهر المساند للفرس وشاهبندر كل من بوشهر وبندر كنج(٥١). وفي ظل هذا الوضع السيئ لجأ الشاه إلى مستشاره الموثوق به تقي خان الذي ظهر ثانية كحاكم في فارستان. وما لبث أن بدأ فوراً عملياته الجديدة ضد العرب(٥٢). في غضون ذلك شُغل الهولنديون بلأم جراحهم. وقد ألهب موضوع احتجاز السفينتين صدورهم. وقد تحطمت السفينة «ريدركرك» خلال رحلة نقل حاكم السنة المعيّن جديداً مظفر علي خان إلى منطقته. لقد أُجبر الهولنديون على منح هذا الامتياز وإلا فإن الفرس كانوا سيرفضون إعادة السفن التي كان قد استولى عليها السردار الإمام وردي خان(٥٣). أما السردار الجديد علاء وردي خان فقد طالب مجدّداً بنجارين للعمل في مقر بناء السفن التابع للشاه. ولكن مطالبه قوبلت بالرفض. ويبدو أن الإنكليز قد باعوا الفرس بعض السفن(٥٤).

وفي ربيع عام ١٧٤٢، كان الفرس يستعيدون قواهم. فقد انتصرت قوّاتهم بقيادة كلب علي خان على قوة الهولة البحرية في خصب(٥٥). وقد حاول القائد العربي الشيخ رحمة الهرب على السفينة «فتح شاهين» وهي بارجة الأميرال الفارسي سابقاً. ولكن السفينة تحطمت في رأس الحد وهو في طريقه إلى مخا. وقد تمكن من الهرب مع اثني عشر رجلاً من رجاله نحو الجبال. ولم يُسمع عنه شيء لفترة من الزمن. وما لبث أن عاد الشيخ رحمة بعد فترة إلى نخيلوه(٥٦). أما القائد الآخر من المتمرّدين عبدل الشيخ في لفت والذي كان لديه سفينتان أصغر حجماً وكان ما يزال يحتفظ بأرملة راشد شيخ باسيدو (أو جبارة من الطهيري)، فقد استسلم أخيراً إلى الفرس(٥٧).

العمليات الأخيرة ضد عمان:

أما وقد انتهى التمرّد فقد أصبح نادر شاه متفرّغاً مرّة أخرى لقمع قوّة دفاع المعارضة العمانية المتماسكة. وكان على الشاه في البداية إنشاء قوة بحرية جديدة حيث كان قد خسر عدّة سفن من أجود سفنه في القوة البحرية الأولى. ومن الضروري تعزيز القوة البحرية الفارسية الآن بعدة سفن اشتراها حاكم هندوستان المحتلة في سورات. كذلك تمّ شراء سفينتين أخريين في سورات من مسؤولي الشركة الإنكليزية. واشتروا أيضاً سفينتين في بوشهر إحداهما من تاجر فرنسي والأخرى من تاجر إنكليزي.

وقد جعل ذلك من الأسطول البحري الفارسي قوة يعتمد عليها ثانية وفتح ذلك المجال لإمكانيات جديدة لقيام حرب ضد مسقط. ومع أنه لم تكن أي من تلك السفن كبيرة ومسلحة جيّداً ولكنها كانت بدون شك تشكل قوة كبيرة(٥٨).

وأصبح لدى الفرس في عمان بعض الآمال ووجهات النظر الجديدة. فالإمام سيف بن سلطان فقد سلطته كلها تقريباً في وسط عمان منذ أن انتخب حزب الغافري سلطان بن مرشد إماماً في نزوى عام ١٧٣٨. وأخيراً خسر سيف مدينة مسقط لصالح قوات خصمه تحت قيادة سيف بن مهنّا. وكان الخيار الوحيد أمام سيف بن سلطان هو اللجوء إلى الفرس في جلفار طلباً للمساعدة(٥٩). وقد انضمت قبائل الهولة إلى قوات المعارضة ضد سيف بن سلطان واحتلّت خصب(٦٠). وكان الفرس قد بدأوا عملياتهم الواسعة أملاً في استعادة مكانتهم إذ تجمع عدد من الأعيان والجنود في بندر عباس للاشتراك في الهجوم المجدّد في أوائل الربيع عام ١٧٤٣. ولقد أدّت حالة جوع عدد كبير من الجنود بالإضافة إلى وجود عدد كبير من الضباط الكبار الذين كانوا يطالبون بالهدايا والهبات، إلى انحلال في التجارة(٦١). وقد تمّ طرد الهولة أولاً من خصب(٦٢). وكان كلب علي خان قد عمل برأي سيف بن سلطان وبدأ العمليات الفارسية بفرض حصار على صحار. ولكن لم يحقّق ذلك الحصار نجاحاً إذ تكبّد الفرس خسائر فادحة. بعد ذلك وقعت القوات الفارسية في كمين في مطرح ومُني الأسطول الفارسي أخيراً بالهزيمة ضد الهولة في سوادي(٦٣). ولكن كل هذا كان

مجرّد انتكاسات مؤقتة بالنسبة للفرس. فلقد أرسلت قوة بحرية فارسية مكونة من ثلاث عشرة سفينة كبيرة ذات أشرعة ثلاثة، ومجموعة أخرى من الجنود إلى مسقط حيث تحقق نجاح سريع وأقام الفرس سيف بن سلطان حاكماً ألعوبة لهم. كما أقاموا في حصون مسقط حاميات يتكوّن ثلثاها من الفرس والثلث الأخير من العرب(٦٤).

إلاّ أن انتصار الفرس لم يكتمل . فما زالت صحار صامدة تحت قيادة أحمد بن سعيد. وقد توجّه الإمام الغافري سلطان بن مرشد إلى صحار، ولكنه قُتل خلال الحصار. وكان يحاصر الحصن قوة فارسية كبيرة تحت قيادة كلب علي خان ولكن دون أن تحرز تقدماً كبيراً(٦٥). ولم يتمكن الفرس بعد غزوهم لمسقط من تحقيق السيطرة الفعالة في المنطقة. وبدأت بعد ذلك كما يبدو حرب عصابات كلّفت الفرس كثيراً إذ تمكّن رجال القبائل العربية من إبادة قوة فارسية كبيرة في كمين أعدّوه لهم(٦٦). وقد رغب القادة الفرس في إرسال بعض الجنود إلى الجانب العربي من الخليج، ولكن الجنود الذين قضوا بعض الوقت في بندر عباس استقرّوا هناك وتمرّدوا رافضين الانتقال إلى الجانب الآخر. في تلك الأثناء هاجم العرب الجيش الفارسي بشجاعة فائقة وألحقوا به خسائر فادحة وتفرّق الفرس باتجاه الجبال تاركين وراءهم عدداً كبيراً من القتلى والجرحى(٦٧).

وفي يوليو من عام ١٧٤٣، وبعد حصار دام حوالي أربعة أشهر، وافق أحمد بن سعيد، قائد صحار، على اتفاقية استسلام مشروطة مع الفرس وثُبّت حاكماً على صحار. وفي الوقت نفسه تقريباً مات الإمام القليل الحظ سيف بن سلطان ولم يعد هناك أحد من العمانيين المطالبين بالحكم، ولم تزل في عمان قوة فارسية(٦٨).

لقد دامت الحرب ست سنوات ولم تكن منظمة جيداً حيث أبرزت مدى ضعف امبراطورية نادر شاه. ويبيّن ضغط الفرس على الهولنديين لمساعدتهم بنقل المؤونة إلى جلفار وخورفكان حتى بعد اتفاقية استسلام صحار، أن الفرس إما أنهم كانوا رغم وجود أسطول بحري كبير جديد لديهم يخشون من مهاجمات العرب في الخليج، أو أنهم كانوا غير قادرين على وضع نظام مناسب لنقل المؤونة(٦٩). وكانت نهاية الحرب بنفس الطريقة المتداعية التي وُجّهت بها.

تمرّد تقي خان:

من الواضح مدى ضعف الامبراطورية التي حاول نادر شاه تكوينها. فمنذ عام ١٧٤٣ وما بعد، بدت التصدّعات في كل مكان. وكان القرار الذي اتخذه الهولنديون للتخلّي نهائياً عن تجارة الحرير الفارسي من أخطر المشكلات جميعها. فقد كانت تجارة الحرير لفترة ما تشكّل السبب الرئيسي لوجودهم في المنطقة(٧٠). ومن الحقائق التاريخية المهمة أن الخيانة لا تفيد مرتكبها نظراً لما تثيره من تنافس علي المصالح والامتيازات، وتحدث بالتالي المؤامرات التي يحاول فيها أحد الوزراء عزل منافسه. وقد ظهرت هذه الحقيقة التاريخية بعد غزو مسقط مباشرة عندما حاول كلب علي خان قائد الجيش الفارسي في عمان تدمير سمعة تقي خان. فقد اتهم تقي خان أولاً بالرشوة وسوء إدارة الأموال عند شراء السفن الإنكليزية للقوة البحرية سابقاً كما اتهم بالرشوة وسوء إدارة الأموال في مهمته مستوفي الممالك (مسؤول الرسوم)(٧١). وقد استدعي هذا للمثول أمام البلاط ولكن نظراً لعدم ثقته بالنتائج بدأ يستدعي الأعيان للانضمام إليه على الجانب العربي من الخليج حيث توقّع منهم التعاطف معه. وقد تمّ القبض على كلب علي خان بناء على أوامر الحاكم تقي خان.

ثم إن السردار محمد حسين خان أعلن في رسائل بعث بها إلى الإنكليز والهولنديين وإلى وكيل القوة البحرية الفارسية ملاّ علي شاه، أن تقي خان كان ثائراً. وقد طلب ملاّ علي شاه بدوره مساعدة السفينة الهولندية(٧٢). وقد بعث نادر شاه أوامر كتابية بأن تصبح ممتلكات الحاكم العام وسفن الأسطول تحت رعاية الهولنديين(٧٣). ثم إن قوّات الشاه المكوّنة من خمسمائة جندي هاجمت منزل نائب بندر عباس تحت غطاء من المدفعية الهولندية. ولقد حاول الإنكليز التوسط وساعدوا النائب أخيراً على الهرب. وفي أكتوبر من عام ١٧٤٣، طلب السردار من الهولنديين أن يعيروه سفينتهم ڤالك (Valk) الراسية في الميناء لنقله مع حاشيته إلى جلفار. ورفض الهولنديون طلبه في البداية كالعادة ولكن ما لبثوا أن وافقوا بعد الضغط الشديد(٧٤). وعندما وصل سردار إلى الجانب الآخر من الخليج، سلّم تقي خان أمراً كتابياً ًمن الشاه يطلب منه إعادة جميع الأموال التي استلمها في حرب عمان. ولقد

أبدى تقي خان في البداية استعداده للدفع ولكنه لم يكن في الحقيقة قادراً على ذلك. فطلب التأجيل. وعندما علم السردار بذلك حذّر تقي خان قائلاً بأنه يحمل رسالة أخرى من الشاه أُلصقت بها حبال حريرية للشنق. عند سماع ذلك غضب الحاكم غضباً شديداً وأمر بقتل السردار وجميع أتباعه فوراً. ويبدو أن أمره هذا لم ينفّذ. ثم أعلن تقي خان رسمياً عصيانه مع بعض أفراد القوة البحرية الذين كانوا تحت قيادته. وبعث برسول إلى حاكم بندر عباس الذي بدأ في وضع حصون لارك وهرمز وجزيرة الجسم في حالة دفاع(٧٥).

ويبدو أن محمد بكر بك القائد المحلي في بندر عباس قد عزم على الانضمام إلى الثورة. وعندما ظهرت كتيبة بحرية تابعة لمظفر علي خان حاكم السند مقابل بندر عباس أعلم محمد بكر بك نيابة عن تقي خان أن حاكم السنة ثائر وطلب من الأوروبيين في بندر عباس المساعدة في هجوم خطّطه مع السفن الثلاث الكبيرة التابعة لقوّة الشاه البحرية ضد سفن حاكم السند. ولقد تمكّن مظفّر علي خان من أن يأخذ بالحيلة عدداً من سفن الأسطول الفارسي (أي السفن تحت قيادة النائب) والتي كانت ترسو في بندر عباس. وقد توجّه مبعوثون من قِبَل تقي خان يطلبون من الهولنديين الانضمام إلى قوّاته مع السفينة الكبيرة «فتح رحماني» القادمة من جلفار بأوامر من تقي خان، مهاجمة السفن السندية وهدّد تقي الهولنديين بتدمير الوكالة الهولندية في بندر عباس في حالة عدم تلبية الهولنديين لرغباته. وقد أبلغهم محمد بكر بك العبقري الشرير ومستشار تقي خان، بأنهم قد جهّزوا قوّة من أربعة آلاف رجل لمهاجمتهم(٧٦). ولكن السردار منع الهولنديين من مساعدة تقي خان. وبعد ذلك بقليل غادر تقي خان بندر عباس متوجهاً نحو شيراز(٧٧). وفي مارس من عام ١٧٤٤، بعث السردار برسائل إلى المندوبين الهولنديين والفرنسيين والإنكليز في بندر عباس وأرفق بها نسخاً عن الأوامر الموجّهة من نادر شاه إلى نائب بندر عباس وإلى ملاّ علي شاه وكيل الأسطول العربي. وقد طلب من الهولنديين أن يجعلوا سفن الأسطول الفارسي تحت حمايتهم، وشك الهولنديون في زيف الرسالة وتشاوروا مع الإنكليز ولكنهم لم يفعلوا شيئاً(٧٨). وبعد شهر تقريباً تسلّم الهولنديون رسالة من الشاه مباشرة أبلغهم

فيها أن السردار قد غادر جلفار أخيراً متوجّهاً إلى الجانب الفارسي من الخليج. وطلب من الهولنديين المراقبة كي لا يتسنى لتقي خان الهرب عن طريق بندر عباس. في غضون ذلك منح السردار الهولنديين السلطة التامة لممارسة الحكم في بندر عباس وميناب نيابة عنه على أن يرسل جنوداً من كرمان بقيادة الأمير مير علي لمساعدة الهولنديين (وهو مستخدم قديم كان ممثلاً للسلطة المركزية في بندر عباس في عام ١٧٢٨). وطلب من الهولنديين إلقاء القبض على النائب محمد بكر بك وعلى الشاهبندر الشيخ هادي وجميع أتباع تقي خان(٧٩).

وما لبثت أن ظهرت قوّات موالية في بندر عباس وتمكّنت بمساعدة من مدفعية الوكالة الهولندية طرد الثائرين من الحصن. وكانت تلك الأنباء سيئة لتقي خان إذ أنه لم يتمكن عندئذ من الفرار بحراً إذا هُزم. وسرعان ما جمع نادر شاه قوّات هائلة بالقرب من شيراز. وقد قصفت المدينة بالمدفعية وأُلقي القبض على تقي خان. وقد شاع أن نادر شاه قد تعهّد في بداية عهده بعدم إعدام تقي خان مطلقاً. ولكنه قام بأعمال أخرى أكثر قسوة فقد أخصي تقي خان وقلعت إحدى عينيه فيما عوملت عائلته أسوأ معاملة ممكنة. ولكن من الغريب أن نجد أن تقي خان قد حظي بقليل من العطف في قلب نادر شاه إذ أعيد تعيينه في منصب مستوفي الممالك ثم حاكماً على كابل(٨٠). هكذا كانت نهاية الثائر تقي خان وهي الوحيدة ضمن سلسلة طويلة من الثورات التي هزت الساحل الفارسي في شمال الخليج.

نهاية حكم نادر شاه:

لم تؤثّر ثورة طاقي خان على تحسين وضع الحكومة المركزية الفارسية في منطقة مضيق هرمز وخليج عمان. وواجه العرش الفارسي مصاعب كبيرة للحفاظ على قوّته ونفوذه في هذه المنطقة. ويبدو أن القبائل العربية في جزيرة الجسم والأجزاء الغربية البعيدة من الساحل الجنوبي قد فقدوا جزءاً من روح الاستقلال وعانوا معنوياً من فشل حركة تمرّد الأسطول. ولكن يبدو أن هذا كان مجرّد مهلة مؤقتة. ومع ذلك لا يبدو أثناءها أن السلطات الفارسية المركزية قد سيطرت كثيراً على السلطات المحلية حول

بندر عباس. ومهما يكن، كان الجيش الذي يزوّد الحاميات بالرجال على الساحل العربي أقلّ العناصر أمناً في سيطرة الفرس على الخليج. فالبلاد لم تنتج ما يكفي لإطعام الجنود ودفع أُجورهم في جميع الظروف وكان من الصعب جلب المؤونة إلى الجانب الآخر. ونتيجة لذلك ازداد خطر التمرّد في تلك المنطقة(٨١).

وعندما تمكّن نادر شاه، إلى حدّ ما، من إخضاع القبائل العربية له بدأ يعمل على تحسين الوضع المالي فبعث بأسطول كبير من السفن المحلية في مهمة صيد اللؤلؤ لصالح خزينته. ولقد أدى إجراؤه ذلك إلى وقف الحركة التجارية في الخليج بسبب عدم توفّر السفن المحلية لنقل البضائع. وليس لدينا معلومات عن نتائج ذلك المشروع ولكن يبدو أنه كان مجرّد مغامرة فاشلة وقد قيل أن تحرّك السفن العربية إلى مغاصات اللؤلؤ قد حدث عندما تمكّنت قبيلة الحرم في منطقة نابند من فرض سيطرتها على البحرين إلا أن المصادر لا تؤكد هذه المعلومة(٨٢).

وفي خريف عام ١٧٤٦، في وقت سيئ للغاية برزت أزمة جديدة، وهي مسألة تغلّب الشاه على ثورة فتح علي خان في كرمان. وقد رفض سكان المنطقة المحتلة في عمان دفع الضرائب المستحقة للفرس مما أدى إلى عدم اكتفاء الجنود الفرس من حيث المؤونة ومن حيث الأجور(٨٣). وتذكر مذكرة جمبرون الإنكليزية أن القوات العربية قد استعادت مسقط، ولكن يبدو أن هذا النبأ لم يكن صحيحاً(٨٤). وكان العرب في منطقة بوشهر على الجانب الآخر من الخليج قد بدأوا خلال فصل الشتاء، وبالتعاون مع «شيخ قوي قرب البحرين» إعلان ثورة(٨٥)، (على الأرجح شيخ بني خالد) فسلبوا المدينة واستولوا على ثلاث سفن من الكتيبة الغربية التابعة للأسطول الفارسي. وأرسلت قوة كبيرة وقوية تحت قيادة السردار خليج خان لإخضاع الجانب العربي من الخليج ثانية. وفي البداية لم يفعل هذا القائد شيئاً. ولكن قبل مغادرة بندر عباس إلى الجانب الآخر صادر جميع أنواع البضائع من التجار(٨٦). وقبل أن يتمكن خليج خان من إنجاز الكثير، استدعاه الشاه، واستدعاء نادر شاه لأي شخص من مهمته كان يعني أن مصيره في علم الغيب. وبدلاً من العودة إلى بندر عباس حسب أوامر الشاه أعلن السردار تمرّده(٨٧).

وقد وصلت أنباء تمرّد الجيش على الجانب العربي إلى بندر عباس في آخر يوم من مارس عام ١٨٤٧. في ذلك اليوم وصلت سفينة من جلفار لإعادة السردار خليج خان. وفيما كان يعلن رسمياً عن عودة السردار السريعة، أبلغ قبطان السفينة سراً، حسب ما جاء في جمبرون الإنكليزية بأن السردار ثائر. وأنه على اتصال بالثوار في لارستان حيث يبدو هناك بداية تمرّد بين الجنود. وقد وصلت قرب لارك في الثاني من أبريل أوّل مراكب تقلّ الثوار. وقد تمّ نقل ألفي جندي من الجيش الفارسي المقيمين في جلفار، إلى بندر عباس في ذلك اليوم واحتلوا حصنها وألقوا القبض على الحاكم فالسالي سلطان الذي حاول مقاومتهم(٨٨).

وألقي القبض أيضاً على بعض المندوبين من الحكومة المركزية. وكان قد أشيع بأن الأمير مير علي هو قائد مجموعة الثوار، ولكن بعد ذلك بأيام قليلة كتب الأمير مير علي رسالة إلى نادر شاه بأنه ليس ثائراً بل كان أسيراً لدى ضبّاطه(٨٩).

أما الإنكليز في بندر عباس فقد أفزعتهم التطورات الجديدة فدعوا ملا علي شاه نائب قائد البحرية الذي كان على رأس قوة بحرية كبيرة في بندر كنج لإرسال قوة لحماية بندر عباس ولكن مندوب السلطة المركزية هذه، وهو آخرهم، كان بطيئاً في اتخاذ أي إجراء. وفي تلك الأثناء وصل المزيد من السفن من الجانب العربي في الخليج تحمل الجنود.

وأخيراً في السادس عشر من أبريل ظهر ما لا يقلّ عن أربعين مركباً من الجانب العربي، وقد حاول ملا علي شاه أن يتدخّل ولكن دون جدوى وتمّ إنزال قوّات خليج خان المتمرّدة، حيث زحفت نحو بندر كنج. وأخيراً استخدم ملا علي شاه القوة البحرية لوقف مزيد من الإنزال(٩٠).

لقد تقلّصت كثيراً قوّة ملا علي شاه وهو آخر مندوب للسلطة المركزية، خاصة بعد أن تمّ القبض على عائلته في ثورة جديدة في بوشهر. وهناك تحطّمت الكتيبة الغربية في الأسطول الفارسي، وقد ظلّ الأميرال المعيّن جديداً مخلصاً للشاه، فغادر بوشهر ومعه أربع سفن، فيما أخذ قباطنتهم السفن الأخرى للاستعمال الشخصي. ولم يكن أولئك القباطنة متّحدين فيما بينهم نظراً لانتمائهم إلى قبائل مختلفة وحتى

الإنكليز خشـوا انفجار القتـال بين هذه الأحزاب المختلفة. ومن الواضح أن اهتـمام ملا علي شاه كـان ينحصر في إنقاذ عـائلته في بوشهـر أكثر من اهتمـامه في دعم سلطة الشاه المتداعية(٩١).

وفي التاسع عـشر من يونيو عـام ١٨٤٧ قُتل نادر شاه فـيما كانـت سيطرته على الخليج تتداعى والثورات ضده تنفجر في مناطق أخرى. ولم ينتشر نبأ قتله مباشرة بل استـغرق بعض الوقت ليصل إلى جـميع أجزاء امبـراطوريته الواسعـة المهلهلة وبالتالي سبّب النبأ فوضى أكثر.

أحوال منطقة شمال الخليج مع الاضطرابات في جنوبه:

أدّى نشـاط نادر شـاه إلى ازدياد ترابط الأحـداث فـي منطقـتي شـمـال وجنوب الخليج. فـمنذ أن فشلت مـشاريـع الإمام قـولي خان عـام ١٦٢٥ لم يحدث مـثل هذا الاتساع في السيـاسة الفارسية. ولكـن كما حدث في أيام قولي خـان تغيّرت وسائل الحكومة الفـارسية لتحـقيق مشروعـاتها الكبيرة. فـبعد أن فشل نادر (وكـان ما يزال يحكم باسم طهماسب قـولي خان) في غزو العراق وطرد العثـمانيين منه عام ١٧٣٣، عزم على تحقيق ضربة للعثمانيين من ناحيـة الاقتصاد. ولـم تكن حملته ضد مـسقط مجرّد إنعاش لرغبته التقليدية في التوسّع نحو شبه الجزيرة العربية (التي كان قد بدأها الإمـام قـولي خـان)، بل كانـت أيضاً إنعاشـاً لسيـاسـة هدم الروابط التـجـارية بين الامبراطورية العثمانية والهند.

وقد نتج عن السياسة الفارسية الجديـدة تحوّل مركز الجاذبية الاقتصادي في الخليج من الجنوب إلى الشمـال، وكانت الحكومة الفـارسية قـد واجهت مصـاعب جمّة في محافظتها على النظام في بندر عباس وحماية روابطها بوسط بلاد فارس. فلم تساهم الحروب في مسقط وانتفاضات قـبائل الهولة مطلقاً في ازدهار منطقة جنوب الخليج. ومع انخفاض أهمية جنوب الخليج الاقتصادية ازدادت أهمية البصرة نسبياً التي ظلّت ثابتة إلى حدّ ما. ولكن الحكومـة الفارسية من جانبها كانت أيضـاً تقوّي نشاطها في بوشهـر وهو ميناؤها الخـاص في شمـال الخليج وأدى هذا إلى الإضرار ببندر عـباس.

وقد يكون وراء هذا أكثر من سبب. فميناء بندر عباس لم يكن جيداً. ولم يتضح في المنطقة مدى ولاء القبائل للشاه. وثمة سبب آخر محتمل وهو أن الفرس كانوا يرغبون في إنشاء قاعدة بحرية قرب بوشهر ولم يساهم في تزويدهم بناء القوة البحرية التحتية سوى وجود الميناء التجاري.

ولقد لعب شاهبندر بوشهر، وحاكمها فيما بعد الشيخ مذكور بن جمير من المطاريش دوراً هاماً في تطوّرها. فقد حافظ خلال النزاع بين قبائل الهولة وبلاد فارس على موقفه التقليدي في بوشهر ضد الهولة، مما لقي استحساناً لدى الحكومة الفارسية(٩٢).

وقد ذهبت الحكومة الفارسية بعيداً في رغبتها لإنعاش بوشهر. وكان تقي خان قد أبلغ الهولنديين في رسالة له أنه يمكنهم بناء مقرّ لهم في أي مكان يشاؤون بين مدينة بوشهر وحصن نادري(٩٣). وهذا يعني كما يبدو أنه بإمكان الهولنديين بناء حصن خارج المدينة كما فعلوا في بندر عباس. وقد رحّب مجلس الوكالة الهولندية في بندر عباس بالعرض الفارسي ذلك لأنه كان لا بدّ من بديل عن البصرة التي كانت تعاني وقتذاك من أزمة تجارية ومن مطامع المسؤولين العثمانيين فيها. وإضافة إلى ذلك كانت التجارة في بندر عباس بطيئة. وقد تذمّر الهولنديون من ضعف تجارة الأقمشة القطنية نتيجة وقف التصدير إلى الجانب العربي من الخليج بسبب الحرب. كذلك رأى الهولنديون أن الإنكليز قد دمّروا تجارة البصرة لاستخدامهم سياسة الإغراق في السلع والذي لم يعد عليهم أنفسهم بأية فائدة. وخير برهان على ذلك إفلاساتهم العديدة(٩٤). ولم يعن هذا أن كوبناد ومجلسه كانوا يفكرون بخطوات تحوّل جذري فيها، فهم لن يأخذوا بعين الاعتبار أكثر من تجربة محدودة. ويجب بناء مقرّ هناك فالمساكن في المدينة لم تكن ملائمة للأوروبيين. كذلك يجب بناء مخازن للبضائع لأن الخان المحلي كان صغيراً جداً. والبناء في بوشهر مشكلة إلى حدّ ما، فالمناخ سيئ بالنسبة للعمال الأوروبيين ولذلك يجب أن يكون البناء من وحدات يتمّ بناؤها في جاوا(٩٥).

وتبيّن المذكرات التي احتفظ بها الهولنديون في بوشهر بوضوح نوايا الفرس في

شمال الخليج. فقد كانوا يبنون المكان كقاعدة للجيش والبحرية. وسوف يكون الوجود الهولندي مفيداً لهم لأنه سوف يكون بإمكانهم عند ذلك استعارة أو شراء وحدات غربية أو وسائل النقل. وقد خاب أخيراً أمل السلطات العسكرية الفارسية عندما أرسل الهولنديون سفينة صغيرة واحدة. وهكذا توصّلوا إلى نتيجة بأن بوشهر ليست إلا سوقاً صغيراً فهي بذلك لا تسعهم(٩٦).

ونتيجة لسياسة إزالة الحكم التقليدية في بعض الأقاليم، وتيسير الطريق لاحتلال العراق العثماني، انتزع نادر شاه من المشاشة، وهم من العرب الشيعة، منصب والي الحويزة. وهو منصب كان ملكهم منذ قرون عديدة. وبدلاً عن ذلك نصّب فرج الله رئيسهم حاكماً على الدورق (الفلاحية) وهي منطقة صغيرة جداً بالمقارنة مع الحويزة(٩٧).

وكانت هذه المشروعات الفارسية سبباً في بعض القلق في الامبراطورية العثمانية من حين لآخر نظراً لتوقّع تهديد دائم بهجوم فارسي. وفي عام ١٧٣٧، زار أحمد باشا والي بغداد شخصياً البصرة لتفقّد قوّات الدفاع هناك ومدى تنظيمها في الوقت الذي كان نادر شاه يقوم فيه بعملياته في الحويزة القريبة منها. ولقد مضى بعض الوقت قبل ظهور أولى علامات التّدخل الفارسي المباشر(٩٨).

وفي ظل التهديدات الفارسية أجريت بعض التغييرات في إدارة البصرة(٩٩). وفي الحقيقة يبدو أن الوضع في البصرة قد تحسّن كثيراً فقد حضرت ثانية عدّة سفن من بغداد. وظلت العلاقات بين الهولنديين والحكومة المحلية متوترة. وفي عام ١٧٣٨، طلب المندوبون الهولنديون في البصرة من السفير الهولندي في اسطنبول رفع قضيتهم إلى الباب العالي(١٠٠). ولم يستمر تحسن الوضع في البصرة طويلاً. فالحكومة المحلية لم تتمكن من المحافظة على السلام مع قبائل المنتفق. وقام العرب بحفر القنوات وأغرق الريف المحيط بالمدينة. وأصبح الحصول على مياه الشرب أمراً مستحيلاً. وثارت الشكوك أن وكلاء الفرس كانوا وراء هذا التحرّك العربي وساءت نتائج التجارة الهولندية في البصرة إلى درجة أن عرض المجلس السياسي في بندر عباس على حكومة بتافيا العليا إغلاق هذه الوكالة(١٠١).

وفي عام ١٧٤٠، طالب المبعوثون الفرس في بغداد تسليم البصرة إلى الفرس. وتبع ذلك انتفاضة جديدة قامت بها قبائل المنتفق التي سدّت المنافذ إلى المدينة وأغلقتها. إلا أن أحمد باشا والي بغداد تمكّن من إعادة الاتصالات دون اتخاذ خطوات حاسمة ضدّ المنتفق. ولقد شجع هذا الشيخ سعدون حاكم المنتفق ونصب خيامه خارج البصرة مباشرة معلناً أنه حاكمها. وظهر ردّ فعل سريع من قبل بغداد حيث تمّ إلقاء القبض على سعدون الذي سرعان ما أعدم(١٠٢). ومن الغريب جداً أن العثمانيين عيّنوا عبد الله شقيق سعدون حاكماً على المنتفق بناءً على توصية نادر شاه(١٠٣). كذلك نشأت بعض الاضطرابات مع بني كعب، وكانوا آنذاك تحت سيطرة العثمانيين مباشرة. وقد اغتيل شيخهم شامس على يد بعض أعضاء عائلته. وكانت الحكومة العثمانية متورطة في هذه القضية وعيّنت شيخاً جديداً. ولكنه لم يكن يحظى بشعبية لدى قبيلته ولذلك نشأت ثورة. أما أوتر، الذي كان كثير التنبؤ بالأحداث، فقد أشار إلى أن بني كعب لم يكونوا أقوياء كالمنتفق، ولكن من الممكن أن يكونوا مصدر إزعاج كبير للملاحة بين البصرة وبحر عمان(١٠٤). وفي عام ١٧٤٣ عندما استأنف نادر شاه منازعاته مع الأتراك قام بنو لام والمنتفق بشن هجوم جديد ضد البصرة. إلاّ أن المدينة قاومت وصمدت أمام تلك الهجمات(١٠٥).

وقد أدّت انتفاضة المنتفق الثانية في عام ١٧٤٧ إلى تدمير القنوات من جديد، وتبع ذلك وباء خطير اجتاح البصرة(١٠٦). وفي الوقت نفسه أثار بنو كعب المشاكل. إذ أشعل شيخهم سلمان الاضطراب عقب موت نادر شاه، فعمدوا إلى احتلال مناطق واسعة على الجانب الإيراني من الحدود. وسبّب هذا في الوقت نفسه مشاكل خطيرة للبصرة عندما احتلّ الدواسر القاطنين على ضفة شطّ العرب الشمالية مدخل النهر وحاصروه. ولكن لم تؤد تلك المشكلات إلى نتائج خطيرة في مكانة البصرة الاقتصادية والاستراتيجية وكان نادر شاه مشغولاً في مكان آخر. ولم يكن لدى العرب وحدهم قوة تكفي لمهاجمة المدينة(١٠٧).

والإشارات إلى الأحداث في ساحل جنوب الخليج دائماً نادرة. فبعد فشل العمليات الفارسية في عمان عام ١٧٣٨، وما تبعها من انتفاضة الهولة، يبدو أن بني

خالد والعتوب قد تعاونوا مع الشيخ جبارة حاكم طاهري في محاولة ضد البحرين. وقد خطط الفرس لهجوم على بني خالد في عام ١٧٤٠، ولكن تمرّد القوات البحرية الفارسية الذي تبع ذلك مباشرة جعل ذلك الهجوم مستحيلاً(١٠٨). ويبدو أن بني خالد والعتوب ظلوا بعد ذلك خارج نطاق الاضطرابات في المنطقة.

النتائج الاقتصادية لسنوات الفوضى:

لقد عرّضت الأزمة الأفغانية اقتصاديات الخليج للتدهور. ولكن تمكّنت القبائل العربية من سدّ بعض الفجوات التي سببها الفوضى في بلاد فارس، ولكن حكم نادر شاه قد أدى إلى فوضى جديدة.

وفي النهاية يبدو أن الوضع الاقتصادي في الخليج عام ١٧٤٧، كان يختلف أساساً عما كان عليه قبل عام ١٧٢٠. وفي وثيقة هولندية لعام ١٧٥٦ وصف مسهب للتغيرات الاقتصادية في بلاد فارس. وهو عرض طويل لإمكانيات شراء أو بيع بضائع مختلفة في هذه البلاد. ويرى المراقب الهولندي من ناحية الانحلال التام في إنتاج البضائع المصدرة بسبب عدم الأمان، ولكن من ناحية أخرى فإن الكنوز والأموال التي نهبها نادر شاه قد زادت من توفّر العملات الفضية والذهبية المعدنية، حتى أن قوة الشراء كانت ما تزال كبيرة جداً. تلك الملاحظة مهمة جداً، ولكن الهولنديين لم يستطيعوا أن يستغلوا الوضع إلاّ قليلاً، ذلك لأنهم كانوا يواجهون المصاعب في الحصول على أفضل البضائع لإرسالها إلى السوق الفارسية. أما الملاحة الإنكليزية الخاصة والتي كانت أقلّ تقيّداً بالبيروقراطية فقد استفادت أكثر من هذا الوضع، ومن الممكن أن ازدياد نشاط التجارة الإنكليزية والذي ذكره المؤلف «أمين»، كان نتيجة لهذا الوضع(١٠٩).

ولقد سبب تدهور التجارة الهولندية إلى فتور في اهتمام المدراء في قراءة التقارير الواردة من بندر عباس. فكاريل كويناد كان يكتب تقارير مطوّلة جداً. وسار خلفه أيضاً على نفس الطريقة، ولكن المدراء الهولنديين لم يرقهم ذلك، فكتبوا بالتالي إلى حكومة بتافيا العليا يستنكرون «القصص المطوّلة المملّة والمحزنة لأحداث غير مهمة»

ويصرّون على تقارير منظمة ومختصرة حسب أساليب التجار(١١٠).

وقد عانى العرب من هذا الوضع أيضاً إذ أن مسرح الحرب ضد عمان، والمنازعات بين الفرس والقبائل العربية حدثت في منطقتهم التي كانت حتى ذلك الحين نقطة التحوّل لكثير من التجارة بين الخليج والهند. ولقد دمر إفقار إقليم بندر عباس والحروب الواقعة حول جزيرة الجسم، وتواجد القوات الفارسية بين جلفار ومسقط، النظام الاقتصادي الذي كان يعمل به التجار العرب. ومع ذلك تمكّن الإقليم الساحلي لشبه الجزيرة العربية من استعادة ازدهاره، إلاّ أن إقليم بندر عباس لم يتمكن مطلقاً من ذلك لأن المنطقة كانت عرضة لآثار عدم الاستقرار الداخلي الذي تعاني منه بلاد فارس.



الفصل التاسع

سيطرة العرب



انحلال السلطة الفارسية على ساحل جنوب الخليج:

في الرابع والعشرين من يونيو عام ١٧٤٧، (أي بعد أسبوعين من وقوع الأحداث) وصلت إلى إقليم بندر عباس أول الأخبار عن مقتل نادر شاه(١). وظلّ الوضع في تلك المنطقة التي كانت تعمّ بها الفوضى قبل موت نادر شاه، غير واضح. إذ بعد مغادرة الثوار في بداية شهر مايو (أي نهاية أبريل في السنة اليوليوسية) أصبح الإقليم ثانية تحت سيطرة ملا علي شاه(٢) الذي كان إخلاصه تجاه الامبراطورية الفارسية مبهماً. فهو عربي وكان يفضّل في الحالات الطارئة التعاون مع القبائل العربية بدلاً من السلطات الفارسية(٣). وقد اضطر إلى قصر ولائه على بلاد فارس أكثر بسبب وقوعه تحت ضغط ثوار داشستان الذين كانوا قبل وفاة نادر شاه مباشرة قد سيطروا على بوشهر وأسروا زوجته وأطفاله(٤).

وإزاء هذا الوضع الخطير، تقرّب الإنكليز من الهولنديين لمشاركتهم في نشاطاتهم في الحالات الطارئة مستقبلاً، ولكن الهولنديين كانوا قد فقدوا اهتمامهم بالمنطقة وتوقّعوا الانسحاب قريباً إذا ما استمرّت خسائرهم في التجارة في بندر عباس(٥). وقد سيطرت على أفراد القوات القليلة الباقية في عمان بعد التمرّد الذي حصل في مارس عام ١٧٤٧، حالة من اليأس نتيجة الإشاعات حول موت نادر شاه. وفي العشرين من أغسطس (حسب التقويم اليوليوسي أي الواحد والثلاثين منه حسب تقويمنا) جاء في المذكرة الإنكليزية ما يلي:

> « .. في هذا الصباح وصل من الشاطئ العربي حوالي مئتي جندي وهم العرب الذين حافظوا على السيطرة على مسقط. ولدى وصول الأنباء عن موت نادر شاه، أخذ المواطنون الحصن منهم وقتلوا مسؤوليهم ونقلوا الناس إلى هذا الجانب ....»*.

ويؤيّد هذا المقطع من المذكرة الاتجاه في الرواية الصادرة في مخطوطة ابن رزيق العمانية بأن أحمد بن سعيد والي صحار قد دعا المسؤولين الفرس إلى مأدبة في بركا. وقد ثبت فيما بعد أن هذه الدعوة كانت كميناً. وبعد قتل المسؤولين سمح لبعض

* EGD 20-8-1947 J.

الناجين منهم أن يغادروا إلى بلاد فارس(٦).

تلك كانت النهاية الشائنة لحرب نادر شاه الطويلة ضد مسقط. لكن نبأ موت نادر شاه لم يُعلن رسمياً في بندر عباس حتى شهر سبتمبر(٧). كان يبدو في البداية في بندر عباس أن علي قولي خان ابن أخ نادر وقاتله، الذي اتخذ اسم عادل شاه، قد ضمن القوة في يده. إلاّ أن الوضع في الحقيقة لم يكن مستقراً، ولم يعد في بلاد فارس بعد ذلك سلطة مركزية مستقرة تماماً(٨).

لقد أدى غياب القوات الفارسية من جلفار ومسقط إلى إحداث فراغ في عمان، كان ما يزال هناك قوّتان تتمثلان في الشيخ رحمة بن مطر الذي اعترف به نادر شاه كحاكم وراثي على جلفار عام ١٧٤٠، وأحمد بن سعيد حاكم صحار الذي حافظ على مكانته بعد خضوعه للفرس. ومع مغادرة الفرس تمكّن كلاهما من فرض سلطتيهما على الأقاليم التابعة لهما. ولقد استسلمت مسقط إلى أحمد بن سعيد بعد طرد الحامية الفارسية حيث أُعلن إماماً(٩). إلاّ أن أحمد بن سعيد كان بطيئاً في فرض سلطته وتوسيعها إلى الغرب إذ أن رحمة بن مطر قد ثبّت نفسه تماماً هناك ورفض الاعتراف بسلطة الإمام البوسعيدي. ولم يتمكّن حاكم عمان من السيطرة على القواسم وكانت النتيجة نشأة دولة عربية مستقلة جديدة. وقد امتدت الحدود بين عمان ودولة القواسم الجديدة إلى ما بعد مسندم(١٠). ولقد حاول الإمام فيما بعد مراراً استعادة السيطرة على الصير. وفي حوالي عام ١٧٦١ اعترف الإمام باستقلال الصير كما أُشيع، ولكن المنازعات استمرّت إلى ما بعد ذلك التاريخ(١١). وقد اختلط الأمر حول اسم مقرّ إقامة شيخ القواسم. ويشير إليه نيبور على أنه مكان يدعى صير (Sêr) قرب الشارقة، فيه ميناء جيّد، أما تقرير كنيبهاوزن لعام ١٧٥٦، فيشير إلى مكان يدعى زور (أو صور). ومن المحتمل أن يكون كلاهما على خطأ وأن المكان الذي يشيران إليه هو إمّا جلفار أو رأس الخيمة الحديثة. ولكن لا يُستبعد تماماً مدى دقة معلوماتهما ومعلومات كنيبهاوزن الواردة في تقريره ترجح في هذه الحالة وجود زورا بين الشارقة وأم القيوين. ويصف كنيبهاوزن في تقريره لعام ١٧٥٦ مدينة القواسم وصفاً رائعاً.

«مدينة صور كبيرة نسبياً ومحصّنة بالوسائل المحلية حيث فيها بعض المدافع. تقيم فيها قبيلة القواسم، وهي إحدى قبائل الهولة(١٢)، والتي كانت في السابق تخضع لإمام مسقط، لكنها لم تعترف بسلطته فيما بعد. وقد قام الإمام بعدة حملات فاشلة لإخضاع المكان لسلطته. ولم يستطع أن يحقّق شيئاً ضد شيخ القواسم المدعو كايد أو رحمة بن مطر حيث تسانده عدة قبائل بدوية من الصحراء(١٣). ويُعتبر الشيخ رحمة هذا أقوى حكام الهولة الحاليين ولديه أربعمائة رجل من أبناء شعبه مسلحين تسليحاً جيداً كما لديه أسلحة نارية في صور التي تمتاز بجودة مينائها حيث تتمكن أكبر السفن من الالتجاء إليه ومن المحتمل وجود حوالي ستين مركباً معظمها كبير ومزوّد تزويداً حسناً وبإمكانها الإبحار تجاه مخا. وفي هذا المكان نشاط تجاري كبير للؤلؤ والبضائع الأخرى والمؤونة التي كانت تنقل إلى الصحراء ... »*.

ويصف المصدر نفسه مسقط على أنها مركز تجاري كبير رغم أن سلطة الإمام أحمد بن سعيد قد عانت من الاضطرابات العديدة في السنوات السابقة:

«مسقط مدينة معروفة تماماً لدى الأوروبيين تقع على مدخل الخليج. وموقعها جيد لتبادل البضائع. وكانت سفن الخليج المحلية تجلب التمور والقمح وعرق السوس وماء الورد، والزبيب واللوز والتبغ وما أشبه من السلع غير المصنّعة حيث كانت تنقل إليها على متن مراكب من الساحل المقابل ومن ملابار مثل الأرز المطبوخ، والأرز النيء، وجوز الهند، والألياف القطنية الحريرية المستخدمة لحشو الوسائد، والخيزران والقصدير وتعتمد تجارة مسقط الرئيسية على تبادل هذه السلع. فلا يباع في البلاد نفسها سوى المواد الغذائية. ويسكن في المدينة البدو أو العرب الذين يقيمون في الخيام. وقد يُباع قليل من الحديد والرصاص والقصدير والكتان الخشن البني أو الأزرق ويأتي من دابول. ويحظى التجار الذين يبلّغون دائماً بدقة أسعار السلع في الخليج بأرباح طائلة. وهم يبتاعون أيضاً بعض السلع الأخرى ويحملونها عبر الخليج إلى البصرة ولكنهم لا يشترون شيئاً إلا ما يحقق أرباحاً تصل إلى نسبة ٢٥٪.

* ARA, Aanw le AFd 1889, 23b, Fol. 12.

وما يزال إمام مسقط، يمتلك حصن ممباسا على ساحل أفريقيا الذي أخذه من البرتغاليين في السابق. وتبحر سفنه سنوياً إلى هناك تحمل التمور والقمح والأقمشة القطنية الخشنة وتعود محمّلة بجوز الهند وألياف القصب والعاج والعنبر والعبيد. ونظراً لتساهل الإمام المذكور سابقاً الشديد، فقد كان حاكم ممباسا يرسل إلى الإمام قليلاً من عائدات الرسوم ولا يطيعه إلا قليلاً. وتتمثل قوّة الإمام البحرية بسفينتين صغيرتين إحداهما غير صالحة للاستخدام. وقد استبدلها بسفينة جديدة وجميلة بحمولة ستمائة طن اشتراها من بومباي. ولديه أيضاً جلبوتان. ويُعرف عن رعايا الإمام أنهم جنود سيئون وأن قوّته العسكرية تحتوي فقط على عبيد أفارقة يمتازون بقدرتهم على الحرب. وكان لدى الأئمة السابقين أربعة آلاف منهم ولكن الإمام الحالي لم يتمكّن من تجنيد أكثر من خمسمائة يحمل جميعهم بندقيات قديمة وسيوف مستقيمة، وكانوا ماهرين في استخدامها. وهذا كل ما يشكّل قوّته العسكرية ... »*.

لقد واجه أحمد بن سعيد صعوبات جمة في تثبيت سلطته على مناطق النفوذ العمانية في شرق أفريقيا. فقد تمكّن أحمد من تعيين مرشّحه والياً على زنجبار إلا أن والي ممباسا لم يعترف بالأسرة الحاكمة الجديدة في عمان. وسرعان ما تخلّى الإمام أحمد عن جميع محاولاته في إخضاع ممباسا لطاعته(١٤). كذلك واجه أحمد بن سعيد معارضة قادة القبائل في عمان(١٥). ولم تتمكن عمان لفترة طويلة من استعادة مجدها السابق كقوة سياسية. إلا أنّ ريسو (Risso) كان على حق عندما أشار إلى التوسع الاقتصادي الكبير فيها. فقد كانت عمان في الواقع الدولة الوحيدة التي استفادت من انحدار تجارة بندر عباس والأوروبيين في الخليج. فقد حصل العمانيون على نصيب كبير في مجال توريد البن والسكر إلى الخليج رغم أننا نميل إلى الاعتقاد بأن نشاط النقل العماني هذا قد جاء تالياً للنقل السوراتي بين مخا والهند والخليج(١٦).

وبالإضافة إلى اختفاء الفرس كلياً في الخليج كانت سيطرة قادة القبائل العرب

* ARA, Aanw le AFd 1889, 23b, Fol. 13-13v.

تشمل كل مكان بما فيه الجانب الفارسي من الخليج. ويشير تقرير هولندي صدر عام ١٧٤٩ إلى أن «كلّ شيخ عربي قد أصبح سيّداً مستقلاً»(١٧). وكان في المنطقة عدّة أشخاص من ذوي القوة والنفوذ. ونظراً لعدم وجود سلطة مركزية ثانية في بلاد فارس، فإن المتنافسين المحليين على القوة في المنطقة الساحلية لشرق فارستان كانوا يتحاربون للسيطرة على بندر عباس وجزيرة الجسم وجزيرة هرمز وما تبقى من قوة شاه البحرية. وقد تحالفت كلّ من هذه القوى المحلية مع أحد المتنافسين على العرش الفارسي بما يتلاءم مع مصالحهم الخاصة. وكان وكيل البحرية ملا علي شاه وقبيلة من معين التي كانت تسيطر على جزء من جزيرة الجسم، من أهم المتنافسين على منطقة بندر عباس.

وقد تصدّرت في البداية قبيلة بني معين لمساعدة حكومة عادل شاه لها. وفي سبتمبر من عام ١٧٤٧ قام بنو معين بقيادة الشيخ عبدل الشيخ وهو ضابط بحري سابق وكان أحد قادة التمرّد العسكري الكبير الرئيسيين في القوة البحرية الفارسية، وآل علي في بندر شارك، بانتفاضة على القاعدة البحرية في لفت الواقعة على جزيرة الجسم. وقد انضمت إحدى سفن الأسطول الفارسي بقيادة شقيق الشيخ عبدل الشيخ إلى الثوار(١٨).

وفي شتاء عام ١٧٤٧ حاول عادل شاه تثبيت سلطته في منطقة بندر عباس. وعيّن ميرزا أبو طالب حاكماً على المدينة. وكانت إدارته معادية لملا علي شاه. حاول ميرزا أبو طالب أن يسجن ملا علي شاه. إلا أن الهولنديين كانوا قد حذّروا ملا علي شاه من ذلك، فظل في سفنه ولهذا لم يتمكن رجاله من القبض عليه. وكان ميرزا أبو طالب يساند علناً الشيخ عبدل الشيخ الذي تمكّن أخيراً في مايو عام ١٧٤٨، وبمساعدة آل علي، من طرد ملا علي شاه من بندر عباس. أما حاكم شيراز عادل شاه فقد كان يُخطّط لاستئناف الحرب في عمان، كما كان يأمل في مهاجمة الجزء الشرقي من بلاد فارس(١٩). ولكن خططه تلك لم تنفّذ مطلقاً بسبب الانقلاب في حكومة بلاد فارس المركزية. وقد هُزم عادل شاه في المعركة على يد أخيه إبراهيم وأُعدم وقد اعترض سلطة إبراهيم شاه بعض المقاومة عندما استولى شاروخ حفيد

نادر شاه على العرش وحظي بمساندة كبيرة.

وكان إبراهيم شاه قد تمكّن من توسيع نفوذه نحو لارستان لفترة قصيرة. إلا أنه لم ينعم بالسيادة دون نزاع لمساندة الكثير من الأعيان لشاروخ(٢٠). وفي صيف عام ١٧٤٩ انشق عدد كبير من جيش إبراهيم وألحق شاروخ الهزيمة بابن أخيه ومنافسه. وكانت قد انعقدت الآمال حول شاروخ لتحقيق الاستقرار. ولكن في السنة نفسها خيّمت الظلال في الشمال حيث برز في الأفق جيش كبير من الأفغان تحت قيادة محمد قادماً من هناك. ومن أفراد ذلك الجيش تقي خان الذي كان قد عُيّن حاكماً على كابول بعد مصالحته مع نادر شاه. وهذا آخر ذكر له وهو الذي كان قد لعب دوراً مهماً في أحداث الخليج ولمدّة طويلة. وقد احتلّ هذا الجيش هيرات ولكنه لم يزحف نحو الجنوب(٢١).

وفي البداية كان يبدو أن الاضطرابات في الشمال لن تمنع شاروخ من تثبيت سلطته في إقليم جرمسيرات بالخليج. وكان يعتمد على خصوم عادل شاه. أما ملا علي شاه فقد استعاد سلطته تماماً في بندر عباس. وقد أبلغ شاروخ الإنكليز والهولنديين بأن ملا علي شاه هو ممثله في بندر عباس. وطلب منهم أن يقدّموا لهذا الأميرال كل ما يطلب من مساعدة. وفي تقرير هولندي يظهر الشك في مدى سلطة شاروخ. وقد افتقر صالح خان، حاكم شيراز نيابة عن شاروخ، إلى القوة الحقيقية هناك. فقد عيّن صالح شخصاً يدعى ناصر كسلطان على بندر عباس ولكن السلطات المحلية لم تعترف به(٢٢).

وما لبث شاروخ أن اختفى عن مسرح الأحداث. ففي عام ١٧٥٠ فُقئ بصره وخُلع عن العرش. وقد وضع مكانه الشاه إسماعيل الصفوي الذي كان يطالب بالعرش، ولكنه كان في الحقيقة دمية في أيدي اثنين من القادة العسكريين الأقوياء وهما علي مردم خان، قائد بختياري الذي كان قد عيّن ضابطاً للامبراطورية (وكيل الدولة)، وكريم خان زند الذي سيصبح بعد ذلك رئيس الأركان في الجيش(٢٣). وفي عام ١٧٥٠ توسّع الحكّام الجدد بنفوذهم نحو الجنوب. وكان أن سلّم صالح خان شيراز إلى البختياريين. كما انضّم ناصر الذي كان قد تحوّل إلى منصب حاكم

لارستان بعد فشل مهمته في بندر عباس أيضاً إلى البختياريين. وانضمّ معه كذلك قائد عربي من لارستان يدعى الشيخ محمد سياد(٢٤).

وبدا الوضع الجديد خطراً. فقد عاملت قوّات علي مردم خان من تبقى من الأوروبيين في أصفهان معاملة سيئة، وخشي الأوروبيون في بندر عباس من أن تكون معاملتهم أيضاً سيئة في حال وصول البختياريين(٢٥). وفي أغسطس من عام ١٧٥٠ واجه الإنكليز والهولنديون مضايقات من رجال ملا علي شاه. وفي غضون ذلك انتشرت شائعات من أن عبدل الشيخ، شيخ بني معين، كان يتآمر مع إمام عمان. وكان الأوروبيون يُخطِّطون لمساعدة ملا علي شاه ضد بني معين وعمان لفترة قصيرة. وقد أعاد الهولنديون والإنكليز النظر في خطة لإخلاء وكالاتهما. وفي نوفمبر من عام ١٧٥٠ انتشرت شائعات عن قدوم علي مردم خان. وكانت قد وصلت السمعة السيئة لوكيل الدولة البختياري إلى الجنوب إلى درجة أن نسي الجميع المنازعات القديمة في بندر عباس. وخطّط كلٌّ من الهولنديين والإنكليز وملا علي شاه وعبدل الشيخ للتراجع نحو جزيرة الجسم(٢٦).

إلاّ أن روح التعاون بين الفرق المختلفة في بندر عباس لم تدم طويلاً. ففي ديسمبر من عام ١٧٥٠ وصل عبد الله خان إلى بندر عباس كوكيل عن شاه إسماعيل. وقد حاول قادة ميناب والبلوش أن يتحالف ملا علي شاه مع الشاه إسماعيل وقائدي الحرب التابعين له. وقد انتشرت بعض الشائعات التي تفيد بأنه من الممكن نجاح تلك الخطة وأن تصبح بذلك بندر عباس تحت سيطرة البختياريين. وكان هذا أسوأ ما يمكن من التوقعات بالنسبة للهولنديين والإنكليز(٢٧).

وفي أوائل عام ١٧٥١، أعطى وصول سفينة هولندية إلى بندر عباس الفرصة للهولنديين لإخلاء وكالتهم. وقد حمل الإنكليز معظم ممتلكاتهم القيّمة في تلك السفينة. وظلّ الإنكليز في بندر عباس لفترة قصيرة فقط. أما الهولنديون فقد ركّزوا نشاطهم في وكالتهم بالبصرة، إلاّ أن حكومة بتافيا العليا لم تستعد بعد لأن تتخلّى عن وكالتها في بندر عباس. ولم يوافق الحاكم العام على القرار الذي اتخذه المقيم في بندر عباس بالإخلاء، وأرسل بعد ذلك بقليل مقيم جديد لإعادة فتح المؤسسة

الهولندية في المبنى القديم والكبير ولكن على أسس أضعف(٢٨).

كذلك اقترح الإنكليز في بندر عباس على رؤسائهم بوجوب احتلال البحرين للحصول على مكان آخر في الخليج بعيد عن وصول المتنافسين في بلاد فارس(٢٩). وكانت طرق التفكير في بومباي شبيهة بتلك في بتافيا ولم يسمح بالتالي للمغامرين بأي عمل.

ولقد كان الذعر الذي أصاب الأوروبيين في بندر عباس سابقاً لأوانه. ففي أوائل عام ١٧٥١، بدأت المعارضة ضد البختياريين ومسانديهم تنمو وتتزايد. وقد تحوّل كريم خان ضدّ علي مردم خان وشاه إسماعيل. وانضمّ ناصر خان إلى هذه الحركة وظلّ يسيطر على لارستان. أما كريم خان الذي كان القائد العسكري للحركة البختيارية سابقاً، فقد ألحق الهزيمة بعلي مردم خان ودخل أصفهان(٣٠).

وسرعان ما نسي ملا علي شاه الخطط الرامية للاستسلام إلى البختياريين. أما شاروخ فلم يلعب دوراً آخر في الأحداث بعد أن فقد بصره كما فقد سلطته(٣١). وكان في بندر عباس نفسها ممثلون عن حكومة أصفهان ولكنهم كانوا ضعافاً. وبالتالي لم يكن لديهم المقدرة ليحلوا محلّ الممثلين المرسلين سابقاً من قبل المطالبين بالعرش. كانت السلطة في بندر عباس تعتمد على التحالفات مع أشخاص من ذوي النفوذ في الأقاليم مثل قادة القبائل العرب أو ملا علي شاه. ولقد ورد في التقارير الهولندية والإنكليزية الكثير من التذمّرات والشكاوى ضد ملا علي شاه الذي كان يطلب دائماً البضائع والمعدّات لسفنه ولكنه لم يدفع ثمنها أبداً. ومهما يكن فإن حكومة ملا علي شاه في بندر عباس لم تكن سيئة إلى تلك الدرجة وبصورة عامة فإنّ موقف الهولنديين منه لم يكن سلبياً تماماً فلم يكن خائناً أو على الأحرى لم يكن له المقدرة في التصرف كخائن وذلك لأن الشيوخ العرب في المنطقة كانوا أقوياء إلى درجة تحول دون ذلك وكان عليه الحرص. أما الإنكليز فكانوا ضدّه تماماً كما كانوا يميلون للتعاون مع أي شخص من خصومه(٣٢).

ملا علي شاه والهولة:

كان يسيطر على فارستان منذ عام ١٧٥١، شخصان هما كريم خان في شيراز وناصر خان في لار. وكان الوضع في بندر عباس قلقاً لوجود بعض المنازعات. فقد كان ناصر شاه يحاول تثبيت نفوذه في المدينة. بينما حاول ملا علي شاه تحقيق استقلاله. وكان بنو معين موالين أساسيين لناصر خان في المنطقة. وكان ملا علي شاه قد أعلن بأنه يساند كريم خان ولكن كانت الاتصالات بين بندر عباس وشيراز صعبة جداً، طالما كان ناصر خان يحكم لار.

وقد يبدو من المبالغ فيه أن يعطي اهتماماً زائداً لسلوك ملا علي حول النزاع على السلطة الإقليمية في ذلك الوقت فهو القائد البحري الفارسي الذي يكاد يلفه النسيان. ولكن هذه المظاهر خاطئة، حيث أن ملا علي شاه قد لعب دوراً أساسياً في الواقع في المنازعات القبلية التي حدثت وقتذاك. تلك الأحداث التي حددت خريطة الخليج السياسية في أيامنا هذه.

إنّ أضعف نقطة في مكانة ملاّ علي شاه هي قلّة سلطته على البرّ حيث كانت كلّ قوّة بريّة تشكّل خطراً على ذخائره. ولكن لا ننسى أنه كان قائداً لأقوى قوة بحرية في الخليج. ولعلّ هذه القوة هي التي جعلت منه الحليف المفضّل لدى أيّ شيخ عربي في المنطقة يرغب في خوض الحرب مع جيرانه من ناحية، ومن ناحية أخرى جعله هذا هدفاً لهجوم المغامرين الراغبين في الاستيلاء على الأسطول الفارسي. ولقد سارت الأمور المتعلقة بملا علي شاه في البداية بشكل حسن نسبياً إذ تحوّل آل علي في شارك بولائهم إليه وأصبحوا حلفاء ملاّ علي شاه(٣٣). بالطبع كانت موالاة ملا علي شاه لجهة محدّدة في الحروب القبلية تشكّل خطراً عليه ولكنه نظراً للخدمات المادية المقدمة له فقد رضي بمساعدة كلّ من يطلب منه ذلك من حين لآخر. وكانت قبيلة آل علي أول قبيلة عربية حاولت أن تجذب قوة نادر شاه البحرية إلى جانبها. فقد هاجموا أكبر قوة للهولة ولكن بعد ذلك بقليل استولى خصومهم على إحدى السفن الفارسية التي كانوا قد استعاروها من ملا علي شاه(٣٤). وقد منح ذلك الشيخ عبدل شيخ بني معين الفرصة لمهاجمة ملا علي شاه ولكن خطّته في الاستيلاء على

الأسطول باءت بالفشل(٣٥). ثم إن ملاّ علي شاه رأى الانشقاق في تحالف خصومه وثمة تقرير مؤرخ بالثامن عشر من مارس ١٧٥١ عن اتفاقية جرت بين ملا علي شاه والشيخ رحمة حاكم جلفار(٣٦). هذا التحالف كان غريباً من نوعه. فقد كان الشيخ حليف الهولة ضد علي بن خلفان شيخ آل علي في شارك، وقد صرّح بأنه سوف يستمرّ بالمشاركة في الحرب ضد شارك. من ناحية أخرى وعد الشيخ رحمة ملا علي شاه بمساعدته ضد أعدائه. ويبدو أن الشيخ رحمة كان يرغب في حدوث تغييرات في شارك ولكنه أراد أن يبقى ملا علي شاه في السلطة ببندر عباس(٣٧).

لم يكن لهذا الحلف في البداية نتائج عملية. فقد تحاربت مجموعة من القبائل العربية المتحالفة ضدّ ملا علي شاه، وكان عرب الهولة من طاهري تحت قيادة شيخهم حاتم قد هاجموا آل علي وغرضهم التحوّل نهائياً ضدّ ملا علي شاه والاستيلاء على القوة البحرية الفارسية(٣٨). وقد أدى هذا الوضع إلى إحداث مخاوف كثيرة لدى الأوروبيين الذين تنبأوا بحدوث ثورة شاملة إذا ما عمدت القبائل إلى خلع آخر مندوب عن الحكومة النظامية في المنطقة وبالتالي السيطرة على ما تبقّى من قوة نادر شاه البحرية.

ويبدو أن محاولة هولة طاهري للسيطرة على القوة البحرية قد فشلت. إلا أن الضغوط على ملا علي شاه قد استمرّت. ففي لار، دعا قائد قبلي عربي قوي يدعى الشيخ محمد سياد (وفي بعض المصادر محمود) جميع قبائل الهولة لمهاجمة ملا علي شاه وآل علي حلفائه في شارك. وقد طُرد وكلاء ملا علي شاه من مناجم الكبريت التي كانت قد أصبحت، بعد انحدار التجارة، المصدر الرئيسي للعائدات المباشرة لبندر عباس(٣٩). كذلك عارض الإنكليز ملا علي شاه وكانوا حلفاء الشيخ عبدل شيخ بني معين، كما كانوا في نزاع مع شارك لأن عرب شارك قد استولوا على بعض السفن البريطانية. وقد تمكّن الهولة تحت قيادة الشيخ حاتم من قبيلة النصور من الاستيلاء على شارك وأُخذ الشيخ علي بن خلفان من آل علي سجيناً إلى طاهري تاركين بعضاً من آل علي الموالين لهم في السلطة. ومنذ ذلك الحين أصبحت شارك ثانية في موقف معادٍ لملا علي شاه(٤٠). عند ذلك ضغط كلّ من الشيخ رحمة والشيخ

حاتم على ملا علي شاه لتسليمهما الأسطول(٤١). ولكن ضغوطهما تلك لم تدم فكان أول من انفصل عن التحالف الهولي ضدّ ملا علي شاه الشيخ رحمة حيث تزوّج من إحدى بنات الوكيل(٤٢). وليس من الصعب جداً أن نتصور كيف خفّ الضغط فجأة نتيجة لذلك ضد ملا علي شاه. وكانت جزيرة البحرين التي كان يسيطر عليها عناصر من الهولة لعقود من الزمن قد واجهت تهديدات عرب شمال الخليج. وقد انصرف اهتمام الهولة وقتئذ إلى وسط الخليج.

استيلاء الشيخ ناصر حاكم بوشهر على البحرين:

تُعتبر جزيرة البحرين أغلى ممتلكات بلاد فارس في الخليج وكان لطيف شاه قد استعادها لصالح نادر شاه عام ١٧٣٦، إلاّ أن فترة الحكم الفارسي على البحرين لم تدم طويلاً. فعند وفاة نادر شاه تمكّنت قبيلة الحرم، التي تسكن منطقة النابند وهي إحدى مجموعة قبائل الهولة، التي كانت أيضاً تطالب بالجزيرة، من بسط سلطتها التامة عليها. ومهما يكن فلم تخل سلطة قبائل جنوب الخليج على منطقة البحرين من المنازعات(٤٣).

كان الشيخ ناصر حاكم بوشهر يهتم بالحصول على تلك الجزيرة الغنية. وكان أحد أعداء قبائل الهولة في منطقة جنوب الخليج. وكان من أكثر المخلصين لبلاد فارس تحت حكم نادر شاه. ولذلك عومل معاملة سيئة جداً عندما سيطرت قبائل الهولة على الأسطول الفارسي عام ١٧٤٠. وكان المطاريش، عائلته، من أصل عماني وكان سنيّ المذهب ولكن عائلته تحوّلت بعقيدتها إلى المذهب الشيعي لتنال رضا الحكام الفرس. وقلّما ساعدهم ذلك في المحافظة على صداقتهم مع العرب السنيين في منطقة جنوب الخليج(٤٤).

لقد استغرق الشيخ ناصر وقتاً طويلاً في غزو البحرين. فقد نظّم بعثة (عام ١٧٥٠ على الأرجح) بالتعاون مع مير نصر وهو حاكم بندر ريج الزعابي والذي تنحدر عائلته أصلاً من عمان. ولكن تحولت عائلته إلى المذهب الشيعي مثل أجداد عائلة الشيخ ناصر. وقد هاجما البحرين معاً. وقد نجحت تلك الحملة. إلاّ أن مير نصر تمكّن

من خداع حليفه في مسألة النصيب المتفق عليه. ولم ينجح مير نصر تماماً في الحفاظ على ممتلكاته الجديدة. إذ هاجم جاره قايد هشير حاكم جنافه، مقرّه الأساسي بندر ريج وكان قايد هشير هذا جاره من جهة الغرب. وعندما كان نصر منهمكاً في الدفاع عن ذلك المكان، تمكنت قبيلة الحرم من استعادة البحرين.

وفيما كان الشيخ ناصر ما يزال يبحث عن فرصة لغزو البحرين، عقد حلفاً مع عتوب الكويت. وكانت هذه القبيلة، قد برزت حديثاً في أحداث الخليج البحرية، إذ تملك عدداً من السفن الصغيرة كما كان لديها عدد كبير من القوة البشرية. إلاّ أن سفنها تلك لم تكن مجهزة بصورة حسنة للحرب. ولكن كانت وعود الشيخ ناصر لهم بتأمين حرية الصيد في مغاصات اللولؤ في البحرين مغرية. وكانوا أعداء قدماء لمجموعات الهولة من جهة، ومن جهة أخرى لأن الهولة بمعداتهم البحرية المتفوّقة تمكّنوا من إعاقة توسّع العتوب في تجارتهم. وكان الشيخ ناصر أفضل تجهيزاً من حيث المعدّات من العتوب حيث كان لديه بقايا من الفرقة الغربية من أسطول نادر شاه(٤٥).

لقد انتهى حصار الشيخ ناصر للبحرين بالفشل عندما طلبت قبيلة الحرم المساعدة من مجموعات أخرى من الهولة. وقد تكبّد الشيخ ناصر خسائر فادحة. كان التهديد الذي فرضه الشيخ ناصر على البحرين سبباً للمصالحة المفاجئة بين الهولة وبين ملا علي شاه الذي ذُكر سابقاً. وقد سمح ملا علي شاه للهولة باستخدام بعض سفنه للقيام بحملة تأديبية ضد بوشهر. إلا أن القوات العربية المشتركة لم تتمكّن من الاستيلاء على المدينة(٤٦).

ولقد وجد ملا علي شاه نفسه بعد تحالفه مع الهولة في مأزق جديد. فقد عارض ناصر خان في لار وحليفه السابق الشيخ علي بن خلفان وهو حاكم شارك المخلوع الذي كان يمارس بعض أنواع القرصنة بسفنه(٤٧). وفي يناير من عام ١٧٥٢ برز ناصر خان على رأس جيش في بندر عباس وأخذ ملا علي شاه سجيناً. ولكي يتمكّن من فرض ضغوط دائمة على السلطات المحلية، عمد ناصر خان إلى حجز رهائن من المتعلقين بالأمر وهم شقيق علي بن خلفان وأولاد ملا علي شاه(٤٨). ونتيجة لذلك

تلقى ناصر خان مبلغاً كبيراً من المال كهدية من الشيخ عبدل، شيخ بني معين، وهو ألدّ أعداء ملا علي شاه(٤٩). وعندما رأى ناصر خان أن لديه ما يكفي من الرهائن للسيطرة على بندر عباس، شعر أنه أصبح آمناً أن يعيد تنصيب ملا علي شاه في السلطة ملزماً إياه بدفع مبلغ كبير من المال نظير هذا الجميل(٥٠). وقد فشلت محاولة ناصر خان لإعادة توحيد آل علي. وأخيراً قُتل علي خلفان على يد أقربائه الذين كانوا في السلطة في شارك(٥١). ورغم سيطرة ملا علي شاه إلاّ أنه أظهر نفسه من أكثر وكلاء ناصر خان الذين يعتمد عليهم. فما أن غادر ناصر خان حتى ذهب ملا علي شاه في سياسته، حتى أنه في نوفمبر عام ١٧٥٣ احتلّ حصن هرمز(٥٢).

وفي ظل جميع هذه المشاكل في جنوب الخليج أبدى بعض الأشخاص من ذوي النفوذ في شمال الخليج رغبتهم في توسيع نفوذهم، فقد أدرك الشيخ ناصر حاكم بوشهر أن الفرصة مناسبة لمحاولة جديدة ضد البحرين. وقد ضعف تحالف الهولة لأنه كان من الممكن إقناع فرع النصور من الهولة الذي كان يمتاز بالقوّة، وهو الذي قد ساند الحرم حتى ذلك الوقت، بالانفصال عن هذا التحالف. ويبدو أن هناك عدّة عوامل ساهمت في هذا الارتداد على الرغم من أن الشيخ ناصر كان قد نفّذ في عام ١٧٥٤ هجوماً مدمّراً على طاهري وهي مدينة النصور(٥٣). وعلى الأغلب لم يكن شيخ النصور ليرفض التغيير في تحالفه وذلك لأن النصور أنفسهم كان لديهم مطالبهم الخاصة في الجزيرة قبل عام ١٧٣٦. وقد تعلّق الموضوع أيضاً بمبلغ كبير من المال. فقد كان على الشيخ ناصر أن يدفع كثيراً للتحالف من طاهري كما كان عليه أن يدفع في المستقبل دفعة سنوية كبيرة من عائدات رسوم البحرين، وبمساعدة من العتوب ومن الشيخ حاتم، تمكّن الشيخ ناصر أخيراً من الحصول على الجزيرة ولكن كان عليه أن يؤمّن للعتوب حريّة الدخول إلى مغاصات اللؤلؤ وأن يلتزم بدفعات سنوية كبيرة إلى الشيخ حاتم(٥٤).

كان الافتقار إلى الوحدة بين أطراف الهوالة السبب في فقدان البحرين. وقد أدى ذلك إلى تقليص الإقليم الذي تسيطر عليه مجموعة قبائلها. وبقي القواسم فقط يسيطرون على امتدادات واسعة من الأرض، أما سائر القبائل فلم يكن لديهم سوى

بعض المدن الصغيرة على الساحل الجنوبي لبلاد فارس وما لبثت عدّة من هذه القبائل أن اضطرت لتعيش حياة البداوة قرب البحر.

تحالف ملا علي شاه والشيخ رحمة القاسمي:

في عام ١٧٥٤، حاول ناصر خان الاستفادة من النكسات التي عانى منها خصمه كريم خان مؤخّراً. فقد هزمت قوات كريم خان مراراً على يد أزد خان وهو قائد من أذربيجان كان قد غزا أصفهان أيضاً(٥٥). ومن حين لآخر استمرّ ناصر خان في محاولاته لتثبيت قوّته على منطقة بندر عباس إلا أن ملا علي شاه، بمساعدة الشيخ رحمة حاكم جلفار، كان قد تمكّن من فرض نفوذه. وقد عرض ملا علي شاه أن يكون حليفاً لكريم خان علناً ولكن هذا لم يكن يعني الكثير لأن إقليم ناصر خان كان يعترض أي اتصال مباشر.

وفي عام ١٧٥٤ حاول ناصر خان التحالف مع الشيخ عبدل، شيخ بني معين وشرياري رئيس ميناب ضد ملا علي شاه(٥٦). ولكن الهجوم الذي حدث في خريف عام ١٧٥٤ باء بالفشل. ولقد عانت جيوش ناصر خان من عدّة هزائم ضد قوّات الهولة، وكان أن سحب قوّاته(٥٧). وفي ديسمبر من عام ١٧٥٤ حاول ناصر خان ثانية إحكام قبضته على بندر عباس. وقد تراجع ملا علي شاه نحو هرمز وهو أقوى حصن في المنطقة لا يمكن النيل منه طالما أن لدى ملا علي شاه بعض القوّة البحرية والخطر الوحيد الذي كان يواجه ملا علي شاه أن الإنكليز أعداءه كانوا يريدون الجزيرة لأنفسهم(٥٨). ولم يتمكّن ناصر خان من تحويل قوّته ضد ملا علي شاه لأنه كان يواجه بعض المشاكل من الجانب الآخر. وبعد فترة من الزمن تمكّنت قوّات كريم خان من استعادة الصدارة على أزدخان. فما لبثت قوّاته أن استعادت أصفهان وشيراز أيضاً وهي عاصمة الإقليم المجاور لإقليم ناصر خان. وأصبح كريم خان أقوى رجل في بلاد فارس وباتت قوّات ناصر خان في مأزق(٥٩).

ـ وفيما كان ناصر خان منهمكاً في نشاطاته ضد كريم خان تحوّل حلفاؤه، بنو معين في لفت، ضد ملا علي شاه. وقد هاجم عبد الله، وهو ابن أخ الشيخ عبدل،

حصن جزيرة الجسم الذي كان محطة بحرية تحت سيطرة ملا علي شاه. وقد ردّ ملا علي شاه في الوقت المناسب كما وصل حليفه الشيخ رحمة حاكم جلفار أيضاً إلى جزيرة الجسم. وقد استولى رحمة على مركب كبير لبني معين. أما ملا علي شاه فقد شنّ هجوماً على لفت معقل عبدل الشيخ بالتعاون مع رحمة في مايو عام ١٧٥٥ ردّاً على هجوم بني معين على جزيرة الجسم. وقد جاء الهجوم في الوقت المناسب. فقد كان ناصر خان منهمكاً في الدفاع ضدّ قوات كريم خان. ولم يتمّ غزو المكان إلا بعد وفاة الشيخ عبدل لكبر سنه. وقد ترك بنو معين المدينة واستقرّوا في مكان آخر في جزيرة الجسم(٦٠).

وفي ذلك الوقت أصبح الوضع داخل بلاد فارس أقلّ تعقيداً. فقد ألحق كريم خان الهزيمة بمعظم منافسيه. وكان أكثرهم خطراً حسين خان قاجار الذي كانت قاعدته في منطقة تبريز في أقصى الشمال. وقد ساند كل من ناصر خان في لار والشيخ ناصر في بوشهر الزعيم القاجاري. ولكن كريم خان كان الأقوى وهزم شيوخ منطقة شمال الخليج الذين ساندوا حسين خان. وقد واصل كريم خان سيره نحو الجنوب وذلك بإقامة علاقات مع ملا علي شاه الذي يعارض ناصر خان من العرب(٦١). وعلى الجبهة الشرقية لم يكن لدى كريم خان القوة الكافية لمهاجمة ناصر خان فتخلّى عن فكرة مهاجمته. ثم إنّ ناصر خان حاول دون نتيجة تُذكر قهر حلفاء كريم خان العرب في منطقة هرمز وكذلك ملا علي شاه. وعلى الرغم من أن ناصر خان قد اعترف بملا علي شاه حاكماً على بندر عباس عام ١٧٥٢، إلاّ أنه لم يتوقّف عن معارضة ناصر خان ويبدو أنه لم يدفع الضرائب مطلقاً لسيّده(٦٢).

في غضون ذلك كان الشيخ رحمة ينوي تسوية حساباته القديمة. ففي خريف عام ١٧٥٦ توجّه على متن الباخرة «فتح رباني» (وهي إحدى البواخر الكبيرة التي اشتراها الفرس من الإنكليز لضمها إلى الأسطول الفارسي) يصحبه عدد من المراكب الأصغر حجماً لشنّ هجوم على الشيخ حاتم حاكم طاهري، انتقاماً على الأرجح لاشتراك حاتم في قتل أحد حاكمي الحرم. ولكن بعد فترة من الزمن يبدو أن رحمة وحاتم قد توصّلا إلى تسوية رغم حدوث منازعات جديدة بعد ذلك(٦٣).

وفي السنة نفسها، ١٧٥٦، تورّط الإنكليز تقريباً في صراع مع أحد أهم فروع مجموعة الهوالة عندما استولى سكان كنغون تحت قيادة الشيخ حجر على حمولة سفينة إنكليزية جنحت في منطقتهم. وعلى الرغم من أن الشيخ حجر في كنغون، وشعبه، قد حظوا بسمعة حسنة لدى الهولنديين كتجّار وبحّارة هادئين، إلاّ أن الإنكليز عزموا على مهاجمتهم. ولكن قبطان السفينة الذي أُرسل لهذه المهمة فكّر في الأمر ملياً من ناحية عملية ولأسباب استراتيجية، ولأنه اعتقد أن تصرّف الشيخ لم يكن سيّئاً إلى درجة تستدعي مهاجمته(٦٤). ولا بدّ من الإشارة هنا إلى أن مذكّرة جمبرون الإنكليزية في ذلك الوقت تظهر مدى ضعف الإنكليز عند تفجّر حرب سبع السنوات. فقد تردّدوا في تثبيت أنفسهم في بندر ريج خشية معارضة الهولنديين لهم بغض النظر عن حقيقة عدم سماح رؤساء الهولنديين لمندوبيهم في الخليج القيام بأي عمل ضدّ منافسيهم من الأوروبيين(٦٥).

ولقد تدهور الوضع أكثر بالنسبة للإنكليز عندما بدأ ملا علي شاه بالإساءة إليهم بعد ما أدرك مدى ضعفهم. وقد رأى وكيل القوة البحرية السابق أنه ليس هناك ما يدعو للخشية من الإنكليز حيث أنه والد زوجة رحمة بن مطر وهو الذي يملك هرمز، ويبدو أنه قد عزم على انتزاع أي مبلغ من المال منهم لإرضاء ناصر خان. وقد اعتقد ملا علي شاه بأن ناصر خان سوف يسمح له بالبقاء إذا دفع المال. لهذا عمد إلى إلقاء القبض على أحد سماسرة الإنكليز ونقله إلى هرمز تحذيراً لهم(٦٦). ولم يتعرّض الهولنديون إلى مثل هذه الأعمال العنيفة. ومن الممكن أن يكون قد شاعت آراء مبالغ بها عن مدى قوّتهم في الخليج. صحيح أن الهولنديين كانوا أقوياء فقد كانوا في الحرب الأوروبية آنذاك على الحياد، ولذلك كانوا مطلقي الحرية ولم يخشوا من التعرّض لهجمات غيرهم من الأوروبيين. ولا بدّ أن يكون قد اتّضح أمام جميع المسؤولين الهولنديين بعدم إمكانية مساندة هولندا أو بتافيا لأية خطة توسّعية.

ومن الممكن أن يكون ملا علي شاه قد اتخذ موقفاً متعالياً تجاه الإنكليز ولكنه كان بدوره يعاني من الضغوط المتزايدة عليه من قِبَل ناصر خان الذي كان لا يقبل أقلّ من أن ينال الضرائب الموعود بها. ولكن لم تظهر أية بادرة لتحرّكات. فما كان

من ناصر خان إلاّ أن تقدّم بنفسه وتمكّن ملا حسن أحد قادة ناصر خان، من الاستيلاء على أسين وهو مكان داخلي ينتمي إلى بندر عباس. وقد غزت قوّاته المنطقة الواقعة تحت سلطة ملا علي شاه. ويبدو أن ملا علي شاه كان في البداية مستعداً للخضوع إلى سلطة ناصر خان إلاّ أن وصول رحمة بن مطر في خريف عام ١٧٥٧ قد غيّر الموقف(٦٧).

وقد اعتمد ملا علي شاه بشدّة على رحمة بن مطر ولكن رحمة لم يكن يرغب في أن يتصادم مع الإنكليز. وفي خريف عام ١٧٥٧ قام شيخ القواسم بزيارة الوكيل الإنكليزي وأبلغه بأن مشاكل ملا علي شاه سوف تنتهي. وأن الحاكم سوف يدفع المبالغ التي كان يطالبه بها ناصر خان من مصادر أخرى(٦٨). ثم أن رحمة توجّه بعد ذلك في حملة ضدّ منطقة ميناب لكي يحضر المال لملاّ علي شاه من سكان تلك المنطقة القليلي الحظ، وتسديد دين ناصر خان. إلا أن الرؤساء المحليين عارضوا رحمة بالقوّة وأجبروه على الانسحاب(٦٩).

في غضون ذلك تزايدت ضغوط ناصر خان على ملا علي شاه. وعندما تقدّمت قوّات ناصر تراجع ملا علي شاه والشيخ رحمة نحو هرمز. ولكن يبدو في نفس الوقت أن ملا علي شاه قد توصّل إلى نوع من التسوية مع ناصر خان وذلك لأن الخان أخيراً أطلق سراح أولاد ملا علي شاه الذين كانوا رهينة لديه منذ أحداث عام ١٧٥٢(٧٠). وسارت الأمور حسناً بالنسبة لناصر خان. هذا بينما يعاني كريم خان ضغوطاً قوية من الزعيم القاجاري المطالب بالعرش الفارسي، وكان قد تحالف مع ناصر خان في الوقت الذي كان يحاصر فيه قوّات كريم خان في شيراز(٧١).

أما ناصر خان فقد باشر بإلزام رؤساء ميناب بأن يدفعوا له. وقد تمكّنت إدارة ميناب دون صعوبة من الاتفاق مع ناصر خان على مبلغ مخفّض وذلك لأنه كان على عجلة في قمع هجوم تشنّه قوات كريم خان على لار. وكان أهالي ميناب قد انقلبوا ضد ناصر خان بعد انسحابه مباشرة. وقد قيل أن ملا علي شاه قد حرّض شيخي جلفار ولنجة على مساعدة أهالي ميناب ضد ناصر خان(٧٢).

وفي عام ١٧٥٨ ألحق كريم خان هزيمة ساحقة بالقوّات القاجارية مما أدى إلى

تغيير في الحالة العامة في بلاد فارس. وكان يعني هذا تعرّض أصدقاء القاجاريين للمشاكل. ولعلّ عدوان ملا علي شاه ضد ناصر خان في بداية صيف عام ١٧٥٨ لم يكن مفاجأة. فقد تمكّن من طرد قوّات ناصر خان من الأماكن التي كانت قد أخذتها منه قبل سنتين. ويبدو أنه كان يعدّ وقتذاك ما تبقى من السفن الكبيرة التابعة لأسطوله لمساعدة رحمة زوج ابنته، ضد إمام عمان، الذي كان قد استأجر سفينة إنكليزية خاصة وتوجّه بقوته البحرية المعززة ضد دبا(٧٣). وقد واجه الشيخ رحمة المزيد من المشاكل عندما استولت سفن مير مهنا رئيس الزعاب في ريج الذي كان قد طُرد من بلاده، على مراكب تجارية تخصّ جلفار مدينة الشيخ رحمة، في النهر بالقرب من البصرة(٧٤).

كذلك تعرّض ملا علي شاه للمشاكل. كان أحد قادة ناصر خان، ويُدعى ملا حسن، قد وصل إلى بندر عباس في شهر يوليو. وفي الرواية الإنكليزية للأحداث أن ملا علي شاه قد أخذ من الهولنديين هديّة كبيرة لإرضاء ملا حسن. إلا أن هذه القصة لم ترد في الروايات الهولندية وبالتالي فهي بعيدة جداً عن الاحتمال. وفي الحقيقة كان الهولنديون يخلون مقرّهم في بندر عباس حيث غادروه تماماً عام ١٧٥٩(٧٥). وما لبث أن تراجع ملا حسن، وقد يكون لموقف المصالحة هذا من قبل ناصر خان تجاه ملا علي شاه، علاقة بتقدّم جيش كريم خان. وسرعان ما اقتربت قوّات محمد والي خان وهو من قادة كريم خان إلى بندر عباس وغزت الريف. وقد انتاب الإنكليز إثر ذلك الخوف لأنهم كانوا يساندون دائماً ناصر خان. وقد يتمكّن عدوّهم ملا علي خان الذي كان على علاقة حسنة دائمة مع كريم خان، من الانتقام منهم إذا ما ألحق كريم خان الهزيمة بناصر خان. وبتراجع قوات كريم خان تخلّص الإنكليز من المشاكل المتوقعة والوشيكة الحدوث(٧٦).

في عام ١٧٥٩، وقعت حادثة مؤلمة جداً وهي ضرب مقرّ الإنكليز في بندر عباس ففي الثاني عشر من أكتوبر من تلك السنة وصلت إلى المرسى بعض السفن الكبيرة ترفع الأعلام الهولندية. ولم يشكّ الإنكليز بأي خطر يداهمهم، فهم يعلمون حق العلم، أنه من عادة الهولنديين أن يسيروا مجهّزين بالأسلحة تماماً. وقد تكتّم

الهولنديون بشدة إذ أنهم اتّخذوا القرار النهائي في إخلاء بندر عباس. وقد أسعدهم قرارهم هذا. في الحقيقة أن تلك القوّة البحرية لم تكن هولندية بل كانت سفن قرصنة فرنسية تحمل الأعلام الهولندية. وكان يرأس تلك القوة ديستانغ (D`Estaing). وقد أبحرت من جزيرة موريشيوس الفرنسية واستولت على سفينة عمانية وهي في طريقها إلى مسقط وعلى سفينة إنكليزية في ميناء مسقط نفسه. وانضمّت السفينة الإنكليزية إلى القوة الفرنسية الأصلية التي تحتوي على سفينتين.

وكان أن شنّ الفرنسيون هجوماً على وكالة بندر عباس واستولوا على كل ما فيها إضافة إلى المركب الإنكليزي الوحيد الموجود في الميناء. وقد استغلّ ملاّ علي شاه الفرصة بأن سلب الممتلكات الإنكليزية(٧٧).

إنّ نموّ قوّة كريم خان لم تساعد ملا علي شاه في شيء. فقد أصبح من الصعب أن تظلّ الفرقة الشرقية التابعة للقوة البحرية الفارسية مزوّدة بالبحّارة وجاهزة في البحر. وقد حاول ملا علي شاه بأن يقضي على الضعف البطيء الذي تعاني منه قوّته الأساسية محاولاً إقامة تحالف آخر هذه المرّة مع ملا حسن، وهو أحد قادة ناصر خان الذي يبدو أنه قد انفصل عن سيّده السابق. وقد زوّجه ملا علي شاه من إحدى بناته مما سبّب نزاعاً مع الشيخ رحمة القاسمي. وهذا سوف يكون له أسوأ النتائج على والد زوجته. وهكذا تهيأ المسرح لحرب فاصلة من أجل النزاع على السلطة في منطقة بندر عباس(٧٨).

الأحداث في منطقة شمال الخليج:

في أيام نادر شاه بدأ محور الاقتصاد في الخليج يتحوّل من منطقة جنوب الخليج إلى شماله. ولكن لم يتمكّن نادر شاه من تدمير تجارة البصرة مطلقاً ولكنه ولا شك قد ساهم في نموّ منطقة شمال الخليج اقتصادياً بطريقته الخاصة وذلك بجذب التجّار الأوروبيين نحو بوشهر. كما ألحق من ناحية أخرى الدّمار باقتصاديات فارستان نتيجة حربه المأساوية في عمان. ولم يتمكن نادر شاه كذلك من إخضاع منطقة شمال الخليج. فقبل موته بقليل انضمّ العرب المحليون إلى انتفاضة قامت بها قبائل

داشستان. وقد سيطر الثوّار على الفرقة الغربية من القوة البحرية وأصبح الشيخ ناصر بن مذكور حاكم بوشهر ذا سلطة، وتمكّن بهذا من طرد الهولة من البحرين. ولكن لم يتمكن الشيخ ناصر من نيل استقلاله. فقد كان كغيره من معظم قادة ساحل داشستان يساند محمد حسين خان قاجار، المطالب بالعرش في تبريز. وفي عام ١٧٥٦ ألحق بهما كريم خان الهزيمة وأصبح الشيخ ناصر، كعدد من رؤساء القبائل العربية الأخرى، سجيناً لدى كريم خان. وخلال فترة أسره تولّى شقيقه سعدون أمور الحكم في بوشهر، ولكن كريم خان ظلّ مسيطراً بنفوذه على المنطقة(٧٩). وقد حاول حاكم بندر ريج كزميله في بوشهر، وهو عربي شيعي، بطريقته الخاصة أن يجذب التجارة الغربية إلى مقرّه ويجعلها منافسة لبوشهر(٨٠).

كان يسيطر على الأحداث التجارية في منطقة شمال الخليج سبعة عناصر، خمسة منها عناصر عربية وهم بنو خالد في الحسا والعتوب في الكويت، وبنو كعب في المستنقعات السبخية شرق شط العرب، والزعاب في بندر ريج والمطاريش في بوشهر. أما العنصران الآخران فهما من غير العرب ويتمثلان بالجزء الكبير من بلاد فارس تحت سيطرة كريم خان زند، والبصرة العثمانية. ولم يكن دور بني خالد في منطقة الخليج فعّالاً. ويبدو أن القطيف مدينتهم التجارية قد غنمت من القتال الدائر حول البحرين(٨١). وكان خضوع عتوب الكويت لهم تقليدياً، ولكن بني خالد فقدوا في تلك الفترة نفوذهم الفعلي تماماً على شيوخ العتوب(٨٢).

ومنذ ذلك الوقت أصبح العتوب عنصراً هاماً في الخليج حيث أن مدينتهم الكويت، وكان يطلق عليها غالباً اسم «القرين»، أصبحت المحطة البديلة، إلى جانب البصرة، للقوافل القادمة من ساحل البحر الأبيض المتوسط(٨٣). ويعتبر تقرير كنيبهاوزن لعام ١٧٥٦ أكثر المصادر تفصيلاً لتاريخ الكويت القديم إذ يقول:

« ... تقع جزيرة فيلكا عند مخرج نهر الفرات قرب الساحل العربي. وتقع القرين في المقابل من جهة البرّ. وتسكن فيهما قبيلة عربية تُدعى العتوب يعتمد أفرادها على شيخ الصحراء حيث يدفعون له ضريبة صغيرة. ولديهم ثلاثمائة مركب صغير جداً، فهم يستخدمونها فقط في صيد اللؤلؤ تجارتهم الوحيدة

بالإضافة إلى صيد السمك في المواسم القاحلة. ويبلغ عددهم حوالي أربعة آلاف رجل وهم أقوياء. ولدى جميعهم تقريباً السيوف والدروع والرماح، ولكنهم لا يملكون الأسلحة النارية، فهم لا يعرفون كيف يستخدمونها. وهم على نزاع دائم تقريباً مع قبائل الهولة أعدائهم اللدودين. ولهذا فإنّ ملاحتهم لا تمتد إلى أبعد من مغاصات اللؤلؤ البحرينية بكثير من جهة ومن بوشهر على الجهة الأخرى من الخليج. ويحكمهم عدد من مختلف الشيوخ ولكنهم منسجمون نسبياً. وأهم الشيوخ مبارك بن الصباح. ولكن نظراً لفقره وحداثة سنه فقد كان الشيخ محمد بن خليفة، الذي كان غنياً ويملك عدّة مراكب، يحظى باحترام مماثل من قِبَل أبناء القبيلة ... »*.

وقد عاق افتقار العتوب للمدفعية والسفن الكبيرة آنذاك توسّعهم سياسياً واقتصادياً. إلاّ أن عدد المحاربين لديهم بالإضافة إلى عدد مراكب صيد اللؤلؤ جعل منهم قوّة كبيرة في البحر. وقد تمكّنوا من التطوّر والنموّ في منطقة شمال الخليج دون مواجهة مشاكل بسبب علاقاتهم المنطقية والمعتدلة مع العثمانيين والأوروبيين. ولكن عداوتهم مع الهولة، الذين كانوا مسلّحين تسليحاً جيداً قد حالت دون توسّعهم إلى أبعد من منطقة شمال الخليج. كان العتوب في ذلك الوقت يشكّلون على ما يبدو اتحاداً يحكمه عدّة شيوخ. وقد جاء في التقرير الهولندي لعام ١٧٥٦ أن مبارك بن صباح ومحمد بن خليفة هما أهم شيوخهم. ورغم أن مبارك كان ينتمي إلى عائلة أكثر عراقةً وأهم مكانةً من نظيره، إلا أنه كان حديث السن وفقيراً نسبياً مما جعل محمد بن خليفة الذي كان غنياً ويمتلك عدة مراكب، يحظى بسلطة موازية له.

في هذا التقرير عنصران مهمّان يتمثّل أولهما بآل خليفة الذين يتعاملون بالملاحة. ولقد ورد في مصدر إنكليزي معاصر أن ثراءهم قد جعلهم يحظون بعد عشرين سنة ولو مؤقتاً، بمنصب شيخ الكويت الرئيسي(٨٤). وقد كانت هجرة آل خليفة وأتباعهم، مع سفنهم، إلى الزبارة وإلى جزيرة البحرين الغنية، لاحقاً نتيجة منطقية لذلك. أما

* Kniphausen report ın ARA, Aanw le AFd 1889, 23b, Fol. 10-10v F, ppr. "Descro@topm" 175-176.

النقطة الثانية فهي أن كنيبهاوزن (المصدر الوحيد الذي أشار إلى وجود آل صباح) يعطي بعض المعلومات الدقيقة والصحيحة المتعلقة بعائلة آل صباح الحاكمة في الكويت. وقبل اكتشاف رواية كنيبهاوزن كانت معلوماتنا عن تاريخ الكويت القديم تعتمد على الآراء والمعتقدات المحلية وعلى الوثائق الإنكليزية اللاحقة. وحسب ما جاء في تلك الآراء والوثائق أن الكويت تأسست على يد صباح الأول ١٧٥٦ - ١٧٦٢، وقد خلفه ابنه عبد الله الذي حكم من عام ١٧٦٢ - ١٨١٢ إلاّ أن هذه الآراء خاطئة تماماً فقد مات صباح قبل عام ١٧٥٦ وخلفه مبارك(٨٥).

وينتهي تاريخ سلالة المشاشة في الحويزة بعد عام ١٧٥٠ بقليل، وقد حاول المشاشة، خلال المشكلات التي وقعت في الشهور الأخيرة من حكم نادر شاه، تحت قيادة سيّد مطلب، استعادة المنطقة التي كان الشاه قد أخذها منهم. وفي مارس من عام ١٧٤٧ تمكّنوا من استعادة الحويزة، وبعد موت نادر شاه، اعترف عادل شاه بسيد مطلب كحاكم على عربستان بأكملها. وأصبحت المشاشة تحكم منطقة أكبر من أي وقت مضى. ولكن كان يعترض سيد مطلب الكثير من الثورات التي لم يتمكّن من قمعها(٨٦). وأخيراً ارتكبت المشاشة خطأ في التحالف مع أزد خان وهو أحد المطالبين الفاشلين بالعرش الفارسي. وفي عام ١٧٥٢ انتقم منهم كريم خان، واختفى المشاشة لفترة كبيرة من مسرح الأحداث(٨٧).

وقد خلف بنو كعب المشاشة جزئياً في مكانتهم وأصبحت تلك القبيلة التي قلّما كانت تُذكر في مصادر قديمة، تتمتّع بأهمية رئيسية تحت قيادة شيخها سلمان، وذلك في السنوات التالية لموت نادر شاه. وكان بنو كعب رسمياً من الرعايا العثمانيين كما كانوا يقيمون على الأقاليم العثمانية في الجهة الشمالية لخور موسى. وبعد موت نادر شاه احتلوا امتدادات مجاورة لأقاليم فارسية كما انتزعوا من حكومة البصرة العثمانية منطقة الدواسر الواقعة على الضفة الشمالية من شط العرب. وقد تمكّن الشيخ سلمان حاكم بني كعب من تأسيس إمارة منظمة في جزء من المنطقة التي كانت تحكمها في السابق قبيلة المشاشة. وقد حاول كريم خان أن يجعل بني كعب تحت سيطرته. وقبل عام ١٧٥٦ بقليل طردهم من منطقة أسفل شط

العرب. ولم يأت هذا بنتائج ثابتة. ثمّ إنّ كريم خان أعدّ حملة ثانية ضدّهم في عام ١٧٥٧. ولكنها انتهت بالفشل(٨٨). وعندما سيطر بنو كعب على النهر بين البصرة والخليج أخذوا يطالبون السفن المارّة عبر النهر بدفع رسوم لهم(٨٩). وقد أدى ذلك إلى نشأة المنازعات بينهم وبين العثمانيين، وفيما بعد النزاع مع القوى التجارية الأخرى في الخليج. لقد جعلهم وضعهم بين الامبراطورية العثمانية وبلاد فارس، عرضة لهجمات القوى الخارجية وتدخلاتهم. ولم يتمكنوا، كالعتوب، من السير نحو الاستقلال.

وفي خلال مرحلة نمو بني كعب عانت مدينتا ريج وبوشهر العربيتان من وجود جارة قوية لهما. فقد وقف كريم خان منذ عام ١٧٥٣ لهما بالمرصاد للحؤول دون تحقيق أية خطوة نحو الاستقلال(٩٠).

الهولنديون في البصرة وخارج:

منذ وفاة نادر شاه تمكّن الهولنديون والإنكليز وحتى الفرنسيون من توسيع تجارتهم في البصرة(٩١). وقد يكون سبب ذلك ضعف اقتصاديات عمان مما قلّل من الملاحة العربية وقد ملأ الأوروبيون الفجوة. إلاّ أن توسّعهم هذا لم يحلّ المشكلات خاصة بالنسبة للهولنديين. فقد دفع موقف الشركة الهولندية الاحتكاري والبيروقراطي ممثليها لمحاولة التجارة الخاصة الممنوعة على نطاق واسع. (ففي مواقعهم المعزولة ظنّ المقيمون الهولنديون أنهم بإمكانهم أن يحظوا بالكثير عن طريق الاحتيال). ولما كان للشركة الحق بالتصرف في حياة وموت موظفيها، فقد هدّدتهم، عند اكتشافها للأمر، بإلحاق أقسى العقوبات بهم. أما الممثلون الهولنديون في البصرة فقد كانت سمعتهم لدى مرؤوسيهم سيئة للغاية. ففي زمن نادر شاه تورط كل من المقيم ديمز هاي (Dames Hey) وجوتشي (Gutch) في معاملات مالية مشبوهة. وقد عوقبا بمنتهى القسوة(٩٢). كذلك لم يكن فرانز كانتر (Frans Canter) المقيم في البصرة من عام ١٧٤٧ – ١٧٥٠، نقي الضمير. وفي عام ١٧٥٠ عندما بعثت الحكومة بمن يخلفه في البصرة، وهو تيدو فريدريك فان كنيبهاوزن (Tiddo Fredrick Van

Kniphausen) لم ينتظر كـانتر وصـوله والاطلاع على ملفـاته، بل هرب أولاً إلى الكويت ومن هناك إلى حلـب وانتهى به المطاف أخـيـراً في هولندا. وهنا لم تتـمكن الشركـة من محـاكمـته لأن سادة مـدينة أمسـتردام رفضـوا دعوى الشـركة ضـد أحد مواطني مـدينتهم المقيم تحت حـمايتهم. ومن المهـم جـداً في تاريخ الخليج أن الوثائق التي تتعلّق بهروب كـانتر توضّح لأول مرة الأدلة باستخدام القـوافل القادمة من حلب إلى الكويت كمحطة بديلة عن البصرة(٩٣).

أما كنيبهاوزن الذي كان من إقليم فريزيا الشـرقية فقد ترك علامة بارزة في تاريخ الخليج. وقد تطوّرت التـجارة الهولندية بصورة مُرضيـة خلال إقامتـه في البصرة(٩٤). إلا أنه كان مولعـاً بالجدل ووصفه معاصـروه في صورة معقّدة وقد أعجـبوا به كـرجل يجـمع إلى جـانب الفكر والرزانة إمكانيـة اسـتـخـدام العنف عند الضـرورة. إلا أنهم عارضوا عجرفـته وسلوكه اللاأخلاقي(٩٥). ومن الصعب تحـقيق العـدل في تقيـيـمه من خلال جميع ما كتبه معاصروه عنه. وانطباعنا عن حالة كنيبهاوزن أننا أمام شـخصية غيـر عادية في تاريـخ التوسّع الأوروبي في القـرن الثامن عـشر. وكـانـت أعمالـه تُقرأ جيداً، كـما أنه كان يهتم بنمـو الفكر الأوروبي المعاصر ويبدو ذلك من خـلال قائمة الكتب التي كان يطلبها(٩٦). ولا شك أن هذا كان سبباً في عـلاقته الجيدة مع الحاكم العام جاكوب موسل (Jacob Mossel) وهو شخص مـن حركة التنوير الفـلسفي. وهو يمثل من ناحـية أخـرى تطوراً مـهـمـاً في العلاقـة بين أنماط فكرية أوروبيـة معينة والإسلام. وقـد اكتشـفت شخـصيات تقـدمية مـعيّنة قبلـه بأجيال الإسـلام وفضّلوه أحياناً على الديانة المسيحية، لأنهم شعـروا بصورة خاصة أن الإسلام قد فسح مجالاً أكثر لحريّة الفكر ولأن نظام المنطق فيه كان أكثر ثباتاً وتناغماً. لقد قبل هؤلاء بالحكم الاستبدادي في الممـالك الإسلاميـة في زمنهم. أما جيل كنيبهـاوزن فقـد كان تحت سلطة الفكر الديمقراطي القديم، وكان لدى كنيبهاوزن فكرة مثالية واضحة عن طريقة الحكم لدى القبـائل العربية إذ كان يحكم القـبائل شيوخ يخضـعون للتغيير في حال ثبوت عدم صلاحيتهم للحكـم وكان على هؤلاء الشيوخ أيضاً استشارة قبائلهم التي يحكمونهـا. وهذا التعـاطف الأساسي مع أساليب العـيش العربيـة يجعل كنيبـهاوزن

شخصية مهمة، حتى ولو لم يدع تماماً في ذلك. ومن الممكن أن تجد نفس نوع الملاحظات في تقرير بادتبرج (Padtbrugge) عن عمان قبل قرن تقريباً(٩٧).

ولم يكن كنيبهاوزن الشريف المتعجرف صبوراً في تعامله مع المسؤولين العثمانيين في البصرة. كذلك كانت علاقاته مع زميله الإنكليزي سيئة إذ يبدو أنه لم يتحمّل ادّعاءات الإنكليز بالسيادة مما أدى إلى العديد من الخلافات والمنازعات الصغيرة التافهة. وكانت الشركة الهولندية تحاول عادة تجنب دفع الرسوم في البصرة، وقد يكون هذا مفيداً للأرباح ولكنه لم يساعد على إقامة علاقة وديّة مع المتسلّم. وأخيراً وجد المتسلّم، بتحريض من الوكيل الإنكليزي، الفرصة مؤاتية للتخلّص من المقيم الهولندي البغيض رسمياً. كان السبب الرئيسي لذلك هو الطريقة غير الحكيمة التي مارسها البارون في مغامراته العاطفية. ولم يكن الوكيل الإنكليزي هو الذي اتّهم كنيبهاوزن حيث أن سمعته أيضاً كانت سيئة وبتحريض من الوكيل الإنكليزي تحرّك الأتراك، وأُلقي القبض فجأة ودون توقّع على كنيبهاوزن بينما كان في مقابلة مع المتسلّم. ثم بدأت المساومات الصعبة. وفي البداية كانت الأمور تسير سيراً حسناً بالنسبة للأتراك. ولقد أبدى جان فان دير هلست (Jan Van Der Hulst) استعداده للتعاون مع الأتراك بدفع غرامة كبيرة عن سوء تصرُّف كنيبهاوزن وأن يكتب إلى بتافيا يلوم رئيسه على تصرفه شريطة أن يتم في النهاية إعادة كنيبهاوزن في خزي وعار إلى بتافيا وأن يستمرّ فان هلست كمقيم أول هولندي. إلاّ أن مثل هذا التصرف من قِبَل فان دير هلست سوف تكون عاقبته وخيمة وذلك لأن الاتهامات بالخيانة وعدم الطاعة التي يقوم بها سوف تنقلب ضدّه من قبل كنيبهاوزن وأصدقائه. وكانت النتيجة أن خدع المتسلّم. فقد دفع له فان دير هلست الغرامة، وتخلّص من الرسائل الأصلية الموجّهة إلى بتافيا والتي فيها دليل إثبات الاتهامات العثمانية وأطلق سراح كنيبهاوزن وعاد إلى بتافيا(٩٨). وفي طريقه أجرى كنيبهاوزن بعض المفاوضات مع مير ناصر الزعابي، حاكم بندر ريج العربي، الذي قدّم له جزيرة خارج التي تخصّ عائلته(٩٩). وفي بتافيا تمكّن كنيبهاوزن بسهولة من إقناع الحاكم العام موسل باتخاذ إجراء قوي وبوجوب قبول العرض الذي قدّمه مير ناصر. وما

لبث موسل أن أرسل بثلاث سفن مسلّحة جيداً دون طلب الموافقة والتعليمات من هولندا. وقد حمّلها بالسلع التجارية والجنود والمعدّات ومواد البناء لإنشاء حصن هناك(١٠٠). وعندما شاهد الإنكليز كنيبهاوزن يمرّ في بندر عباس خشوا من أن يكون متجهاً لاحتلال البحرين فقد تراءى لهم أن قوّته تكفي لاحتلال الموقع الذي كان الإنكليز يحلمون به لأنفسهم(١٠١).

وعندما عاد كنيبهاوزن إلى الخليج، خرج فان دير هلست من البصرة بعد أن أبلغ المتسلّم بأنه قد عيّن مقيماً في بوشهر. وقد عمل كنيبهاوزن وفان دير هلست على بناء حصن صغير في خارج بسرعة وأعلنا الجزيرة ميناء حرّاً مفتوحاً للملاحة والتجار من جميع الشعوب والدول. وقد سدّت سفينتان طريق البصرة بهدف إلزام المتسلّم إعادة المبالغ التي استولى عليها من الهولنديين. وبالفعل تمكّنت السفينتان من حجز سفينتين قادمتين من سورات محمّلتين ببضائع ثمينة ولم يجد المتسلّم أمامه سوى الحصول على المال بالضغط على التجار المحليين في البصرة لتسديد مطالب الهولنديين وإرضائهم(١٠٢).

كانت السلطات في البصرة هي الجهة الخاسرة في هذه العملية. فقد خشوا على ما يبدو من منافسة جزيرة خارج لهم فبعثوا بهدايا قيّمة وثمينة لكنيبهاوزن في خارج يحثّونه بها على العودة إلى البصرة(١٠٣). ولقد عبّر وكيل باشا بغداد في اسطنبول أمام السفير الهولندي هناك عن مشاعر سيّده الكريمة ولكن حكومة بتافيا العليا عزمت على أن تظلّ بعيدة عن البصرة(١٠٤). ولقد أثنى جميع المعلّقين المعاصرين على كنيبهاوزن، باستثناء شركة الهند الشرقية الهولندية نفسها. فالمدراء في هولندا عارضوا بشدّة العملية بأكملها، فهم لم يفهموا معنى التخلّي عن مؤسسة تجارية مربحة في البصرة وبناء مؤسسة جديدة في جزيرة نائية لا فائدة منها حتى ذلك الوقت إلا التوقعات المريبة لبعض الدخل في ميناء حرّ. كانت الشركة في عيون مدرائها مغامرة تجارية في الدرجة الأولى ولذلك كان يجب تجنّب المشاريع العسكرية المكلفة بعيداً عن القاعدة الأساسية في بتافيا. لقد رأوا أن الدخل الصغير من ميناء حر، والتوقّعات التجارية الضئيلة لجزيرة خارج نفسها، لا يعوّض مطلقاً تكاليف العملية

نفسها. وبالإضافة إلى ذلك فإن المحافظة على تلك المؤسسة بوسائل عسكرية سوف يظلّ مكلفاً(١٠٥).

كانت أمور المؤسسة الهولندية الجديدة تسير كما يبدو سيراً حسناً. فقد حوّل كنيبهاوزن جلبوتين عربيين إلى سفينتين للدّورية، وبدأ التجار يؤسسون أنفسهم في الجزيرة تحت حماية الشركة، كذلك سمح كنيبهاوزن للأرمن والروم الكاثوليك ببناء كنائس على الجزيرة، وقد حولّ أسقف أصفهان للروم الكاثوليك مقرّه إلى جزيرة خارج(١٠٦). إلاّ أن هذا التصرّف عرّض كنيبهاوزن لمواجهة المشاكل مع مجموعة المدراء البروتستانت في هولندا. وقد تصرّف الأسقف الكاثوليكي الكرملي كونيليوس دي سانت جوزيف بغباء عندما طلب من المدراء في هولندا عن طريق الوسطاء الاعتراف بخارج كمقرّ له. فقد كان هذا منافياً لقوانين دولة بروتستانتية. فوجّهت هولندا رسالة شديدة اللهجة إلى بتافيا. ويعتبر مقرّ الأسقف دليلاً على حدوث هجرة فعلية من التجار إلى الجزيرة وأن فكرة الميناء الحرّ ما زالت قائمة(١٠٧). فمع وقوع الاضطرابات في الخليج في ذلك الحين، كان الميناء الآمن يشكلّ عرضاً مغرياً لجميع التجار. إلا أنه كان لدى كنيبهاوزن مشاريع كبيرة. ولعلّ هذا يثبت أن المدراء كانوا على حق في معارضتهم للعملية بأكملها. وتماماً كما فعل الإنكليز قبل بضع سنوات من وضعهم الصعب في بندر عباس، بدأ كنيبهاوزن الآن يطمع في جزيرة البحرين. وكان ما يزال الشيخ سعدون من بوشهر يحكم الجزيرة، لأن أخاه الشيخ ناصر كان ما يزال أسيراً لدى كريم خان بعد تحالفه القصير الأمد مع محمد حسين خان قاجار. وكانت تنافس الشيخ سعدون في حكم البحرين عدة قبائل عربية. لقد ظن كنيبهاوزن أن دخله في مغاصات اللؤلؤ كان أكثر مما يلزم لتغطية مصاريف الاحتلال العسكري، وأن الحصن البرتغالي القديم في البحرين سوف يكون معقلاً ممتازاً. وبنظر كنيبهاوزن أن العائدات من البحرين سوف تعوّض خلال بضع سنوات الديون الفارسية. وفي الواقع رأى كنيبهاوزن لتبرير هذا العمل استخدام الوسيلة المتبعة وهي أن يحتل الهولنديون مؤقتاً جزيرة البحرين الفارسية لتسديد تلك الديون(١٠٨). ومن ناحية عسكرية كان كنيبهاوزن على حق في الافتراض بأنه لن

يكون من الصعب غزو الجزيرة، وأن الحصن البرتغالي على الجزيرة بما فيه من مواد غذائية كافية سوف يكون معقلاً أفضل من الحصن الصغير على جزيرة خارج وهي جزيرة مواردها قليلة.

لقد تمكّن كنيبهاوزن من إقناع الحاكم العام. فقد بعث أيضاً إلى رئيسه وحاميه بوصف مفصّل عن القبائل العربية في الخليج وأكّد بشدة على مدى ضعف القوى المحلية والانشقاق داخل القبائل العربية. كما أكّد على تفوّق كنيبهاوزن بوضوح النظرة العامة للسياسة الهولندية التي كانت ستتركز على القبائل العربية وليس على الأتراك والفرس. إلا أن الحكومة العليا التي أدركت مفهوم تعليقات المدراء في هولندا والمعارضة للمغامرة في جزيرة خارج، عارضت بشدّة مشروع البحرين. وقد صوّتت الحكومة العليا ضد احتلال البحرين وقدّم قائد تلك المعارضة، فان دير بارا (Van Der Parra)، في وصف مفصّل عن وجهة نظره، تحليلاً مهماً للسياسة الهولندية في الخليج(١٠٩). فهو لا يؤمن بالتوقّعات الكبيرة لعائدات مغاصات اللؤلؤ (وفي هذا كان محقّاً)، ورأى أن الحصن البرتغالي في البحرين كان مهدماً (وبهذا كان على خطأ كما يبدو لأن الفرس كانوا حتى ذلك الحين يستخدمونه ويحافظون عليه)، ورأى أنه لدى الشركة كثير من المقرّات والمؤسسات المكلفة (وهذا كان انعكاساً لوجهات نظر المدراء في هولندا) وأن الهولنديين بتصرفهم كقوة استعمارية في الخليج كما فعل البرتغاليون، سوف يثيرون كره الجميع لهم كما حدث مع البرتغاليين(١١٠).

وقد رُفض هذا المشروع، وكان كنيبهاوزن قد عرض أيضاً أن يترك المؤسسة في بندر عباس. وهنا يبدو أنه قد واجه نزاعاً مباشراً مع المصالح الشخصية داخل المعارضين لمشروع البحرين. وقد تمّت المحافظة على الوكالة في بندر عباس. وكان السبب الرئيسي للمحافظة والإبقاء على بندر عباس الذي قدّمه الحاكم العام في بتافيا، أن ذلك المكان كان سوقاً للأقمشة الهولندية(١١١). ولم يكن هناك ما يبرّر ذلك ولكن أعضاء الحكومة العليا الذين اهتموا بتصدير السكر كانوا يخطّطون لتوسيع نشاطات الهولنديين في منطقة جنوب الخليج بإرسال سفن إلى مسقط والسند(١١٢). ولا داعي للقول بأن هذه الحملة فشلت تجارياً(١١٣). ومن أهم نتائج تلك الحملات أننا مدينون

لهم بنص أقدم رسالة معروفة من الإمام أحمد بن سعيد (إلى الحاكم العام موسل):

بعد الكثير من عبارات التحية والمجاملة والألقاب الفخمة جاء ما يلي:

« .. لأن الله شاء أن يخلّص مسقط ثانية من أيدي الفرس، الذين يسبّبون الدمار أينما حلّوا، ومنح المدينة لي، ولسوف تستعيد المدنية مجدها وازدهارها السابقين، ولأجل كل هذا رأيت من الضروري إبلاغ معاليكم بأنني كما كنت في السابق صديقاً للهولنديين فقد عزمت على استئناف حسن النوايا والإخلاص طالباً من معاليك في هذه الرسالة أن تبعث إليّ بمن يقوم باستئناف تجارة الشركة، وسوف أمنح كل ما أستطيع من المساعدة والحرية، وأؤكد لكم أنني سوف أمنح السفن الهولندية حرية الدخول إلى موانئي وسوف لا يكون هناك فرق بين مسقط وبتافيا لأن مستخدميكم سوف يتمتعون هنا بنفس الحرية كذلك أطلب من معاليكم إثباتاً لصداقتنا إرسال سفينة بحجم سفينة الفيتليست (Viet List) بمدفعيتها وحراسها وحبالها وجميع معدّاتها ولدى وصولها هنا سوف أدفع ثمنها لأي شخص تجدونه فوراً وبدون تأخير.

في هذا الوقت زارني رئيس المؤسسة الهولندية في بندر عباس ورأيت من الضروري أن أرسل إلى معاليكم حصانيين هديّة حتى لا يعود إليك صفر اليدين. وسوف يبلغكم شخصياً بطلبي. وأودّ أن أطلب منك عدم الاهتمام بقيمة الحصانين بل أن تقبل صداقتي وكنت بكل رضا قد بعثت أطلب من اسطبلي بحصانين أكثر جودة لولا أن القبطان قد أبلغني أنه لا وقت لديه للانتظار، ولهذا لم أتمكن من تحقيق نواياي.

أتمنى أن تفكّر معاليكم بمطالبي وأنا بانتظار ردّكم ... »*.

ولم يشارك موسل غيره من أعضاء الحكومة العليا بآرائه ولم يهتم كثيراً بمنطقة جنوب الخليج ولكنه رأى بعض التوقّعات في البحرين. وقد بعث كنيبهاوزن إلى موسل بتقرير عن وضع عرب الخليج السكاني والاقتصادي والعسكري موضّحاً أن المشروع المتعلق بالبحرين ليس خطراً. ويعتبر هذا التقرير (الذي أشير إليه عدّة مرات

* ARA, VOC2885 (Part Gomron) Fil. 57-59 dated 24 January 1756.

في هذا الكتاب على أنه تقرير كنيبهاوزن) مصدراً قيّماً جداً عن تاريخ عرب الخليج. وحسب نصيحة موسل قدّم كنيبهاوزن مشروعات عن البحرين إلى المدراء في هولندا مباشرة وإلى شخصين قويّين أيضاً هناك، إلاّ أنهم لم يهتموا بهذه المشاريع وأعلنوا ثانية عدم موافقتهم على مشروع خارج(١١٤).

لقد حاول كنيبهاوزن بطرق عدة جعل خارج مزدهرة. وعمد إلى تطوير غوص اللؤلؤ بأن أحضر أجراساً للغوص من أوروبا. وبما أن المناجم في منطقة بندر عباس. أصبحت مهجورة حاول إيجاد مصدر آخر للكبريت بجلبه من الكويت(١١٥).

كان كنيبهاوزن يظن أن المحافظة على الوجود الهولندي في خارج أسهل مما بدا بالفعل. فسرعان ما لاحت مظاهر ضعف وجودهم. وقد تمثّلت أولّ انتكاسة عندما رفضت الحكومة العليا مشروع البحرين كما أضافت إلى ذلك وجوب عدم تدخّل المقيم في خارج في المنازعات القائمة بين القبائل العربية(١١٦).

كان من الممكن أن يؤدي هذا إلى تجنّب الهولنديين لجميع أنواع الحروب. إلا أن عدم تمكّنهم من استغلال الانشقاقات بين العرب سوف يجعل الدفاع عن مقرّهم الوحيد في خارج أكثر صعوبة. والأسوأ من ذلك كان مقتل مير ناصر، أفضل حليف لكنيبهاوزن، على يد ابنه الصغير مير مهنا. وترى أحد المصادر أن الدافع وراء القتل هو أن مير ناصر قد أهدى جارية محبوبة لدى مير مهنا إلى البارون كنيبهاوزن عاشق النساء ويرى الآخرون أن الدافع وراء قتله لوالده عدم موافقته على منح جزيرة خارج للهولنديين وكان على الهولنديين التدخّل بالقوة لتثبيت سيطرة مير حسين، ابن مير ناصر الأكبر على بندر ريج.

وما لبث مير مهنا أن فرّ هارباً بمراكبه مبتدئاً حرباً بحرية وهو وحيد ضد أعدائه. وكانت نظرة الجميع لأخلاق مير مهنا في كل مكان سيئة، إذ لا يعقل منح أي صفة جيدة لشخص قتل أباه وأمه. ومن المبالغ كذلك أن يراه البعض بطلاً للحرية العربية ضد التدخل العسكري الأوروبي في الخليج. ولكن تبقى الحقيقة بأن مهما ارتكب من جرائم كما هو مذكور فقد كان مير مهنا يمثل الرغبة في الاستقلال عن الأوروبيين والأتراك والفرس رغم عدم مساندة أشقائه العرب لموقفه(١١٧).

كان موقف مير حسين في بندر ريج ضعيفاً. ولم يشكل هذا تهديداً لمكانة الهولنديين فحسب، بل إنه تسبّب في بعض المشاكل للإنكليز. فقد اتضح للإنكليز أن بندر عباس لن تعود إلى سابق ازدهارها فافتتحوا مقراً لهم في بندر ريج بهدف إيجاد منفذ آخر لهم لبيع سلعهم الصوفية في بلاد فارس. وما لبث أن توتّر الوضع في بندر ريج بعد أشهر قليلة بسبب خطر وقوع هجوم من قبل مير مهنا. وقد حذّر كنيبهاوزن نظيره الإنكليزي شو (Shaw) من الخطر. وكانت النتيجة أن أُصيب شو بالذعر وفرّ هارباً إلى البصرة وسرعان ما استولى مير مهنا على بندر ريج وقتل شقيقه وأعوانه. وتوجّه المصادر الإنكليزية أصابع الاتهام إلى كنيبهاوزن بمساعدة مير مهنا(١١٨). ولكن ليس هناك ما يثبت هذه الاتهامات إذ أنّ تقديم المساندة لمير مهنا يتناقض مع الساسية الهولندية التقليدية كما أن التغييرات في بندر ريج لم تكن لصالح الهولنديين. وفي عام ١٧٥٩ انتهت مدة تعاقد كنيبهاوزن فخلفه نائبه جان فان دير هلست الذي لم يكن إدارياً جيداً. فقد غادر خارج بعد فترة دون إذن مما جعل الشركة تباشر إجراءات جنائية ضده.

في أثناء ذلك تعقّد الوضع في منطقة شمال الخليج بسبب إجراءات كريم خان. كان المطالب بالعرش الفارسي هذا يوسّع نفوذه بثبات. وعلى الرغم من أنه قد حظي بالسيطرة على سادة المدن الساحلية العرب عام ١٧٥٣ إلا أنه كان بعيداً جداً عن تحقيق السيطرة التامة. لهذا حاول السيطرة مستفيداً من الانشقاق بين الحكام المحليين الرئيسيين بمساندة بندر ريج أولاً، ثم بعد ذلك بوشهر. وبسبب الاضطرابات في بوشهر (كان ناصر شيخ ذلك المكان الرئيسي قد أُسر على يد كريم خان هناك) كذلك في ريج، فقد انحدرت التجارة هناك وتحوّل النشاط إلى أماكن أخرى مثل جناوة وديلام(١١٩).

وخلال السنوات السابقة لعام ١٧٦٠ سيطر على الوضع في منطقة شمال الخليج هدنة واهية. كان من الواضح أن كريم خان سوف يتدخل بقوّته في المنطقة عندما ينال حريته ولكن في ذلك الوقت حقّق حاكما بوشهر استقلالاً محدوداً. كذلك ظلّ الهولنديون هادئين. وقد ركد نموّ خارج الاقتصادي إذ أدّت القرارات الصادرة عن

الحكومة العليا إلى قطع جميع المغامرات التجارية من أجل التطور والتحسن. وكان من المحتمل أيضاً أن يصبح الإنكليز قوة رئيسية، ولكنهم كانوا آنذاك مشغولين بالحرب مع فرنسا.

الفصل العاشر

تدهور القوة الأوروبية


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نهاية المغامرة الهولندية في جزيرة خارج:

كانت حكومة بتافيا تشكّ دائماً في قيمة مؤسستها في جزيرة خارج. ولم يتطور الميناء الحر حسب التوقعات خلال انحدار منطقة الخليج اقتصادياً إذ كان التجار في الأماكن المحيطة به يستخدمونه للتهرب من الجمارك. ولم تكن تجارة الشركة في خارج والدخل الضئيل من الميناء كافية أبداً للتعويض عن مصاريف المؤسسة الكبيرة وحاميتها(١). وفي عالم الخليج الصغير، كان كنيبهاوزن على حق دائماً في اعتباره أن أفضل طريقة للبقاء على ازدهار المؤسسة ونموّها هي المشاركة الفعّالة في السياسات المحلية. ولكن كانت حكومة بتافيا ذات وجهات النظر الأكثر اتساعاً، وعلى حق في معارضة تلك المشروعات ورفض إعادة السيطرة الشبيهة بالامبريالية البرتغالية في الخليج. وقد شاع الرأي بإغلاق مؤسسة خارج وإعادة الحصن إلى حاكم بندر ريج. وقد عزمت الشركة على تحديد وجودها في الخليج إلى يد وكيلين تجاريين أحدهما في خارج والآخر في مسقط(٢).

كان الوضع في بندر ريج منذ البداية مصدراً لجميع المشاكل التي واجهها الهولنديون. فقد كانت معظم القوى المحلية في المنطقة مستعدة للقبول بالوجود الهولندي إلى درجة أن الإنكليز المنافسين للهولنديين لم يعارضوا الهولنديين علناً. وكان الهولنديون أضعف بكثير مما كان يظن منافسوهم. وبالغ الإنكليز في آرائهم عن نوايا الهولنديين. وتوصل معظم أعضاء حكومة بتافيا العليا في عام ١٧٦٢ إلى الرأي بوجوب توقّف جميع عمليات الشركة في الخليج ولم يكن لديهم رغبة في مساندة المغامرات الجديدة عسكرياً. رغب المدراء في هولندا في إنهاء النشاطات في الخليج منذ عام ١٧٦٠ متسائلين ما إذا كان الميناء الحر في جزيرة خارج قد أُعطي للهولنديين أم للتجار الأغراب(٣).

وكان المقيمون في خارج مرتبطين جداً بالإرشادات الصادرة عام ١٧٥٥ بعدم التورّط في السياسات القبلية العربية(٤). ولكنهم قلّما تمكّنوا في الواقع من ذلك. وكان المقيم الهولندي بوشمان الذي خلف ڤان دير هلست عام ١٧٦٢، قد تمكّن من معالجة حسنة للأمور في البداية حيث استطاع أن يؤثر على مير مهنا حاكم ريج خلال

زيارته لخارج عندما قام بعرض قوّته العسكرية. كذلك تمكّن من مفاوضة ألدّ خصومه للتوصل إلى نوع من السلام. وبهذا تمتّع الهولنديون لسنوات قليلة بسلام نسبي كما تمتّعوا بمراقبة جميع الفئات الأخرى في الخليج وهم يعانون من الاضطرابات(٥).

وفي عام ١٧٦٣، طلب كريم خان المساندة من الإنكليز بعد أن عانى من خسارة فادحة في دخله نتيجة حرب العصابات التي خاضاها مير مهنا، وبسبب فقدانه لحليفه الهولندي السابق. وسمح للإنكليز بافتتاح مؤسسة لهم في بوشهر. وكان حكام ذلك المكان من المطاريش يعتمدون كثيراً على المساندة الخارجية للمحافظة على ممتلكاتهم بحيث أصبحت حياة الإنكليز سهلة هناك نسبياً. وما أن ثبّت الإنكليز أقدامهم ثانية في المنطقة حتى ضغط عليهم كريم خان لمساندته ضد مير مهنا(٦). إلا أن الإنكليز لم يجهدوا أنفسهم كثيراً ولم يلق الجيش الفارسي تحت قيادة أمير جونا خان في عملياته الحاسمة ضد مير مهنا مساندة قوة الإنجليز البحرية. ولقد تمكّن الفرس من الاستيلاء على ريج من جهة البر ولكن لم يكن هناك طريقة تحول دون حرب مير مهنا مع أتباعه وهم أقرباء في مراكبهم(٧).

ونزل مير مهنا وقوته الزعابية على جزيرة خارجو الصغيرة بالقرب من خارج والتي كانت جزءاً شرعيّاً من إقليمه. واحتراماً لمعاهدة السلم، لم يتدخل بوشمان رغم أن تواجد هذا العدد من رجال القبائل مع سفنهم قرب المؤسسة الهولندية ليس من صالح التجارة في خارج وخاصة أن رجال القبائل هؤلاء كانوا في حالة حرب مع جميع الشعوب الممارسة للتجارة في المنطقة. في غضون ذلك قرّر الإنكليز في النهاية القيام بنشاطات بحرية بالتعاون مع المطاريش. إلا أنهم فشلوا ودفع المطاريش الثمن لأن سفن مير مهنا استولت على بعض سفنهم خلال الرحلة إلى البحرين(٨). أما الإنكليز فقد عزموا على النزول في خارجو ولكن القائد الفارسي رفض مساعدتهم بقوّاته ولم تتحق نتيجة ما(٩).

وقد نتج عن رغبة كريم خان جعل الزعاب تحت سيطرته أزمة جديدة. فعندما رأى عدم كفاية مساعدة الإنكليز لعدم وجود قوّات لديهم حاول الضغط على الهولنديين لمساعدته. ولم يكن هذا الأمر صعباً لاعتماد خارج في مؤونتها على الموانئ

الفارسية. ونظراً لانتهاء مدّة عقده، عاد بوشمان إلى بتافيا. ولا شكّ أن خلفه هوتنج (Houting) الذي قدم حديثاً من بتافيا، كان على علم بنوايا الحكومة العليا لإغلاق المؤسسة نظراً لضآلة الأرباح (كانت الحكومة العليا قد بعثت إلى المدراء في هولندا بعرض للإغلاق عام ١٧٦٢). وكان السبب الوحيد الذي جعل بتافيا تحافظ على الوجود الهولندي في الخليج هو اتباعه فرصة لسداد ديونهم القديمة من الفرس. وكان موضوع الديون هذا هو الروح الشريرة التي شلّت السياسة الهولندية في الخليج وأثّرت على قراراتهم بمساعدة الفرس في مجالات شتى مقابل وعود باطلة لتسديد الديون. وقد خُدع هوتنج كأسلافه بوعود التسديد. وبالتعاون مع جنود شيخ بوشهر باشر هوتنج نشاطه ضد مير مهنا(١٠).

نزلت القوات الهولندية تساندها، دون رغبة منها، قوات احتياط من بوشهر في خارجو. وبعد الانتصارات الأولية فوجئوا بكمين من فرسان مير مهنا فاضطروا للتراجع. وقد ردّ مير مهنا على ذلك بالاستيلاء على عدد من السفن في مرسى خارج. وقد نزلت قواته على الجزيرة وحاصروا الحصن. بعد ذلك واجه الهولنديون مشكلة خطيرة حيث لم يتمكن قبطان السفينة الهولندية الرابضة في المرسى من الاتصال بالحصن المحاصر. وواجه قبطانها بعض المشاكل البحرية نتيجة الرياح الموسمية. فإذا لم يغادر قريباً إلى أندونيسيا فإنّ الرياح لن تسمح له بعد ذلك القيام برحلته، وانتظاره يعني أن عليه البقاء فترة طويلة في الخليج وبالتالي نفاد مؤونته. فصمم على مغادرة الحصن وتركه يدافع عن نفسه وأبحر. وقد واجهت حامية موسلتين المؤلفة من مئة وعشرين عربياً وثمانين أوروبياً قوة توازي ثلاثة أضعافها. وقد تصرّف هوتنج بحماقة عندما غادر الحصن للتفاوض مع مير مهنا إذ انتهز القائد الزعابي تلك الفرصة وألقى القبض على هوتنج. ولم يعد أمام الحصن بدون قائده، إلا الاستسلام. فأطلق مير مهنا سراح الهولنديين، واكتفى بالمال والذخيرة الموجودة في الحصن حيث سيستفيد مستقبلاً من الأسلحة ومعدّات السفن التي كانت أفضل ما وجد(١١). وتعتبر تلك الحادثة الأولى في تاريخ عرب الخليج التي تنشر في الصحف وأول مرّة يذكر فيها شيخ عربي بالاسم في الصحف قد أُخذ من تقرير مراسل بعثه

راهب كرملي في البصرة. وقد برزت الرسالة الإخبارية المرسلة في ٧ يناير ١٧٦٦ من البصرة، في السابع عشر من يوليو بالنص التالي:

«لقد استولى مير مهنا فجأة، الذي يمارس أعمال القرصنة في الخليج الفارسي، على جزيرة خارج التي كانت بحوزة الهولنديين منذ خمس عشرة سنة. وقد بلغنا أن حامية الحصن والضباط قد أرسلوا إلى بندر بوشهر وتبلغ قيمة الغنائم التي كسبها مير مهنا في هذه الحادثة عدة ملايين »*.

وقد طلب الإنكليز من مير مهنا نيابة عن بعض التجار في البصرة استعادة بعض السلع الخاصة بهم. وكانت تلك السلع قد نقلت إلى خارج للمحافظة عليها بسبب المخاوف التي شاعت في البصرة من هجوم آل كعب. وقد ردّ مير مهنا بعدم وجود بضائع في خارج(١٢).

وباستثناء الخسارة المادية، لم تأسف بتافيا وأمستردام على خسارة جزيرة خارج كثيراً. فلم يعبّر أحد من أفراد السلطات الهولندية عن أكثر من مجرّد فكرة عابرة للحرب ضد مير مهنا لاستعادة المال. لقد كانت رغبة كل من الحكومة العليا ومجلس السادة السبعة عشر التغاضي عن حوالي نصف قرن من الخسائر(١٣). ولو شاء أصحاب التجارة الخاصة. في أندونيسيا والهند أو حتى في الخليج الاستمرار في التعامل التجاري بين المؤسسات الهولندية في آسيا والخليج فلهم ذلك. وفي الواقع استمر النقل البحري بين مسقط وملبار الهولنديين(١٤). وقد يكون ريسو (Risso) قد بالغ في تقدير أهمية النقل العماني البحري من حيث كسب عمان «لجزء هام من التجارة التي خسرتها بندر عباس وفيما بعد البصرة أيضاً». ففي ميناء العبور الأساسي كوشيم، وهو عاصمة ملبار الهولندية حصل النقل البحري العماني على أكثر من ١٢٪ بقليل من نشاط السفن، وعلى أقل في سفن الشحن(١٥). ولو شاء أصحاب التجارة الخاصة إرسال السفن إلى الخليج لتصدير السكر فلهم مطلق الحرية لم تعد الشركة نفسها بالفعل تهتم بشيء. كانت تبحر كل سنة تقريباً من بتافيا إلى مسقط سفينة هولندية خاصة على الأقل متابعة تجارة الخليج القديمة على مستوى ليس أقل

* Nouvelles extraordinaires de divers endroits, 1766, nr. 48, of June 17th.

بكثير مما كانت عليه عندما كان للهولنديين مؤسساتهم الغنية فيها(١٦). وفي الواقع أن الحملة القادمة من مسقط عام ١٧٨١ والتي حملت نبأ إعلان حرب إنكلترا ضد هولندا هي التي أنهت جميع الآمال في بقاء شركة الهند الشرقية الهولندية(١٧). وقد ظلّ للتجارة في مسقط بعض الأهمية لاقتصاديات جزيرة الهند الشرقية الهولندية خلال العقود الأخيرة من القرن الثامن عشر. فقد حصلت بتافيا على أموال طائلة نتيجة تصدير السكر والبن من جاوا إلى عمان. وفي عام ١٧٨٧ كان ويجمان وهو أهم مستثمر هولندي في تجارة مسقط قد حقق أرباحاً طائلة حتى أن الشركة الأم كانت ترغب في الحصول على نصف نصيبه من رحلاته(١٨). ولم يفكر الهولنديون مطلقاً فيما بعد في إعادة فتح مؤسساتهم، وحتى بعد تلك الفترة (عام ١٧٩٣) عندما دعتهم حكومة البصرة إلى ذلك(١٩).

الإنكليز وأمن الملاحة في الخليج:

لقد ازدادت نشاطات الإنكليز التجارية في البصرة. فيما شُغل الهولنديون في خارج. ويرى المؤرخ «أمين» ظهور توسع حقيقي للنشاطات التجارية والسياسية الإنكليزية في الخليج آنذاك نتيجة انتصاراتهم الأخيرة في حربهم ضد الفرنسيين عام ١٧٥٦ - ١٧٦٣. وحسب رأيه أنّ تحسّن الوضع الداخلي في العراق العثماني وبلاد فارس هو الذي ساعد على ذلك التوسّع. ولعلّ وجهة النظر تلك متفائلة جداً. فقد تتمثل حقيقة الأمر بأنه رغم ميل الإنكليز إلى المغامرات العسكرية في تلك الفترة، فإن معظم نشاطاتهم قد لاقت نجاحاً ضئيلاً. ففي الحقل التجاري مثلاً كانوا يوسّعون نشاطهم في تصدير الأقمشة الصوفية بواسطة شركة الهند الشرقية إلى الخليج. وقد لا تكون هذه الزيادة التي لاحظها المؤرخ «أمين» زيادة حقيقية بل هي تحوّل في الطريق فالأقمشة الإنكليزية التي كانت تأتي في السابق عبر روسيا أو حلب، أصبحت تأتي إلى الخليج الآن عبر البصرة وشركة الهند الشرقية(٢٠). كان كنيبهاوزن يحاول ممارسة التجارة بالطريق المعاكس أي تصدير القطن من الهند إلى سوريا. وقد عارض المدراء في هولندا خطته تلك إذ لم يكونوا على استعداد لتدمير مصالح تجارة أمستردام مع

المشرق من أجل أرباح مشكوك بنتائجها في الخليج(٢١).

ومنذ موت نادر شاه أصبحت البصرة محور تجارة الإنكليز في الخليج. وفيما كان الإنكليز يحاولون حماية مصالحهم في البصرة كانوا يمارسون صراعاً مع الشيخ سلمان حاكم بني كعب. وكانت قوة بني كعب كبيرة بانتشارها. وفي عام ١٧٥٨ حصلوا على أول سفينة كبيرة. ومع حلول عام ١٧٦٥ أصبح في حوزتهم عشر سفن كبيرة وخمس وستون سفينة أصغر حجماً. وكانت رغبة الشيخ سلمان تنحصر في غزو البحرين وأخذها من الشيخ سعدون حاكم بوشهر وحلفائه العتوب. ولكنه فشل. وخلال هذا الصراع، عندما كان يسدّ طريق مراكز الملاحة في البصرة، اصطدم مع الحكومة العثمانية(٢٢). وقد اكتمل حصار شط العرب أسفل البصرة مما وضع حداً لآخر تجارة مربحة للإنكليز في الخليج. وقد اتخذ الإنكليز المسألة بجدية وساعدوا حكومة البصرة عسكرياً ضد بني كعب الذين سدّوا النهر في أسفل مجراه من البصرة في ثلاث مناسبات بين عام ١٧٦١ وعام ١٧٦٦(٢٣). ولقد تزامنت المشكلات في المنطقة مع محاولات كريم خان توسيع نفوذه هناك. وقد قُتل قائده زكي خان عام ١٧٦٢ قائد المشاشة(٢٤). ومع إبعاد المشاشة أصبح نفوذ كريم خان ظاهراً في منطقة جنوب العراق.

ولم يكن للتدخل الإنكليزي نتائج ملموسة، فقد شكوا من عدم تعاون شركائهم العمانيين. وقد بلغ الصراع ذروته عام ١٧٦٥ عندما احتل بنو كعب الإقليم الواقع بين البصرة وحفار بأكمله(٢٥). كذلك دخل كريم خان مؤقتاً في التحالف ضد بني كعب(٢٦). ولقد استنتج الشيخ سلمان، شيخ بني كعب بأن الإنكليز يعادونه وبدأ بالتالي أعمالاً عدوانية مباشرة ضد السفن الإنكليزية واستولت قواته على ثلاث سفن إنكليزية وقد ردّ الإنكليز على ذلك بالتحالف رسمياً مع متسلّم البصرة ضد بني كعب. ولّما كانت بومباي مقتنعة من خطورة العملية، أرسلت ما لا يقل عن أربع سفن للحرب ضد بني كعب. وكانت نقطة ضعف الإنكليز في التعاون مع العثمانيين أن الأخيرين ظهروا بأنهم حلفاء معارضون. وكان الإنكليز يرغبون في استخدام السفن الأربع ضد مير مهنا أيضاً الذي أصبح بعد غزو خارج، يهدّد المصالح

الإنكليزية، ولكن بومباي لم تؤيد روح المغامرة تلك ومنعت بوضوح استخدام السفن ضد خارج(٢٧). ولم تسر العمليات ضد الشيخ سلمان سيراً حسناً. فالأتراك كانوا يتعمدون البطء في تنفيذ دورهم من الاتفاق (ويتمثل دورهم بهجوم برّي ضد مقرّ إقامة الشيخ سلمان)، بينما لم يتمكن الأسطول الإنكليزي من التقدم نحو قوات سلمان بسبب ضحالة مياه نهر بمشير. كذلك كانت القوات الإنكليزية تعاني من شدة حرارة الصيف، وما لبثوا أخيراً أن قاموا بمفردهم بهجوم يائس ضد بني كعب. وقد انتهى ذلك الهجوم بهزيمة ساحقة ونتج عنه خسارات فادحة كان أسوأها خسارة مدفعيتهم الأرضية التي كان من الممكن أن يستخدمها العرب فيما بعد. وقد انسحبت القوات الإنكليزية بعد أن حاصرت الدورق إلى أن تدخّل كريم خان عام ١٧٦٦ إثر تقديم رشوة كبيرة له من بني كعب. وعلى الرغم من أن كريم خان كان قد طلب في البداية مساعدة الإنكليز له في عملياته الخاصة ضد بني كعب، إلا أنه أوقف المنازعات معهم بعد مناوشات مخزية، وأعلن بعدها بأن سلمان كان من رعاياه وأوضح بأنه لن يسمح للإنكليز والعثمانيين باتخاذ أي إجراء ضدّه(٢٨). وبعد ذلك أخذت الحكومة العثمانية مهلة قصيرة وذلك لأن بني كعب والمنتفق كانوا يواجهون مشاكل سياسية داخلية (مات شيخ بني كعب في عام ١٧٦٨)(٢٩). وفي عام ١٧٦٩، عرض بنو كعب على الأتراك مساعدتهم ضد المنتفق(٣٠).

ولم يدم رضا الإنكليز في بداية الأمر حينما غزا مير مهنا خارج، وتخلّصوا هم بذلك من منافسة الهولنديين لهم. وذلك أن مير مهنا استولى في مناسبتين مختلفتين على بعض السفن التي كانت بحماية العلم الإنكليزي(٣١). وكان على الإنكليز التعاون مع بعض القوى أمثال كريم خان أو الأتراك في البصرة لأنهم افتقروا إلى القوة الكافية بمفردهم. ولم يعد هناك في المنطقة قوى أوروبية أخرى. إلا أن كريم خان كان لديه ما يكفيه من المشاكل الخاصة به، وبالتالي فإنّه لم يُظهر أدنى رغبة في خدمة مصالح أخرى تتعدى مصالحه. وكانت علاقاته مع الشركة الإنكليزية لفترة ما متوترة لاتهام الإنكليز له بأنه هو المسؤول عن الأعمال المسمّاة بالقرصنة التي ارتكبها أتباعه في منطقة جنوب الخليج(٣٢).

وقد أمضى مندوب إنكليزي بعض سنوات في شيراز، مقرّ كريم خان، للتفاوض في الحصول على امتيازات لإقامة مؤسسة إنكليزية في بوشهر. ولكن المفاوضات كانت صعبة للغاية. وإضافة إلى ذلك كان ما يزال هناك بعض التوتر قائماً بين كلا الطرفين بسبب اتهام كريم خان للإنكليز بأنهم كانوا السبب في فشل مهمة القبض على مير مهنا في ريج عام ١٧٦٥. وقد ازدادت حدّة التوتّر إثر العمليات الإنكليزية ضد بني كعب في السنة نفسها(٣٣).

وقد بلغ اشمئزاز الإنكليز من كريم خان أقصاه مما جعل مور (Moore) الوكيل الإنكليزي في البصرة يحاول التحالف مع مير مهنا ضده(٣٤).

إلا أن كريم خان، عندما أدرك أن الهولنديين قد ابتعدوا، شعر بحاجة متزايدة إلى القوة الأوروبية الوحيدة في المنطقة والتي بإمكانها منحه المساعدة البحرية على الرغم من استياء الفرس من العلاقات الوثيقة بين الإنكليز والعثمانيين، وسرعان ما أمر كريم خان بني كعب دون إلحاح بإعادة جميع البضائع التي كانوا قد أخذوها من الإنكليز إلا أن بني كعب لم يستجيبوا(٣٥). ومن ناحية أخرى منح كريم خان بني كعب امتدادات واسعة من الأراضي(٣٦). ولم يساعد هذا في دفع التعاون بين الإنكليز وكريم خان وكانت المفاوضات بين الطرفين في غاية الصعوبة. في غضون ذلك كان بنو كعب يفعلون ما يشاؤون فاستولوا على السفن الكويتية كما استولوا على سفينة تخص مير مهنا(٣٧). وقد وصلت الفوضى في منطقة شمال الخليج إلى ذروتها عندما أعدّ شيخ بوشهر بمساندة القبائل الداخلية للحرب ضد كريم خان. وفي ظلّ هذا الوضع احتار الإنكليز ماذا يجب أن يفعلوا، كانوا يفكّرون مرّة باحتلال البحرين، ويحاولون أخرى ممارسة سياسة التوازن بين بني كعب ومير مهنا(٣٨). وأخيراً وفي عام ١٧٦٨ اتفق كلّ من كريم خان والإنكليز على القيام بحملة ضد خارج ولكن فشلت تلك الحملة فقوّات كريم خان لم تظهر في الميدان، وصدّت محاولة القوات الإنكليزية لغزو الجزيرة بمفردها(٣٩).

وهكذا عانى الإنكليز في البصرة ما يكفي من كريم خان. فانفردوا بمشاريعهم التي لم تخلُ من المخاطر. فقد استولى مير مهنا على سفينة أخرى من سفنهم(٤٠). لكن

دور هذا المغامر قد قارب على النهاية. فقد بعث خليفة، شيخ الكويت بمندوب إلى بوشهر يعرض القيام بحملة مشتركة ضد مير مهنا لتعرضه لصيد اللؤلؤ(٤١). وفي عام ١٧٦٩، طرد سكان خارج مير مهنا ورجاله من حصن موسلستين(٤٢). وعيّن كريم خان قائدهم حسين أميرالاً له في الخليج(٤٣). أما الإنكليز فاعتقاداً منهم بأن الغنائم التي كسبها مير مهنا ما تزال في حصن خارج وفي أيدي السلطات الجديدة هناك، لذا حاصروا الجزيرة مطالبين بالتعويض عن الخسائر التي ألحقها بهم مير مهنا(٤٤). ولكنهم بالغوا في ذلك. فقد وردت تقارير تفيد بأن كريم خان كان يخطط لضم قواته إلى الزعاب وبني كعب ضدهم. لهذا أُغلقت مؤسسة بوشهر توخياً للحذر ولكن رؤساءهم في بومباي لم يوافقوا على ذلك، وبتلك الخطوة أصبح من الصعب إعادة العلاقات مع كريم خان دون التضحية ببعض الكرامة. وأصبح إعلان الصراع بين كريم خان والإنكليز وشيكاً.

ولم ترض الرئاسة في بومباي عن الوضع. وحاولت إعادة فتح المؤسسة في بوشهر إلاّ أن مجلس المدراء في لندن لم يوافق على ذلك(٤٥). في تلك الأثناء اقترب دور مير مهنا المتقلب بين النجاح والإخفاق إلى نهاية دموية. فقد ترك خارج والتجأ إلى البصرة. وهناك تفاوض في البداية مع العثمانيين وعرض عليهم المساعدة في حماية ملاحتهم. ولكن الأتراك ألقوا القبض عليه وأعدموه ورموا جثته لتنهشها الكلاب(٤٦). وتقدّم معظم المصادر الأوروبية صورة قائمة عن شخصية «زعيم القراصنة» ذلك. كانت يداه بالفعل ملطختين بالدماء ولكن من منهم لم يكن كذلك في ذلك الوقت (رغم أنه سمح للهولنديين في خارج أن يغادروها أحراراً) ومهما يكن من أمر فقد كانت جميع القوى في تلك المنطقة تفكر بالتحالف معه ومن المبالغ به أن نجعل منه بطلاً وقومياً عربياً، فقد قتل الكثير من أفراد عائلته كما كان على استعداد للتحالف مع الأوروبيين وكان من بين المعاصرين له رحمة بن مطر في منطقة جنوب الخليج أفضل في هذا المجال. فسمعة رحمة ليست ملطخة بالدماء، كما أنه لم يتحالف مطلقاً مع الأوروبيين وتمكّن أيضاً من وضع قواعد أكثر بقاءً.

وبعد اختفاء مير مهنا كان يحكم خارج شعبها، وليس زعاب ريج. لقد بدت

بعض الخطط أحياناً لاتباع خطة الهولنديين في احتلال خارج إذ قدّم القنصل الفرنسي في البصرة عرضاً يتعلّق بهذا الموضوع. لكن الحكومة الفرنسية رفضت ذلك بحجة أن عرب الخليج لن يسمحوا بالحكم المسيحي في منطقتهم، وأنهم يحتاجون إلى قوات عسكرية كبيرة لهذا مما يجعل المؤسسة غير مربحة(٤٧).

حروب كريم خان مع عمان والعثمانيين:

نظراً للعلاقات التجارية، كانت عمان حليفاً طبيعياً للبصرة العثمانية وقد تعاونت مع بني معين في هرمز الذين ساندوا ناصر خان، منافس كريم خان في منطقة جنوب الخليج. وفي عام ١٧٦٩، استولت القوة البحرية الفارسية على بعض السفن العمانية، مما دفع العمانيين للاستعداد للحرب، ولكن لم يحدث في البداية كثير من الصدام(٤٨). في تلك الأثناء تحوّل كريم خان عن ولائه نحو الإنكليز الذين ساندوا أيضاً حكومة البصرة العثمانية. وفي عام ١٧٧١ قام بعض الرعايا الفرس مثل حسين خان (في بعض المصادر حسن خان) قائد الحركة الشعبية في خارج التي طردت مير مهنا والذي أصبح الآن حاكم خارج من قِبَل كريم خان باحتجاز عدة سفن إنكليزية. وقد عزم الإنكليز إثر ذلك على إرسال كتيبة إلى الخليج لتدمير قوة الفرس البحرية التي تتعرض لمغاصات اللؤلؤ البحرينية(٤٩). وكان الأسطول البحري في الخليج وقتذاك يتكوّن من أربع مجموعات: اثني عشر مركباً تحت قيادة حسين خان من خارج، وسبعة أو ثمانية من بوشهر، واثني عشر من بني معين في هرمز (كان ولاؤهم مشكوكاً به بسبب العلاقات الودية بين بني معين وإمام عمان)، وأربعة عشر أو خمسة عشر من بني كعب(٥٠). وكان من الصعب جعل هذه الوحدات وهي تحت سيطرة حكّام نصف مستقلين تحت قيادة واحدة للتعاون معاً، وقد أمر كريم خان سفنه بمهاجمة الإنكليز حيث يجدونهم، بينما شنّ بنو كعب هجومهم على البصرة ثانية(٥١).

وفي شتاء عام ١٧٧٤ ـ ١٧٧٥ بدّل كريم خان من أولوياته وحلفائه. فطلب المساعدة من الإنكليز والعثمانيين في جملة ضد مسقط. كان طلب كريم خان هذا للإنكليز أقرب إلى الابتزاز. ومهما يكن فإنّ الحملة لم تصل إلى عمان إذ لم يتمكن

كريم خان من الحصول على قوة متجمعة كافية بسبب تباطؤ بني كعب عمداً في إرسال سفنهم. أما زكي خان، شقيق كريم خان وقائد الحملة، فقد وقع في الفخ في لعبة القط والفأر مع الشيخ عبد الله رئيس بني معين. الذي كان الأقل ثقة بين رعايا الفرس. وكان هو الذي دفع الجيش الفارسي للوقوع في كمين على جزيرة، وحاصرت القوة البحرية العمانية فيما بعد الجزيرة(٥٢).

ثم إن كريم خان، بعد أن ترك موضوع مسقط جانباً، رغب في إرسال قواته إلى البصرة ولم تتمكن قوة فارس البحرية من تحقيق أي شيء في منطقة جنوب الخليج إذ كانت الوحدات فيها تتحارب مع بعضها البعض. وما لبثت أن ظهرت بعد ذلك خطة مهمة للمصالحة. كان الشيخ ناصر الذي عاد من الأسر الفارسي حاكماً على بوشهر سيرسل، إلى خورفكان للتفاوض مع شيخي جلفار وهرمز ووكيل مسقط في إطار هذه الخطة لإعادة السلام إلى منطقة جنوب الخليج، ولكن هذا اللقاء لم يتمّ مطلقاً. فقد أدى غزو بني كعب للقطيف إلى تعقيد مؤقت للموقف وكان من الممكن أن ينتج عن هذا ثورة وهيجان بين العرب. وعندما علم كريم خان بذلك غضب غضباً شديداً وبدا للحظة بأنه سوف يوجّه الجيش الذي أعدّه للحرب ضد البصرة، نحو بني كعب. وفي شتاء عام ١٧٧٤ ـ ١٧٧٥ بدأت العمليات ضد البصرة(٥٣).

لم يكن الهجوم الفارسي على البصرة صعباً ذلك لأن العراق العثماني كان في أزمة نتيجة للصراعات الداخلية والأوبئة القاتلة، رغم أن بني خالد والمنتفق أبدوا استعدادهم لمساعدة الأتراك ضد كريم خان(٥٤). وقد قرّر الإنكليز مساعدة الأتراك ولكن سرعان ما تراجعوا وغادروا البصرة(٥٥). وأعادوا بدلاً عن ذلك فتح مؤسستهم في بوشهر(٥٦). وقد حصل كريم خان على مساندة الشيخ خليفة حاكم الكويت، ولكن من ناحية أخرى رفض حكام بوشهر وبندر ريج وجناوة المساعدة(٥٧). وبعد حصار دام أشهراً قليلة، استولى الفرس على البصرة. وقبل سقوط المدينة مباشرة أُخليت الوكالة الإنكليزية. ومعنى ذلك فقدانهم لأكثر مؤسساتهم ربحاً في الخليج(٥٨). ولو رغب الإنكليز في ممارسة التجارة هناك فإنه كان عليهم التوصّل إلى مصالحة مع كريم خان. وكان شيخ بوشهر يتوسط لذلك، حيث أن استئناف التجارة

إلى أبعد مداها في البصرة وبوشهر من مصلحة الشيخ ناصر المباشرة. في تلك الأثناء أصبح ناصر أكثر ارتباطاً بكريم خان. ففي عام ١٧٧٥ اعتبر مراقب إنكليزي غير دقيق، البحرين إقليماً فارسياً(٥٩).

وفي عام ١٧٧٦ أُعيد فتح الوكالة الإنكليزية في البصرة. إلا أن العلاقات مع السلطات الفارسية ظلت متوترة. وقد صمّم مجلس المدراء في لندن على تسليم الوكالة في البصرة، ولكن بومباي لم تنفّذ تلك الأوامر نظراً لأن خطر قيام حرب وشيكة مع فرنسا كان كافياً لأن يدفع بومباي للاهتمام بالبصرة كمحطة للمراسلات مع إنكلترا(٦٠). وقد اعتبرت حكومة البصرة الفارسية أسوأ ما يمكن أن يتخيّله المرء بغض النظر عن وجهة النظر السيئة للمصادر الأوروبية حول الإدارة المحلية في الشرق الأوسط. فبعد قيام الفرس ببعض الانتهاكات وجّه السكان الدعوة إلى المنتفق حيث ألحقوا الهزيمة بالجيش الفارسي. وقد قُتل في المعركة عدد كبير من أعيان الفرس ولكن المنتفق لم يواصلوا زحفهم، فتمكن الفرس من البقاء في البصرة والتي أصبحت مدينة أشباح(٦١). وبموت كريم خان عام ١٧٧٩ بدأت سلسلة جديدة من الثورات في الخليج. وقد أخلى هادف خان، القائد الفارسي الذي كان في البصرة المدينة، وزحف نحو شيراز، بهدف مهاجمة أحد المنافسين له على السلطة العليا في بلاد فارس. وبهذا استعاد العثمانيون سيطرتهم على البصرة. وتمكّن الإنجليز من إبقاء وكالتهم تحت الإدارة العثمانية في البصرة دون مواجهة مشاكل جديّة(٦٢). وبدأت في بلاد فارس فترة جديدة من الفوضى، حيث مارس أسياد الحرب من الفرس ضغوطهم الشديدة على السكان العرب في الساحل. ولن نتعرّض لهذه الأحداث لأنها وقعت بعد الفترة التي يعالجها هذا الكتاب.

السنوات الأخيرة لملا علي شاه في منطقة جنوب الخليج:

لقد استمر تاريخ منطقة جنوب الخليج مسألة معقدة تماماً بعد عام ١٧٦٠. وسبب المشكلة في كتابة تاريخ تلك الفترة أن المصادر المتعلقة بمنطقة جنوب الخليج في تلك الفترة بها فجوات عديدة نظراً لغياب الأوروبيين من منطقة جنوب الخليج.

وبينما كانت سلطة كريم خان قائمة في مكان آخر، كان بإمكان ناصر خان المحافظة على مكانته في لار لفترة من الزمن. وكما كان في السابق، عاش في منطقة جنوب الخليج وقتذاك أربعة متنافسين على السلطة وهم ملا علي شاه في منطقة بندر عباس، وإمام عمان، وناصر خان في لار، وحاكم صير (رأس الخيمة أو جلفار) القاسمي (الاسم جلفار لا يستخدم بعد). وقد تنافس هؤلاء الأربعة على مساندة عدة قبائل عربية نصف مستقلة وكان توازن القوى بين المتنافسين الأربعة غير ثابت حيث اعتمد بكثرة على التحالفات المؤقتة مع القوى الأقل، وخصوصاً شيوخ القبائل العربية في الساحل الجنوبي من بلاد فارس. على الرغم من تقلّب هؤلاء الشيوخ باستمرار في ولائهم كان الممكن تحديد نظام معيّن: فبنو معين متحالفون عادة مع آل علي في شارك ضد ملا علي شاه. كذلك كان من تبقى من الحرم والمرازيق في لنجة متحالفين دائماً مع حاكم القواسم. وأخيراً وليس آخراً كانت القوة المحلية في لارستان تؤثّر على الأحداث في المنطقة الساحلية متحدية قوة ناصر خان. وكما هو متوقّع، فإن عدم استناد سلطة ملا علي شاه على قاعدة ثابتة، أدّى إلى تداعي سلطته.

وفي عام ١٧٥٩ - ١٧٦٠ قام ناصر خان بمحاولة أخيرة للسيطرة على ساحل منطقة جنوب الخليج. وقد بدأ عام ١٧٥٩ بمحاولة احتلال المنطقة الواقعة بين لار والساحل. وكان يجب إنهاء تلك المغامرة الأولى فجأة لأن جيش كريم خان كان يزحف نحوهم. وقبل تحقيق أي شيء أساسي اضطر جيش كريم خان إلى التراجع بسبب وقوع الاضطرابات في الداخل. ونظراً لبقاء سيطرة ناصر خان على منطقة لارستان، أرسل شقيقه جعفر خان حاكماً على بندر عباس(٦٣).

كان ملا علي شاه يُدرك تماماً بأنه سوف ينتهي إذا ما تمكّن جعفر خان من السيطرة على بندر عباس. وقد حاول تحسين مكانته الهشة، بأن عرض على ملا حسن وهو أحد قادة ناصر خان العسكريين الزواج من إحدى بناته. وقد يكون إقدامه على هذا الأمر قد عزّز من مكانته لدى ناصر خان، ولكن جعله من ناحية أخرى على خلاف مع صهره الآخر الشيخ رحمة بن مطر القاسمي حاكم صير(٦٤). وفي ديسمبر عام ١٧٥٩، استولى رحمة على حصون هرمز وبندر عباس. كذلك استولى رحمة

على السفينة «فتح رحماني»، وهي أكبر سفينة في الأسطول الفارسي. وكان لذلك الصراع القائم بين ملا علي شاه ورحمة بن مطر آثار خطيرة على كليهما. ففي السادس عشر من فبراير عام ١٧٦٠ اجتاح جنود هرمزيون من أتباع الشيخ عبد الله من بني معين حصن بندر عباس واستولوا على آخر سفينة كبيرة في الأسطول الفارسي وهي سفينة «فتح رباني»، وأخذوا ملا علي شاه سجيناً. وقد فرّ معظم قوات ملا علي شاه إلى جزيرة الجسم وطلبوا المساعدة من عرب الحرم، الذين أقامهم رحمة هناك(٦٥).

كان رحمة يريد أن يلقّن والد زوجته درساً، إلا أن المآسي التي قضت على ملا علي شاه أصبحت تهدّد رحمة نفسه. وقد حاولت قواته أن تستعيد حصن هرمز، ولكنها أجبرت على الاستسلام لأن جعفر خان بعث بني معين وآل علي ضده. وقد منح الهرمزيون السفينة المحجوزة «فتح رباني» إلى آل علي. وقد فشل الهجوم الذي شنّه حلفاء جعفر خان مّن العرب ضد معقل القواسم في جزيرة الجسم، بينما لم يتخذ الهرمزيون من جعفر خان أي موقف ثابت. فقد رفضوا تسليمه ملا علي شاه لأنهم كانوا يخشون من انتقام القواسم. وقد قاد القواسم هجوماً مضاداً كما جرت مناوشات بحرية بين السفينتين «فتح رحماني» (التي كانت بحوزة القواسم) و«فتح رباني» في لنجة(٦٦).

وخلال سير تلك الأحداث اختفى الشيخ رحمة من التاريخ. كان رجلاً مسنّاً وقد تكون وفاته نتيجة الشيخوخة. وقد تابع راشد بن مطر شقيقه وخلفه، سياسته، وتمكّن من تخطي الأزمة الناجمة عن انهيار قوة ملا علي شاه(٦٧). وفي البداية حاول راشد تعزيز مكانته بالاتفاق مع ناصر خان، ولكنه ما لبث أن عاود الحرب ضد أعدائه القدماء من قبيلته، بعد أن تمكّن ملا علي شاه صدفة من الفرار من سجنه في الخامس عشر من مايو عام ١٧٦٠. وبعد فترة، توصّل كلّ من راشد وملا علي شاه، إلى السلام مع آل علي. وأصبح ملا علي شاه يعتمد كلياً على الشيخ راشد لأنه خسر سفنه كلها(٦٨).

وفيما خسر ملا علي شاه نفوذه كان حليفه القاسمي الشيخ راشد في وضع أفضل

بكثير حيث كان يحاول جدّياً أن يحظى بالسيطرة التامة على مضيق هرمز. وكان من المتوقع أن يرفض إمام عمان مشاهدة هذا التطور وأن يحارب بكل قوّته أي توسّع للقواسم. وقد حاول جعفر خان إقامة تحالف بين بني معين وعمان والإنكليز لشن هجوم على القواسم(٦٩). إلاّ أن هذا التحالف لم يأخذ المبادرة بينما قام الشيخ راشد وملا علي شاه بشن هجوم كبير على بندر عباس. ولم تقم حامية جعفر خان بمقاومة فعّالة لإعاقة غزو القواسم وملا علي شاه للجزء الشرقي من المدينة. إلاّ أن القوات الفارسية حققت السيطرة على الحصن(٧٠). وقد تمكّنت قوات القواسم من إلحاق الهزيمة بناصر خان في هجومه المضاد ضد شيخ لنجة حليف راشد(٧١).

ومنذ الهجمة الفرنسية على الوكالة الإنكليزية في بندر عباس في عام ١٧٥٨، كان الإنكليز في عداء مع ملا علي شاه، وقد عقدوا آمالهم على ناصر خان، لم يرض الإنكليز عن موقفهم المعرّض للخطر في بندر عباس، حيث بدأ ملا علي شاه يستعيد قواته. وكانوا يتطلعون إلى مكان أكثر أمناً في الخليج لتثبيت أنفسهم. ولما رأى الإنكليز أن الهولنديين كانوا يخطّطون لضربة معينة في الخليج، وضعوا الخطط لاحتلال هرمز لإحباط أي تحرّك يقوم به الهولنديون وتبقى فكرة الإنكليز عن رغبة الهولنديين في احتلال هرمز لغزاً. فحكومة بتافيا العليا كانت تخطّط للانسحاب الكلي من الخليج، وكان ضد سياستها أن تبدأ المغامرات على جزيرة ليس فيها ماء عذب. وهذا ما يدعو إلى الظنّ بأن الإنكليز الذين لم يرضوا بالخطر المحدق بوكالتهم في بندر عباس، اختلقوا الخطة الهولندية لمنح أنفسهم عذراً في القيام ببعض المغامرات. ولكن لا يمكن أن يكون الوضع هكذا فلم تكن بندر عباس هي مصدر الإشاعات عن المشاريع الهولندية بل بومباي(٧٢). كذلك كانت البحرين محطّاً آخر لطموحات الإنكليز. إذ كان من المتوقع أن يجنوا أرباحاً طائلة هناك من وراء تجارة الأقمشة الإنكليزية. وقد تكون تجارة العبور عبر البحرين إلى بلاد فارس من حيث وجهة نظر الإنكليز في البصرة أربح من تجارة العبور التي كانت تمارسها الشركة الروسية بين إنكلترا وبلاد فارس عن طريق روسيا(٧٣). ولكن لم ينفّذ أيّ من تلك المشاريع.

وفي خريف عام ١٧٦٠، استمرّت الجهود في التوصّل إلى سلام بين القوى المختلفة في منطقة جنوب الخليج. وقد جرت مصالحة بين القواسم وآل بوسعيد في عمان، بينما فشلت جهود مماثلة لإقامة سلام بين جلفار وتحالف آل علي وبني معين. وخلال ربيع عام ١٧٦١، سرت شائعات جديدة عن خطط يقوم بها الشيخ راشد للهجوم على بندر عباس. ولكن ما لبث أن خمد هذا الخطر بسبب التخطيط لاجتماع عام لجميع القبائل المتحاربة والعمانيين في دبا في شهر مايو. كذلك جرت مصالحة مؤقتة بين كريم خان وناصر خان وثمة تحسّن طرأ لأن جعفر خان غادر بندر عباس، وعيّن بدلاً عنه علي مرتضى (وهو قريب الشيخ عبد الله من بني معين وهو رجل هادئ على ما يبدو) خلفاً له(٧٤).

وفي خريف عام ١٧٦١، انتهت فترة الهدوء فقد حاول الشيخ راشد استعادة تثبيت أقدامه على هرمز مما أدى إلى ظهور التحالفات القديمة ثانية. وكادت قوات جلفار تتفوّق. إلا أن العمانيين قدموا لإنقاذ الشيخ عبد الله. وقد جرت عدة مواجهات متتالية بحرية بين الوحدات العمانية ووحدات جلفار(٧٥). ومع انتهاء تحالف بني معين وعمان، عاد السلام(٧٦). وكان ناصر خان منهمكاً في محاربة كريم خان، وهكذا أصبحت المنطقة الساحلية بعيدة لفترة قصيرة عن التدخلات الخارجية(٧٧). وقد نعمت بندر عباس بفترة من السلام تحت إدارة علي مرتضى ولكن ناصر خان، كان خلال صيف عام ١٧٦٢ بحاجة على ما يبدو إلى المال وعاد جعفر خان إلى المدينة كنائب عنه(٧٨). ويبدو أن ناصر خان كان يخطط لإنعاش بندر عباس فأرسل بعثة إلى الهولنديين يدعوهم للعودة(٧٩). ومهما يكن فقد اعتبر الإنكليز أن إجراءات ناصر خان المتعلقة ببندر عباس سوف تساهم في خلق المزيد من الاضطرابات. وفي نظر الإنكليز كان جعفر خان قائداً لمجموعة من قُطاع الطرق. ويبدو أن الانقلاب التافه الذي كان قد قام به في بندر عباس عام ١٧٥٩ - ١٧٦٠ قد ترك ذكريات سيئة(٨٠). وقد صمّم الإنكليز على أن الوقت قد حان لمغادرة بندر عباس نهائياً.

ولم تمرّ مغادرة الإنكليز لبندر عباس بسلام. فقد أرادوا استعادة ديونهم القديمة من

الحكومة المحلية واستخدموا القوة البحرية التي أرسلوها لإخلاء وكالتهم في بندر عباس في محاولة للحصول على المال. وقد تمكّن الإنكليز بصعوبة من احتلال مقرّ النائب ولكن لم يجدوا فيه مالاً. ولم يكن لديهم وسائل لمهاجمة ملا علي شاه الذي خسر جزيرة لارك أمام بني معين في سبتمبر عام ١٧٦٢، وكان فقيراً لا يستطيع أن يدفع. وأخيراً فشلت محاولة الإنكليز في الاستيلاء على سفينة «فتح رحماني» من القواسم في لفت فشلاً ذريعاً(٨١). ولم تكن مغادرة الإنكليز من بندر عباس حدثاً مهماً. فقد تضاءلت أهمية الوكالة الإنكليزية من الناحية الاقتصادية والسياسية كثيراً ولم تعد ذات أهمية تذكر. وقد هاجر التجار الذين كانوا يديرون التجارة الدولية في المدينة منذ فترة.

ويعاني المؤرخ الحديث كثيراً أمام مثل هذه الأحداث. فمنذ عام ١٧٦٣ وما بعد حُرم من تقارير الوكلاء الأوروبيين المنتظمة في بندر عباس وبالتالي اعتمد على الإشارات الهزيلة المرسلة عن منطقة جنوب الخليج في تقارير المندوبين الإنكليز والهولنديين.

لارستان تحت سيطرة كريم خان:

أصبح الوضع في منطقة جنوب الخليج بعد عام ١٧٦٣ أقلّ تعقيداً نتيجة غياب عاملين أساسيين عن مسرح الأحداث. ففي أوائل عام ١٧٦٣ توصّل كلّ من ملا علي شاه وبني معين والشيخ راشد إلى تحالف(٨٢). إلاّ أن هذا الاتفاق لم يستمرّ طويلاً لأن نيبور وجد الوضع عام ١٧٦٤ مختلفاً. ففي ذلك الوقت كان ملا علي شاه يحكم هرمز ثانية بينما خسر بندر عباس وكانت هذه لفترة قصيرة من الزمن تحت سيطرة ناصر خان الذي كان قد خضع قليلاً في عام ١٧٦٥ لكريم خان(٨٣). ولم يستمر هذا الوضع كثيراً، ففي نهاية السنة نفسها كان عبد الله شيخ بني معين يحكم بندر عباس. وبهذا أصبح لدي بني معين مساحات كبيرة تتضمن بندر عباس وجزءاً من جزيرة الجسم(٨٤). وبعد زيارة نيبور لم يعد ملا علي شاه يذكر في المصادر، وأصبحت هرمز ملكاً لعبد الله شيخ بني معين. إلا أن بني معين لم يتمتعوا طويلاً

بوضعهم البارز. فقد كانت سلطة كريم خان تتسع بسرعة في المنطقة الجنوبية الشرقية. وقد اختفى ناصر خان عن مسرح الأحداث. وفي عام ١٧٦٥ ورد اسم زكريا خان حاكماً على لارستان(٨٥). وفي عام ١٧٦٦، احتلت قوات كريم خان منطقة لارستان الساحلية حيث قام قائده أمير جونا خان بمعاقبة كل من ساند ناصر خان من الهولة. وقد أُلقي القبض على عدد من شيوخ الهولة وعوملوا بكل احتقار إذ حلقت لحاهم. وفي عام ١٧٦٧، دمّر صادق خان، وهو قائد آخر من قواد كريم خان، مدينة كانغون التابعة للهولة وأقرب المدن إلى جهة الغرب. وقد ظل الشيخ محمد القائد العربي، صاحب السيادة في خمير، وهو مكان قريب من بندر عباس كان قد استولى عليه سابقاً من ملا علي شاه، وكانت السفن الأوروبية تأخذ منه الكبريت، مسؤولاً عن مدينة خمير التي أصبحت مكاناً خلفياً منعزلاً(٨٦).

كانت الأحداث في منطقة جنوب الخليج في السنوات اللاحقة تتحدّد من خلال العلاقة المتأرجحة بين أربع قوى. هناك كريم خان الذي كان بإمكانه التدخّل فقط بإرسال حملات عسكرية مكلفة عبر طريق طويلة. والعنصر الآخر الشيخ عبد الله الذي كان من رعايا كريم خان بالاسم ولكن كان بنو معين خصوماً تقليديين لكريم خان. وكان الشيخ عبد الله أقلّ رعايا كريم خان الذين يُعتمد عليهم في الساحل. وكان الوضع معقداً نتيجة المصلحة المشتركة بين العنصر الثالث وهم القواسم (الذين كانوا ينافسون الشيخ عبد الله دائماً في السيطرة على هرمز وجزيرة الجسم) وبين كريم خان، منذ عداوتهم المشتركة لناصر خان(٨٧). وقد تحدّد نشاط القواسم نتيجة للصراع مع إمام عمان حول الحدود غير الواضحة جيداً بينهم وحول التنافس في الملاحة إلى البصرة. وكان إمام عمان هو القوة الإقليمية الرابعة وقد حاول تسوية المسائل لصالحهم باستغلال المشاكل الداخلية في عمان والصراعات بين عمان وكريم خان. وقد أدى هذا الوضع إلى مشاركة في المصالح بين كريم خان والقواسم. وقد استغل كل منهم مغامرات الآخر العسكرية دون عقد المزيد من التحالفات الرسمية. وكان بنو معين حلفاء عمان التقليديين ضد القواسم وملا علي شاه. ومع الوضع الجديد في بلاد فارس انحلّ هذا التحالف ولكن الروابط القديمة أوضحت أن بني معين لم يكونوا

مخلصين تماماً لكريم خان في صراعه مع عمان. أما الإنكليز فقد كان تعاونهم مع عمان مبهماً تدفعه المصلحة العامة من أجل صالح الحكومة العثمانية في البصرة وأمن الملاحة بين البصرة ومسقط. وقد انشغل الإنكليز كثيراً بحماية مصالحهم في أثناء الوضع القلق في منطقة شمال الخليج وذلك لتتمكن من التدخل بفعالية في منطقة جنوب الخليج رغم أنهم كانوا قد قاموا ببعض المحاولات للتدخل. وكان من الممكن أن يتطور الوضع ليصبح صراعاً مع القواسم إلاّ أن ذلك الصراع نشأ في فترة لاحقة. ولم يعد شيوخ القبائل العربية الصغيرة التابعة للهولة يلعبون دوراً في الأحداث.

وفي عام ١٧٦٧، تدخّل الإنكليز إثر حادثة في عام ١٧٦٧. فقد استولى ملاحون عرب في سفينة «إسلام أباد» (وهي سفينة هندية ترفع العلم الإنكليزي وعلى متنها بعض المسؤولين الأوروبيين) على سفينة في موغوه عام ١٧٦٥ وأبحروا بها إلى جزيرة قيس، وأعاد شيخ آل علي السفينة لكنه احتجز حمولتها، حيث نال رئيس الاتحاد القبلي لديهم وهو شيخ بني معين الشيخ عبد الله شيخ هرمز نصيباً كبيراً(٨٨). وقد ردّ الإنكليز على ذلك في عام ١٧٦٧ بإرسال أسطول لإجبار الشيخ عبد الله لإعادة ما احتجزه ودفع غرامة كبيرة واحتلال هرمز، إما للإنكليز أو لأي مرشح آخر يعينه كريم خان. ويعتبر التخطيط لهذه المهمة مثلاً نموذجياً للفوضى في السياسة الإنكليزية. فمن ناحية كانوا يأملون بالحصول على معقل جيد في الخليج، كما كانوا يخطّطون منذ سنوات للحصول على البحرين أو هرمز أو خارج. وقد كان توقعهم في احتمال تقديم كريم خان، الذي كان على نزاع معهم آنذاك، جزيرة هرمز لهم أو تعيين أيّ شخص مناسب لهم عليها مجرّد آمال كاذبة. ولا يبدو أن ابتزازهم لكريم خان بعد السيطرة المحتملة على هرمز كان عرضاً عملياً. فقد كانت هرمز بعيدة جداً كما أن بندر عباس لم تكن مهمة بسبب أن كريم خان لن يعاني من محاصرة موانئ جنوب الخليج. ولحسن حظ الإنكليز فقد تجنبوا المزيد من الإحراج. بعد أن تحطمت إحدى السفن الإنكليزية نتيجة حادث مقابل جزيرة الجسم وألغيت الحملة(٨٩). وقد ثبّت الشيخ عبد الله حكمه على هرمز. ولم يكن الأمر سهلاً. وحيث أنه لم يكن بحاجة للسفن الحربية الكبيرة لهذا باع سفينته «فتح رباني» لإمام عمان(٩٠).

ولم تتعلّم بومباي كثيراً من التجارب السابقة. فقد خطّطت حكومة الهند لحملة كبيرة لتأمين الخليج بعد أن استولى بعض رعايا الفرس على بعض السفن الإنكليزية وكانت تلك مغامرة فردية طموحة مجالها في النجاح قليل ولسوف يكون من المستحيل قمع جميع الاحتمالات الممكنة في المنطقة، وإخلاء العناصر غير المرغوب بها من جميع موانئ الخليج الصغيرة التي كان العديد منها مجهولاً. وقد تمكن الوكلاء الإنكليز في الخليج من إبطاء هذا المشروع الكبير حتى عام ١٧٧٠ كي يتمكن فيه المدراء في لندن من منع هذا العمل الجنوني(٩١).

وقد نتج عن حرب كريم خان ضد عمان عام ١٧٧٠ اضطراب كبير في المنطقة. وكان يرغب في استعادة سلطة مماثلة لسلطة نادر شاه على عمان وكان غاضباً لأن الشيخ عبد الله شيخ هرمز باع الإمام السفينة الحربية الكبيرة «فتح رباني»(٩٢). ولقد أدّت مشاريع كريم خان في استعادة السيطرة على عمان إلى تكوين تحالف بين بعض الأعداء السابقين، الإمام والقواسم والشيخ عبد الله شيخ هرمز، حيث كان لديهم جميعاً أسباب تجعلهم يخشون تفاقم السلطة الفارسية في منطقة جنوب الخليج. وقد انضم الشيخ محمد رئيس خمير الذي كان حاكماً نوعاً ما على بندر عباس، إلى أعداء كريم خان. وفي عام ١٧٧٤ أرسل جيش فارسي بقيادة زكي خان إلى بندر عباس كما أرسلت كتيبة بحرية إلى عمان.

ولكن حملة القوة البحرية فشلت وعادت بعد أن تكبّدت خسائر كبيرة دون أن تحرز أية نتائج. وكانت حملة الجيش تعني نهاية بندر عباس كمركز للتجارة الدولية إذ غادرها آخر مجموعة من التجار. من ناحية أخرى فقد كريم خان زمام الأمر خلال سير الأحداث وكان قد أحكم قبضته فقط نظراً لاحتجازه لابن الشيخ عبد الله رهينة لديه. ولكن الشيخ عبد الله كان ماهراً فقد خدع زكي خان عندما جعله يعتقد أن هناك ترتيبات زواج تجري بين زكي وبين ابنة عبد الله الجميلة عائشة. وخلال الاحتفالات احتجز عبد الله زكي رهينة ولم يطلق سراحه إلاّ بعد أن أطلق الأخير سراح ابنه(٩٣). أما كريم خان فقد حاول حلّ مشاكله بطرق تقليدية حيث قدّم بندر عباس لشخص آخر. وكان حيدر علي نائب ميسور هو شريكه الجديد في بندر

عباس.

ولم تكن الأمور كما يجب. صحيح أن حيدر علي قد أبدى بعض الاهتمام بالخليج ولكن يبدو أنه كان يتطلع إلى مكان أكثر ازدهاراً حيث أرسل بعد سنوات من ذلك بمبعوث عنه إلى عمان(٩٤).

وعندما بدا عدم إمكانية كريم خان تدبير قوة للقيام بحملة ضد عمان اتصل أرباب أسطول عماني بالشيخ عبد الله وشنّ الأسطول هجوماً على القوات الفارسية المتجمعة في لنجة. وقد أحرقوا بعض السفن الحربية الفارسية في بندر عباس.

ولقد تردّد كريم خان في التورط في عمليات عسكرية مباشرة ضد عمان على نطاق واسع حيث أثبتت الأحداث التاريخية أيام نادر شاه مخاطر ذلك. ولكنه بدلاً عن ذلك حاول إلحاق الدمار باقتصاديات عمان بوضع حدّ لقاعدتها الاقتصادية الأساسية التي تتمثل في التجارة مع البصرة. وبهذه الطريقة أعاد كريم خان سياسة الصفويين ونادر شاه وكان وضع العثمانيين في البصرة ضعيفاً وكان من الممكن أيضاً جذب اهتمام جيران البصرة العرب في هجوم ضد الأتراك. وقد جاء ذكر غزو البصرة في هذا الوضع في الجزء الذي يصف الأحداث في منطقة شمال الخليج. ومن الضروري الإشارة ضمن هذا الجزء من الكتاب إلى أن أسطولاً عمانياً بقيادة بارجة الأميرال «فتح رباني» (بعد غزو البحرين) تمكّنت مؤقتاً من فك الحصار الذي فرضه كريم خان على البصرة بفتح الطريق لاستلام المؤونة من الخليج. إلا أن الطريق من البصرة إلى بغداد ظلت مغلقة وقد غادرها العمانيون ونتيجة لذلك تمكّن كريم خان من الاستيلاء على المدينة بسهولة. كانت الحملة العمانية مغامرة تجارية في الأساس. فقد كانت طريقة نقل السلع سنوياً من وإلى البصرة أفضل ولهذا عاد العمانيون بعد الانتهاء من عملياتهم التجارية. إلاّ أن المراقبين المحليين في البصرة لم يرق لهم هذا الانسحاب كثيراً(٩٥).

وفي عام ١٧٧٦ أبعد العمانيون الشيخ عبد الله شيخ بني معين بسبب تقلّبه الدائم في الولاء بين الجبهتين الفارسية والعمانية مما أدى إلى غضب الفرس والعمانيين منه(٩٦). كذلك واجه العمانيون بعض المشاكل مع القواسم وكانوا في حالة حرب

دائمة معهم. لقد أدّت قوة القواسم البحرية إلى صعوبة كبيرة في استعادة سيطرة عمان على الخليج. وقد حدث تغيير مهم في الصير عندما أُبعد الشيخ راشد بن مطر لكبر سنه وخلفه ابنه صقر الذي كان قد تزوّج من ابنة الشيخ عبد الله شيخ هرمز(٩٧). وكما ظهر في أحداث لاحقة استعاد راشد الكثير من السلطة ومن حين لآخر كانت المنازعات تشتعل بين عمان والقواسم. وفي عام ١٧٧٨، أبحر خلفان بن محمد، والي مسقط وأقوى رجل في عمان بعد الإمام، على رأس أسطول متوجهاً إلى رأس الخيمة. إلاّ أن هذه الحملة قد فشلت لأن السفن العمانية لم تجرؤ على الاقتراب أكثر نحو الشاطئ بسبب ضحالة المياه. كذلك استولى القواسم على سفينة إنكليزية خاصة رفعت لدى دخولها الميناء علماً عمانياً وبهذا أصبحت غنيمة شرعية. ولم ينتج عن احتجاجات الإنكليز أكثر من استرجاع السفينة ولكن الحمولة صودرت(٩٨).

وظلت محاولات عمان في استعادة سلطتها السابقة ضعيفة. فقد كان عليها استعادة أقاليم من عدة قوى استفادت من سقوط اليعاربة. ولقد أبعدت المشاكل القائمة في المستعمرات الأفريقية إمام عمان عن اهتمامه بالخليج. فقد نالت ممباسا استقلالها وطلب سكان جزيرة كلوة المساعدة من البرتغاليين للعمل على إضعاف السلطة العمانية، كانت كلوة تخضع لفترة من الزمن لسيطرة الفرنسيين فيما كانت زنجبار هي الوحيدة في شرق أفريقيا التي لم يواجه فيها حكم إمام عمان المنازعات(٩٩). كذلك واجهت عمان المشاكل في المحافظة على حيادها في الحرب بين إنجلترا وفرنسا التي كانت قد بدأت عام ١٧٧٨. وفي عام ١٧٨١ برز في مسقط القرصان الفرنسي دشينز (Deschiens) ومعه سفينتان مسلحتان من موريشيوس (كانت في ذلك الوقت تابعة لفرنسا وكانت تسمى جزيرة فرنسا). وقد طلب دشينز من الحكومة العمانية تسليمه سفينة إنكليزية خاصة رابضة في ميناء مسقط. ولم يتمكّن الإمام من تلبية رغبة الفرنسيين إذ أنه قد ينتج عن ذلك حرب ضد الإنكليز. وأخيراً استولى الفرنسيون على السفينة الإنكليزية بأنفسهم ولم تسلم منهم السفن العمانية أيضاً. وقد استولى دشينز على السفينة العمانية «صالحي» متسبّباً بالأذى

والدمار للتجار العرب في الخليج. وقد احتجزت السفينة الأخرى القادمة إلى مسقط بقيادة القبطان دي كيرادان (De Ke`radan) في انتظار المفاوضات بين الحكومة العمانية والفرنسيين. وقد ذكر خلال المفاوضات احتمال منح الفرنسيين أحد حصون مسقط(١٠٠). تبين الأحداث في تلك الفترة السرعة في تغيّر الوضع في الخليج. فقد ضعفت جميع القوى العظمى التقليدية مثل بلاد فارس وإنجلترا وعمان. ونتيجة لذلك كان بإمكان المغامرين أمثال القراصنة الفرنسيين التدخّل. كذلك كان بإمكان قوى أخرى الاستفادة من الوضع. وفي عام ١٧٨١ احتجز العرب في الخصب مركباً قادماً من بوشهر يحمل بضائع تخصّ الأوروبيين ورعايا مسقط وبوشهر حيث كان قد شاع أن البضائع الخاصة بتجار خصب كانت تحتجز في البصرة. وما لبث أن توجّه حاكم رأس الخيمة الشيخ صقر بن راشد القاسمي على رأس أسطول من المراكب المسلحة إلى البصرة مطالباً بإعادة البضائع فوراً. وخلال المفاوضات الجارية حول هذه المسألة مع حكومة البصرة المحلية طالب صقر بمكانته المتصدّرة بين العرب في منطقة جنوب الخليج ووعد بإعادة كل ممتلكات البصرة المحتجزة لدى أهالي الطرف الجنوبي من الخليج(١٠١).

حرب عرب جنوب الخليج ضد العتوب:

من المحتمل أن يكون لغزو البصرة نتائجه العكسية على الحركة التجارية في المنطقة، وبالتالي فقد أدى إلى قيام ثورات قبلية جديدة في منطقة شمال الخليج ففي عام ١٧٦٦ غادر قسم من العتوب من البحّارة والتجار النشطين الكويت حيث أن تجارتها قد تأثرت من الأحداث الجارية حول البصرة، وأسّسوا مدينة جديدة لهم في الزبارة في قطر. وفي عام ١٧٧٦ تبعتهم مجموعة أخرى. ويبدو أن هذا القسم من العتوب بقيادة آل خليفة وآل جلاهمة قد ابتعدوا عن التقليد العتوبي في التحالف مع كريم خان وتابعه شيخ بوشهر. ومن الممكن أن تكون المشاكل الناجمة عن مغاصات اللؤلؤ في البحرين هي التي سبّبت هذا الصدع(١٠٢). ولقد تصرّف كريم خان فوراً ضد الزبارة، ولكن هجومه الأول عام ١٧٧٧ قد فشل(١٠٣).

أما الرؤساء العرب في منطقة جنوب الخليج الذين اهتموا بمغاصات اللؤلؤ فقد وجدوا أنفسهم أمام حقيقة أن العتوب أعداءهم منذ فترة طويلة، صاروا في موقع قريب جداً من مركز هذه المغاصات.

وفي عام ١٧٧٩ توفي كريم خان. وأدّى موته إلى عدم تدخّل بلاد فارس في الصراع التالي على السلطة بين العرب. وكان لدى الشيخ ناصر في بوشهر بعض السفن وقليل من الجنود. وقد تنافس على السلطة عدد من عائلة كريم خان وغيرهم من الشخصيات المهمة في بلاد فارس. ولم يتمكن أي منهم من تثبيت نفسه وبالتالي فإن موت كريم خان أدى إلى زيادة تعقيد نمط الأحلاف في المنطقة. ففي البداية حاول باجور خان (Bagur Khan) من تانجستان أن يوسّع نفوذه فتحالف مع بني كعب ومع النصور من طاهري ومع مير علي من بندر ريج وقام بغزو بوشهر. إلاّ أن التحالف بين الشيخ ناصر وشيخ البحرين (من المرجّح أنه ابن عم ناصر وهو ابن سعدون بن مذكور) والشيخ صقر من الحرم قد قضى عليه. وكانت شيراز تحت سلطة علي مراد خان ابن أخ زكي خان، وهو من أرباب الحرب، وكان قد تعاون معه معظم رؤساء العرب في الساحل الشمالي، وأهمهم الشيخ ناصر من بوشهر الذي كان يرأس أكبر قطع من الأسطول الفارسي(١٠٤).

وما لبثت أن أصبحت عمان دون قوّة مثل بلاد فارس. ففي فبراير من عام ١٧٨١ نشأ صراع داخلي ضمن الأسرة الحاكمة. وقد استولى اثنان من أبناء الإمام أحمد بن سعيد على حصون مسقط ولقد منح ذلك القواسم فرصة جيدة لمحاولة حلّ صراعاتهم مع عمان فزحفوا نحو عمان زاعمين أنهم يساندون الابنين. ولكنهم ما لبثوا أن انسحبوا بعد تسوية نزاعاتهم مع ابنهم الإمام لصالحهم(١٠٥). ورغم تمكّن الإمام أحمد من إنهاء الثورة إلا أنه لم يتمكن من إبراز المزيد من الطاقة والقوة بعد بسبب كبر سنه.

وفي وسط الخليج كانت سلطة العتوب تتزايد فقد هاجموا البحرين وسلبوا معقل الشيخ ناصر في المنامة. ولم يكن يرضى أيّ من رؤساء منطقة جنوب الخليج بتوسع العتوب ضد سلطتهم. كذلك فإن الفرس سوف يفقدون بذلك جميع فرص تحصيل

الدخل من مغاصات اللؤلؤ إذا ما سيطرت على البحرين قبيلة لا تلتزم نحو بلاد فارس بشيء. كما أنه كان للقواسم مصالحهم الخاصة في صيد اللؤلؤ. وقد أمر علي مراد خان حاكم شيراز الشيخ ناصر سيّد البحرين لجمع محاربين من القبائل المقيمة على الساحل الشمالي وشن هجوم على الزبارة(١٠٦).

وفي عام ١٧٨٢، حشدت قوة من ألفي رجل بقيادة محمد ابن أخ ناصر، وباقي الأسطول الفارسي بمحاصرة الزبارة(١٠٧).

وقد توسّط الشيخ راشد بين الطرفين بغرض تجنُّب صراع دام، إلا أنه فشل. وتبعت ذلك معركة سقط فيها عدة ضحايا ومن ضمنهم محمد نفسه كما قتل ابن عم الشيخ راشد وعدد من الأشخاص المهمين من بني معين. وقد شنَّ العتوب هجوماً آخر على البحرين واستولوا هذه المرّة على الحصن. كذلك شن العتوب وبنو كعب وبنو خالد من الحسا هجوماً مشتركاً على البصرة(١٠٨). وفي يوليو من عام ١٧٨٥ فشل كل من الشيخ راشد والشيخ ناصر في محاولة أخرى لحشد جيش جديد لإخراج العتوب من البحرين. بعد ذلك لم تقدم السلطة الفارسية أية مساندة فقد توفي علي مراد خان حاكم شيراز في فبراير من ذلك العام(١٠٩).

وعلى الرغم من أن السلطات الفارسية هي التي أمرت ببدء هذه المعارك إلاّ أنها أصبحت مسألة عربية صرفة.

ولم يكن لعمان دور في هذه الأحداث لأنها كانت تعاني من المشاكل الداخلية. فقد توفي الإمام أحمد بن سعيد عام ١٧٨٣ وواجه ابنه وخلفه سعيد صعوبات جمّة في أن يجعل سلطته مقبولة للجميع. ومرّة أخرى حدث توتّر بين قانون الوراثة الذي فرضته السياسات ومصالح الأسرة وبين قانون الانتخاب الذي يؤيده الإباضيون وبعض الأعيان أيضاً. ولقد تحوّل ولدا أحمد بن سعيد الأصغران اللذان تمرّدا ضد والدهما سابقاً، ضد أخيهما الأكبر. ومرّة أخرى حصلا على مساندة القواسم الذين استغلوا الوضع لمصلحتهم(١١٠).

لقد أصبحت منطقة جنوب الخليج عربية خالصة تقريباً. وقد ظل في منطقة وسط الخليج وجنوبه ثلاث قوى رئيسية وهي عمان والقواسم والعتوب. ويبدو أن قوة آل

علي والنصور قد تقلّصت لتصبح ذات اهتمام محلّي صرف. ولم يكن وضع بني معين أفضل ففي أواخر عام ١٧٩٥ نرى أن القواسم قد سيطروا أيضاً على معقل بني معين في هرمز(١١١). لقد ضعف القواسم لأنهم فقدوا أمام قوة العتوب الاقتصادية المتزايدة جزءاً من تجارتهم البعيدة التي كانوا يمارسونها من قبل بين الهند والبصرة. وعلى الرغم من أن العتوب قد سيطروا بحرياً على منطقة شمال الخليج إلاّ أنهم لم يكونوا أقوياء إلى درجة تكفي بأن يهاجموا قوة بحجم القواسم. وأخيراً فإن توسّع العتوب سوف يتوقّف نتيجة غزو الوهابيين للزبارة فقد ظهر الوهابيون في آخر سنوات القرن الثامن عشر كحلفاء للقواسم، ونتيجة لإنعاش ونهضة قوة عمان البحرية.

كانت عمان القوة العربية الوحيدة في منطقة جنوب الخليج التي حافظت على علاقاتها السياسية الممتدة خارج الخليج. فقد كان هناك تعاملات كبيرة مع الفرنسيين وعلاقات حميمة مع حاكم ملابار الهولندي ومع تيبو سلطان (Tipu Sultan) كذلك تمسكت عمان بزنجبار التي أصبحت مصدراً أساسياً للدخل بالنسبة للأسرة الحاكمة في مطلع القرن التاسع عشر. كانت هذه القوى الثلاث جميعها منافسة للإنكليز وكان بإمكان الإمام الاشتراك بعرض مربح للقوة بعض الوقت(١١٢).

وعبر البحر العربي كانت قوة الشركة الإنكليزية تتزايد في الهند. وكان من المؤكد أن تلك القوة العظمى سوف تحاول توسيع نفوذها إلى أبعد من ذلك. وكان اهتمام الإنكليز الأساسي ينصب بحاجتهم للاتصال السريع بين أوروبا والهند. وكان الخليج هو الطريق الوحيد لإيصال الرسائل بسرعة إلى البحر الأبيض المتوسط، لأن العثمانيين لم يسمحوا للسفن الأوروبية بالتنقل عبر البحر الأحمر إلى مصر. والسبب الآخر لتوسّع الإنكليز فيما بعد هو اهتمام الجزء الغربي الكبير من الهند (حيث كانوا هم القوة المسيطرة) بممارسة التجارة في الخليج. لقد كان اختفاء القوة الأوروبية ظاهرياً مسألة مؤقتة. فعندما عادت الشركة الإنكليزية لم يكن هناك منافسون أوروبيون وبالتالي كان من الممكن لها فرض قوانينها الخاصة بها.

الخاتمة

سيطرت ثلاثة عوامل على تاريخ عرب الخليج خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر.

العامل الأول هو ظهور بلاد فارس كقوة على سواحل الخليج بعد سقوط مملكة هرمز العربية البرتغالية.

العامل الثاني جاء نتيجة لسقوط مملكة هرمز وهو فتح الطريق إلى الخليج أمام الإنكليز والهولنديين مما جعل من الممكن أن تستعيد عمان أقاليمها الكاملة.

وأما العامل الثالث فيتمثل بضعف القوّتين الإسلاميتين العظميين بلاد فارس والامبراطورية العثمانية. وقد فسح ذلك الضعف المجال أمام الدول العربية المستقلة أن تنمو وتتطور. ولم يكن التدخل الأوروبي سبب ذلك الضعف (فالوجود الأوروبي في الخليج كان أبعد من أن يكون قوياً لمجرد وجود بضع مئات فقط من الجنود وقليل من السفن)، ولكن السبب في ضعفهما يتمثل بضعف البناء وسوء الإدارة الداخلية في كلّ من بلاد فارس والامبراطورية العثمانية.

إن الصراع القائم بين القبائل العربية لرسم الحدود وامتلاك مصادر الدخل بالإضافة إلى الانتعاش المؤقت الذي نعمت به كلّ من بلاد فارس والامبراطورية العثمانية قد تسبب في فشل عرب جنوب بلاد فارس والعراق في الحصول على الاستقلال التام أو المحافظة عليه. أما على ساحل شبه الجزيرة العربية، حيث لم يتمكن الفرس من التدخل بقوة كافية، فقد تمكنت بعض القوى العربية الموجودة هناك من البقاء وفي نهاية الفترة التي يغطيها هذا الكتاب كانت الكويت وقطر والبحرين وعمان قد أصبحت تقريباً في وضعها الحالي. وبسبب موقع إمارة القواسم بين عمان والخليج قطعت هذه

الإمارة الطريق على العمانيين من التدخل في المنطقة الساحلية هناك، هذا بينما كانت الإمارات الأخرى التي تشكل حالياً الإمارات العربية المتحدة تتطور أو أنها قد ظهرت فعلاً.

إنّ المصادر حول تاريخ تطوّر ونموّ الدول العربية في الخليج قليلة ومبهمة. وأكثرها أهمية ما يُشار إليها في الوثائق الأوروبية، إلاّ أنها تعليقات لمراقبين لم يكن لهم اهتمام كبير بالعرب. ولا بدّ من التأكيد على أن بلاد فارس قلّما كانت في تلك الفترة قوّة خليجية كذلك لم تكن الامبراطورية العثمانية قوة خليجية، وأن وجود الأوروبيين كان بهدف الأرباح فقط مستخدمين ما أمكنهم من الوسائل العسكرية سعياً للمزيد من الأرباح وهذا يعني أنه لم يكن للأوروبيين في الخليج نفوذ حقيقي للتأثير على التركيبة السياسية لنمو الكيانات العربية، إنّ العرب رغم عدم توحّدهم، هم الذين صنعوا بأنفسهم خريطة الساحل العربي من الخليج.

حواشي فصول الكتاب

الفصل الأول

1 The typical route of European shipping in the Gulf can be seen in the line of soundings on the oldest Dutch manuscript chart of the Gulf, made by the Basra expedition of 1645: Karlsruhe, Badische Landesbibliothek, Artus Gijsels papers no. 478. Description of Qishm made at the occasion of an occupation of the island planned by the Dutch in 1645 in ARA, Map department VEL 866; Description of Hormuz, made at the occasion of the Dutch occupation of 1728 in ARA, VOC vol. 2105, fol. 173-190.

2 Gasparo Balbi, *Viaggio dell'Indie Orientali,* (Venezia 1590). There exists a Dutch translation in the well-known collection of voyages by Pieter van der Aa: *Reysen*,vol.19 (Leiden 1706). A modern edition is Olga Pinto (ed.), *Viaggi di Carlo Federici e Gasparo Balbi alle Indie Orientali* (Roma 1962: Nuovo Ramusio t.4).

3 *Relaciões* (Amberes 1610). In the references in this book we used the annotated English translation *The travels of Pedro Teixeira,* ed. W.F. Sinclair (London 1902 = Hakluyt Society ser. 2 vol. 9). There exists a Dutch translation in a collection of texts on Persia edited by S. Imbrecht and printed in Amsterdam in 1665.

4 ARA, Papers of W. Geleynssen de Jongh, nos. 280 and 280a (expeditions of 1644-1645 to the Musandam peninsula).

5 ARA, VOC vol. 1259, fol. 3366-3376 (account of the expedition of 1666, published by W. Floor, 'First contacts between the Netherlands and Muscat', *Zeitschrift der deutschen morgenländischen Gesellschaft,* 132/2 (1982), pp. 289-307).

6 Examples are maps like the manuscript ones in ARA, Map department, VEL 220-222 and in Thornton, *English pilot,* 3rd book (behind p. 34: chart of the Gulf, based on Dutch charts).

7 Barthélémy Carré, *Voyage des Indes Orientales* (Paris 1699). We use here the annotated English translation in Hakluyt Society, 2nd series, vol. 95-97 (London 1947-1948).

8 This report in ARA, Aanw. 1e afd. 1889 no. 23b, a translation into English in W. Floor, 'A description of the Persian Gulf and its inhabitants in 1756', *Persica* vol. 8 (1979), pp. 162-185.

9 The best and most detailed description is G.B. Brucks, 'Memoir descriptive of the navigation of the Gulf of Persia', *Bombay Selections,* vol. 24, pp. 531-634. The modern Persian Gulf Pilot, published by the British Admiralty, is also

useful while verifying data in old naval documents.

10 The origin of this seems to be in the maps published by the Venetian Gastaldi in 1561. Typical examples of this are the maps by the famous Amsterdam editor Blaeu which had a wide circulation in the seventeenth century.

11 Jan Huygen van Linschoten, *Itinerario* (first edition, Amsterdam 1596), map of the Indian Ocean opposite p. 10. Tibbetts, *Arabia*, pp. 54-56, attributes this map to Langren who only was the engraver of the printing plate.

12 Some manuscript charts of the Gulf of the Dutch East India Company are now in the map department of the ARA, VEL 220-222 and 864-866. Another chart is in the Leiden University Library (printed in Hotz, 'Roobacker', map 5). The oldest known Dutch chart of the Gulf, dating from the expedition of 1645 is in the Landesbibliothek in Karlsruhe, Artus Gijsels papers no. 478. A small Dutch atlas with several charts of parts of the Gulf of c. 1650 is in the British Library Additional Manuscripts 34184. This atlas seems to have belonged to a director of the Dutch East India Company, and derives from Portuguese examples, like the chart by Teixeira Albeniz printed in A. Cortesão and A. Teixeira da Mota, *Tabularum geographicarum specimen*, plate XXIX.

13 Thornton, *English pilot*, 3rd book, chart of the Gulf behind p. 34, and the manuscript version of it in De la Roncière, *Les Portolans*, plate 99, show in the soundings around Qishm and near the Musandam peninsula a dependency on data of Dutch expeditions. The commentary in *Les Portolans*, p. 271, rightly assumes a Dutch origin of Thornton's chart, but its arguments for this assumption are wrong.

14 Johannes van Keulen, *De nieuwe lichtende Zee-fackel*, vol. 6 (Amsterdam 1753), chart of the Gulf. The atlas was reprinted in 1966, the chart is also reproduced in Slot, *Origins*, plate 28.

15 Manuscript-atlas De Haan, vol. 2 (ARA, VELH 156), chart 13B (entire Gulf with a detailed view of the bay of Muscat and Matrah).

16 *A chart of the Gulf of Persia... of Captain Wainwright*, published by the Hydrographic Office in 1820. A copy in ARA, MCAL 4174.

17 A facsimile of Gastaldi's map is printed in Tibbetts, *Arabia*, p. 45.

18 Ortelius, *Theatrum* (Antwerp 1570), map of the Ottoman Empire and Mercator, *Atlas sive Cosmographia* (Amsterdam 1607), maps of Persia and the Ottoman Empire. The maps of Arabia and Persia in Blaeu's *Atlas Major*, vol. Asia (ARA, AKF 2) are the most elaborate examples of this type. Later Dutch editions of Mercator's atlas seem to have used Portuguese maps and add some relevant place names like 'Roccalima' which stands for Ras al Khaima: Jansonius and Hondius's edition of Mercator's atlas (Amsterdam 1636), map of the Ottoman Empire (*Turcici imperii imago*).

19 Sanson's map of Arabia (*Arabie pêtrée, déserte et heureuse...*) appeared in 1652. Later editions bearing Sanson's name often are compilations of different

French and Dutch maps, like the ones in ARA, TOPO atlases no. 25-27. Vingboons's map which is a Blaeu map with additions based on nautical charts is in ARA, VELH 619, map 10. Frederik de Wit's map (like the one in ARA, TOPO atlas 5) is partly based on the Dutch tradition, partly on Sanson. De l'Isle's maps became interesting after 1720, the first French editions of 1701 contributed nothing new.

20 A reproduction in Slot, *Origins*, plates 17 and 19.

21 Tibbetts, *Arabia*, pp. 31 and 166. On p. 165 a facsimile of d'Anville's map.

22 C. Niebuhr, *Beschreibung*, tab. XIX.

23 Description of the 'temporary villages' of the fishermen in Balbi, *Viaggi*, p. 121.

24 Kniphausen report, fol.1-1v (=Floor, 'Description', p. 165).

25 Systematic details on most of the Catholic churches of the Gulf are given in *Chronicle*, vol. 2, pp. 1029-1065.

26 A Dutch document of 1645 explicitly mentions that the Ottoman-Persian border ran through the river bordering the island of Quban in the East: Hotz, 'Roobacker', 370-371:'this island [Quban/Dawraq] is bordering Persia. The Khor Musa separates it from Persia; there are 2-3 fortresses on it which belong to the King of Basra'. A geographical description of the area can be found in the *EI* i.v. Karun (vol. 4, pp. 673-678).

27 Hotz, 'Roobacker', pp. 342-348. The map by Roobacker in Badische Landes-bibliothek in Karlsruhe clearly shows the Shatt al Arab closed by shallows and the Bamishir as the route for shipping.

28 Thevenot, *Suite du voyage*, pp. 306-307, 332; Bocarro's *Livro das Piantas* in Bragança Pereira, *Arquivo*, tom. 4 (Historia administrativa) vol. 2 (1600-1699) pt. 1, p. 94.

29 A chart of 1753 (J. van Keulen, *Zee-fackel*, chart of the Gulf) shows the Shatt al Arab as principal way of access to Basra.

30 The English Basra Diary vol. 197, pp. 371 (9-4-1767) mentions that Quban [Dawraq island] is Ottoman territory. Dawraq [Fallahiya] has always been Persian.

31 In 1623, according to a Portuguese document published in Cordeiro, *Dois Capitães*, pp. 87, the Ottomans defeated a Persian attack on their border fortress of Dawraq on the island of Quban. A later reference to Dawraq as an Ottoman stronghold in ARA, VOC vol. 9099, Dutch Basra diary of 18-9-1725.

32 About this tribe see especially EBD of 1766 and 1767, *passim*, but especially vol. 197, p. 22 (reference to the settling of the Banu Ka'b on Dawraq), J.R. Perry, 'The Bani Ka'b, an amphibious brigand state in Khuzistan' *Le monde iranien et l'Islam* vol. 1 (1971) pp. 131-152; *EI*, vol. 4 p. 314 i.v. Banu Ka'b (by A.M. Abu Hakima), Otter, *Voyage*, vol. 2, pp. 199-201 and Niebuhr, *Beschrei-*

bung , pp. 319-320

33 EBD vol. 197, p. 22 (9-8-1767): letter by Karim Khan.

34 EBD vol. 197, p. 371 (9-4-1767) 'The Ka'b is originally a subject of the Turk and has for many years possessed a considerable territory within their dominions bordering upon the Persian Empire... After the death of Nadir Shah in the trouble ... he also got parts of territory in Persia and now is subject of both powers'. The change of allegiance by the Ka'b is discussed in Perry, *Karim Khan*, pp. 161-16, but not always correctly because Perry did not use the English Basra diary in the Bombay archives.

35 W. Caskel, 'Die Wali's von Huweze' *Islamica* 6 (1934), pp. 415-434; Lockhart, *Fall of the Safavi-dynasty*, pp. 53-554, 132-134.

36 ARA, Aanw. 1e afd. 1889, 23b, fol. 9v; English translation in Floor, 'Description', p. 175.

37 Kniphausen report, fol. 9v (= Floor, 'Description' p. 175). It is mentioned in Thevenot, *Suite du Voyage*, pp. 301-302, halfway the seventeenth century, as a place belonging to the Persian Khan of Shiraz.

38 Dutch atlas of about 1650 in BL, Add. mss. 34184. Portuguese charts in Cortesão, *Monumenta* vol. 4, p. 397.

39 Slot, *Origins*, pp. 70-71.

40 Kniphausen report fol.9-9v (=Floor, 'Description', pp. 174-175).

41 Kniphausen report fol. 8v-9 (= Floor, 'Description', p. 177).

42 Teixeira, *Travels*, p. 24; *Generale Missiven*, vol. 5, p. 280; Foster, *English Factories*(1642-1645), p. 283; Thevenot, *Suite du Voyage*, pp. 297-299 mentions the wheat trade in Rig, at that time a town of mostly huts built of palm-fronds. Wheat was exported from Rig to Basra and Bahrain. Carré, *Travels*, vol. 3 p. 836 also mentions the wheat trade of Bandar Rig.

43 There are references to the vicissitudes in the Dutch reports from Kharg, and especially in the Kniphausen report, fol.7v-8 . (=Floor, 'Description', pp. 172-174). The history of the English settlement in Amin, *British interests*, pp. 35-38.

44 Teixeira, *Travels*, pp. 24-25; De la Boullaye de Gouz, *Voyages*, p. 286; Hotz, 'Roobacker', pp. 362-363; Foster, *English factories* (1642-1645), pp. 186, 273.

45 The history of the Dutch settlement of Kharg will be treated in chapters 9-10. The English plan in IOL FR 29/7 p.30 (9-10-1750). The French plan in ANP AE B1, Correspondance Consulaire, Basra vol. 1, fol. 259-259v.

46 An example of Portuguese maps with 'Rixel' as a large town is the atlas of Sebastião Lopez, printed in Cortesão, *Monumenta*, vol. 4 p. 397. References to Rishahr as a centre of pearldiving in ARA, VOC vol. 1113, fol. 225v. According to the diary of the Dutch expedition to Basra of that time, Dawud Khan, the governor of Rishahr was trying to attract European trade to his town: ARA, Geleynssen de Jongh papers no. 280e: Dutch Basra diary on the date of 16-8-1646. Correspondence of the Dutch with Dawud Khan in ARA,

Geleynssen de Jongh, no. 100.

47 ARA, VOC vol. 2088, fol. 3413v.

48 Details on the Dutch founding of the Dutch establishment in Bushahr in ARA, VOC vol. 2448, fol. 2514-2540. About the English residence Amin, *British Interests*, pp. 71-75. Description of Bushahr in Parsons, *Travels*, pp. 187-188.

49 Kniphausen report fol. 6v-7 (=Floor, 'Description', p. 170). Niebuhr, *Beschreibung*, pp. 315-316.

50 VOC vol. 2448, fol. 2437-2438 (mention of Madhkur in Bushahr). According to a Dutch document, his father's name was 'Gamier': VOC vol. 2476, fol. 676.

51 *Bombay Selections*, pp. 94 (note), 541, 545.

52 Niebuhr, *Beschreibung*, pp. 314-315; Kniphausen report fol.5-5v (=Floor, 'Description' pp. 170). De Wit's map *'Golf van Persia'* (ARA TOPO atlas no. 5) and Ottens's map *Empire Ottoman* (Slot, *Origins*, plate 18).

53 De Haan's atlas in ARA, VELH 156 vol. 2 chart 14.

54 Carré, *Travels*, vol. 1, pp. 96-102; vol. 3, p. 836.

55 The oldest map on which Kangun is marked is the chart made by the Dutch Basra expedition of 1645 in the Landesbibliothek of Karlsruhe (private papers of the VOC official Artus Gijsels no. 478). It is also on the maps following Sanson. A nineteenth century plan of Kangun can be found on the British admiralty map of the Gulf of 1820: ARA, MCAL 4174.

56 Kangun is best described in the Kniphausen report fol. 5 (Floor, 'Description', p. 170). Niebuhr, *Beschreibung*, p. 314 (a few words, literally derived from the Kniphausen report). Kangun first appears of maps of the Sanson tradition and remains on it through the De Wit and Ottens versions. The oldest mention of Arabs in Kangun is in Carré, *Travels*, vol. 3, p. 824.

57 Malcolm, *Sketches of Persia*, pp. 15-16.

58 Tahiri is mentioned as a dwelling place of Arabs by Carré (*Voyage* vol. 3 p. 824. More details in the Kniphausen report fol. 4v (=Floor, 'Description', p. 169).

59 'Chiru' as such is first seen on Ottens's map in Slot, *Origins*, plate 18. In the early nineteenth century, it was already deserted: Brucks in *Bombay Selections*, pp. xxiv, 591. It is not probable that Chiru is identical with the Chilu, which is a large place on early Portuguese maps, although confusion may have been caused by the difficulties the Portuguese have in distinguishing L and R.

60 Kniphausen's report fol. 4-4v (=Floor, 'Description', pp. 168-169). Niebuhr, *Beschreibung*, p. 314, is very summary but on pp. 330-331 some interesting but probably not completely reliable details about the history of the Al Haram rule over Bahrain. Carré, *Travels*, vol. 3, p. 832 is the most detailed

early text on Asalu. VOC vol. 1113, fol. 225v. mentions Asalu as a centre of pearldivers, already in 1632. It figures on early Dutch maps: ARA VEL 220. The important place 'Chilau' on early Portuguese maps probably is not Shilau but Nakhilu.

61 Teixeira, *Travels*, p. 21, cf. Balbi, *Viaggi* (ed. Pinto), pp. 103-104; Barbosa, *Libro* (Hakluyt-edition) vol.1, p. 87; Della Valle, *Viaggi*, vol. 3, pp. 2-3. Albuquerque, *Commentarios* (Hakluyt-edition) vol. 4, p. 154 places them in the area of Jask.

62 Some very early mentions of the port of 'Nicolo' are in Dunlop, *Bronnen*, pp. 147, 234 and ARA, VOC vol. 1113, fol. 225v. Early Portuguese sources mention already depredations by Nakhilu sailors (apparently Arabs) against the shipping of Hormuz: Balbi (ed. Pinto), p. 222; Teixeira, *Travels*, pp. xx, 20-22, 62, 176, 177; *Relações*, pp. 232-333. It was visited by Carré who gives some details on the Arabs there (*Travels*, vol. 1 pp. 96-102).

63 Carré, *Travels*, vol. 1, pp. 96-102.

64 Silva Figueroa, *Ambassade* (ed. Wicquefort), pp. 383-385.

65 First mention of Sharak on ARA, VEL 220.

66 Ottens in Slot, *Origins*, plate 17.

67 Carré, *Travels*, vol. 1, p. 106 and vol. 3, pp. 824 and 829.

68 Kniphausen report fol 3v-4 (=Floor, 'Description', p. 168). Niebuhr, *Beschreibung*, p. 314 only mentions that the Al Ali are the principal carriers of firewood and that they are the most valiant of the Huwala. A sort reference to Qays in Hotz, 'Roobacker' 362-363. Reference to the Al Ali in Oman in Scoville, *Gazetteer*, 172.

69 ARA, MCAL 4174.

70 Kniphausen report fol. 4 (=Floor, 'Description', p. 168); Niebuhr, *Beschreibung*, p. 314. Niebuhr remarks (*Beschreibung*, p. 328) that the inhabitants of Mughu withdrew to Farur when Mughu was threatened by enemies.

71 Bandar Kong can be seen on practically all maps of the seventeenth century. The place is very often referred to in documents of the seventeenth century. Descriptions can be found in *Relação das plantas*, pp. 17-18, in Boxer, 'Anglo-Portuguese rivalry', pp. 127-128, in Carré, *Travels*, vol. 1, pp. 106-114, in Thevenot, *Suite du Voyage*, pp. 344-352, De La Boullaye de Gouz, *Voyage*, pp. 284-285.

72 Fryer, *Account* (Hakluyt-edition), vol. 2, p. 361.

73 Kniphausen-report fol. 3v (=Floor, 'Description', p. 167); Niebuhr, *Beschreibung*, p. 314. C.E. Bosworth's article 'Linga' in *EI* vol. 5, p. 765, has inexact data for the eighteenth century.

74 An example of this is M. Bastiaansen, *Souvenirs*, pp. 50-51 and 100-101.

75 Aubin, 'Royaume d'Ormuz', (revenues of Hormuz on Qishm) pp. 101-103. Ibid. pp. 218-232 mention of some places on Qishm in a list of revenues of Hormuz in the sixteenth century.

76 The Dutch report on Qishm in ARA, VEL 866. This document also contains a detailed drawing of the fortress. A small engraving, showing the Dutch attack on the fortress, can be found in the memoirs of one of the participants in the expedition: Behr, *Diarium*, next to p. 70; description of the attack *ibid.* pp. 70-74. A small view of the fortress on the map of the Gulf in Kaempfer, *Amoenitates Exoticae*, p. 764, is connected with the Dutch conquest of it in 1681.

77 Aubin, 'Royaume d'Ormuz', p. 221.

78 ARA, VOC vol. 1152 (Persia part 4), fol. 447-448, VOC vol. 1398, fol. 591-592, VOC vol. 2152, fol. 7761, 7787v-7788v.

79 Kniphausen report fol.12 (=Floor, 'Description', pp. 177-178) cf. EGD 20-2-1760 and 9-9-1761 about the Al Haram on Qishm.

80 Reference to Basidu and its wealth in ARA, VOC vol. 2055 (Persia part 1), fol. 207. Lorimer, *Gazetteer*, Historical part, vol. I/1A p. 96.

81 *Relações*,eses p. 349.

82 The ties between Ras al Khaima and Basidu in ARA, VOC vol. 2016 (Persia part 1), fol. 109.

83 Saldanha, *Persian Gulf Précis*, vol. 1, p. 71.

84 Laraq is described in Dutch logbooks: ARA, Geleynssen de Jongh papers nos 280-280d; a view of the fortress is on the British Admiralty chart of 1820 (ARA, MCAL 4174). Reference to the Dutch activities in Thevenot, *Suite du Voyage*, pp. 267, 357 and Tavernier, *Voyages*, vol. 1, p. 236.

85 Adamec, *Gazetteer*, vol. 2, p. 273. More information on the Shihuh is given below in the description of the coast of the Arabian peninsula.

86 The best description of Hormuz in Portuguese time is J. Aubin, 'Le Royaume d'Ormuz au début du XVIe siècle' *Mare Luso-Indicum* 2 (1974), pp. 77-179.

87 There is a detailed description of Hormuz made in 1729 in ARA, VOC vol. 2105, fol. 175-190. Views of Hormuz in W. Foster, 'A view of Ormuz in 1627' *Geographical Journal* 4/2 (August 1894), pp. 160-162, and Cortesão, *Monumenta*, vol. 5, 682.

88 ARA, VOC vol. 2138, fol. 238-244.

89 Lorimer, *Gazetteer*, Historical part, vol. I/1A pp. 421-422 and vol. I/2 pp. 1852-1853.

90 Boxer, *Ruy Freyre*, pp. xxi-xxiii. A plan of the Portuguese fortress of Hormuz made by the Dutch in c. 1728 in ARA, VOC vol. 2091, fol. 4957.

91 Descriptions of Bandar Abbas in Hagenaer, *Scheep-vaert*, pp. 40-46; Struys, *Voyagiën* (ed. Amsterdam 1678), pp. 365-368; De Bruin, *Reizen* (ed. Amsterdam, 1704), pp. 347-349; Carré, *Travels*, vol. 3, pp. 813-819; Heydt, *Schauplatz*, pp. 292-293; Lorimer, *Gazetteer*, Geographical part, vol. IIA, pp. 8-15.

92 *Pieter van den Broecke* (ed. Coolhaas) vol. 2 next to p. 353; Struys, *Voyagiën* view of the situation in 1672 between pp. 364 and 365; De Bruyn, *Reizen*,

view between pp. 348 and 349 (the original water-colour drawing on which this engraving is based in ARA, Maps and Drawings Department, AANW. 1891 19h. Other views in Heydt, *Schau-platz*, beside p. 292 and in ARA, VEL 864. Two detailed plans of the Dutch establishment in Bandar Abbas of c. 1708 and c. 1728 in ARA, VEL 865 and ARA, VOC vol. 2091, fol. 4956. The Dutch establishment is still to be seen on modern plans in Schweizer, *Bandar Abbas und Hormuz*, beside p. 16.

93 Lorimer, *Gazetteer*, Geographical part vol. 1 p. 9.

94 'Lar, Laristan' by Jean Calmard in *EI*, vol. 5, pp. 665-676.

95 ARA, Hoge Regering vol. 877: report by Van Reede, chapter 8.

96 Reference to the difference in Foster, *English Factories*(1661-1664), p. 31.

97 The mention on the Ottens map in Slot, *Origins*, plate 18.

98 Reports by English travellers in Purchas, *Pilgrimages*, vol. 1, pp. 606-608 (by Alexander Childs). Drawings of the coastline in the logbook of the Zeemeeuw, ARA, Geleynssen de Jongh papers no. 280 and in the atlas by De Haan, VEL 156, chart 13b.

99 Ruy Freire, *Comentarios*, pp. 252-253; Boxer, *Ruy Freyre*, p. 194-195.

100 This name is first seen on a map by Sanson (*L'Arabie pétrée, déserte et heureuse*, 1652) and from this map the mention is reproduced on Dutch maps.

101 On the Muntafiq and the Ka'b see Otter, *Voyage*, vol. 2, pp. 191-196 and 199-201.

102 The monastery is mentioned with great frequency in most documents on Basra. It left its own historical sources in the form of a kind of chronicle, which gives a year by year account of events. There are several publications of part of this chronicle: the older part was published by H. Gollancz, *Chronicle of events between the year 1623 and 1733 relating to the settlement of the order of the Carmelites in Mesopotamia* (London 1927) and 'Continuatio domesticae Bassorensis historiae ab anno 1733' *Analecta ordinis Carmelitarum Discalceatorum* 8 (1933), pp. 46-69, 108-148, 204-228. On their activities in forwarding letters see Barendse, 'Long Road', p. 34.

103 References to this Shaikh Annis in ARA, VOC vol. 9099, 21 october 1725 (Dutch Basra diary mentioning a visit of the Dutch residents to Shaikh Annis at the occasion of the circumcision of his son) and in Gollancz, *Chronicle*, 429, 434, 441, 444.

104 Hotz, 'Roobacker' pp. 363-369; ARA, Geleynssen de Jongh papers nos. 280 a-d.

105 ARA, Geleynssen de Jongh papers nos. 280a-d: journals of the first expedition to Basra and the map made by this expedition in Karlsruhe, Landesbibliothek, Artus Gijsels papers no. 478 showing the advance of the Dutch ships to an entrance South from 24 degrees 48 minutes latitude: apparently the creek between Bubiyan and the entry of the Bay of Kuwait, cf. Slot, *Origins*, pp. 18-26. The name Bubiyan is found on the chart of the Gulf in J. van

Keulen, *Zee-fackel*, vol. 6.

106 Faylaka as Peluche in the chart of the Gulf in *Neptune Oriental* and in several later maps and charts, cf. Slot, *Origins*, plates 21-23. The first text mentioning the island is the Kniphausen report fol.10 (=Floor, 'Description' pp. 175-176). On Ilha de Aguada cf. Slot, *Origins of Kuwait*, p. 12.

107 The evolution can be seen in Slot, *Origins*, plates 12-20. Some early maps have the Gulf of Kuwait, but without a name of a place, *ibid*, plate 11, and Cortesão and Teixeira da Mota, *Tabularum Specimen* tab. xxix).

108 Van Keulen, *Zee-fackel*, vol. 6: map of the Gulf. Niebuhr, *Beschreibung*, pp. 341-342.

109 Description in Kniphausen report, fol.10-10v (=Floor, 'Description', pp. 175-176). Mentions of the use of Kuwait as a terminal for caravans from Aleppo instead of Basra for the first time in ARA, archives Dutch Embassy in Constantinople before 1811, no 382 (letter from Pollard in Aleppo, 1-6-1750).

110 The Kniphausen report says that there are no inhabited places between Kuwait and Qatif except one ruined Portuguese fortress (Kniphausen report, fol. 10v). Ottens's map in Slot, *Origins*, plate 18.

111 Linschoten, Itinerario (ed. 1596) map near p. 10. ARA, VELH 619 map 1C (Vingboons); ARA VEL 220; Bocarro's *Livro das Piantas* in Bragança Pereira, *Arquivo*, tom. 4 (Historia administrativa) vol. 2 (1600-1699), pt. 1, p. 94.

112 *EI*, vol. 4, pp. 763-765. Mention of Qatif as a Hormuzian possession in Aubin, 'Royaume d'Ormuz', p. 100. A description of Qatif in the first half of the seventeenth century in Bocarro's *Livro das Piantas* in Bragança Pereira, *Arquivo*, tom. 4 (Historia administrativa) vol. 2 (1600-1699), pt. 1, pp. 94-95 and in Boxer, 'Rivalry', pp. 126-127.

113 Bulhão Pato, *Documentos Remettidos*, vol. 2, pp. 100-105 mentions the departure of more than 600 men from Bahrain to Qatif.

114 Kniphausen report, fol. 11(=Floor, 'Description', p. 176).

115 The best descriptions from the seventeenth century are in BNL FG 219 fol.

116 VOC vol. 1146 fol. 823-844v.

117 Teixeira, *Travels* (Hakluyt-edition), pp. 173-177; ARA, VOC vol. 2864 (part Kharg 1), inserted behind fol. 52 project for the conquest of Bahrain 1754. The English plan for settlement on Bahrain in EGD 9-10-1750] .

118 Kniphausen report fol. 11 (=Floor, 'Description', p. 176).

119 Salbanke in Purchas, *Pilgrimages*, vol. 2, lib 3 p. 237 ('from Baharem sailed to Calara [Catara] and so passed by land with camels to Shiriff Din ... but I returned to Lima'). This Shiriff Din is mentioned on old maps as Oman Shiriff-Din, it seems to be the area of central Oman.

120 Linschoten, *Itinerario*, map next to p. 10 and some maps based on him show Qatar as a small peninsula. On later maps like ARA, VEL 220 there is no peninsula; it reappears on Wainwright's chart of 1820 (ARA, MCAL 4174).

121 Teixeira, *Voyage* (Hakluyt-edition) p. 176. In another Portuguese source orders are given for the plundering of *povoções* in Qatar, which suggests an area rather than a town: Cordeiro, *Dois Capitães*, 116.

122 ARA, VOC vol. 1288, fol. 488-489, published in English translation in Floor, 'Description of Masqat', pp. 41-44.

123 *As Gavetas de Torre do Tombo* vol. 4, pp. 357-359: mention of a shaikh Muhammad bin Musallam, powerful person in the area of Al Hasa.

124 Niebuhr, *Beschreibung*, p. 342 and tab. XIX; Kniphausen report fol. 11v (=Floor, 'Description', p. 177).

125 Niebuhr, *Beschreibung*, tab XIX; Kniphausen report fol. 11v(=Floor, 'Description', p. 177). Ferayhin is also mentioned in an Ottoman document of 1701: Aba Hussain, 'Study', p. 102. Godo on ARA VEL 220 and Linschoten, *Itinerario*, map opposite p. 10.

126 Balbi, *Viaggi* (ed Pinto), p. 121, Duarte Barbosa, *Libro*, p. 255 (a very vague text). These texts served as sources for most printed maps of the seventeenth century.

127 Balbi, *Viaggi* ed. Pinto, p. 121. For identification one should bear in mind a few peculiarities of Venetian dialect (Z for Dj, Ch for K) and possible errors in reading old handwriting made by the printers of the book in Venice like n for u and u for n).

128 MCAL 4174: *A Chart of the Gulf of Persia ... of Captain Wainwright* (Hydrographic office 1820; copy used is ARA, MCAL 4174).

129 Ross, *Chronicle*, p. 53; Badger, *History*, pp. 70-72.

130 *EI* i.v. 'Abu Zabi'. The oldest known view of Abu Dhabi is on the Eastern sheet of the Admiralty chart of the Gulf of 1862 by Constable and Stiffe (ARA, MCAL 4179).

131 Perry, *Karim Khan*, p. 152 has the unconfirmed mention that the Qawasim originate from one Shaikh Qasim of Sharjah.

132 Kniphausen report fol.12 (=Floor, 'Description', p. 177).

133 Niebuhr, *Beschreibung*, p. 329.

134 Library of Groote Schuur (Cape Town), a Portuguese map by Teixeira Albeniz of c. 1680. On this map there is a place called Zarha, on the right place and a place Saragia much too far to the East (a photograph of this map in A. Teixeira de Mota, 'Cartas Portuguesa antigas na collecção De Grooté Schuur', plate 10).

135 ARA, VEL 156 vol. 2, fol. 15A; M. Liebault, Atlas des Indes orientales holandaises of 1729-1739, 2nd of the two maps of the Gulf.

136 Slot, *Origins*, plate 25.

137 Niebuhr, *Beschreibung*, 307, Niebuhr may have meant Thornton's map of the Gulf (*English Pilot*, 3rd book, behind p. 34), where an island 'Saca' is put at the entry of the Khor of Julfar.

138 Duarte Barbosa, *Libro* (Hakluyt-edition) vol. I, 73; *Neptune Oriental*, chart of

the Gulf.

139 Kniphausen report fol.12 (=Floor, 'Description' p. 177).

140 The archeological findings are treated in J. Hansman, *Julfar, an Arabian port* (London 1985). An old Portuguese mention is Barbosa, *Libro*, vol. 1, p 73. Early in the sixteenth century, the town is mentioned by Varthema, *Travels* (Hakluyt Society), p. 93. Aubin, 'Royaume d'Ormuz', pp. 150, 219-221 shows that Julfar was the most important possession of Hormuz on the opposite side of the Gulf.

141 Badger, *History*, p. 66; Ross, *Annals*, pp. 51-52.

142 References to the trade of Julfar in Barbosa, *Libro* (Hakluyt-edition), vol 1, p. 73; ARA, Geleynssen de Jongh no. 280e (Dutch Basra diary 9-12-1646), ARA, VOC vol. 1203, fol. 782 (letter to the Gentlemen XVII, 21-3-1654); Thevenot, *Suite du Voyage*, p. 355; ARA, VOC vol. 1304, fol. 484; VOC vol. 1667, fol. 418-419 and Kniphausen report fol.12 (=Floor, 'Description', p. 177).

143 VOC vol. 2114, fol. 3528-3030 (Shaikh Rahma of Julfar's actions in Hormuz); Badger, *History*, p. 205.

144 Kniphausen report fol.11v(=Floor, 'Description', p. 177).

145 Niebuhr, *Beschreibung*, p. 308. Probably, tribes like Banu Yas and Banu Na'im are meant.

146 Kniphausen report fol. 12 (=Floor, 'Description', p. 177); Niebuhr, *Beschreibung*, pp. 307-308.

147 Hansman, *Julfar*, fig. 2, pp. 6, 21; Duarte Barbosa, *Libro* (Hakluyt-edition), vol. 1, p. 74 (as 'Recoyma'); Balbi, *Viaggio* (ed. Pinto), p. 112. On many maps of the seventeenth century it figures as 'Roccalima'.

148 Boxer, *Ruy Freyre*, p. 51. ARA, VOC vol. 1106, fol. 37 (report from Bandar Abbas to Batavia c. 1632).

149 Dutch charts of the seventeenth century, like ARA, VEL 220, first show the 'pagoda' at the position of Sha'am, like all later charts do up to the first half of the nineteenth century. *Bombay Selections*, p. 540.

150 The landmark on Ras Shaikh Mas'ud seems to be the monument described in Lorimer, *Gazetteer*, Geographical part, vol IIc, p. 210, cf. *Meerkat* diary in ARA, VOC vol. 1259, fol. 3367, Floor, 'First contacts', pp. 298-299 (Floor assumes that the Sha'am landmark is meant in the Meerkat diary, but the diary very explicitly places it near Khasab). A Portuguese document literally mentions the pagoda of Khasab: Cordeiro, *Dois Capitães*, p. 92.

151 Thevenot, *Suite du Voyage*, p. 354; ARA, Geleynssen de Jongh papers no. 280a mentions that Dutch sailors saw some inhabitants on Tanb.

152 Badische Landesbibliothek Artus Gijselspapers 578: nautical chart of the Gulf.

153 ARA, Geleynssen de Jongh papers 280e (Basra-diary, 26-27 December 1646). Later Dutch manuscript maps show a great confusion in the names of these

islands, see the correct list below on p. 157-158.

154 ARA VEL 220. The first mentions of the islands of Sirri and Abu Musa as such is on maps of the tradition of the first map of the Gulf in Liebault's Atlas, cf. Tibbetts. *Arabia*, pp. 157-160.

Khasab is already mentioned in c.1541/1543 in Aubin, 'Royaume d'Ormuz', p. 219, which gives its revenue. ARA VOC vol. 1259, fol. 3367 (visit of 1666 = Floor, 'First contacts', p. 299).

156 Ross, *Annals*, p. 63. The theories about the Shihuh are mentioned in Badger, *History*, p. 111n, quoting Taylor in *Bombay Selections* part xxiv p. 12. The remark in Badger, *History*, p. 239 that the Shihuh belonged to the Huwala is either an error or should be read as 'subject to the Huwala', i.e. the Qawasim of Julfar.

157 Adamec, *Gazetteer*, vol. 2, p. 273.

158 Thomas, 'The Kumzari dialect', pp. 785-786 and 843-844.

159 Description of these three places in the logbooks of the *Zeemeeuw* (ARA, Geleynssen de Jongh papers nos. 280 and 280a) Descriptions of Lima and Kamzar in the *Meerkat* report, VOC vol. 1259, fol.3369-3371 (=Floor, 'First contacts', pp. 300-302). Mentions of these places in Della Valle, *Viaggio*, vol. 3, p. 258. Description of the Portuguese fortresses of Daba in *Descripção*, pp. 15-16. Views of Dabạ in Cortesão, *Monumenta*, vol. 5, pp. 581-582 and ARA, papers of Geleynssen de Jongh no. 280 (journal of the *Zeemeeuw*).

160 Mentions of Khor Fakan as an important place in Aubin, 'Royaume d' Ormuz', pp. 119-120. Descriptions of Bidiya and Khor Fakan in the *Meerkat* logbook ARA,VOC vol. 1259, fol. 3371-3373 (=Floor, 'First contacts', p. 303). Descriptions of the fortresses of Bidiya and Khor Fakan and of nearby Mada in *Relação*, pp. 14-15. Views of the fortresses in Cortesão, *Monumenta*, vol. 5, pp. 581-582. The Profam (a place where c. 1600 the people of Hormuz apparently had gardens for recreation) in *Barbosa*, Hakluyt-edition, vol. 1, pp. 72-73 is Khor Fakan.

161 Description in the *Meerkat* logbook, ARA, VOC vol. 1259 , fol. 3373,(= Floor, 'First contacts', p. 305). View of the fortress of Kalba in Cortesão, *Monumenta* vol. 5, pp. 581-582, its description in *Relação*, p. 14; Barbosa, *Libro*, vol. 1, p. 74.

162 ARA, VOC vol. 1259, fol. 3373-3374 (=Floor, 'First contacts', pp. 304-305).

163 *Relação*, pp. 14-15; VOC vol. 1304 (Wilmson), fol. 484; Kniphausen report, fol. 12v (=Floor, 'Description', p. 178); Niebuhr, *Beschreibung*, pp. 295-296.

164 ARA, VOC vol. 1259, fol. 3373-3375 (=Floor, 'First contacts', pp. 304-306); *Relação*, p. 13 with short descriptions of the fortresses of Barqa and Subiye; Kniphausen report fol.13 (Floor, 'Description', p. 178.

165 Description of the Portuguese fortress in *Relação*, pp. 11-12.

166 Boudaen report in VOC vol. 1188, fol. 544v-546v.

167 VOC vol. 1259, fol. 3375(1666). Views with text in Struys, *Voyagiën*, pp. 368-369, the view is reproduced in Dapper, *Beschryvinge*, part Arabia, pp. 36-38, with another text. Other views in ARA VEL 222, ARA VELH 156, vol.2, 13b, Leiden University Library, Map VI-14-7, Van Keulen, *Zee-fackel*, vol. 6, inset in chart of the Gulf. Views from Portuguese time in Cortesão, *Monumenta*, vol. 4, p. 411.

168 Kniphausen report fol. 12-13v (=Floor, 'Description', pp. 178-179) cf. Niebuhr, *Beschreibung*, pp. 296-297, 306. Another description of 1757 in ARA, VOC 2937, fol. 77-105. An English description of 1775 in Parsons, *Travels*, pp. 207-209.

169 View of Matrah in ARA, VELH 156 vol. 2,13 B. Description of the Portuguese fortresses of Matrah, Sur and Qaryat in *Relação*, p. 10. Mention of merchants in the Kniphausen report fol.13 (=Floor, 'Description', p. 178); some details on the places on this coast in Niebuhr, *Beschreibung*, p. 297.

170 Salbanke in Purchas, *Pilgrimages*, lib 3, p. 237.

171 Ross, *Annals*, pp. 44-57.

172 Kniphausen report fol.11v (=Floor, 'Description', p. 177).

173 Tavernier, *Voyages*, vol. 1, pp. 236-237. The places are described in Dapper, *Naukeurige Beschryvinge*, part Arabia p. 41, but this is no more than an elaboration of Tavernier's mention. On the interpretation of these names see below, pp. 147-148.

174 ARA, VOC vol. 1304, fol. 488-489 (=Floor, 'Description of Masqat', 41-44), ibid. fol. 479 (not in Floor).

175 Badger, *History*, pp. 67, 70, 71-73, 105; Ross, *Annals*, pp. 52-54, 68-69.

176 Balbi, *Viaggi*, ed. Pinto, p. 121 (mention of Sir Banu Yas), Pissurlencar, *Assentos*, vol. 3, p. 507.

177 Niebuhr, *Beschreibung*, p. 342; tab. XIX.

178 *As Gavetas de Torre do Tombo*, vol 4, pp. 357-359 (mentioning Muhammad bin Musallam as one of the most important chiefs in the area of Al Hasa).

179 Niebuhr, *Beschreibung*, p. 341; tab. XIX. Lorimer, *Gazetteer*, Historical Part, I/1A, p. 787.

180 Niebuhr, *Beschreibung*, pp. 340-342; Kniphausen report, fol. 10, 11 (=Floor, 'Description', pp. 175-176); Badger, *History*, p. 67, Abu Hakima, *History*, pp. 38-41.

181 First mention in an Ottoman document, printed in facsimile by Aba Hussain, 'Study', p. 102, cf. Slot, *Origins*, pp. 70-61 (referring that the Utub have migrated from the centre of the Gulf to the Basra area); Kniphausen report fol. 6-6v, 10-11 (=Floor, 'Description' pp. 171-172,175); Niebuhr, *Beschreibung*, pp. 330-332.

182 VOC vol. 1913, fol. 411-413 and Badger, *History*, p. 111: Rahma 'al Hula'.

183 Silva Figueroa, *Ambassade*, p. 383.

184 ARA, VOC vol. 2088, fol. 3424v-3425 (Dutch Gamron-diary, May 1727) and VOC vol. 2016 (Persia part 1) p. 109.

الفصل الثاني

1 Aubin, 'Royaume d'Ormuz', *Mare Luso-Indicum* vol. 2 (1973), pp. 77-237 is the best description of the situation of the Kingdom of Hormuz at the time of the Portuguese conquest. A recent publication of sources about the early years of Portuguese intervention is A. Dias Farinha, *Os Portuguesos no Golfo Pérsico (1507-1538), contribucão documental e critica para a sua historia* (Lisboa 1991). A good summary of the situation at the end of the Portuguese rule in Steensgaard, *Asian trade revolution*, pp. 193-208. A. Faroughy, *Le royaume d'Ormuz* is the only modern survey of its history although of less quality than Aubin's work. A Portuguese source on the general history of the Shahs of Hormuz in Teixeira, *Travels* (Hakluyt-edition), pp. 153-167. The fact that this text has been abstracted in a document of the Dutch East India Company from the eighteenth century (ARA, VOC vol. 2105, fol. 175-190) shows the existence of a certain intellectual interest of the Dutch representatives in the Gulf.

2 Some of the sources which give us an impression of the system of government are Balbi, *Viaggi* (ed. Pinto), pp. 118-119; Boxer, *Ruy Freyre*, pp. 30-35, 115-116.

3 Aubin, 'Royaume d' Ormuz', pp. 104-121.

4 *Relações*,eses pp. 232, 237; *As Gavetas de Torre do Tombo*, vol. 4, pp. 357-359.

5 There are no reports about pressure by Omani Arabs on the Portuguese coastal settlements in this area, but the initially rapid collapse of the authority of Hormuz after the fall of the fortress in 1622 indicates that the Hormuzian hold over Oman was not too strong.

6 The Sunni origin is mentioned in Figueroa, *Ambassade*, p. 333.

7 The status of the area of Hormuz is a rather complicated matter. While Persia claimed sovereignty over the island of Hormuz, the Shah of Hormuz, and later the Portuguese as his heirs, claimed sovereignty over the island Qishm. This was recognized by the Persians who later paid a tribute for Qishm to the Portuguese: Boxer, *Ruy Freyre*, p. 34 (claim of the Shah of Hormuz of sovereignty over Qishm) cf. ARA, VOC vol. 1146, fol. 15 (payment of tribute for Qishm by the Persians).

8 ANTT, DR 20 (1624) doc. no. 24: Muhammad, pretender to the former kingdom of Hormuz became governor of Suhar.

9 J. Calmard, 'Lar, Laristan' in *EI*, vol. 5, col. 665-676.

10 Meilink, 'First relations', pp. 1-7.

11 Dunlop, *Bronnen*, pp. 59, 158; Foster, *English Factories*(1624-1629), pp. x, 43.

12 Floor, 'Description of Masqat', p. 7; ARA, VOC vol. 2824, fol. 68-71; Amin, *British interests*, pp. 71-72.

13 Longrigg, *Four centuries*, p. 38 note 1 quoting the Turkish traveller Evliya Celebi who states that there was an Ottoman governor in Qatif, but that he had little authority and that there was not the normal Ottoman administrative subdivision in *sancaks*(a kind of military fiefs) in the area.

14 Longrigg, *Four centuries*, pp. 100-101.

15 Longrigg, *Four centuries*, pp. 111, 113; Thevenot, *Suite du Voyage*, pp. 317-318.

16 ARA, VOC vol. 1144, fol. 908v (protest by the Dutch director in Bandar Abbas to the *I'timad al dawla* (the Shah's Prime Minister), 1644).

17 Longrigg, *Four centuries*, pp. 115-122.

18 [Leupe], 'Overlandreis', p. 125.

19 Floor, 'Description of Masqat', pp. 26-27; Kniphausen report fol. 1v, 3-3v (=Floor, 'Description', pp. 167, 169-170).

20 Pietro della Valle, *Viaggi* vol. 3, p. 376.

21 Otter, *Voyage*, vol. 2, pp. 191-196, 199-201; Niebuhr, *Beschreibung*, pp. 320-321; W. Caskel, 'Die Wali's von Huweze'. *Islamica* 6 (1934), pp. 415-434; J.R. Perry, 'The Bani Ka'b, an amphibious brigand state in Ghuzistan' *Le Monde iranien et l'Islam* vol. 1 (1971), pp. 131-152.

22 Kniphausen report, fol. 5v, 7v (=Floor, 'Description', pp. 170, 173); Niebuhr,

23 The Arabs of the town of Bushahr usually were loyal subjects of the Shah, this is already remarked in 1718: ARA, VOC vol. 1913, fol. 314.

24 This tribe is not mentioned by name in European sources before c. 1740: Otter, *Voyage*, vol. 2, pp. 73-74.

25 Kniphausen report fol.11 (=Floor, 'Description', p. 176).

26 Slot, *Origins*, pp. 70-72.

27 Abu Hakima, *History of Eastern Arabia*, pp. 38-41.

28 *Relações*, p. 232; Balbi, *Viaggio*, p. 222.

29 Carré, *Travels*, vol. 1, p. 101.

30 Niebuhr, *Beschreibung*, pp. 328-329; EGD May 1755 and April 1760; Lorimer, *Gazetteer*, Historical part, vol. I/2, p. 1765.

31 Lockhart, *Nadir Shah*, pp. 44, 65, 78-79 and ARA, VOC vol. 2254, fol. 47 about Shaikh Ahmad Madanni.

32 ARA, VOC vol. 1304, fol. 482v; Kniphausen report, fol. 2v-3(=Floor, 'Description', pp. 166-167).

33 The border between the Qawasim state and Oman c. 1750-1760 is defined as 'beyond [East from] Musandam' by Kniphausen and 'Between Musandam and Khor Fakan' by Niebuhr: Kniphausen report fol.12(=Floor, 'Description', p. 178) and Niebuhr, *Beschreibung*, p. 307.

34 *Relação*, pp. 17-18; ARA, VOC vol. 988, fol. 395.
35 ARA, VOC vol. 1144, fol. 908v.
36 See p. 231.
37 A.A. Amin, *British interests in the Persian Gulf* (Leiden 1967).
38 An example of such ambitions, a plan for attacking Bandar Abbas is mentioned in Foster, *English Factories* (1655-1660), pp. 25, 227-228.
39 EGD 5-1-1727J; ARA, VOC vol. 2088, fol. 3420 and 3429v.
40 Amin, *British interests*, pp. 115-116.
41 There is a detailed survey of the structure of the Dutch East India Company and its establishments in Asia in the description the head of the company's Legal Department, Pieter van Dam made shortly after 1700: F.W. Stapel and C.W.Th. van Boetzelaer (ed.), *Pieter van Dam, Beschryvinge van de Oostindische Compagnie*, 4 parts in 7 vols. The Hague 1927-1754 (=Rijksgeschiedkundige Publicatiën, Grote Serie nos. 63, 68, 74, 76, 83, 87, 96). Book 2 part 3 (vol. 83), pp. 275-375 specially concerns Persia, while the first volumes deal with the general management in Holland and Indonesia. An account in English is given in K. Glamann, *Dutch Asiatic trade 1620-1740* (Copenhagen-The Hague 1958). A short but useful introduction in English is O.M. Prakash, The Dutch East India Company in the trade of the Indian Ocean, in: *India and the Indian Ocean* published by A. Das Gupta and M.N. Pearson (Oxford-Calcutta 1982) pp. 185-200.
42 ARA, VOC vol. 2848, fol. 1143-1149, 1183-1187.
43 Most revealing is the discussion about the desirability of the occupation of Bahrain in 1755-1756 in ARA, VOC vol. 2848, fol. 1143-1149, 1183-1187.
44 Van Dam, *Beschryvinge*, pp. 313-314, 321-326.
45 Floor, 'Dutch trade', p. 211 gives a list of Dutch private ships sailing to Muscat in the years 1777-1793. In this period, 28 private Dutch ships went from Indonesia to Muscat.
46 Lorimer, *Gazetteer*, Historical part, vol. I/1A pp.102-106; Crowhurst, 'D'Estaing's expedition', p. 58.
47 See for instance the case mentioned in EGD of 29-11-1750J.
48 On this matter, the huge amount of references to Persia and the Ottoman Empire in the diaries of the Venetian official Marino Sanuto are very revealing: R. Fulin a.o. (ed.) *I diari di Marino Sanuto* (58 vols, Venice 1897-1903).
49 ARA, VOC vol 1108, fol. 116-118; Dunlop, *Bronnen*, p. 406. A study on early Venetian trade in Persia is W. Brulez, 'Venetiaanse handelsbetrekkingen met Perzië omstreeks 1600', *Orientalia Gandensia* 1 (1964), pp. 1-27.
50 Lorimer, *Gazetteer*, Historical part, vol. I/2 p. 1239.
51 *Generale Missiven*, vol. 6, p. 834, 895.
52 Both Carré and Tavernier published books: J.B. Tavernier, *Les six voyages* (3 vols., Paris [=Amsterdam] 1678) and B. Carré, *Voyage des Indes Orientales* (Paris 1699, English translation in Hakluyt society, 2nd series 95-97, London

1947-1948). Carré's book is the most important. Some manuscript accounts by Carré which have at some places more details than the printed book are in the National Library in Paris, FF 6090, FF 13981, NAF 4018.

53 ARA, VOC vol. 1255, fol. 855-870. Such attempts were repeated several times. In 1691, the French had an agent in Bandar Kong (ARA, VOC vol. 1476, fol. 486).

54 J. Otter, *Voyage en Turquie et en Perse* (Paris 1748). About Otter see 'Continuatio', p. 65.

55 Al-Qasimi, *Myth of piracy*, pp. 27-28, 31; Risso, *Oman and Muscat*, pp. 64-66, 81-82; Bibliothèque Municipale, Caen, Papiers Decaen vol. 97, fols. 15-30. The French ambitions in the Gulf were in reality quite humble as is shown in the correspondence of the French Consul in Basra in ANP Correspondance Consulaire Basra vol. 1-2 and in the papers about the first attempts to establish a French consulate in Muscat in 1784, in Archives du Ministère des Affaires Etrangères, Paris, Correspondance Consulaire Mascate, vol. 1, fol. 1-19.

56 Mention of a ship of Pessart in the Gulf in *Generale missiven*, vol. 2, p. 36. In 1701 a Danish ship was attacked by Arab ships off Hormuz: ARA, VOC vol 1667, fol. 50-58 and Van Dam, *Beschryvinge* (vol. 83), pp.363-375.

57 Al-Qasimi, *Myth of piracy*, p. 19.

58 C. Niebuhr, *Beschreibung von Arabien* (Kopenhagen 1772) and *Reisen in Arabien* (Kopenhagen 1772).

59 *Generale Missiven*, vol. 6, pp. 90, 102.

60 Abbot, *Levant Company*, pp. 146-147; Van Dam, *Beschryvinge*, p. 282; Dunlop, *Bronnen*, p. 191; ARA, Staten-Generaal no. 12569.67 and 12584.33 (documents on plans of a Dutch Company for trade through Russia with Persia in the early seventeenth century); Staten-Generaal vol. 3349 fol. 138v-139 (30-1-1703: plan in 1703 of the Armenian Pieter Aved to divert the trade between Holland and Syria through Persia and Russia instead of through the Mediterranean). An English trader along the landroad halfway through the eighteenth century published a most interesting account of his experiences: J. Hanway, *A historical account of British trade over the Caspian Sea* (London 1753).

61 Berchet, *Persia*, pp. 248-249.

62 ARA, Staten-Generaal no. 6921, exh. Istanbul 18-11-1697; R. Gulbenkian, 'Philippe de Zagly, marchand arménien de Julfa et l'établissement du commerce Persan en Courlande en 1696', *Revue des Etudes Arméniennes* 7 (1970), pp. 361-399.

63 Al-Qasimi, *Myth of piracy*, p. 31; Lorimer, *Gazetteer*, Historical part, vol. I/1A p. 156; Risso, *Oman and Muscat*, pp. 81-82. A French report mentions the presence of several subjects of Mysore as traders in Muscat: Bibliothèque Municipale, Caen, Papiers Decaen, vol. 92, fol. 20.

64 Foster, *English Factories*(1668-1669), pp. 211, 213.
65 BNL FG 1783, fol 5v-10.
66 About this building see p. 27 note 9
67 The lists of Dutch staff in Persia are in the General Musterrolls of the Dutch establishments in Asia in ARA, VOC vol. 11534-11667. *Opperkoopman* was the highest rank existing in the hierarchy of the East India Company outside Jakarta. The other executive ranks were in descending order *Koopman, Onderkoopman*, and *Assistent*.
68 ARA, VOC vol. 2091, fol. 4937: mention of Balinese soldiers in Dutch service.
69 Amin, *British Interests*, pp. 147-148, quoting EGD 3-5-1756.
70 A map of Kharg with the fortress of 'Mosselsteyn' in A.W. Stiffe, 'Persian Gulf notes', *Journal of the Royal Geographical Society* 12 (1898), pp. 180-181. According to Stiffe, the fortress was completely ruined at that time, except one part which was used for the Persian garrison of the island.
71 Van Dam, *Beschryvinge*, 324-325.
72 Amin, *British interests*, p. 155. The Dutch figures may be found in the muster rolls of Asia in ARA, VOC vol. 5168-5214.
73 Salbanke in Purchas, *Pilgrimages*, vol. 1, lib. 3, p. 237. ARA, VOC vol. 1304, fol.488-489(= Floor, 'Description of Masqat', pp. 41-44), fol. 479.
74 List of customs duties in Basra and Hormuz in Balbi, *Viaggi* (ed. Pinto),pp. 105-108, 123-124. A list of Muscat in VOC vol. 1304, fol. 490-491.
75 Details on the career of Shaikh Rashid and the trading place he founded in Basidu can be found in chapter 7 of this book. A mention of his use of a letter of exchange in ARA, VOC vol. 2416, fol. 849.
76 Some occurrences of this kind are reported in the chapters 7-8 of this book. Very typical cases are those referred to in the English Gombroon-diary 14-9-1756, 15-10-1756 and 4-12-1756 and in ARA, VOC vol. 2417, fol. 4048-4049.
77 The relative importance of the turnover of non-European merchants can be seen sometimes during wars, when they used European shipping for safety and lists of cargo sent by European ships are kept: e.g. in ARA, VOC vol. 1667, fol. 260-274).
78 ARA,VOC vol. 2448, fol. 1994-1999.
79 The technique of pearl diving is described in Balbi, *Viaggi*, pp. 120-122 and in VOC vol. 2937, fol.33-40. In 1756, the head of the Dutch establishment on Kharg wanted to import diving bells from Europe for better results (Ives, *Travels*, p. 215 and ARA, VOC vol. 334, letter of 24-9-1761.) The negative remarks in ARA, VOC vol. 1476, fol. 630-632.
80 ARA, VOC vol. 2088, fol. 3420-3420v, 3429v; EGD April 1727].
81 ARA, VOC vol. 791, Resolutions Batavia High Government 10-8-1761.
82 The case is told in Barendse, *Koningen, Compagnieën en Kapers*, p. 217, quoting ARA, VOC 1398 1-7-1684,21-7; VOC 1396, 740.

الفصل الثالث

1 Faroughy, *Ormuz*, p. 90.

2 Steensgaard, *Asian trade revolution*, p. 202-203.

3 Gouvea, *Relation*, p. 39-41; cf. Faroughy, *Ormuz*, p. 92-93, who quotes Gouvea and a history of the Safavi by Munajjim Yazdi, manuscript in the British Library Oriental no. 6263, which has a slightly different story mentioning that the man who organized the rebellion on Hormuz was the Wazir himself whose name was Khoja Moïned Din (Khoja Ma'in al Din).

4 The Dutch letter in ARA, Voorcompagnieën 159, doc. 43 (letter of Fernando Croiz in Goa). There also exists an English letter of 1609 which tells that Bahrain fell to the Persians some 6 years ago: *Calendar of State Papers*, (Colonial, East Indies, 1513-1616), document no. 446, p. 186. Short references can be found in Gulbenkian, *Ambassade de Luis Pereira de Lacerda*, p. 36 and in Boxer, *Ruy Freyre*, p. xxii, quoting Portuguese documents printed in Bulhão Pato, *Documentos remettidos*, vol. 1, p. 11, 13, 31-32.

5 Dunlop, *Bronnen*, p. 687.

6 Bulhão Pato, *Documentos remettidos*, vol. 2, p. 100-105.

7 Cordeiro, *Dois Capitães*, p. 147. This Portuguese panic may have been caused by the fact that the Dutch had made an alliance with enemies of the Portuguese in Malabar.

8 *Documentação Ultramarino*, vol. 2, p. 269-270, 292

9 A first-hand account of the first Dutch actions on the Arabian peninsula are the memoirs of the leader of the expeditions, published by W.P. Coolhaas, *Pieter van den Broecke in Azië*, vol. 1, p. 79-108. Translations of some relevant documents into Arabic in C.G. Brouwer and A. Kaplanian, *Early seventeenth-century Yemen* (Leiden 1988).

10 Gouvea, *Relation*, p. 37.

11 Boxer, *Ruy Freyre*, p. xxi; Ruy Freire, *Comentarios*, p. 3; Gulbenkian, *Ambassade de Luis Pereira de Lacerda*, p. 35.

12 Boxer, *Ruy Freyre*, p. xxii.

13 Boxer, *Ruy Freyre*, p. 181 = Ruy Freire, *Comentarios*, p. 238-239.

14 Ross, *Annals*, p. 35-44.

15 Ross, *Annals*, p.36.

16 The incidents with Suhar have been discussed extensively in Boxer, 'New light', p. 32-33

17 Ross, *Annals*, p. 41-42, cf. Bocarro, *Decade XIII*, p. 641-648.

18 Silva Figueroa, *Ambassade*, p. 383. Trouble with in the area of Julfar in 1614-1615 is also mentioned in Bocarro, *Decada XIII*, p. 347.

19 Ross, *Annals*, pp. 48, 53-54.

20 *Silva Figueroa*, *Ambassade*, p. 383-384; Boxer, *Ruy Freyre*, p. 109-112. Another

early mention concerning Carthane as tribal leader in the area behind Muscat in Faria y Sousa, *Asia Portuguesa*, lib. 2, part 3, cap. 20 no. 11.

21 Bandel is Band Ali near Comorão, the war alluded to is the war in c. 1608 about the fortresses and wells near Comorão.

22 *Calendar of State Papers* (Colonial, East Indies, 1513-1616), documents no. 763 and 946 (p. 317 and 397).

23 Steensgaard, *Asian trade revolution*, p. 327; Boxer, *Ruy Freyre*, p. xxi-xxii.

24 M.A.P. Meilink-Roelofsz, 'The earliest relations between Persia and the Netherlands', *Persica* 6 (1974), p. 1-50.

25 The negotiations between the Persians and the Portuguese are extensively discussed in Steensgaard, *Asian trade revolution*, p. 211-323.

26 Boxer, *Ruy Freyre*, p. 14-18; Ruy Freire, *Comentarios*, p. 76-79.

27 Boxer, *Ruy Freyre*, p. 18-20 = Ruy Freire, *Comentarios*, p. 81-82. In the same book the English accounts of the affair are printed: 250-254 the account by Richard Swan and 254-5 by Monnox (a mention in a Dutch source is Coen, *Bescheiden*, vol. 3 p. 212).

28 Boxer, *Ruy Freyre*, p. 34 = Ruy Freire, *Comentarios*, p. 93.

29 Boxer, *Ruy Freyre*, p. 32-35 = Ruy Freire, *Comentarios*, p. 93-94.

30 Boxer, *Ruy Freyre*, p. 35-38 = Ruy Freire, *Comentarios*, p. 95-97.

31 Boxer, *Ruy Freyre*, p. 44-45 = Ruy Freire, *Comentarios*, p. 104.

32 Boxer, *Ruy Freyre*, p. 38-46 = Ruy Freire, *Comentarios*, p. 98-105.

33 Boxer, *Ruy Freyre*, p. 47-49 = Ruy Freire, *Comentarios*, p. 106-108.

34 Silva Figueroa, *Ambassade*, p. 383-385.

35 Boxer, *Ruy Freyre*, p. 51-53; Ruy Freire, *Comentarios*, p. 110-111.

36 Maybe this 'Cogenedim' was the Khoja Moïned Din (Khoja Ma'in al Din), the leader of the Persian takeover of Bahrain referred to in Faroughy, *Ormuz*, p. 92-93: the names resemble very much. Khoja Ma'in al Din was of origin a Hormuzian subject of Makran, but it is not recorded that he was a kinsman of the Shah of Hormuz, the only reference to his origin is that he came from Fal, which was also the origin of the former *Wazir* of Bahrain and his brother the *Wazir* of Hormuz.

37 Boxer, *Ruy Freyre*, p. 53-58 = Ruy Freire, *Comentarios*, p. 113-115; Faria y Sousa, *Asia Portuguesa*, vol 3, lib. 3, cap. 19. The events are placed in a detailed topographical framework in Hansman, *Julfar*, p.10-11.

38 Boxer, *Ruy Freyre*, p. 59-70 =Ruy Freire, *Comentarios*, p. 119-129.

39 Boxer, *Ruy Freyre*, p. 70-71; Ruy Freire, *Comentarios*, p. 130-131.

40 Boxer, *Ruy Freyre*, p. 73-78 = Ruy Freire, *Comentarios*, p. 134-139.

41 Boxer, *Ruy Freyre*, p. 80-86 = Ruy Freire, *Comentarios*, p. 141-146.

42 Dunlop, *Bronnen*, p. 13-16 (letters about the dispute with the English by the Dutch director in Surat of 1622-1623); *Coen's bescheiden*, vol. 1, p. 757-758; Macleod, *Zeemacht*, vol. 2, p. 76-77.

43 Boxer, *Ruy Freyre*, p. 77-91 = Ruy Freire, *Comentarios*, p. 147-150.

44 Boxer, *Ruy Freyre*, p. 96-99 = Ruy Freire, *Comentarios*, p. 156-158; Cordeiro, *Dois Capitães*, p. 36-39.

45 Boxer, *Ruy Freyre*, p. 104-110 = Ruy Freire, *Comentarios*, p. 165-169.

46 The fullest Portuguese account of the siege in Boxer, *Ruy Freyre*, p. 116-170 (= Ruy Freire, *Comentarios*, p. 177-227). The English accounts in Boxer, *Ruy Freyre*, 258-273. The text of the file of an official inquiry on the fall of Hormuz is published in Cordeiro, *Como se perdau Ormuz*, p. 173-281. A completely different source is the letter of the Italian traveller Pietro della Valle, who stayed in Shiraz and Lar at the time of the siege, in his *Viaggi* vol. 2, p. 326-393.

47 Boxer, *Ruy Freyre*, p. 116-139 and 258; Ruy Freire, *Comentarios*, p. 177-198.

48 Boxer, *Ruy Freyre*, p. 148-152, 266-271; Ruy Freire, *Comentarios*, p. 207-212.

49 Boxer, *Ruy Freyre*, p. 160-163, 271-283; Ruy Freire, *Comentarios*, p. 217-224.

50 Boxer, *Ruy Freyre*, p. 165-170, 283-293; Ruy Freire, *Comentarios*, p. 224-227.

51 Boxer, *Ruy Freyre*, p. 170-173; 295-297; Ruy Freire, *Comentarios*, p. 228-231.

52 Salbanke in Purchas, *Pilgrimages*, vol. 1, lib. 3, p. 237.

53 Caskel, 'Die Wali's, p. 418. Perry, 'Banu Ka'b', p. 133, has an interesting detail: the Ka'b were settled in the area of the Afshars (friends of Persia) by Afrasiyab (the nominally Ottoman Pasha of Basra c. 1620) to counteract Persian influence. The maps in Slot, *Origins*, pp. 28-29, 64. See also Bragança Pereira, *Arquivo*, tom. 4 (Historia administrativa) vol. 2 (1600-1699) pt. 1 (Bocarro's Livro das Piantas), p. 93-94.

54 Caskel, 'Die Wali's', p. 418 and 425, quoting a Persian chronicle. A European source is Pietro della Valle, *Viaggi*, vol. 2, p. 382-383.

55 Caskel, 'Die Wali's', p. 425; Monnox, Travels in Purchas, *Pilgrimages* lib. x p. 1794; Pietro della Valle, *Viaggi*, vol. 2, p. 382-383, vol. 3, p. 376-378.

56 Salbanke in Purchas, *Pilgrimages*, lib iii, p. 237.

57 Berchet, *Siria*, p. 103. About the trade of the Dutch in Aleppo see the remarks in Braudel, *La Méditerranée*, p. 500-501, and Wätjen, *Die Holländer in Mittelmeergebiet*, p. 146.

58 Slot, *Archipelagus turbatus*, vol. 1, p. 261 gives details on this custom with lower officials in another distant province of the Ottoman Empire.

59 Longrigg, *Four centuries*, p. 99-101. A contemporary account is Pietro della Valle, *Viaggi*, vol. 3, p. 376, who states that Afrasiyab did not buy out the original Ottoman Pasha but chased him away. Two sources quoted by Longrigg are posterior to the events and should be considered more critically. These are the local Arab chronicle: *Zadu'l Musafari wa luhnatu'l muqimi wa'l hadhir* (Bagdad, 1922, there is an abstract in Mignon, *History of Modern Iraq*, p. 269-286) and the French travellers account by Tavernier: *Les six voyages*, vol. 1, p. 244. A good summary of the European knowledge on this

matter in Dapper, *Naukeurige Beschryving*, part Babylonia, p. 145-146.

60 *Chronicle*, vol. 2, p. 1007 and 1153.

الفصل الرابع

1 *Coen, Bescheiden*, vol. 1, pp. 757-758; Dunlop, *Bronnen*, p. 16 (Instructions to the Dutch envoy Visnich sent to Persia from Surat); Macleod, *Zeemacht*, vol. 1, pp. 408, 433.

2 Foster, *English factories* (1622-1623) pp. 186-187.

3 Meilink-Roelofsz 'First Relations', pp. 19-20.

4 Foster, *English factories*, (1622-1623), pp. xii, xx, 181, 186-187; Dunlop, *Bronnen*, pp. 142, 158.

5 Meilink, 'First relations', pp. 28-29. Several Dutch painters have played some part in the relations between the Netherlands and Persia: cf. W. Floor, 'Dutch painters in Persia during the first half of the seventeenth century', *Persica* 8 (1979), pp. 145-161 and the older study by P.A. Leupe, 'Nederlandsche schilders in Perzië en Hindostan in de eerste helft van de zeventiende eeuw', *De Nederlandsche Spectator* 1873, pp. 260-266. On Musa Beg's mission cf. U. Vermeulen, 'L'Ambassade Persane de Musa Beg aux Provinces Unies (1625-1628).' *Persica* 7 (1975-1978), pp. 145-154. The papers brought by Musa Beg to The Hague are in ARA, States General 12563.30 and 12595, 1, 3-7. The item 12595.1 is a letter by Shah Abbas which is published in Fekete, *Einführung*, nr. 88.

6 Data on Dutch trade are published in Dunlop, *Bronnen*, pp. 65-119. The policy is defined in Meilink, 'First relations', pp. 34-44.

7 A description of life in Bandar Abbas in its early days is given in Pietro della Valle, *Viaggi*, vol. 2, pp. 468-471.

8 Pietro della Valle, *Viaggi*, vol 2, p. 461.

9 Pietro della Valle, *Viaggi*, vol. 2, pp. 476-478, 497, vol. 3 p. 358.

10 Boxer, *Ruy Freyrè*, pp. 173-181 = Ruy Freire, *Comentarios*, pp. 232-238.Pietro della Valle, *Viaggi*, vol. 3, pp. 349-350.

11 Boxer, *Ruy Freyre*, pp. 181-182 = Ruy Freire, *Comentarios*, pp. 238-239.

12 Boxer, *Ruy Freyre*, pp. 182-186 = Ruy Freire, *Comentarios*, pp. 240-244. The conquest of Suhar also in Cordeiro, *Dois Capitães*, pp. 53-70; the arrival of Ruy Freire in Khor Fakan ibid. p. 64.

13 Boxer, *Ruy Freyre*, p. 187 = Ruy.Freire, *Comentarios*, pp. 244-245.

14 Cordeiro, *Dois Capitães*, p. 102.

15 Boxer, *Ruy Freyre*, pp. 188-190 = Ruy Freire, *Comentarios*, pp. 246-247.

16 Boxer, *Ruy Freyre*, pp. 189-190 = Ruy Freire, *Comentarios*, pp. 247-248.

17 Boxer, *Ruy Freyre*, pp. 190-191 = Ruy Freire, *Comentarios*, pp. 248-249.

18 Pissurlencar, *Assentos*, vol. 1 part 2, p. 119. ANTT DR 33 fol. 51: Muhammad gives Daba to the Portuguese. Muhammad's presence in Muscat is still recorded in De la Boullaye de Gouz, *Voyages*, p. 126.

19 Thevenot, *Suite du Voyage*, p. 343. The Portuguese priest Manoel de Godinho refers that the Persians talked about Freire in the same negative manner as the Dutch talked about the Duke of Alba: Godinho, *Relação*(ed. 1974), p. 123.

20 Dovecotes ('pombais') are mentioned in ANTT, DR 19b, deliberation of the council in Muscat of 21-9-1633. The burden of the expenses of the Portuguese establishments on the Arabian peninsula in comparison with the income can be seen in BNL, FG no. 17023, fol. 5v-10 (description of the situation in 1634).

21 *Chronicle* vol. 1, pp. 329-330, 420, 491.

22 This situation of Laraq is mentioned by the Persian ambassador in Holland, quoted in Dunlop, *Bronnen*, p. 694.

23 Dunlop, *Bronnen*, pp. 59 and 197.

24 Dunlop, *Bronnen*, p. 17, cf. Boxer, *Ruy Freyre*, pp. 307-310.

25 Macleod, *Zeemacht*, vol 1, pp. 433-435.

26 Boxer, *Ruy Freyre*, pp. 191-193 = Ruy Freire, *Comentarios*, pp. 250-251.

27 Boxer, *Ruy Freyre*, p. 193 = Ruy Freire, *Comentarios*, p. 251.

28 Dunlop, *Bronnen*, p. 156; diary of the naval battle in Dunlop, *Bronnen*, pp. 150-152): the Portuguese account in Boxer, *Ruy Freyre*, pp. 193-197 = Ruy Freire, *Comentarios*, pp. 252-254 and in Botelho de Souza, *Nuno Alvarez Botelho*, pp. 17-33, 98-107.

29 Dunlop, *Bronnen*, pp. 142, 148-149, 158-159.

30 Dunlop *Bronnen*, p. 175; a somewhat different account in the English sources: *Calendar of State papers* (1625-1629), p. 208 and Foster, *English factories*(1624-1629), p. 140.

31 Dunlop, *Bronnen*, pp. 786-787.

32 Dunlop *Bronnen*, p. 197.

33 *Relações*,es p. 237; Balbi, *Viaggi*, p. 222.

34 De la Boullaye le Gouz, *Voyages*, p. 131.

35 Cordeiro, *Dois Capitães*, pp. 104-120, cf. Thevenot, *Suite du Voyage*, p. 354.

36 Bragança Pereira, *Arquivo*, tom. 4 (Historia administrativa) vol. 2 (1600-1699) pt. 1, pp. 94-96.

37 Dunlop, *Bronnen*, pp. 757-758.

38 Dunlop, *Bronnen*, pp. 683-686.

39 ARA, VOC vol. 1146, fol. 915-915v.

40 Ruy Freire, *Comentarios*, pp. 312-313. The strategic possibilities of Julfar for hindering navigation in the Gulf were considered by the English in a report of 1631: *Calendar of State Papers*, Colonial, East Indies vol. 1, doc. no. 159, p.

131.

41 De la Boullaye de Gouz, *Voyages*, pp. 284-285.

42 Thevenot, *Suite du Voyage*, p. 354.

43 Dunlop, *Bronnen*, p. 786.

44 E.C. Ross, *Annals of Oman* (London 1986). This is a translation of the *Kashf al Ghummah*, maybe by Shaikh Sirhan bin 'Umar, written in 1728. On this chronicle there are several details in W. Phillips, *Oman, a history* (London 1967), pp.19-20. The text of this chronicle has, sometimes almost literally, been incorporated in Humayd bin Salih bin Muhammad bin Ruzayq's *Al-fath al-mubin fi sirat as-sadat al-bu Sa'idin of* 1858/1276 which has been translated into English: G.P. Badger, *History of the Imams and Seyyids of Oman* (London, Works of the Hakluyt Society 1st series vol. 44, 1871).

45 Ross, *Annals*, pp. 46-51; Badger, *History*, pp. 57-62.

46 Badger, *History*, p. 63; Ross, *Annals*, p. 50.

47 Ross, *Annals*, p. 51; Badger, *History*, p. 66; ARA, VOC vol. 857 fol. 897: mention of the siege of Muscat in a Dutch document.

48 Ross, *Annals*, pp. 51-52 ; Badger, *History*, p. 66 ; Hansman, *Julfar*, pp. 10-11 The Portuguese account in ANTT, DR vol. 19D (1633-1635), deliberation of the council in Muscat of 21-9-1633. In this document there are critical remarks on the usefulness of the 'dovecotes' (small fortresses) established by Ruy Freire between Julfar and Muscat. Bathurst, 'Maritime Trade', p. 97-98, believes the 'Persian' of the Omani chronicle to be a real Persian and comes to a wrong appreciation of Persian policy.

49 Foster, *English Factories* (1630-1633), p. 271 and Dunlop, *Bronnen*, pp. 389, 404-405, 456.

50 Sultan was in Persia a provincial governor, not a chief of state.

51 Journal by Carstensz of his expedition in ARA, VOC vol. 1113, fol.214-229v.The journal also contains a most interesting description of Socotra and notes on the pearl trade. One of the participants published an account of the voyage, this contains some interesting remarks on the Gulf area, but no mention of the events in Julfar (Hendrik Hagenaer, 'Verhael van de reyze gedaen in de meeste delen van Oost-Indiën', printed in L.Commelin, *Begin ende voortgang van de Oostindische Compagnie* (Amsterdam 1646), vol. 2.).

52 ARA, VOC vol. 857, fol. 397 (letter by the Batavia High Government to the Director in Persia) with the remarks about Carstensz's actions. Carstensz's instructions, which were published in Dunlop, *Bronnen*, pp. 399-408, forbade Carstensz to participate in any military alliance between Imam Quli Khan and the English (vague plans for an Anglo-Persian alliance against the Portuguese in Muscat were coming up from time to time).

53 Report on the actions taken in ARA, VOC vol. 1117, fol. 781-781v. At that

time, the Sultan of Bandar Abbas was apparently negotiating with the Portuguese about the settlement of a conflict which had came up between the Portuguese and the Persians and which had led to some Persian interest in the conquest of Muscat: ibid. fol. 788.

54 Ross, *Annals*, pp. 52-53; Badger, *History*, pp. 67-69; Bathurst, 'Maritime Trade', p. 98. Noronha de Linhares, *Diario*, p. 177, refers to peace negotiations between the Omanis and the Portuguese.

55 The proposal of Dutch help for the Persians apparently was a personal project of the Governor General: the Directors in Holland did not like it: ARA, VOC vol. 1121, fol. 1661v-1662; papers on the activities of Amand in ARA, States General no. 12563.16.

56 Dunlop, *Bronnen*, pp. 548, 558-559, 569, 615.

57 This Nasir bin Qatan probably is the 'Carthane', the Arab chief in the desert, referred to in Silva Figueroa's account as possible ally of Portugal: Silva Figueroa, *Ambassade*, p. 384.

58 Ross, *Annals*, p. 53; Badger, *History*, pp. 69-70.

59 Ross, *Annals*, p. 54; Badger, *History*, pp. 72-73.

60 Ross, Annals, pp. 53-54.

61 A contemporary printed account of Imam Quli Khan's death is Hagenaer, *Verhael*, pp. 45-47.

62 ARA, VOC vol. 1146, fol. 15.

63 Van Dam, *Beschryvinge*, vol 3/3 p. 294; Foster *English factories* (1637-1641) p. 306.

64 On this first Dutch expedition for the pearl trade in Bahrain see Floor, 'Pearlfishing', 210-211. Instructions for this mission to Costerus and a companion, Walckaert, who died before leaving, in ARA, VOC vol. 1146, fol. 823-824v, cf. letter of the High Government to Bandar Abbas, 14-9-1643 in VOC vol. 867, fol. 702. The Carmelite Document in the Carmelite Archives in Rome, 238s, quoted in *Chronicle* vol. 2, pp. 1116-1117. First reports on the expedition in VOC vol. 1146, fol. 861, definite results in VOC vol. 1146, fol. 908. Remarks on the results of this mission also in *Daghregister* (1643-1644), pp. 188-189, 191-192. A report by Costerus on the political and economic state of Bahrain which was presented to the Governor General in Batavia seems to be lost.

65 Van Dam, *Beschryvinge*, vol 2/3 pp. 294-295 ; Foster, *English factories* (1642-1645), pp. 170-171.

66 ARA.VOC vol. 1146, fol. 912v (Constant to Batavia High Government, 12-2-1644). See also ARA, VOC vol. 1152, fol. 86-87 (letter by Constant to the same, 11-2-1645). The Batavia High Government agreed with this project by its resolution of 1 August 1644: VOC vol. 667.

67 The experiences of the Holstein-delegation are printed in a book by a member of the delegation, which has also been translated in Dutch: A. Olearius, *Persiaense reyse uit Holsteyn door Philippus Crusius en Otto Brughman* (Amsterdam 1651).

68 Tavernier, *Voyages*, vol. 1, pp. 236-237.

69 Mascalat can be seen on many maps of the seventeenth century, usually as a large place. It may possibly be connected with either Nasir bin Qatan or with the Banu Yas. It figures already on maps long before Tavernier's book appeared, cf. Slot, *Origins*, Plate 2.

70 According to Tavernier, Vodena was a place where two 'rivers' (or maybe rather creeks) met, and that the place was also called *Moyesur*. Such a place can be seen on many old maps near Julfar. Some maps (the first map of the Gulf in Liebault's *Atlas* is one of the latest maps showing this situation) have instead of Vodena the name Dadena, which might be connected with the Daoin in Balbi, *Viaggio* (ed. Pinto), p. 121, which seems to be the modern Dihan in the Julfar-area, indeed between two creeks.

71 ARA, VOC vol. 1146, fol. 915 and 935.

72 ANTT, DR vol. 55 no. 235 (fol. 294).

73 Instructions in ARA, VOC vol. 1146, fol. 823-824v.

74 The plan for blocking Bahrain was suggested by the director Constant: ARA, VOC vol. 1146, fol.912v. Instruction for the blockade by the High Government in ARA, VOC. vol. 868 (9-8-1644), fol. 533. In the margin left of the paragraph about the blockade of Bahrain has been written 'geexcuseert', (not to be executed).

75 Original journal of this expedition in ARA, Geleynssen de Jongh papers no. 280a. See also *Daghregister* (1645-1646), p 258.

76 The original of this journal of September-October 1645 in ARA, Geleynssen de Jongh papers, no. 280. It contains sketches of Cape Musandam, the Persian coast off Jask and Daba bay. Barendse, *Koningen, Compagnieën en Kapers*, p. 59 mentions the visit to Daba in a slightly embellished resumé. This author seems to confuse Daba with Dubai: cf. map on p. xxix.

77 The German book is Von der Behr, *Diarium* (pp. 67-81 on the operations in the Lower Gulf). The most direct sources on this expeditions are the diary and reports by the Commodore Blocq, which can be found in ARA, VOC vols. 1152, 1153 and 1155. References also in reports by other Dutch officials in the same volumes and in *Daghregister* (1645-1646), pp. 260-261. The English view in Foster, *English factories* (1642-1645), pp. 255-257, 275, 277-278, 299, 308 and Saldanha, *Persian Gulf Précis*, vol. 1, p. xxii.

78 *Generale Missiven*, vol. 2, pp. 340-341, 377. The English considered the Dutch action as effective. cf. Saldanha, *Persian Gulf Précis*, vol. 1, p. xxii.

79 The report of Cunaeus's mission has been published : A. Hotz, *Journaal der reis van den gezant der O.I. Compagnie Joan Cunaeus naar Perzië in 1651-1652*

(Werken van het Historisch Genootschap, 3rd series vol. 26, Amsterdam 1908).

80 Letter by the Batavia High Government to Carel Constant of 9-8-1644 in ARA, VOC vol. 866 p. 133; letters by the directors in Holland to the Batavia High Government in ARA, VOC vol. 317: doubts expressed by the directors concerning the policy of the High Government on 21-9-1644 on fol. 6-6v and most explicit disapproval on 9-9-1645 fol. 34: '...you should not decide as lightly as you have done to close such a profitable establishment as that in Persia...we order you expressly, now and for ever, not to make war on any great empire in Asia unless we are forced to it...'.

81 Boxer, *Ruy Freyre*, pp. 192-193 = Ruy Freire, *Comentarios*, pp. 250-251; Cordeiro, *Dois Capitães*, pp. 53-54, 70-73. During the time of the war, Pietro della Valle was in Basra. His account of it is in *Viaggi*, vol. 3, pp. 378-379.

82 There is some doubt about the family-relations in this succession. The historiography up to now has assumed that Ali was a son of Afrasiyab: *EI*, vol. 1, p. 236. Uzunçarsili, *Osmanli Tarihi* vol. 4/1/2, p. 325 also mentions Ali as a son of Afrasiyab. The source probably is Pietro della Valle, *Viaggi* vol 3, 377. The Dutch Basra diary of September 1653, VOC vol. 3988, fol. 545-549, states that Ali was a brother of Afrasiyab and that he was put on the throne in Basra by Portuguese influence. The supposition that Ali was a brother and not a son of Afrasiyab fits better with the events of the quarrel within the family of 1652-1654, see below, p. 199-202. Ali is described as an old man in 1645, this also indicates that he was a brother rather than a son: ARA, Geleynssen de Jongh, 280e (Dutch Basra Diary).

83 Perry, 'Banu Ka'b', p. 133.

84 Foster, *English factories* (1624-1629), pp. 22-23, cf. Thevenot, *Suite du Voyage*, pp. 310-311: Basra has a large trade with India since the fall of Hormuz. A detailed contemporary history of the founding of the Carmelite monastery in Basra in *Chronicle*, vol. 2, pp. 1125-1129.

85 *Chronicle*, vol. 2, p. 1117.

86 ARA, Geleynssen de Jongh-papers no. 280e (Dutch Basra-diary of 16-7-1645), cf. letters of Dawud Khan, governor of Rishahr to the Dutch director in Bandar Abbas ibid. no. 100; Foster, *English Factories*(1642-1645), p. 283.

87 Foster, *English Factories* (1642-1645), pp. 100, 147.

88 Foster, *English factories* (1624-1629), pp. xxxi, 324, 326.

89 Foster, *English factories*(1624-1629), pp. x, 43; Dunlop, *Bronnen*, p. 214.

90 *Chronicle*, vol. 2, p. 1134; Coolhaas, *Van den Broecke*, vol. 2, p. 355.

91 Pissurlencar, *Assentos*, vol. 3, pp. 174-176. Cordeiro, *Dois Capitães*, p. 54. Boxer, 'Anglo-Portuguese rivalry', pp. 110 and 116 erroneously mentions the Shaikh of Qatif in this context, but at that time the town of Qatif still was under the rule of an Ottoman Pasha.

Generale Missiven, vol.2, p. 36 mentions the sending of a small Dutch ship to

92 Basra on behalf of the Shah to get from there a Persian rebel who had fled there. Such an expedition would have been unthinkable if the relations between Basra and Persia had not improved.

93 De la Boullaye de Gouz, *Voyage*, p. 291.

94 Foster, *English factories* (1637-1641), pp. xxiv, 33, 42, 193, 201, 204, 210-211, 245-247; Dutch report on the start of English trade in Basra: VOC vol. 1146, fol.818 .

95 This charming and accurate allegory in a letter from the English mission in Basra, published in Foster, *English Factories* (1637-1641), p. 252: 'because two arrogant dunghill-spirits one residence can not contayne'.

96 ARA, VOC vol. 935, p. 935 (letter Batavia to Bandar Abbas, 24-5-1644: too dangerous to send any ships now to Basra because of naval activities of the Portuguese who captured 4 native ships from India near Muscat. Same letter p. 990: English trade is of little consequence).

97 ARA, VOC vol. 1152, part Basra 1; ARA, papers Geleynssen de Jongh, nos. 280 a-d, 281e, 291c, 292, 297a-c.

98 The nautical details on the expedition of the Dutch ships are very well known because several logbooks have survived: ARA, Geleynssen de Jongh-papers, nos. 280 a-d, as well as the chart made by the second Dutch expedition, which apparently shows the path followed by the first expedition in its search for the route to Basra (Landesbibliothek, Karlsruhe, manuscripts of the Dutch official Artus Gijsels no. 478). The pilot from Kharg brought the Dutch ships to the entry of the Shatt al Arab which was closed by shallows. Because of a navigational error the hips went South and not finding a practicable entry, arrived near Bubiyan or the Northern corner of the Bay of Kuwait.

99 A list is given in Hotz, 'Roobacker', p.38, we have corrected in a few places with the help of the diaries in ARA, Geleynssen de Jongh papers 280a and 280e and the contemporary nautical charts in Badische Landesbibliothek, Karlsruhe, Artus Gijsels papers 478 and British Library, London, Mss. Add. 34184.

100 ARA, VOC vol. 1057, Basra part 2 , fol. 337: inventory of the goods salvaged from the fire of the *Schelvis*.

101 Diary of this second expedition in ARA, Geleynssen de Jongh-papers no. 280e. Other papers on the expedition in ARA, VOC 1152, Basra part 2.

102 ARA, Geleynssen de Jongh-papers no. 280e, diary on the date 9-12-1646.

103 ARA, Geleynssen de Jongh-papers no. 280e, diary on the dates 7 July and 15 August 1646.

104 Some impression of the importance of the 'native' or 'Moorish' trade in comparison with Dutch and English trade is given in the lists of the cargo of 'Moorish' ships and in the remark in ARA, VOC vol: 1185, fol. 371-377 to be compared with Dutch statistics ibid fol. 365-370.

105 Danvers, *Report*, p. 121.

106 Danvers, *Report*, p. 121. Some Arabs entered the Augustinian monastery and killed some monks of which event there exists a tableau of tiles in the Graça monastery in Lisbon, a photograph of it in Gulbenkian, *Ambassade en Perse de Luis Pereira de Lacerda*, between pp. 67 and 69.

107 Pissurlencar, *Assentos*, vol. 3, pp. 488-489, 500, 501-506.

108 Pissurlencar, *Assentos*, vol. 3, pp. 507-508: text of the armistice agreement of 15-12-1648, the shaikh 'Sefo' may be the shaikh of 'Siar' [Sir] referred to *ibid*, p. 504.

109 *Chronicle*, vol. 2, p. 1117 about the Carmelite plans in 'Casab'. The editor makes a mistake in supposing that Casab in Portuguese stands for Al Hasa, there can be no doubt that it is Khasab.

110 ARA, VOC vol. 1185, fol. 680v-681 : report from the Dutch director in Bandar Abbas to the Dutch director in Surat, cf. English mention of the conquest of Muscat in Foster, *English Factories* (1651-1654), pp. 73, 79.

111 The main source on the fall of Muscat into the hands of the Arabs are the letters of the Carmelite in the Carmelite archives in Rome, 241k and 242a, of which parts are quoted in *Chronicle*, vol. 1, pp. 358-359 and vol. 2 p, 961. There is a rather vague mention in the Omani chronicle: Badger, *History*, pp. 79-87 and Ross, *Annals*, p. 55. An interesting account is given by a later English traveller: A. Hamilton, *A new account of the East Indies*, pp. 43-44, who had in 1727 his story from an old Portuguese turned Muslim.

112 *Chronicle*, vol. 2, pp. 1116-1117.

الفصل الخامس

1 *Generale Missiven* vol. 2, p. 403 about the bad state of Portuguese power.

2 *Generale Missiven*, vol.2, pp. 416-417.

3 *Generale Missiven*, vol 2, p. 417. The Dutch Director in Bandar Abbas had reported the news of the fall of Muscat on 1-1-1650 to Surat, from where the news was sent to Batavia, cf. VOC vol. 1185, Persia fol. 680v-681.

4 Foster, *English Factories* (1651-1653), p. 167.

5 The black Portuguese mentioned are Christians from India living in Oman who had become Muslims in Oman after the Arab conquest of Oman.

6 At that time, the Dutch had plans to attack the Portuguese establishments of Diu and Damao: VOC vol. 1185, fol.743.

7 ARA, VOC vol. 1195, fol. 782v.

8 *Chronicle*, vol. 1, pp. 259-260. There is a rather propagandistic Portuguese account of the operation printed in a pamphlet *Relação da iornada que fes o Governador Antonio de Sousa Coutinho ao Estreito de Ormuz* (Lisboa 16-10-

1653, in the Library of Evora, Portugal, Res. 350), cf. *Relações*, pp. 323-325. A short indication in Pissurlencar, *Assentos*, vol. 3, pp. 189 and 192.

9 Danvers, *Report*, p. 124; ARA, VOC vol. 1185, fol. 585-585v (letter 25-3-1651); VOC vol. 1188, pp. 464-464v: Dutch Basra diary reporting the capture of Portuguese ships in Kong.

10 *Generale Missiven*, vol 2, pp. 638-639 (24-12-1652).

11 Danvers, *Report*, p. 124; *Generale Missiven* vol. 2, p. 639 (report of 24-12-1652). *Chronicle*, vol. 1, p. 360, quotes a letter of a Carmelite monk who stated that Sivapanaik acted on Omani instigation.

12 ARA, VOC vol. 3988, fol 540 (Dutch Basra diary 7-10-1653).

13 List of captured merchandise of the English ships *Roebuck*, *Lenoret* and *Supply* in ARA, VOC vol. 3988 fol. 386-401, list of English prisoners on fol. 466, cf. ibid. fol. 414-423: logbook of the Dutch ships *Reiger* and *Concordia* cruising in the area of Musandam (where they captured the English ships). List of the merchandise captured on the Portuguese ship *Bom Jesus* ibid. fol. 385.

14 ARA, VOC vol. 1283, fol.702 (Bandar Abbas to Batavia, 21-3-1654); *Generale Missiven*, vol. 2 , p. 765.

15 Thevenot, *Suite du Voyage*, p. 355.

16 *Generale missiven*, vol. 3, pp. 38, 82.

17 *Generale Missiven* vol. 3, pp. 38, 40-41 (letter 24-12-1655). The English had the same opinion: Foster, *English factories* (1661), p. 31.

18 *Generale Missiven*, vol. 3, pp. 245-246.

19 Foster, *English Factories* (1655-1660), p. 131.

20 *Generale Missiven* vol. 3, pp. 42, 106-107, 228-230.

21 *Generale Missiven*, vol. 3, pp. 229, 276.

22 VOC vol. 1289, fol. 898v; VOC vol. 1242, fol. 1091v; *Generale Missiven* vol.3, pp. 274-276, Foster, *English Factories* (1655-1660), p. 230. Risso, *Oman and Muscat*, p. 13 notes, quoting Bathurst's unpublished Oxford thesis *The Ya'rubi dynasty of Oman* of 1967 (not seen) that Rainsford's mission failed because of Dutch influence in Oman. There is no trace of Dutch interference in the Dutch archives, and Bathurst remark should be considered an example of the often occurring exaggeration of Dutch activities in English sources.

23 ARA, VOC vol. 1240, fol. 412.

24 ARA, VOC vol. 1304, fol. 490; VOC vol. 1259, fol. 1303.

25 ARA, VOC vol. 1242, fol. 1091. This importance of Rig in that time is confirmed in Thevenot, *Suite du Voyage*, pp. 297-299.

26 Floor, 'First relations', p. 290, is of the opinion that Van Wijck had provoked this Persian request, but in view of Van Wijck's reaction to it, this does not seem probable. See also ARA, VOC vol. 1245 (9-1-1665), fol. 365v and Floor,

'First relations', 293.

27 Batavia only wanted to take action if there would be a formal request by the Shah himself: Resolutions High Government, 4-4-1665, cf. ARA, VOC vol. 988, fol. 395 (High Government to Bandar Abbas, 2-9-1664 reporting the opinion in Holland).

28 Floor, 'First Relations', pp. 292-294.

29 ARA, VOC vol. 1254, fol. 520 (4-4-1665).

30 ARA, VOC vol. 889, fol. 515 (High Government to Bandar Abbas, 13-9-1665); ARA VOC vol. 990, fol. 605 (id. 13-9-1665). In January, 1665 the High Government had suggested to the directors in Holland that it might be good to have an agent in Muscat: *Generale Missiven*, vol. 3, p. 459.

31 *Generale Missiven*, vol. 3, p. 502; ARA, VOC vol. 1248, pp. 1375-1376; VOC vol. 1252, pp. 716-717.

32 *Generale Missiven*, vol. 3, p. 570 (25-1-1667); ARA, VOC vol. 1243, p. 1004.

33 ARA, VOC vol. 1252, pp. 716-720.

34 There is a report by the head of this mission, Vogel, in ARA, VOC vol. 1259, pp. 3366-3377, published in Floor, 'First contacts', pp. 298-307. The chart of the Musandam area on fig. 2 in Floor's article is not based on this expedition but on the earlier expeditions by the ship *Zeemeeuw* in 1645, of which the logbooks are in ARA, Geleynssen de Jongh papers, nos. 280 and 280a. The chart on fig. 3 in Floor's article is indeed based on Vogel's expedition, the original is in ARA, VEL 222.

35 ARA VOC vol. 1259, pp. 3366-3367 (=Floor, 'First contacts', pp. 298-299) cf. Miles, *Countries and tribes* (ed. 1966) p. 445.

36 ARA, VOC vol. 1259, pp. 3372-3373.

37 ARA, VOC vol. 894, fol. 678 (Batavia High Government to Bandar Abbas, 17-10-1670). The profit figures show indeed a lower result for the year 1669/1670, cf Klerk de Reus, *Geschichtlicher Ueberblick*, appendix 9.

38 ARA, VOC vol. 1266, fol. 941.

39 Foster, *English Factories* (1668-1669), pp. 264, 266, 283; ibid. (1669), p. 200; *Generale Missiven*, vol. 3, p. 733; Floor, 'Description of Masqat', pp. 2-3 (references to VOC vol. 1279, fol 464-465); *Chronicle*, vol. 1, p. 426.

40 Foster, *English Factories* (1668-1669), pp. 30-31.

41 Report of this trade-expedition in ARA VOC vol. 1279, fol. 462-468. Barendse, *Koningen, Compagnieën en Kapers*, p. 59 and notes on p. 261 seems to confuse this expedition of 1670 with the expedition of the *Meerkat* of 1666

42 ARA, VOC 1288, fol. 435v, 438.

43 Floor, 'Description of Masqat', p. 4 , cf. VOC vol. 1284, fol. 2246v-2248.

44 Floor, 'Description of Masqat', pp. 6-7; ARA, VOC vol. 1279, fol. 958-959

(Governor General to Governor of Ceylon, 19-11-1671); ARA, VOC vol. 895 (Governor General to Director in Bandar Abbas, 1-9 and 19-11-1671) fol. 636, 907; *Generale Missiven*, vol. 3, p. 820.

45 Floor, 'Description of Masqat', pp. 8, 56 note 43 cf. ARA, VOC vol. 1288, fol. 430-431.

46 Resolutions of the political council in Bandar Abbas in ARA, VOC vol. 1279, fol. 958v-959. Instructions to the mission ibid. fol.1029-1030.

47 ARA, VOC vol. 1304, fol. 476v.

48 ARA, VOC vol. 1304 fol. 477.

49 Floor, 'Description of Masqat', p. 18; *Chronicle*, vol. 1, p. 426.

50 These reports are in ARA, VOC vol. 1304, fol. 473-494 and VOC vol. 1288, fol 430-445. A large part of them has been published in English translation: W.Floor, 'A description of Mascat and Oman', *Moyen Orient et Océan Indien* 2/1 (1985) pp. 1-69.

51 Floor, 'Description of Masqat', p. 13.

52 Floor, 'Description of Masqat', p. 27.

53 ARA VOC vol. 1304, fol. 483v,484 (=Floor, 'Description of Masqat', pp. 32, 34).

54 ARA VOC vol. 1304, fol. 483-483v (=Floor, 'Description of Masqat', p. 31); cf. Ross, *Annals*, pp. 55-56 and ARA, VOC vol. 1499, fol. 899v.

55 ARA, VOC vol. 1304, fol. 489v-490 (=Floor, 'Description of Masqat', p. 45) cf Ross, *Annals*, p. 55.

56 ARA, VOC vol. 1304, fol. 489-489v (=Floor, 'Description of Masqat', p. 44).

57 Shipping statistics of Muscat in the Wilmson report: ARA, VOC vol. 1304, fol. 486v-489v(=Floor, 'Description of Masqat', pp. 38-44). There is an interesting general view of the place of Oman in international trade in Bathurst, 'Maritime Trade', p. 99-101.

58 ARA, Geleynssen de Jongh-papers no. 280e (Basra-diary 9-12-1646); VOC vol. 1666, pp. 418-419; VOC vol. 1285, fol. 406 states that Julfar had used a force of no less than 25 trankeys to attack Bandar Kong.

59 ARA, VOC vol. 1304, fol. 475v-476. Examples of this kind of ceremonial guns can be seen in the Historical Department of the Rijksmuseum in Amsterdam.

60 Floor, 'Description of Masqat', pp. 17-18.

61 ARA, VOC vol. 1304, fol. 482v.

62 ARA, VOC vol. 1304, fol. 482v.

63 Risso, *Muscat and Oman*, pp. 119-120.

64 ARA, VOC vol. 1304, fol. 476.

65 *Generale Missiven*, vol. 3, 873, vol. 4, pp. 36, 39, 73.

66 *Generale Missiven*, vol. 4, p. 92.

67 *Daghregister* (1676), p. 146; *Generale Missiven*, vol. 4, p. 122. It had earlier been plundered in 1669 (ibid. vol. 3, p. 701. The next year, the Omanis plundered the countryside of Portuguese possessions in India: ibid vol. 4, p. 212. The peace between the Portuguese and Oman, reported in 1673 (*Generale Missiven*, vol. 3, p. 891) seems not to have lasted for long.

68 *Generale Missiven*, vol. 4, p. 233, cf. p. 39.

69 *Generale Missiven*, vol. 4, p. 400.

70 About Carré see *Dictionnaire de biographie française*, vol. 7, col. 1224-1225. About his manuscripts and his published book see above,

71 Carré, *Travels*, vol. 1, pp. 89-128; vol. 3, pp. 820-839.

72 Carré, *Travels*, vol. 3, pp. 827-830.

73 Carré, Travels, vol. 1, p. 101, vol. 3, pp. 824, 828-830. The tribes apparently were the Ubaydli, Nasur, Haram and Al Ali.

74 See below.

75 This pasha is called Hasan in the Carmelite Chronicle (Gollancz, *Chronicle*, p. 322), in all Dutch documents, and in English documents (Foster, *English factories* (1668-1669), p. 42, but Husayn in Hammer, *Geschichte*, vol. 6, p. 186 and in Longrigg, *Four centuries*, pp. 111-117. We should prefer Husayn, because there are some copies of documents in Ottoman writing in the Dutch archives in which his seal is copied which clearly bears the legend Husayn: ARA, Geleynssen de Jongh, 100, letters of Husayn son of Ali, who was at that time Governor of the town of Basra under his father.

76 Longrigg, *Four centuries*, p. 112 (this opinion apparently comes from the contemporary French traveller Tavernier), cf Carré, *Travels*, vol. 1, p. 90.

77 ARA, VOC vol. 1179 (Basra-part), fol. 843-882; VOC vol. 1188 (Basra-part), fol. 461-481, (Surat-part), fol. 524-537; VOC vol. 1208 (Basra-part), fol 238-282; VOC vol. 3988, fol. 312-323, 524-528 and 534-544.

78 Thevenot, *Suite du Voyage*, pp. 317-318.

79 ARA, VOC vol. 3988 fol. 534v; Hammer, *Geschichte*, vol. 5, p. 634. Thevenot, *Suite du Voyage*, p. 215.

0 Hammer, *Geschichte*, vol 5, p. 634; ARA, VOC vol. 3988 (Dutch Basra diary 9-9-1653); Thevenot, *Suite du Voyage*, pp. 314-315. According to Thevenot, Fethiya's younger brother asked to be appointed as Pasha of Qatif, but it is not known whether he succeeded.

81 Hammer, *Geschichte*, vol. 5, p. 634; The best source for these events is the Dutch Basra-diary in ARA, VOC vol. 1208, fol. 254-259, which gives a detailed account of the events in Basra of September 1654.

82 ARA, VOC vol. 1209, fol. 259-262; Thevenot, *Suite du Voyage*, p. 315.

83 Hammer, *Geschichte*, vol. 5, p. 634; ARA, VOC vol. 1209, fol. 268-276;

Thevenot, *Suite du Voyage*, pp. 315-316.

84 Hammer, *Geschichte*, vol. 6, p. 100.

85 *Generale Missiven*, vol. 3, pp. 504, 557.

86 Longrigg, *Four centuries*, 113; G. Rentz, Katif in *EI*, vol. 4, p. 765.

87 Thevenot, *Suite du Voyage*, pp. 317-318, who mentions that Qatif was in his time and important port of transit where merchandise from India and Muscat was forwarded to Central Arabia.

88 Foster, *English factories* (1665-1667), pp. 158, 176: expectations of new attacks immediately followed: ibid. pp. 265, 284, cf. ARA, VOC vol. 1251, fol. 1562-1565 (letter from Basra of 27-5-1666).

89 Hammer, *Geschichte*, vol. 6, pp. 285-186; VOC vol. 1251 fol. 1563; *Chronicle*, vol. 2, pp. 1006-1007.

90 Hammer, Geschichte, vol. 6, p. 186, based on Rashid, *Tarih*, vol. 1, p. 38; *Chronicle* vol. 2, 1153-1154; Gollancz, *Chronicle*, p. 332.

91 *Chronicle*, vol. 2, p. 1154; Foster, *English factories* (1668-1669), p. 204; Hammer, *Geschichte*, vol. 6, pp. 188-189.

92 *Chronicle*, vol. 2, pp. 1156-1157;Hammer, *Geschichte*, vol. 6, p. 188; Longrigg, *Four centuries*, pp. 118-119; Gollancz, *Chronicle*, p. 332; Foster, *English factories* (1668-1669), 213. The Dutch documents contain only very summary references to events in Basra at that time: the letters forwarded by the Carmelites of Basra to Holland hardly contain any local news.

93 Carré, *Travels*, vol. 1, p. 90; ARA, VOC vol. 1288, fol. 956-957.

94 Carré, *Travels*, vol. 1, p. 90; the increasing importance of Dutch trade in Basra is shown successively in *Generale Missiven*, vol. 4, pp. 124, 260, 364, 479, 743, 827.

95 Carré, *Travels*, vol. 3, pp. 833-835.

96 *Generale Missiven*, vol. 5, 280; Thevenot, *Suite du Voyage*, pp. 297-299; Foster, *English Factories* (1661), p. 31.

97 Carré, *Travels*, vol. 1, p. 101; see above p. 196.

98 *Generale Missiven*, vol. 6, p. 246, vol. 4, p. 827.

99 Floor, 'Description of Masqat', p. 44.

100 Carré, *Travels*, vol. 1, pp. 90-91, 111; vol. 3, p. 839.

101 ARA, VOC vol. 1285, fol. 407.

102 ARA, VOC vol. 1255, fol. 855-870: Dutch diary concerning the presence of French ambassadors in Isfahan.

103 Foster, *English factories* (1655-1660), pp. 25, 227-228.

104 Foster, *English factories* (1668-1669), pp. 30-31.

105 Foster, *English factories* (1666-1667), pp. 37-40.

106 *Generale Missiven*, vol. 4, pp. 299-301, 357-364.

107 Klerk de Reus, *Geschichtlicher Ueberblick*, appendix 9.

108 *Generale Missiven*, vol. 4, pp. 478-479.

109 *Generale Missiven*, vol. 4, p. 584, cf. *Daghregister* (1682 part 2) p. 1326; *Chronicle*, vol. 1, p. 426.

110 The numerous Dutch documents: diaries, letters, minutes of deliberations, are to be found in ARA, VOC vols. 1398 and 1430, and some references in

111 *Generale Missiven*, vol. 4, pp. 741-742; ARA, VOC vol. 1406, fol. 1205v, 1280-1291. The conquest is also mentioned in Kaempfer, *Amoenitates*, p. 763.

112 ARA, VOC vol. 698 and 700: Resolutions of the Batavia High Government 7-9 1683 and 19-9-1685; Van Reede's report, chapter 1.

113 *Generale Missiven*, vol. 5, p. 557.

114 ARA, VOC vol. 700: Resolutions of the Batavia High Government, 19-9-1685.

115 *Generale Missiven*, vol. 4, p. 742.

116 *Generale Missiven*, vol. 4, p. 822; vol. 5, p. 143.

117 *Generale Missiven*, vol. 5, p. 486.

118 *Generale Missiven*, vol. 5, pp. 89, 143.

119 The text of the treaty is published in *Corpus*, vol. 3 no. cdlxxxvi.

120 *Generale Missiven*, vol. 5, pp. 246-247.

121 Klerk de Reus, *Geschichtlicher Ueberblick*, appendix 9.

122 *Generale Missiven*, vol. 5, pp. 89, 246-247; Foster, *English factories*(1670-1677), p. 203.

123 From 1684, the Directors in Holland showed a sudden interest in Gulf-pearls: cf. resolutions of the Gentlemen XVII of 25-10-1686 and 5 november 1687 (orders of pearls of 40,000 and 100,000 guilders). It may have something to do with fluctuations of prices and supply on the international market.

124 *Generale Missiven*, vol. 5, p. 558 (11-12-1692).

125 ARA, VOC vol. 1476, fol. 630-632.

126 Longrigg, *Four centuries*, 119-121; Hamilton, *A new account*, vol. 1, p. 55; *Generale Missiven*, vol. 5, 558, ARA VOC vol. 1476, fol. 221.

127 Longrigg, *Four centuries*, p. 120 seems not to be very accurate in comparison with contemporary Dutch records, cf. ARA, VOC vol. 1520, fol. 183v; VOC vol. 1582, fol. 168-169; SG no. 6919 (report of the Dutch Ambassador in Istanbul 13 August 1693 and of the consul in Aleppo 9 October 1693; *Generale Missiven*, vol. 5, pp. 558, 703-704, 772.

128 Ross, *Annals*, pp. 55-56. The wallpaintings, though suffering from too emphatic restauration, show some Omani ships, one a dhow of the normal type of local shipping in the Gulf, the other a bagalah, a three-masted square-rigged ship inspired by the European type of construction, cf. *Oman, a seafaring nation*, p. 66.

129 Biker, *Collecção*, vol. IV, pp. 230-233.

130 Ross, *Annals*, p. 56. The date can be determined as somewhere in 1690 (from a comparison of the reference to the events in the Omani annals with a Dutch report in ARA, VOC vol. 1499, fol. 899v and VOC vol. 1520, fol. 183v. The treaty of the Portuguese is to be dated shortly before February 1690). Dutch ships had visited Muscat in 1682, as is shown by a view of Oman made in that year by Dutch sailors, a copy of which is now kept in the Leiden University Library, VI-14-7.

131 Biker, *Collecção*, vol. 4, pp. 233-234; *Relações*, p. 329; ARA, VOC vol. 1499, fol. 905v-906 and VOC vol. 1520, fol. 183-184 give a rather pitiable view of the Portuguese attempts.

132 *Relações*, p. 329, quoting BNL, Pombal manuscripts no. 490, fol. 251-254.

133 Mention of the agreement in *Chronicle*, vol. 2, p. 909.

134 *Relações*, pp. 330-332.

الفصل السادس

1 Boxer, *Ruy Freyre*, p. 181-182.

2 See before.

3 Boxer, *Fort Jesus*, p. 57-58.

4 *Generale Missiven*, vol. 5, p. 810 (19-1-1697), 743 (3-11-1695), 772 (8-2-1696); VOC 1582, fol. 32-33; VOC 1571, fol. 92-95; Kroell, *Louis XIV*, p. 10. Saldanha, *Persian Gulf Précis*, p. xxx; Lockhart, *Fall*, p. 67-68 refers to only one Armenian ship as booty of the Omanis, with a cargo worth £ 198,000 (based on Bruce, *Annals of the East India Company*, p. 169).

5 Gaudereau, *Relation de la mort de Shah Soliman* (Paris 1696), p. 70-71 and ARA, VOC 1571, fol. 96-97 are two independent sources mentioning this letter. Gaudereau's reference has been commented in Lockhart, *Fall*, 68 and Kroell, *Louis XIV*, p. 10.

6 *Generale Missiven*, vol. 5, 810. Some reaction had been expected: *Chronicle*, vol. 2, p. 1120.

7 Foster, *English Factories*(1670-1677), p. 203; *Generale Missiven*, vol. 5, p. 3,90.

8 ARA, VOC vol. 1582, fol. 22; Aubin, *Ambassade*, p. 14-15.

9 The reasons for the Dutch refusal are given in *Generale Missiven*, vol. 5, p. 743. Lockhart, *Fall*, 391, mentions the English refusal although Bombay seems to have been afraid that the Dutch would help the Persians and so spoil English relations with the Persians. Kroell, *Louis XIV*, p. 12, gives the English argument for refusal: the Persians could not claim Persian help as

long as they had not fulfilled their obligations regarding payment of half the customs revenues of Bandar Abbas.

10 Kroell, *Louis XIV*, p. 12; Gaudereau, *Relation*, p. 89; Saldanha, *Persian Gulf Précis*, vol. 1, p. 31.

11 ARA VOC vol. 1598 (part Persia) fol. 51.

12 Kroell, *Louis XIV*, p. 14-15. The French East India Company was more realistic and than Gaudereau and saw no possibilities.

13 ARA VOC vol. 1589, 1681-1681v; VOC vol. 1598 (part Persia), fol. 44; *Generale Missiven*, vol. 5, fol. 859-860; VOC vol. 712: Resolutions Batavia High Government 14-6-1697. Instructions for the expedition in VOC vol. 928, fol 907-915.

14 *Generale Missiven*, vol. 5, p. 560.

15 De Bruyn, *Reize*, view between p. 348 and 349. See p. 27 note 92 for plans of the building and for the manuscript of this view of Bandar Abbas with the new Dutch establishment, which took many years building.

16 *Generale Missiven*, vol. 5, p. 860. More on these pirates and their origin in Barendse, *Koningen, Compagnieën en Kapers*, p. 201-223.

17 ARA, VOC vol. 1609 (Persia part 1), fol. 62-75, 114 sq; (Persia part 2), fol. 72 sq: lists of merchandise carried on Dutch ships for merchants from Surat.

18 *Generale Missiven*, vol. 6, p. 42; ARA, VOC vol. 713 Resolutions Batavia High Government 8-7-1698.

19 Boxer, *Fort Jesus*, p. 59-73.

20 *Generale Missiven*, vol. 6, p. 43.

21 *Generale Missiven*, vol. 6, p. 136.

22 *Generale Missiven*, vol. 6, p. 136.

23 Bragança Pereira, *Arquivo*, tom. 1 Historia politica diplomatica e Militar vol. 3, pt. 1 (1700-1708), pp. 112, 444-445; *Generale Missiven*, vol. 6, p. 60.

24 *Generale Missiven*, vol. 6, p. 215 (1702); ARA, VOC vol. 1679, fol.27 (request for two Dutch gunners by the Persians); the instructions in ARA, VOC vol. 719, Resolutions High Government 21-7-1704.

25 *Generale Missiven*, vol. 6, p. 260; ARA, VOC vol. 1694, fol. 126-127.

26 *Generale Missiven*, vol. 6, p. 317-323.

27 *Generale Missiven*, vol. 6, p. 319.

28 Lockhart, *Fall*, p. 397-398, quoting Bruce, *Annals*, vol 3, p. 557, 572. Lockhart himself gets rather excited clamouring about 'the first such attack on our shipping in the Gulf'. In fact, the ship was only temporarily detained, and this is an insignificant incident if one compares it with the large number of ships which were illegally captured in Europe by any belligerent party in the seventeenth century. The Dutch report in *Generale Missiven*, vol. 6, p. 456.

29 *Generale Missiven*, vol. 6, p. 376-377 (1705), 454; ARA, VOC vol. 1714, fol. 131.

30 *Generale Missiven*, vol. 6, p. 377.

31 *Generale Missiven*, vol. 6, p. 373, 410.

32 *Generale Missiven*, vol. 6, p. 458 (30-11-1706).

33 *Generale Missiven*, vol. 6, p. 507 (expedition of the ship *Eugenius*, 30-11-1707).

34 *Generale Missiven*, vol. 6, p. 521.

35 Longrigg, *Four centuries*, p. 121; Lockhart, *Fall*, p. 52-54; Caskel, 'Wali's', p. 428; *Generale Missiven*, vol. 6, p. 42, 60; *Chronicle*, vol. 1, p. 497.

36 There is some difference of opinion on the name of Farajallah's successor as governor of Basra. The Carmelite chronicle calls him Dawud Khan (Gollancz, *Chronicle*, p. 420, while Lockhart, *Fail*, p. 54, seems to skip a period and has Ali Merdim Khan as Farajallah's immediate successor.

37 ARA, Staten Generaal 6922, letter of the Dutch ambassador in Istanbul of 24-9-1700; ibid letter of the Dutch consul in Izmir of 19-8-1702 about Persian protests about the way Ottoman troops had suppressed Arab rebellions.

38 ARA, VOC vol. 1630, fol. 1873, 1888-188v.

39 We have followed here the account of the Carmelite Chronicle (Gollancz, *Chronicle*, p. 428). Longrigg, *Four centuries*, p. 121-122 has a different story: Ali Merdim Khan was replaced by Ibrahim Khan and in 1700 Mani tried to recapture Basra but Ibrahim chased the Muntafiq army away. Ibrahim was then replaced by Dawud Khan who died during a new Ottoman attack on Basra.

40 ARA, VOC vol. 1667, fol. 21, 241-242.

41 ARA, VOC vol. 1732, fol. 96-105, 117, 414; *Chronicle*, vol. 2, p. 974.

42 Gollancz, *Chronicle*, 519-527; *Generale Missiven*, vol. 6, p. 378, 458.

43 *Generale Missiven*, vol. 6, p. 507.

44 *Generale Missiven*, vol. 7, p. 317, 440: the Carmelites and the Pasha had also invited the Dutch to return to Basra.

45 Slot, *Origins*, p. 43-55.

46 Document published by Aba Hussain, 'Study', p. 102, cf. remarks on the interpretation of this document in Slot, *Origins*, p. 70-72.

47 ARA, VOC vol. 1913, fol. 275-276; vol. 1947, fol. 68-69; Caskel, 'Wali's', p. 428-430.

48 *Generale Missiven*, vol. 6, p. 378; Kniphausen-report fol. 7v-8(= Floor, Description, p. 173).

49 ARA, VOC vol. 1897, fol. 202 about a punitive expedition against the Arab population of Dashtistan because it had shown sympathy towards the Omanis.

50 Risso, *Oman and Muscat*, p. 120.

51 *Generale Missiven*, vol. 6, p. 522 (15-1-1708).

52 *Generale Missiven*, vol. 6, p. 507, 522, 567. The Ambassador only arrived in

Batavia after a new crisis in 1715 and failed to make any impression on the High Government. He seems to have been more interested in borrowing money for private purposes. The negotiations are recorded in ARA, VOC vol. 731, Resolutions of the Batavia High Government, 29-3, 4-4, 20-4, 14-6, 18-6 and 16-7-1715.

53 *Generale Missiven*, vol. 6, p. 567.

54 *Generale Missiven*, vol. 6, p. 567, 635.

55 There are many sources on this French proposal. *Generale Missiven*, vol. 6, p. 567,635; ARA, VOC vol. 1799, fol. 114 sq.; Archives du Ministère des Affaires Etrangères, Paris, Correspondance Politique Perse vol. 2; Kroell, *Louis XIV*, p. 38.

56 *Generale Missiven*, vol. 6, p. 506.

57 *Generale Missiven*, vol. 6, p. 634-635, 706; ARA, VOC vol. 1798 (part Persia 1), fol. 69-70, 119, 131-132;(part Persia 2), fol. 48.

58 *Generale Missiven*, vol. 6, p. 705, 726.

59 *Generale Missiven*, vol. 6, p. 793.

60 *Generale Missiven*, vol. 6, p. 792.

61 *Generale Missiven*, vol. 6, 794 (30-11-1711).

62 Badger, *History*, p. 93; Ross, *Annals*, p. 56; Lockhart, *Fall*, p. 68.

63 *Generale Missiven*, vol. 6, 905 (13-1-1713); ARA, VOC vol. 1829, fol. 59-60.

64 *Generale Missiven*, vol. 7, p. 29, 32.

65 *Generale Missiven*, vol. 7, p. 54.

66 *Generale Missiven*, vol. 7, p. 35-37, 121-122. The Head of the Dutch office in Isfahan apparently suffered from persecution mania. He thought that the Director in Bandar Abbas was trying to poison him. He sought the protection of the Persian authorities and gave them secret information which put the Company in serious trouble.

67 ARA, VOC vol. 1812, fol. 166 (attack on Qishm);*Generale Missiven*, vol. 7, p. 118-119 (26-11-1714); Hamilton, *New Account*, p. 74-75 gives an account of the strength of the Omani navy in this period: 1 ship of 74 guns, 2 of 60 guns, 1 of 50 and 18 small ships of 12-32 guns.

68 Bragança Pereira, *Arquivo*, tom 1 (Historia politica diplomatica e militar) vol. 3, pt. 2 (1709-1719), p. 115-122; *Generale Missiven*, vol. 7, 157: a Persian minister claimed that the English and the Dutch had urged the Arabs to the attack, cf. vol 7, p. 193. ibid. p. 191: the Portuguese were equipping ships for a punitive expedition (25-11-1715); VOC vol. 1870, fol. 21.

69 ARA, VOC vol. 1870, fol. 434-436, 316-318.

70 *Chronicle*, vol. 2, p. 937.

71 Lockhart, *Fall*, p. 95-102.

72 *Generale Missiven*, vol. 7, p. 253 (30-11-1716); ARA, VOC vol. 1886, fol. 95,

137-138, 169. Important details also in the letterbook of the Portuguese colony of Diu in BNL, FG 10668, fol. 92-99.

73 Ovington, *Travels*, p. 245 estimates the revenue of the Shah out of the Bahrain pearls at 500,000 ducats, not counting 100,000 'which are suppos'd to be diverted'.

74 VOC 1886, fol. 155 (Safi Quli Khan approached the Dutch for help); *Generale Missiven*, vol. 7, p. 253 (30-11-1716).

75 ARA, VOC vol. 1897, fol. 134-135, *Generale Missiven*, vol. 7, p. 317.

76 ARA, VOC vol. 1913, fol. 487: in September the Persians received the news that the Arabs had attacked Bahrain again; ibid. fol. 491-495: the Chancellor of the Shah informed the Dutch envoy that the Arabs had taken Bahrain, cf. *Generale Missiven*, vol. 7, p. 376 (6-12-1718). Lockhart, *Fall*, p. 115 and 404 refers to the conquest of Bahrain by an alliance of Oman and the Qawasim, giving as his source the French archives: Ministère des Affaires Etrangères, Paris, Correspondance politique, Perse vol. 1, fol. 193b: 'nouvelles de Perse' 15-9-1718, but Lockhart is not correct in quoting this document where there is in reality no mention of the Qawasim.

77 ARA, VOC vol. 1913, fol. 27-31 (31-9-1717).

78 ARA, VOC vol. 1938, fol. 104-105 (letter by the Dutch Director to Lutf Ali Khan); *Generale Missiven*, vol. 7, p. 376 (6-12-1718).

79 ARA, VOC vol. 1913, diary of early 1718 with many details on the war around Hormuz on fol. 305-357. On fol. 308 it is mentioned that troops for the siege of Hormuz were recruited in Julfar. The Omani operations against Hormuz are also mentioned in Worms, *Reise*, p. 200.

80 *Generale Missiven*, vol. 7, p. 407.

81 The documents on the *Haringtuyn* in ARA, VOC vol. 1913, fol. 437-443. Rahma is called al Hula ibid. on fol. 437 and in the Omani chronicles: Badger, *History*, 111; Ross, *Annals*, p. 63-64.

82 ARA, VOC vol. 1928, fol. 31, 32, 179, 186; *Generale Missiven*, vol. 7, p. 407 (the building of the new Dutch establishment in Bandar Abbas was delayed because all masons were recruited by the Persians for repairs to the fortress of Hormuz). Lockhart, *Fall*, p. 115-116 is vague in his account of the events.

83 ARA, VOC vol. 1928, fol. 227-228: translation of the correspondence between Oets and Fath Ali Khan of December 1718.

84 ARA, VOC vol. 1928, fol. 104-105, 230-231, 179.

85 ARA, VOC vol. 1913, fol. 497-499; Lockhart, *Fall*, p. 402-404 ; *Generale Missiven*, vol. 7, p. 377 (6-12-1718). The many papers of Ketelaar's embassy and his diary can be found in VOC vol. 1913. There is also a book on the mission by a German military officer in the Dutch service: J.G. Worms, *Ost-Indien und Persianische Reisen* (Dresden 1737). The manuscript of the

Hindustani grammar in ARA, Sypesteyn-papers supplement 2.

86 ARA, VOC vol. 1913, fol. 131. The original treaty was kept in the Archives of the Governor General, but I could not find it in Jakarta although it figures in inventories.

87 Kroell, *Louis XIV*, p. 67-69.

88 ARA, VOC vol. 1913, fol. 260; Lockhart, *Fall*, 404; Worms, *Reise*, p. 304-305. The monument erected on Ketelaar's grave was still there in 1821 (it can be seen on a picture of Bandar Abbas in an article by A.W. Stiffe in *Geographical Journal*, vol. 16, p. 212).

89 ARA, VOC vol. 1928, fol. 167-168 and VOC vol. 10435 (letter from Bandar Abbas 1-12-1718).

90 ARA, VOC vol. 1964, fol. 114-115; VOC vol. 1947 (Persia part 2), fol. 49-52, 69; Mamie-Clairac, *Histoire*, pp. 131-133 also considers the Portuguese to be the losers of the battle; *Generale Missiven*, vol. 7, p. 506; Lorimer, *Gazetteer*, historical part p. 70 (who considers it a Portuguese victory); Evora, Biblioteca publica cod. CXVI-1-38, p. 311-324. There exists a printed Portuguese poem on their 'victory': *Eventus Lusitanae classis quae è Goa ad Persiam profecta est* by Franciscus Gyraldes (s.l.n.d.n.t.). The author was a participant in the battle, cf. *Relações*,es p. 352-353. The French sources on the events are cited in Kroell, *Louis XIV*, p. 65-66, who rightly judges that Lockhart, *Fall*, p. 116 and 146, is wrong in attributing the failure of this Persian-Portuguese alliance to the offers of French assistance against Muscat by the unofficial French consul in Shiraz, Padéry.

91 ARA, VOC vol. 1947, fol. 68-69.

92 Badger, *History*, p. 100; ARA, VOC vol. 1947, fol. 234-235; Bathurst, 'Maritime Trade', p. 103-104.

93 ARA, VOC vol. 1947, fol. 235-236; VOC vol. 1964, fol. 114-115; *Generale Missiven*, vol. 7, p. 573 (30-11-1721).

94 Hamilton, *Travels*, vol. 1, p. 50.

95 ARA, VOC vol. 1983, fol. 115; VOC vol. 1967, fol. 732-732v; *Generale Missiven*, vol. 7, p. 573 (30-1-1723). An indication of the more aggressive policy of the new Omani government might be an attack on a Dutch ship in 1721, mentioned in Risso, *Oman and Muscat*, p. 14, but we found no mention in the Dutch archives of such an attack.

96 ARA, VOC vol. 10435, letter of 1-8-1721: 6000 tuman or 255,000 guilders; VOC vol. 1983, fol. 150; *Generale Missiven*, vol. 7, p. 630-631 (30-11-1723). The French Consul Padéry, quoted in Kroell, *Louis XIV*, p. 67 note 213 mentions 9,000-10,000 tumans, while the French Consul-General Gardane has the more realistic amount of 160,000 ecus.

97 Niebuhr, *Beschreibung*, p. 330. Floor, 'Bahrain project', p. 147, seems to have

overlooked the report in ARA, VOC vol. 1983, fol. 150 about the peaceful restitution of Bahrain and incorrectly supposes that Shaikh Jabara of Tahiri conquered it for the Persians, although the document he quotes (VOC vol.1999 -should be 2009 -, p. 47) has no word about Jabara, who is mentioned for the first time in 1728.

98 Schimkoreit, *Regesten*, p. 427.

99 Carré, *Travels*, vol. 1, p. 96-102.

100 Istanbul, Bashbakanlik Arshivi, Mühimme defteri 111 p. 113; *facsimile* in Aba Hussain, 'Study', p. 102, cd Slot, *Origins*, pp. 70-72.

101 Klerk de Reus, *Historische Ueberblick*, appendix 9.

102 Lockhart, *Fall*, 398 for the English ship. The Dutch ship figures in the annual lists of the naval force in Asia annexed to the report by the Governor General to the Gentlemen Seventeen in the *Overgekomen Brieven* in the archives of the VOC.

الفصل السابع

1 This Shaikh Rahma has already been mentioned in the previous chapter as one of the commanders of the Omani force which attacked Hormuz. The first reference to the Al Qasimi is much earlier, in 1648, when one of its members was among the Omani negotiators of the truce with Portugal of 1648 (see before, p. 160). Rahma is referred to in the Omani chronicles as one of the principal leaders of the Ghafiri faction (Badger, *History* p. 111 and Ross, *Annals*, p. 63-64 where he commands an army of people whose speach was 'like the chirping of birds', which probably indicates Shihuh tribesmen). His connection with the al Haram is indicated in the Kniphausen report fol. 11v-12(=Floor, 'Description' pp. 169) and in EGD 9-9-1761.

2 See p.

3 Lorimer, *Gazetteer*, Historical part, vol I/1a, p. 96, tells that the Shaikh of Ras al Khaima(Julfar) established himself in Basidu. From Lorimer, this story

found its way into the *EI* (article 'Kawasim' by G. Rentz in vol. 4, pp. 777-778). No reference in English documents confirms this. It rather seems that Lorimer took Rashid of Basidu for Rashid bin Matar, Rahma's successor in Ras al Khaima since 1760. References to Rahma as a close ally of Rashid in ARA, VOC vol. 2088, fol. 3424v-3426 (Dutch Gamron diary 22 V 1727 and 30 V 1727). Rashid's widow fled to Ras al Khaima after the death of her husband: EGD 10-7-1736J.

4 ARA, VOC vol. 2088, fol. 3424v-3425 (Dutch Gamron diary, May 1727) and VOC vol. 2016 (Persia part 1) fol. 109.

5 The Banu Ma'in (who were not Huwala) are first referred to in the Kniphausen report, which calls them a section of the Huwala called Banu Temim, which may indicate an origin from the interior of Arabia (=Floor, 'Description' p. 177). Niebuhr, *Beschreibung*, p. 329, calls them Ben Amin.

6 Portuguese document mentioned in *Relações*, p. 350 referring a document in the National Library of Lisbon FG 10668, fol. 98v-99.

7 ARA, VOC vol. 2055 (Persia part 2), fol. 14-15; VOC vol. 2016, (Persia part 1), fol. 95; VOC vol. 2323, fol. 207.

8 Lockhart, *Nadir Shah*, pp. 6, 79, 108 is not too accurate on the facts, cf ARA, VOC vol. 2152 fol. 7709 (Dutch Gamron diary 30-10-1729) and EGD 19-6-1737J.

9 The best account of the general events in Persia is Lockhart, *Fall of the Safavi dynasty*, pp. 171-341. The European documents mostly cover the events in the coastal area of the Lower Gulf. Regrettably, the Dutch Gamron diary covers the years from 1727-1733 only, while the English diary has large gaps.

10 Badger, *History*, pp. 102-106.

11 Badger, *History*, p. 105.

12 ARA, VOC vol. 1667, fol. 418-419.

13 Kniphausen report fol. 11v (=Floor, 'Description', p. 177).

14 Kroell, *Louis XIV*, p. 75 note 234.

15 The best source for the events are the annual letters by the head of the Dutch establishment in Bandar Abbas to the Batavia High Government: ARA, VOC vol. 1983, fol. 8-166 (1722); VOC vol. 1999 fol. 7-78 (1723); VOC vol. 2016, (Persia part 1), fol. 4-35, (part Persia 2), fol. 5-45 (1723-1724); VOC vol. 2055, (Persia part 1), 41-104 (1725), (part Persia 2), fol. 5-46 (1726); VOC vol. 2079, fol. 3-26 (1727). Cf. Lockart, *Fall*, pp. 133-136, 138-140, 144-146, 148-149, 155-156. On Mirza Sayyid Ali cf. Aubin, 'Sunnites', p. 164, the information given by Aubin on the background of this dignitary does not fit with the information in the Dutch reports.

16 Klerk de Reus, *Geschichtlicher Ueberblick*, Appendix IX.

17 ARA, VOC vol. 2016 (Persia part 1), fol. 4-5.

18 ARA, VOC vol. 2016 (Persia part 1) fol. 105.

19 ARA, VOC vol. 2016 (part Persia 1), fol. 102-104. There is no English diary covering this period but details might be found in the reports from Bombay to London which I did not consult.

20 ARA, VOC vol. 2016 (Persia part 2), fol. 76-77.

21 ARA, VOC vol. 2016 (Persia part 2), fol. 25.

22 ARA, VOC vol. 2016 (Persia part 1), fol. 110; (Persia part 2), fol. 150 (the latter about Basidu as a refuge for Dutch brokers persecuted by Mirza Sayyid Ali).

23 ARA, VOC vol. 2016 (Persia part 1), fol. 6, 94; cf. *Generale Missiven*, vol. 8, pp. 210-211; ARA,VOC vol. 2016 (Persia part 2), fol. 76-77.

24 ARA, VOC vol. 2034, fol. 50-51, 260-266.

25 Lockhart, *Fall*, 192-211, 274-281; ARA, VOC vol. 2088, fol. 3364v (Dutch Gamron diary 10-9-1726) about repercussions in Bandar Abbas.

26 ARA, VOC vol. 2088, fol. 3398v (Dutch Gamron Diary 8-11-1726).

27 EGD 5-1-1727J; ARA, VOC vol. 2088, fol. 3405-3405v, 3420 and 3429v (Dutch Gamron diary 26-71, 27-7 and 6-6-1727); ARA, VOC vol. 2138, fol. 101. This policy was stopped the following year after orders from higher authorities: *Generale Missiven*, vol. 8, p. 213.

28 EGD November 1726 - January 1727J; ARA, VOC vol. 2088, fol. 3405 (Dutch Gamron diary 24-12-1726). There was already a dispute between Shaikh Rashid and the English because the latter claimed half of the customs revenues which should be paid (but probably were not) in Basidu: EGD 2-12-1726J, as well as half of the revenues obtained by Rashid as *Shahbandar* of Bandar Abbas.

29 ARA, VOC vol. 2105, fol. 157 (remark by Pieter 't Lam).

30 ARA, VOC vol. 2088, fol. 3405, 3424v-3425, cf. EGD 22-3-1727J.

31 EGD April 1727J, especially April 24th from which the quotation is taken.

32 ARA, VOC vol. 2088, fol. 3425v-3426.

33 EGD 26-4-1727 - 30-5-1727J and the Dutch diary of 26.4 - 17.6.1727 in VOC vol. 2088 fol. 3420-3427 (the end of the matter is not referred to in the English diary because there is a gap in it). The text of a very arrogant letter by the English agent to Rashid in the EGD inserted under the date of 22-5-1727J. On the events see also ARA, VOC vol. 2105, (Persia) fol. 101.

34 EGD 27-6, 28-6 and 30-6-1727J.

35 VOC vol. 2105, Persia fol. 10-11,17-20; VOC vol. 2088, fol 3464, cf. some data on Sayyid Ahmad in Lockhart, *Fall*, pp. 300-301.

36 Lockhart, *Fall*, p. 404; VOC vol. 2088, fol. 3467, 3471v, 3474v, 3480, 3493 (Dutch Gamron diary 9-10-1727, 29-10-1727,5-11-1727, 20-11-1727, 12-12-1727).

37 ARA, VOC vol. 2088, fol. 3506, 3515, 3518v-3519, (Dutch Gamron diary 2-1-1728, 6-1-1728, 8-2-1728); *Generale Missiven*, vol. 8, p. 212.

38 ARA, VOC vol. 2088, fol. 3525v, 3534v (Dutch Gamron diary 20-2-1728, 29-2-1728); VOC vol. 2114, fol. 3455-3456 (Dutch Gamron diary 3 IV 1728).

39 ARA, VOC vol. 2088, fol. 3544 (Dutch Gamron diary 23-3-1728).

40 Boxer, *Fort Jesus*, pp. 75-86.

41 The principal Portuguese document on this is the journal of the travel in 1728 from National Library, Lisbon, FG 485, fol. 9-13v, cf. *Relações*, p. 354 and BPE arm. V-VI no. 6-8: documents on the expedition of colonel Cienfuegos. The Dutch references in ARA, VOC vol. 2088, fol. 3476v-3519v.

42 Boxer, *Fort Jesus*, pp. 79-82.

43 EGD 2-12-1728J.

44 ARA, VOC vol. 2138, fol. 36-37; VOC vol. 2114 (Dutch Gamron diary) 19-8-1728 about Qishm, 25-8-1728, 10-10-1728; 23-10 to 26-10-1728 about English plans to occupy Hormuz or Qishm. The quotation of the offer to be kings in Hormuz in ARA, VOC vol. 2105, fol. 157.

45 There is a huge amount of Dutch documents on the Hormuz affair. Except the diary references (ARA, VOC vol. 2114, fol. 3558-3614) there are copies of all relevant correspondence with local personalities, and correspondence between the Dutch negotiators on Hormuz with their principals in Bandar Abbas in ARA, VOC vols. 2091, 2105, 2114 and 2138. In the volume, VOC 2105, fol. 175-195, there is a description of Hormuz by Molengraaff. The references to Shaikh Rahma in ARA, VOC vol. 2114, fol. 3528-3530 and 3657.

46 Badger, *History*, pp. 109-122, especially 110-111.

47 EGD 7-12-1728J confirmed somewhat in ARA, VOC vol. 2114, fol. 3541-3541v.

48 ARA, VOC vol. 2114, fol. 3356v.

49 ARA, VOC vol. 2114, fol. 3543-3546 and 3558-3559; EGD 7-12 - 20-12-1728J.

50 A full account of the events in the Dutch diary between 18 December 1728 and 8 January 1729 (ARA, VOC vol. 2114 fol. 3566v-3595v). Correspondence between the hostages and the remaining Dutch in the establishment in Bandar Abbas (often very emotional short letters written in pencil like the letters by Pieter 't Lam to his young wife) and other papers in VOC vol. 2138, fol. 225-238. Full report by the Acting Head Heeverman in VOC vol. 2138, fol. 7-78. The English view in EGD 29-12-1728J.

51 ARA, VOC vol. 2114, fol. 2609v-2611 , EGD 10-1-1729 and 29-1-1729J. A detailed day to day description of the fight in the Dutch diary from 10-1-1729 to 19-1-1729. The start of the negotiations ibid 14-1-to 23-1-1729: ARA, VOC vol. 2088, fol. 3601v-3614. Jabara had, in cooperation with the merchants of Bandar Abbas, put pressure on Sayyid Abdallah Khan, asking him to make peace with the Dutch, otherwise the trade of Bandar Abbas would be ruined: EGD 31-12-1728J.

52 EGD 10-1-1729J.

53 Text of the agreement in ARA, VOC vol. 2138, fol. 238-244, diary notices in VOC vol. 2114, fol. 3613v-3614; EGD of the end of January gives the English view. The English Gombroon diary (23-1-1729J) mentions that the Dutch flag on Hormuz had been replaced with the English, which is contrary to the account in the Dutch documents.

54 ARA, VOC vol. 2152 fol. 7709: Dutch diary 30-10-1729. A reference to Shaikh 'Sanct' in ARA, VOC vol. 2034 fol. 269.

55 Lockhart, *Nadir Shah*, p. 6 is not based on any source, while the survey of the history of Bahrain in Niebuhr, *Beschreibung*, p. 331 is rather confused, but mentions the Al Haram as predecessors of Jabara on Bahrain. Floor, 'Bahrain project', p. 147 puts Jabara in Bahrain in 1721, quoting ARA, VOC vol. 2009 (should be vol. 1999), fol. 47, which refers to Bahrain but certainly not to Jabara.

56 ARA, VOC vol. 2152, fol. 7661-7663v, 7664v-7670.

57 ARA, VOC vol. 2152, fol. 7699-7700v. Reference to the Omani force on Qishm in VOC vol. 2152, fol. 7710-7711v.

58 ARA, VOC vol 744, Resolutions Batavia High Government 6-7-1728; ARA, VOC vol. 327 letter of the Gentlemen XVII of 15-9-1730: 'Something more could have been done to give assistance to 't Lam on his repeated requests...in that case Barud Khan and his rabble could not have acted...'.

59 EGD 31-7 and 29-8-1729J.

60 ARA, VOC vol. 2152, fol. 7707-7707v.

61 EGD 5-12 to 16-12-1729J; ARA, VOC vol. 2152, fol.7719-7727.

62 EGD 5 XII-16-12-1729, 1 I-2-1-1730J; ARA, VOC vol. 2152, fol. 7616-7717v.

63 ARA, VOC vol. 2152 fol. 7745-7747v (VOC vol. 2168, fol. 124-129, correspondence with Persian authorities, continued ibid, fol. 485-492, 536-441.

64 ARA, VOC vol. 2152 fol. 7742v-7744. VOC vol. 2254, fol. 85: the Dutch delivered the fortress to Kalb Ali Khan in July, 1730.

65 ARA, VOC vol. 2254, fol. 3-47, EGD of January 1730J, Lockhart, *Nadir Shah*, pp. 44-45.

66 ARA, VOC vol. 2254, fol. 51; the first mention of Shaikh Ahmad Madanni is in the EGD on 15-1-1730J.

67 ARA, VOC vol. 2254, fol. 82, 131, 145-146.

68 ARA, VOC vol. 2254, fol. 13, 23, 27-29; EGD 1-7-1730J; Lockhart, *Nadir Shah*, p. 65.

69 ARA, VOC vol. 2254, fol. 157-158, 170, 201-202.

70 ARA, VOC vol. 2254, fol. 1036-1037.

71 EGD 23-6-1733J.

72 ARA, VOC vol. 2254, fol. 146-150 (diary 16-11-1730).

73 ARA, VOC vol. 2254, fol. 51; EGD January-February 1729J.

74 The Dutch diary over the years 1730-1732 is full of mentions of Ahmad's actions (VOC vol. 2254 fol. 203, 242, 968v, 985, 1001,1003, 1045, 1059-1063). The reference to Muhammad Taqi in ARA, VOC vol. 2254, fol. 987.

75 ARA, VOC vol. 2323, fol. 211-212; Lockhart, *Nadir Shah*, pp. 78-79; EGD May-June 1734J.

76 ARA, VOC vol. 2356, fol. 68; EGD 13-5-1734J; Lockhart, *Nadir Shah*, p. 79.

77 *Generale Missiven*, vol. 9, pp. 739-740: he is considered a glib diplomat because of his past relations with the Ottoman court. Taqi Khan is described by Otter (*Voyage*, vol. 2,p. 86) as 'un homme de mauvaise foi'.

78 Lockhart, *Nadir Shah*, pp. 78-79; EGD 7-5 and 8-5-1734J; ARA, VOC vol. 2323, fol. 876-877; VOC vol. 2357, fol. 459-462.

79 Badger, *History*, p. 132; Mirza Mahadi, *Histoire*, vol. 1, pp. 192-193.

80 Badger, *History*, p. 138.

81 ARA, VOC vol. 2356, fol. 118-134; EGD April-May 1734J.

82 ARA, VOC vol. 2416 fol. 709.

83 EGD June-July 1734J; ARA, VOC vol. 2323, fol. 204; VOC vol. 2356, fol. 115-126.

84 ARA, VOC vol. 2323, fol. 207; VOC vol. 2356, fol. 35, 131-134; VOC vol. 2357, fol. 237-238, 243.

85 EGD 3-5-1736J.

86 The mention of Oman in this context is not fully justified, the Dutch had no treaty with Oman, there had been no more than an exchange of friendly letters in the 1660's and 1670's.

87 EGD 6-7-1736J; ARA, VOC vol. 2357, fol. 454-465.

88 ARA, VOC vol. 2416, fol. 849.

89 References to Cook as Master of Equipment of the Shah's navy in ARA, VOC vol. 2417, fol. 3595 and vol. 2448, fol. 79-83. Cook had been the captain of an English private ship which already in 1734 did errands for the Persian authorities in Bahrain: ARA, VOC vol. 2356, fol. 107.

90 ARA, VOC vol. 2357, fol. 449: the Persians offer the Dutch an establishment in Bushahr.

91 ARA, VOC vol. 2416, fol. 331-333; EGD 10-7-1736J.

92 ARA, VOC vol. 2416, fol. 1389-1392; VOC vol. 2417 fol. 1445-1450; EGD 10-7, 12-7, 23-7 and 28-7-1736J.

93 ARA, VOC vol. 2416, fol. 709, 814-815; VOC vol. 2417, fol. 4015-4016.

94 *Generale Missiven*, vol. 9, p. 826; ARA, VOC vol. 2416, fol. 1445-1450: resolutions of the political council in Bandar Abbas and instructions for the *Ritthem*; ibid fol. 1480-1484: report of the officers of the *Ritthem* with remarks about the ship from Julfar.

95 EGD 29-6-1737J.

96 The sources concerning the Persian navy in 1742 contain a great many mentions to the Ubaydli and Banu Ma'in as crew on the Persian navy: see below p. 304-307. Abdul Shaikh was at a much earlier date connected with the Portuguese and a prominent inhabitant of Bandar Kong, cf. Aubin, *Ambassade de Gregorio Pereira Fidalgo*, p. 23, 96, 121.

97 ARA, VOC vol. 2416, fol. 308-309, 937, 1034, 1053; VOC vol. 2417, fol. 3039.

98 EGD 3-5-1736, 17-5-1736J.

99 ARA, VOC vol. 2448 fol. 822.

100 Mirza Mahadi, *Histoire de Nadir Chah*, vol. 2, p. 14. Lockhart, *Nadir Shah*, p. 108 gives a slightly embellished version of this story: the Persians made use of the absence of Jabara for the haj for their expedition. Lockhart quotes as his source Nabhan, *At-Tuhfatu'n Nahaniyat*, p. 113, but this author is not a reliable authority.

101 ARA, VOC vol. 2448, fol. 884-885 and VOC vol. 2510, fol. 1097.

102 Badger, *History*, pp. xxvi, 130-132.

103 ARA, VOC vol. 2262, fol. 6658-6659, 6580-6593. Most mutineers, Europeans and a few Balinese were condemned to heavy punishment by the Dutch Council of Justice in Bandar Abbas, a few were executed.

104 Caskel, 'Wali's, pp. 429-430; *EI*, vol. 7, p. 674; A Dutch translation of the text of the treaty in ARA, SG 6940 Rec. 12-1-1728.

105 ARA, VOC vol. 2253, fol. 453, 460, which clearly establishes the chronology of 1730 for the occupation of Huwayza by the Persians; *Chronicle*, vol. 2, pp. 1192-1193. Caskel, 'Wali's, p. 430 has a slightly different chronology of events.

106 Hamilton, *Account*, pp. 58-59.

107 Maybe the name is Saredje, this name occurs in Otter, *Voyage*, vol. 1, p. 144.

108 *Chronicle*, vol. 2, pp. 1192-1193; Gollancz, *Chronicle*, 635, many details on the relations between the Ottoman Government and the tribes in a fragment of the Dutch Basra Diary of 1730 which has survived in ARA, VOC 2253, fol. 453-478.

109 Gollancz, *Chronicle*, p. 638; ARA, VOC vol. 2091, fol. 4971 (letter by the Governor of Basra to the Company concerning the regulation of trade); ARA, LAT 1095, pp. 61-65, ARA, Calkoen papers 265, 266, 292, 571.

110 ARA, LAT 1095, pp. 621-625 (a copy in the Turkish language of the request of 1729); ARA, Calkoen papers no. 556/12 (the request for equal treatment), 555; VOC vol. 2255 fol. 1417: order by the Pasha to reduce duties on Dutch trade to 4%.

111 Saldanha, *Persian Gulf Précis*, vol. 1, p. xxxv, 40.

112 ARA, VOC 2168, fol. 381-382.

113 *Chronicle*, vol. 2, pp. 1193-1195; Gollancz, *Chronicle*, pp. 640-642; Lockhart,

Nadir Shah, p. 68; the Dutch Basra diary of January-July 1733 in VOC vol. 2269, fol. 6604-6613 presents a number of differences in the details of the events with the account in the Carmelite Chronicle.

114 ARA, VOC vo.l 2323(Basra diary, January 1734) fol. 2038(1038)-2043(1043).

115 VOC vol. 2323, fol. 2044[1044] (Dutch Basra Diary 14-2-1734).

الفصل الثامن

1 In ARA, VOC vol. 2357, fol. 463 the Dutch Director in Bandar Abbas wrote to a high Persian official that the Dutch would do all they could to help the Persians on their own territory, but that they could offer no help against Oman, Basra and India, states which had a treaty of friendship with the Dutch.

2 After Koenad's departure the Directors in Holland wrote that they had hoped that the times of lengthy, boring, confused and incomprehensible reports by him would be over: ARA, VOC vol. 331, letter of 4-9-1748.

3 Saldanha, *Persian Gulf Précis*, vol. 1, p. 53.

4 EGD 1-4, 9-4, 23-4, 3-5 and 14-5-1737J; ARA, VOC vol. 2417, fol. 3592-3593, 3891; VOC vol. 2448, fol. 989-990; Lockhart, *Nadir Shah*, p. 184.

5 Badger, *History*, pp. 141-142. Lockhart, *Nadir Shah*, p. 183, puts the separation between the imam and the Persians at a later date. In fact, there is some incoherence in the sources. The English Gombroon diary (EGD 1-9-1737J) refers to a rumour of an agreement between Abu'l Arab and Sayf bin Sultan to chase the Persians from Oman, which would confirm the chronology of events as stated in the Omani chronicle. This rumour is perhaps somewhat contradicted - but one never knows if the Imam was not playing a double game with Latif Khan in Oman and Taqi Khan in Persia - by the report of the arrival of a ship carrying presents for Taqi Khan from Sayf bin Sultan on 15 October 1737 (EGD 15-10-1737J)). We are inclined to follow the narrative of the Arab chronicle, which is remarkably accurate for this period.

6 EGD 24-11-1737J.

7 ARA, VOC vol. 2448, fol. 69.

8 ARA, VOC vol. 2448, fol. 889, 923, 1834-1837 (5 English and as many Dutch ships were used by the Persians for transport: cf. fol. 1994-1999: the 'Dutch' ships in question are Arab ships in Dutch service), fol. 1840-1841; EGD 18 IV, 9 V, 16 V, 6-7-1737J.

9 ARA, VOC vol. 2448, fol.76-83.

10 ARA, VOC vol. 2448, fol. 389, 607-609: the ships seem not to have been

involved in fighting because the only gunpowder used was for saluting purposes. The English gave the *Halifax*: EGD 4-5-1737J.

11 ARA, VOC vol. 2448, fol. 923-939.

12 EGD 23-2-1738J.

13 Badger, *History*, pp. 142-145.

14 Badger, *History*, p. 147.

15 ARA, VOC vol. 2448, fol. 939-948.

16 ARA, VOC vol. 2448, fol. 2297.

17 ARA, VOC vol. 2448, fol. 1994-1999.

18 ARA, VOC vol. 2476, fol. 88-89, 182-185, 541, 670-672. EGD 20-4-1738J.

19 Lockhart, *Nadir Shah*, p. 183 quoting EGD of 26-6-1738J.

20 Badger, *History*, p. 144.

21 ARA, VOC vol. 2476, fol. 88-91, 162-164,182-185, 684-686; Lockhart, *Nadir Shah*, p. 184.

22 Lockhart, *Nadir Shah*, pp. 183-184 seems to have mixed up matters here a little bit. He probably made a wrong combination of the somewhat muddled account of Otter (*Voyage*, vol. 2, pp. 130-144) with the English Gombroon diary. The diary has no reference to a mutiny, but only states that the Arabs had equipped a fleet after the Persian debacle at Muscat in order to attack Qishm and Basidu (EGD 10-6-1738J).

23 ARA, VOC vol. 2476, fol. 132-133: the Dutch see an Arab victory which the Arabs failed to exploit; Lockhart, *Nadir Shah*, p. 183, sees a Persian victory.

24 ARA, VOC vol. 2476, fol. 132-133.

25 The attack on Basidu is mentioned in EGD 24 7 1738J, cf. Lockhart, *Nadir Shah*, p. 184; references to Jabara and Bahrain in ARA, VOC vol. 2476, fol. 5

26 ARA, VOC vol. 2476, fol. 744; Lockhart, *Nadir Shah*, p. 184.

27 ARA, VOC vol. 2476, fol. 1106; VOC vol. 2510, fol. 116.

28 ARA, VOC vol. 2510, fol. 115-116. The English Gombroon-diary has a slightly different story concerning Rahma bin Matar, stating that Rahma and his son had been given to Taqi Khan as guides: EGD 13-7-1738J.

29 ARA, VOC vol. 2510, fol. 850-851.

30 ARA, VOC vol. 2511, fol. 983-984, 992; Lockhart, *Nadir Shah*, p. 184.

31 ARA, VOC vol. 2477, fol. 812-813; VOC vol. 2510, fol. 110 (Dutch ship), 118 (English ship *Anna*), 414-417, 1257-1259.

32 ARA, VOC vol. 2476, fol. 636-637; VOC vol. 2511, fol. 158 Lockhart, *Nadir Shah*, p. 212 calls him Mahmud Taqi Khan.

33 ARA, VOC vol. 2511, fol. 992.

34 ARA, VOC vol. 2511, fol. 206. Letter by the French consul in Basra, Jean Otter, to the French ambassador in Istanbul of July 16th, 1740 in Paris, Bibliothèque Nationale, NAF 989 p. 58. This document is not only the

earliest reference to the Utub in a European source, but it also is the only reference to some cooperation between the Utub and the Huwala, who were always in conflict about the pearlbank of Bahrain. This letter is also resumed in Otter's book: Otter, *Voyage*, vol. 2, p. 130.

35 The Baluchistan operations in Lockhart, *Nadir Shah*, p. 184 and in ARA, VOC vol. 2511, fol. 992, 1240-1243. ARA, VOC vol. 2511, fol. 1073 refers to a famine in Bandar Abbas.

36 ARA, VOC vol. 2511, fol. 158, 206, 983-984.

37 ARA, VOC vol. 2511,' fol. 992.

38 Otter, *Voyage*, vol. 2, pp. 130-132. The correct names and backgrounds of the rebels are given in English and Dutch documents: the English and the Dutch were established in Bandar Abbas, nearer to the scene of the events than Otter who resided in Basra. EGD 31-3-1741J (a letter by the leaders of the mutiny to the English) and ARA, VOC vol. 2546, fol. 684-690, 1725-1728 (a letter by the *Sardar* to the Dutch which gives the exact names of the rebels) and 1813-1816.

39 ARA, VOC vol. 2546, fol. 33-40, 1684-1690.

40 ARA, VOC vol. 2546 fol. 1021, 1290.

41 EGD 27-8-1740, 9-9-1740J, ARA, VOC vol. 2546, fol. 1406-1438: several reports and letters concerning the expedition of the Dutch ships,ibid. fol 1664-1680: instructions for the expedition. ARA, VOC vol. 2546, fol. 1728-1731. Otter, *Voyage*, vol. 2, p. 133.

42 ARA, VOC vol. 2546, fol. 1430-1438, EGD 27-8-1740J - 9-9-1740J.

43 ARA, VOC vol. 2546, fol. 1684-1690.

44 Letters by Rahma and his father in ARA, VOC vol. 2546, fol. 1813-1816 (cf EGD 24-2, 30-3 and 31-3-1741J).

45 ARA, VOC vol. 2583, fol. 53.

46 Otter, *Voyage*, vol. 2, p. 134.

47 Otter, *Voyage*, vol. 2, p. 142.

48 ARA, VOC vol. 2583, fol. 55, 498-670. A voluminous correspondence with the Persian authorities on the events can be found in ARA, VOC vol. 2584, fol. 2109-2191 and 2292-2231.

49 ARA, VOC vol. 2583, fol. 671-678.

50 EGD 10-11-1741J. The Dutch were kept informed of the movements of their ships by some officers who had stayed on board with the intention of keeping an eye on the possessions of the Company and, if possible to take them back, especially the first mate Jan Zion who was promoted to Captain as a reward for his services: ARA, VOC vol. 2583, fol. 770-785; ARA, VOC vol. 2584 fol. 2228-2240 and 2692-2701.

51 Otter, *Voyage*, vol. 2, p. 145.

52 ARA, VOC vol. 2584, fol. 2182-2191, Otter, *Voyage*, vol. 2, p. 162.

53 ARA, VOC vol. 2584, fol. 2414-2483, cf. ARA, VOC vol. 2610, fol. 248-250.

54 ARA, VOC vol. 2584, fol. 2161-2164, 2374-2376. The sale of English ships in Otter, *Voyage*, vol. 2, pp. 162-163, who remarks that as usual Taqi Khan was cheating over the payment for these ships.

55 ARA, VOC vol. 2610 (Persia part 2), fol. 248-250, (Persia part 3), fol. 157. Lockhart, *Nadir Shah*, p. 216. It should be noted that Otter, *Voyage*, vol. 2, pp. 163-164, who had heard rumours about the events, mentions a victory at Khasab of the Omani navy.

56 ARA, VOC vol. 2610 (Persia part 3) fol. 57. Rahma bin Shahin is mentioned again in a Dutch report of 1756 as ruler of Nakhilu: Kniphausen report, fol. 4v(=Floor, 'Description', p. 168).

57 ARA, VOC vol. 2610 (Persia part 3) fol. 157.

58 Lockhart, *Nadir Shah*, pp. 215-216. VOC 2610 (Persia part 2), fol. 262.

59 Lockhart, *Nadir Shah*, p. 216; Otter, *Voyage*, vol. 2, p. 163; Badger, *History*, pp. 145-157. The conquest of the town of Muscat by a certain 'Seyfie' is confirmed in a Dutch document: ARA, VOC vol. 2610 (Persia part 2), fol. 262. Lockhart discusses the chronology of the appointment of Sultan bin Murshid as Imam. According to a Zanzibarese source quoted in Guillain, *Documents*, vol. 1, p. 535, it was in February 1742; according to Ruzayq's chronicle (published in Badger, *History*, p. 145) it was 1738/9. Lockhart disagrees with Ruzayq's date stating that it was only in 1742 that the Persians requested help from the English to assist Sayf bin Sultan against the rebels. Lockhart's argument does not seem conclusive. In Ruzayq's account there is some time between the proclamation of Sultan bin Murshid as Imam and the conquest of Muscat by his adherents, and in the same account it was only after the fall of Muscat that Sayf bin Sultan turned to the Persians for help.

60 Otter, *Voyage*, vol. 2, pp. 163-164.

61 ARA, VOC vol. 2610, (Persia part 3), fol. 157. Lockhart, *Nadir Shah*, p. 217.

62 Otter, *Voyage*, vol. 2, p. 169.

63 Badger, *History*, p. 147. EGD 18-3-1743J. Lockhart, *Nadir Shah* 217; Otter, *Voyage*, vol. 2, pp. 181-182.

64 ARA, VOC vol. 2610, (Persia part 3) fol. 157; Lockhart, *Nadir Shah*, p. 217; Badger, *History*, p. 148 (a rather vague account). Lockhart has quite a romantic story about Taqi Khan obtaining the fortresses by getting the Imam and the Omani officers drunk: a story first recorded by Niebuhr, *Beschreibung*, p. 300, many years after the events but without any real confirmation.

65 Lockhart, *Nadir Shah*, p. 217. ARA, VOC vol. 2610(Persia part 3), fol. 157.

66 VOC 2610(Persia part 3), fol. 160-161.

67 ARA, VOC vol. 2610(Persia part 3) fol. 160-161.

68 The capture of Suhar, with the remark that the Shaikh had defended it most

valiantly, in EGD 21-7-1743J, cf. Lockhart, *Nadir Shah*, pp. 217-218 and Badger, *History*, pp. 149-150.

69 ARA, VOC 2610(Persia part 3), fol. 174-176.

70 ARA, VOC vol. 330, letter of the directors in Holland of 2-9-1743.

71 ARA, VOC vol. 2610 (Persia part 2), fol. 159-161. A rather vague account of the events can be found in Mirza Mahadi, *Histoire de Nadir Chah*, vol. 2, pp. 160-161.

72 ARA, VOC vol. 2680, fol. 44.

73 ARA, VOC vol. 2680, fol. 51.

74 ARA, VOC vol. 2680, fol. 55 and resolution of the political council in Bandar Abbas of 8-10-1743, bound behind fol. 192.

75 VOC vol. 2680, fol. 39-41 and resolution of the council in Bandar Abbas of 14-11-1743, bound behind fol. 192.

76 VOC vol. 2680, Resolution of the political council in Bandar Abbas 23-12-1743, bound behind fol. 192.

77 ARA, VOC vol. 2680, resolution of the political council in Bandar Abbas, bound behind fol. 192, 30-1-1744; Lockhart, *Nadir Shah*, p. 241.

78 ARA, VOC vol. 2680, resolution of the political council in Bandar Abbas of 22-3-1744 with the suspected letter inserted, bound behind fol. 192.

79 ARA, VOC vol. 2680, resolution of the political council in Bandar Abbas, 9-4-1744, bound behind f. 192, with some correspondence was exchanged between the Dutch and Amir Mir Ali about the best way of operating in the Bandar Abbas region.

80 Lockhart, *Nadir Shah*, p. 243.

81 Dutch sources on this period are very scarce owing to the fact that the Dutch factory was in disarray because of the death of several high officials. The main source for the years 1746 and 1747 remains the English Gombroon diary supplemented by only a few short references in Dutch reports.

82 The proceedings of the Dutch council in Bandar Abbas mention on 10-5-1746 that 300 trankeys have been equipped for pearling (ARA, VOC vol. 2705, fol. 340-341).

83 There is a short reference to the events in the Dutch report of 20-2-1747 (ARA, VOC vol. 2705, fol. 534 and 539).

84 EGD 11-10-1746J.

85 EGD 9-1-1747J.

86 Dutch report of 20-2-1747 (ARA, VOC vol. 2705, fol. 539).

87 Dutch report of 22-12-1747 (ARA, VOC vol. 2724, fol. 13).

88 EGD 30-3, 2-4, 5-4, 10-4, 16-4-1747J.

89 EGD 2-4, 7-4, 10-4, 14-4, 16-4 and 23-4-1747J.

90 EGD 16-4-1747J, 23-4-1747, 26-5-1747J.

91 EGD 3-5, 4-5, 7-5 and 26-5-1747J.

92 ARA, VOC 2546, fol. 1472-1474.

93 Letter by the *Beglerbeg* of 23-5-1737 in ARA, VOC vol. 2448, fol. 369.

94 ARA, VOC vol. 2448, fol. 1815; ARA, VOC vol. 2447, fol. 369, 377-378.

95 ARA, VOC vol. 2448, fol. 436-519: planning of the expedition to Bushahr by the political council, ibid. fol. 881-884 about the building.

96 ARA, VOC vol. 2448, fol. 1518-1542: diary by the commissioners in Bushahr, August - November 1737. Illustrative references are on fol. 1536-1537. Apparently an important intention of the Persian authorities in attracting merchants to Bushahr was to be able to extort bullion from them if needed.

97 Caskel, 'Wali's', pp. 430-431; *EI*, vol. 7, p. 674.

98 ARA, VOC vol. 2448, fol. 137.

99 ARA, VOC vol. 2476, fol. 474-475.

100 ARA, VOC vol. 2448, fol. 1927-1930; VOC vol. 2476, fol. 61-62.

101 ARA, VOC vol. 2476, fol. 54-60, Longrigg, *Four centuries*, p. 150.

102 The best source on these events is Otter, *Voyage*, vol. 2, pp. 135-141, 145-151 and 158-159, cf. Longrigg, *Four centuries*, p. 156; *Chronicle*, vol. 2, pp. 1196-1197.

103 Otter, *Voyage*, vol. 2, p. 174-175.

104 Otter, *Voyage*, vol. 2, pp. 172-174.

105 'Continuatio', p. 66; *Chronicle*, vol. 2, p. 1198; Perry, 'Banu Ka'b', p. 134 mentions that the Ka'b participated in this attack, referring to a Persian source.

106 *Chronicle*, vol. 2, p. 1199.

107 Longrigg, *Four centuries*, p. 157; Perry, 'Banu Ka'b', p. 135.

108 ARA, VOC vol. 2476, fol. 1097-1098; VOC vol. 2511, fol. 206 (plan to send Persian fleet against Qatif.

109 Note on the possibilities of trade with Persia, joined to the copy of Van Reede's 'Radical Description of Persia' in ARA, Hoge Regering vol. 877, cf. Amin, *British Interests*, pp. 53-57.

110 ARA, VOC vol. 329, letter of 10-9-1738.

الفصل التاسع

1 EGD 8-6-1747J. More reliable news came on 30-7-1747J.

2 EGD 24-4 - 25-4-1747J.

3 EGD 25-4-1747J.

4 EGD 22-4-1747, 22-5-1747J.

5 EGD 25-8-1747J; A Dutch report covering this period (ARA, VOC vol. 2748, fol. 93) only mentions a vague cooperation with the English.

6 Risso, *Oman and Muscat*, p. 41 referring Badger, *Chronicle*, pp. 153-154, but mentioning that another, unpublished Omani Chronicle has a less dramatic account, simply mentioning a Persian withdrawal. The English diary seems to support Ruzayq's version.

7 EGD 17-9-1747J.

8 EGD 5-10 and 7-11-1747J; ARA, VOC vol. 2748, fol. 83-86.

9 EGD 20-8-1747J; a detailed, but maybe not always reliable account in Niebuhr, *Beschreibung*, pp. 302-304. Cf. Risso, *Oman and Muscat*, p. 41 and C.F. Beckingham, 'The reign of Ahmad bin Sa'id, Imam of Oman', JRAS 28 (1941) pp. 259-262.

10 Niebuhr, *Beschreibung*, p. 307, cf. Kniphausen report fol. 11v ('beyond Musandam').

11 Risso, *Oman and Muscat*, pp. 54-56. Risso confuses Rahma bin Matar with his brother Rashid in this context. Risso's mention that the Omanis would have agreed with the Shaikhs Saqr bin Rashid bin Matar and Abdallah bin Matar al-Qasimi is based on Miles, *Countries and tribes*, p. 269 and Lorimer, *Gazetteer*, historical part, vol. 1A 135, which are rather secundary and not always accurate sources.

12 The Qawasim are not considered as a real tribe in works on the more modern history and demography of the Gulf. They should rather be considered as a family leading a federation of mixed elements.

13 There is some confusion about this name. The report apparently considers Tchaid (or Chaueed) and Rahma as one and the same person. The English Gombroon diary calls the Shaikh of Julfar in 1751 'Chaueed', but bêfore and afterwards 'Rama'. According to Shaikh Dr. Sultan bin Muhammad Al Qasimi Chaueed probably is a sobriquet. The wording of the Dutch source supports this view. Another Dutch source, of 1729, mentions however a 'Shaikh Saved son of Rahma', it is not uncommon to name the father after the son, which would give Abu Saved for Rahma, cf. ARA, VOC vol. 2152, fol. 7707-7707v.

14 Risso, *Muscat and Oman*, pp. 120-121. A Dutch report in ARA, VOC 9101, Muscat, p. 85, mentions the sending of a naval expedition by Ahmad bin Sa'id to Oman in the early spring of 1758.

15 Risso, *Muscat and Oman*, pp. 44-45.

16 Risso, *Oman and Muscat*, pp. 76-82. It should be considered that the European share in the trade of coffee in the Gulf had always been secundary, while the Omanis were involved in the shipping of sugar to Basra as early as 1645, and that Surati shipping was as prominent in Basra in the seventeenth century as Omani shipping became in the later part of the eighteenth century.

17 ARA, VOC vol. 2766, part Basra fol. 63.

18 EGD 8-9 and 8-10-1747J.

19 EGD 7-11-1747J, 2-1, 11-1, 13-1 and 18-3-1748J; ARA, VOC vol. 2748, fol. 87-92.

20 EGD 6-1, 29-1,29-3-1749J.

21 ARA, VOC vol. 2766(Gamron part 1), fol. 33-34: letter of 25-12-1749; EGD 1-8, 19-9, 20-10, 4-11 and 20-11-1748J, 29-1, 7-7 and 21-7-1749J. The gap in the English Gombroon diary of the end of 1749 and the beginning of 1750 may partly be covered by the Dutch reports in ARA, VOC vol. 2766 (Gamron parts 1 and 2). Most books on the history of Persia seemed to have lost trace in the complex of events following Nadir Shah's death. One of the best accounts is Hanway, *A Historical Account*, vol. 1, pp. 296-298 and its sequel in Peyssonnel, *A Historical Account*, pp. 28-40. A most useful general account of the events is in the account of the state of affairs written by the Dutch resident in Bandar Abbas for his successor in 1755 (ARA, VOC vol. 2885, Gamron part 1a, fol. 1-4). An interesting source is a note among the papers of the Dutch embassy in Turkey titled 'Relation abrégée des révolutions en Perse', ARA, LAT 596a.

22 ARA, VOC vol. 2766 (part Persia 1) fol. 36; (part Persia 2), fol. 213 (there is no English account of this owing to a gap in the Gombroon diary).

23 ARA, VOC vol. 2766 (Gamron part 2), fol. 213-214(10-9-1750); VOC vol. 2767 (Gamron) fol. 21-23, 55-58; EGD 10-9-1750J.

24 EGD4-11 and 9-11-1750J, 3-1-1751J; Perry, *Karim Khan*, pp. 19-23.

25 Perry, *Karim Khan*, p. 23.

26 VOC vol. 2767 (part Gamron), fol. 56, 60-61, 64; EGD 28 and 29-11-1750J.

27 EGD 13-12 - 14-12-1750J.

28 ARA, VOC vol. 2787, (Gamron part 2), p. 72; VOC vol. 2824 (part Gamron), p. 17; EGD 27-2-1751J; ARA, VOC vol. 781-782: Resolutions High Government vol. 840, 2-7-1751, 9 and 20-6-1752. A list of the new staff in ARA, VOC vol. 2843 fol. 27: 23 persons of which 11 military, 2 sailors, a resident, some clerks and an under-surgeon. The English were rather impressed with the military force with which the Dutch returned: IOL, FR, G29/17 fol. 187.

29 IOL, G29/17, report of 18-1-1751.

30 Perry, *Karim Khan*, pp. 30-31; ARA VOC vol. 2767 (Gamron) fol. 61-62. See Perry, *Karim Khan*, pp. 117-118 for an account on the start of the career of Nasir Khan of Lar, which is rather different from the account in the English Gombroon Diary of 1750-1751.

31 EGD 13-11-1750J.

32 EGD 26-9-1750J; ARA, VOC vol. 2767 (part Gamron), fol. 63.

33 EGD 5-12-1750J.

34 EGD 5-3 and 10-3-1751J.

35 EGD 13-3-1751J.

36 For a short period, the name of the Shaikh of Julfar mentioned in the English Gombroon Diary is 'Chaueed'. See about this name note 13 of this chapter.

37 EGD 18-3-1751J.

38 EGD 5-4 and 21-4-1751J. Strangely enough, the English Gombroon Diary mentions elsewhere that Hatim was a near kinsman of Mulla Ali Shah: EGD 27-3-1752J.

39 EGD 2-4 and 5-4-1751J.

40 EGD 1-5, 3-5. There are new references to Ali bin Khalfan on 26-6-1751J: Ali bin Khalfan, former ruler of Sharak escaped from his captivity and asked the help of Mulla Ali Shah, but did not obtain it because Mulla Ali Shah had become an ally of the Huwala.

41 EGD 17-5-1751.

42 EGD 28-5-1751J. Risso, *Oman and Muscat*, p. 54, has a rather inaccurate short mention of the events and confuses Shaikh Rahma with his brother Rashid bin Matar.

43 ARA, VOC vol. 2864, Bahrain project bound between Kharg part 1, fol. 52 and 53; Kniphausen report fol. 7 (=Floor, Description, p. 172); Niebuhr, *Beschreibung*, pp. 330-331.

44 Shaikh Nasir's fate during the mutiny of Nadir Shah's navy is described in ARA, VOC vol. 2546 fol. 1272-1274. His later career is recorded in the Kniphausen report, fol. 7(=Floor, 'Description', p. 172), in Niebuhr's *Reise*, vol. 2, p. 293 and in Niebuhr, *Beschreibung*, pp. 315-316.

45 The best source of the events are the accounts by Kniphausen and Van der Hulst in their project for the conquest of Bahrain (VOC 2864, part Kharg between fol. 52 and 53), in the report on the peoples of the Gulf, ARA, Kniphausen report fol. 5v-7 (=Floor, 'Description', pp. 170-172) cf. Perry, *Karim Khan*, p. 151. Risso's view on the events (in *Oman and Muscat*, p. 53) is that the operations against Bahrain had been conducted on behalf of Karim Khan to recover the island usurped by the Huwala. Risso's view is an overestimation of Persian power at that time.

46 EGD 23-9, 25-9, 29-9 and 7-10 and 18-12-1751J.

47 EGD 22-10 and 17-12-1751J.

48 EGD 27-1-1752J, 28-1, 7-2, 9-2 and 20-2-1752J; ARA, VOC vol. 2804 (part Gamron), pp. 14-16.

49 ARA, VOC vol. 2804 (part Gamron) p. 27 (a present of 150 tuman); EGD 11-2-1752J. The last mentioned English source presents a different opinion: according to the English view the money was extorted from Abdul Shaikh. As a rule, the Dutch tended to be in favour of Mulla Ali Shah while the English were allies of Abdul Shaikh. In this case the Dutch account seems more logical.

50 EGD 11-7 and 29-7-1752J; ARA, VOC 2825 (part Gamron), pp. 17-18; IOL, FR, G29/17 fol. 188v.

51 EGD 16-7-1752J.

52 Reference in EGD 9-9-1754.

53 EGD 9-5-1754.

54 Kniphausen report fol. 6v-7 (=Floor, 'Description', p. 172); ARA, VOC vol. 2468, Bahrain project between part Kharg fol. 52 and 53.

55 EGD 7-9-1754.

56 EGD 9-9-1754.

57 EGD 14-9-1754.

58 EGD 29-12-1754, 20-3-1755; ARA VOC vol. 2843 (part Gamron), fol. 23-24.

59 Perry, *Karim Khan*, pp. 57-61.

60 EGD 12-5, 13-5, 16-5, 21-5, 29-5, 24-6-1755; Kniphausen-report fol. 12(=Floor, 'Description', pp. 177-178); Perry, *Karim Khan*, pp. 118-119.

61 EGD 6-3, 9-5, 26-5, 8-8-1755; ARA, VOC vol. 2885 (part Gamron 1A), fol. 3-4; (part Gamron 2), fol. 3; (part Kharg 3), fol. 10-11.

62 EGD 24-8-1756, 5-1-1757, 15-4-1757.

63 EGD 13-10-1756, 5-1-1757 cf. Kniphausen report, fol. 4(=Floor, 'Description', p. 169). The Shaikh of the al Haram killed by Hatim was Muhammad bin Majid, cf. above p.

64 EGD 14-9, 9-10, 4-12-1756. A Dutch source of 1756, contrary to the English view, has a very positive opinion on the Shaikh of Kangun, who is described as a peaceful man: Kniphausen report fol 4v (=Floor, 'Description' pp. 169-170). Saldanha, *Persian Gulf Précis*, vol. 1, pp. 106, 109; Perry, *Karim Khan*, p. 158 has a very exaggerated negative view on Hajar: he sees him as a very bad pirate, although his opinion is based on this incident only.

65 EGD 5-12-1756.

66 EGD 8-6-1757, 21-6-1757.

67 EGD 17-8-1757; 3-8-1757, 31-8-1757, 2-9-1757, 3-9-1757.

68 EGD 3-9-1757, 4-9-1757.

69 EGD 18 to 20-9-1757, 28-9-1757.

70 EGD 26-10-1757, 23-2-1758.

71 Perry, *Karim Khan*, pp. 69-73.

72 EGD 15-11-1757, 17-3-1758.

73 EGD 18-6-1758, 23-6-1758.

74 ARA, VOC vol. 2996, p. 8.

75 ARA, VOC vol. 2968, Gamron part 2, cf. EGD 19-7-1758.

76 VOC vol. 2968 fol. 15-16 (there is a gap in the English Gombroon diary at that time so there is no report of these events there).

77 On this attack cf. Saldanha, *Persian Gulf Précis*, vol. 1, pp. 132-136; Risso,

Muscat and Oman, p. 56; R. Crowhurst, 'D'Estaing's cruise in the Indian Ocean, a landmark in privateering voyages' *Studia* 35 (1972), pp. 53-66; Auzoux, 'La France et Mascate', pp. 522-523 and Lorimer, *Gazetteer*, Historical part vol. I/1A pp. 102-108. After formal Omani protests, the Omani ship taken by D'Estaing was returned by the French government of Mauritius, cf. Auzoux, 'France et Mascate', pp. 524-525.

78 EGD 18-1-1760; Saldanha, *Persian Gulf Précis*, vol. 1, p. 137.

79 Saldanha, *Persian Gulf Précis*, p. 100; Lorimer, *Gazetteer*, Historical part, vol. 1/1A, 111; ARA, VOC vol. 2885 (part Kharg 2), fol. 21-22.

80 Amin, *British interests*, pp. 34-36; Lorimer, *Gazetteer*, Historical part, vol. 1/1A pp. 111-112.

81 Kniphausen report, fol. 8v (=Floor, 'Description', pp. 173-174).

82 Niebuhr, *Beschreibung*, pp. 341-342; Kniphausen report, fol.10(=Floor, 'Description', 175). On Qatif ibid. fol. 11 (=Floor, 'Description', 175).

83 ARA, LAT 382, letter of A. Pollard in Aleppo of 4-5 and 1-6-1750.

84 EBD vol. 203, p. 153.

85 Kemball, 'Chronological table of events ...with the Uttobee tribe', p. 121; Lorimer, *Gazetteer*, Historical part, vol. 1 B p. 1003, vol. 3, no. 11. The Kniphausen document implicitly (Mubarak son of Sabah) acknowledges the existence of Sabah I, who seems to have died before 1756, and interposes Mubarak bin Sabah between Sabah I and his successor. Whether this successor really was Abdallah I bin Sabah remains uncertain. Rush, *Al-Sabah*, pp. 185-189 and 193-198 tried to rectify the traditional views with the text of the Kniphausen-report I gave him. There remains the fact that there is no contemporary mention concerning Abdallah bin Sabah in the period covered by this book (before 1784), while there still is the mention of another name as Shaikh of Kuwait in a contemporary source, see below, p. 375.

86 Caskel, 'Wali's', pp. 430-432; *ei*, VOL. 7, P. 674.

87 Perry, *Karim Khan*, p. 31.

88 Perry, 'Banu Ka'b', pp. 134-136.

89 'Continuatio', p. 218.

90 ARA, VOC vol. 2885, Kharg part 1, fol. 5-7 and Kharg part 2, fol. 21-22.

91 ARA, VOC vol. 332, letter of the Gentlemen Seventeen to the Batavia High Government of 29-9-1752; Amin, *British interests*, pp. 52-67.

92 ARA, VOC vol. 2655, part Persia fol. 51.

93 ARA, LAT 382 (several letters from the Dutch Consul in Aleppo of the year 1750, especially the letter of 1-6-1750); ARA, VOC vol. 2766 (part Basra); VOC vol. 2787 fol. 8; 'Continuatio' p. 113; ARA, Aanw. 1e Afd. 1930-5-48 (letter written by Canter in Kuwait: the oldest known letter written in that place); ARA, Aanw. 1e Afd. 1910 XVII 47: legal papers concerning Frans

Canter.

94 Klerk de Reus, *Historischer Ueberblick*, appendix 9; ARA, VOC vol. 2787 (part Basra), fol. 24-25.

95 Ives, *Travels*, pp. 207-216; Lorimer, *Gazetteer*, Historical part, vol. I/1A, pp. 129-131; Amin, *British interests*, pp. 143-150; Niebuhr, *Reise*, vol. 2, pp. 181-812; Niebuhr, *Beschreibung*, pp. 321-323; Perry, 'Mir Muhanna', pp. 81-86.

96 Ives, *Travels*, pp. 215-216. His intellectual abilities are also confirmed in Continuatio, p. 117.

97 Kniphausen-report, fol. 5 (=Floor, 'Description', pp. 169-170): 'the important thing to win their friendship is to treat them in a friendly manner. A sullen and proud face produces respect and awe with the Persians but hatred and dislike with the Arabs(...) Each chief is in his place and among his tribe not at all a despotic ruler. They may not undertake anything without the cooperation and consent of the eldest and most prominent', cf. Padtbrugge in ARA, VOC vol. 1288, fol. 441 (= Floor, 'Description of Masqat', p. 26.).

98 'Continuatio', pp. 119-120; ARA, VOC vol. 2824 (part Basra), fol. 35-49; VOC vol. 2843 (part Gamron), fol. 46-51; ARA, DLH no. 164/II (papers received from Basra by way of Aleppo, 1753); Niebuhr, *Reise*, vol. 2, pp. 181-182. A reference to the way of life of the English resident in *Chronicle*, vol. 2, p. 1204.

99 'Continuatio', 121; ARA, VOC vol. 2824, fol. 65-70, 70-80.

100 ARA, VOC 783, Resolutions High Government 29 6-1753; ARA, VOC vol. 2864, fol. 3-4; 'Continuatio', p. 122.

101 IOL, FR, G29/17, fol. 203.

102 ARA, VOC vol. 2864 (part Kharg), fol. 10; 'Continuatio', pp. 121-122.

103 'Continuatio', p. 122; ARA, VOC vol. 2864(part Kharg), fol. 37, 40.

104 Letter of the Agent in ARA, LAT 420; the decision of Batavia in VOC vol. 785, resolution of 24-3-1755.

105 ARA, VOC vol. 333-334, letters of the Gentlemen XVII to the Batavia High Government 13-10-1755, 13-10-1757, 10-10-1758.

106 'Continuatio' p. 128: Carmelites are sent to Kharg, p. 136: copy of the document subscribed by Kniphausen permitting the Carmelites to reside on Kharg.

107 *Chronicle*, vol. 2, pp. 840, 1090-1092; ARA, VOC vol. 334, letter of Gentlemen XVII to Batavia of 13-9-1760: they are very, very angry about the establishment of a Catholic church on Kharg.

108 ARA, VOC vol. 2864(part Kharg 1), papers bound between fol. 52 and 53. The plan is discussed in W. Floor, 'The Bahrain Project of 1754' *Persica* vol. 11 (1904), pp. 129-148. An earlier English plan concerning Bahrain in EGD 8-12-1750.

109 See above, note 97.

110 ARA, VOC vol. 2848, fol. 1143-1149, 1183-1187.

111 Floor, 'Bahrain project', p. 133. The Directors in Holland did not agree and asked why Bandar Abbas was not closed, why an establishment was made on Kharg and they asked the Dutch in the Gulf to forget the old Persian debts to the Company: ARA, VOC vol. 334, letter of 13-10-1757.

112 On these expeditions see ARA, VOC vol. 2909 (section Muscat); VOC vol. 2937 (section Muscat), VOC 1010 (1756, July, letter to the Imam); VOC 1011 (1756, July, letter to the Imam), VOC 9101, fol. 99 and Floor, 'Dutch trade', p. 211.

113 Floor, 'Dutch trade', pp. 208-209 shows that this expedition resulted in losses. The Directors in Holland asked why two very large ships were sent to a port which was only a very minor market: ARA, VOC vol. 334, letter of 10-10-1758.

114 ARA, VOC vol. 2864(part Kharg 1), between fol. 52 and 53 there is bound the set of papers concerning the project for the occupation of Bahrain, cf. ARA, VOC vol.4447, proceedings of the Committee of Directors in The Hague ('Haags Besogne' of 13-7-1757 disapproving of the proposal resulting in a letter from the directors to the Governor General also disapproving the proposal of 13-10-1757 in VOC vol. 334).

115 Floor, 'Pearl fishing', pp. 212-213; ARA, VOC vol. 332, letter of the directors in Holland of 24-9-1761 concerning the diving bells; ARA, VOC vol. 2968 (part Kharg), pp. 10-11 concerning the sulphur. An English report, printed in Saldanha, *Persian Gulf Précis*, p. 99-100 gives an exaggerated and sometimes improbable image of the importance and scope of Kniphausen's activities on Kharg. This report mentions a plan to establish Chinese on the island, which is too extravagant to be believed.

116 ARA, VOC vol. 785, Resolutions High Government 7-6-1755.

117 The story of the slave in EGD 3-8-1754 (not a completely reliable source in such matters). Perry, 'Mir Muhanna', p. 86, does not believe this explanation and sees more in a religious-nationalist motive with Mir Muhanna. The doubtful morals of Kniphausen are also mentioned in 'Continuatio', p. 117, 133 (mentioning problems with the Turks 'quod Giudea deflorasse'). The story about the murder of Mir Nasr in ARA, VOC vol. 2864, fol. 10-11; EGD 3-8-1754; Niebuhr, *Beschreibung*, p. 323 (not accurate). That Mir Muhanna committed excesses when drunk is mentioned in EGD 4-12-1756.

118 Amin, *British interests*, pp. 36-38; EGD 21-7 and 24-7-1756; Perry, Mir Muhanna, p. 88.

119 ARA, VOC vol. 2885 (part Kharg 2), fol. 21-22.

الفصل العاشر

1 The income of Kharg was discussed in the Batavia High Government: ARA, VOC vol. 792: Resolutions 11-3-1762. The trade balance of Kharg in ARA, VOC vol. 2998, fol. 332. Another cause of losses was the shipwreck of the *Amstelveen,* a large Dutch ship of 50 m. long, destined for Kharg, near Cape Mataraqa in Oman in 1762, cf. ARA, VOC 4936, p. 73 and VOC 3107, p. 138-140.

2 ARA, papers Van Hoorn/van Riebeeck, no. 64.

3 ARA, VOC vol. 334 (letter of the Directors in Holland of 30-9-1760); VOC vol. 792: Resolutions Batavia High Government 11-3-1762: a majority of the High Government decided to evacuate Kharg, but to wait with the execution of this decision for the approval of the Directors in Holland.

4 Resolutions Batavia High Government 7-7-1755 in ARA, VOC vol. 785.

5 Perry, 'Mir Muhanna', pp. 90-91: Mir Muhanna was received on Kharg with much military show by German soldiers and black African slaves; Niebuhr, *Beschreibung,* p. 325; Niebuhr *Reise,* vol. 2 , pp. 182-183; ARA, VOC vol. 3092 (Kharg part 1), fol. 60-63.

6 Perry, 'Mir Muhanna', p. 91; ARA, VOC vol. 3092 (Kharg part 2), fol. 10-12; VOC vol. 3132 (part Kharg 1), fol. 5-7.

7 Perry, 'Mir Muhanna', p. 93; ARA VOC 3076(Kharg part 1), pp. 7-9; Niebuhr, *Reise,* vol. 2, 96, 100-101, 104-105, 165, 180-191; EGD 4-12-1764, 25-2-1766; Lorimer, *Gazetteer,* Historical part, vol. 1/2 pp. 1784-1785, 1816-1819.

8 Perry, 'Mir Muhanna', p. 92; EGD 21-7-1765.

9 Lorimer, *Gazetteer,* Historical part, vol. I/2A pp. 1785, 1799-1801; Perry, 'Mir Muhanna', p. 92.

10 Niebuhr, *Reise,* vol. 2, p. 195; Resolutions Batavia High Government of 12-3-1762 and 6-4-1762 in ARA, VOC vol. 792. The plans for closure of Kharg were based on a report of the visitator of the accounts which can be found in ARA, VOC vol. 2998, fol. 322-323, cf. ARA, Radermacher papers no. 531.

11 EBD vol 195, pp. 42, 44, 49, 54, 57, 76, 82; *Chronicle,* vol. 2, pp. 1093-1095; Perry, 'Mir Muhanna', 92-93 (Perry erroneously supposes that Mir Muhanna had also taken Bahrain); ARA, VOC vol. 3184 (part Kharg); Report by Houting for the investigation by the Batavia High Government in ARA, VOC vol. 3250, fol. 397-445. The news of the events reached Holland first through the French Consul in Basra: ARA, LAT no. 671 (letter of the French Consul to the Dutch Chargé d'Affaires in Istanbul).

12 EBD vol. 195, p. 90 (letter of Mir Muhanna to the English resident in Basra), cf. *Chronicle,* vol. 2, p. 1094.

13 ARA, VOC vol. 797: Resolutions Batavia High Government 24-7-1767; ARA, VOC vol. 336: letters of the directors in Holland of 6-10-1766 and 28-9-1768 with their opinion on the events at Kharg.

14 ARA, VOC vol. 3668, fol. 265-342(shipping list of Malabar 31-8-1782 - 31-8-1783: of the 245 ships mentioned, 28 were ships from Muscat) ; cf. ARA, Aanw. 1e afd. 1894.23 (original letter from the Governor of Muscat to the Dutch Governor of Cochim, asking for permission to buy wood in the Dutch possessions).

15 Risso, *Oman and Muscat*, p. 81 and 100.

16 List of resolutions of the Batavia High Government concerning trade with Muscat in ARA, Hoge Regering Batavia no. 873; Floor, 'Dutch trade', p. 211.

17 ARA, LAT no. 1125.

18 ARA, Hope papers 8500.

19 The first such invitation came from the Pasha of Basra in 1771, ARA, VOC vol. 791: Resolutions High Government 27-5-1761. Another invitation, of c.1780 is in the archives of the Dutch embassy in Turkey, ARA, LAT no. 784. Another invitation from Basra of 1793 is mentioned in Resolutions of the High Government 8-11-1793, ARA, Oostindisch Comité no. 71. There is a considerable number of documents in the archives of the Dutch embassy in Turkey concerning the trade by local merchants in Aleppo with Basra during the later years of the eighteenth century ARA, LAT nos. 1125, 1266, 1291.

20 Amin, *British interests*, pp. 56-57, 70, 82-84; Wood, *History of the Levant Company*, 145.

21 ARA, VOC vol. 334, letter by the directors of 13-10-1757.

22 ARA, VOC vol. 3027 (part Kharg), fol. 4-5.

23 Saldanha, *Persian Gulf Précis*, pp. 169-171, 190-196, 198-212; Lorimer *Gazetteer*, Historical part, vol. I/1B, pp. 1217-1219; Amin, *British interests*, p. 85.

24 Perry, *Karim Khan*, pp. 163-164; Caskel, 'Wali's' has no reference to the event with the last Mushasha.

25 EBD vol. 195, p. 66.

26 EBD vol. 194, pp. 275-276.

27 Amin, *British interests*, pp. 95-88; ANP, Correspondance consulaire, Basra I, pp. 52-58. On the basis of Carmelite information, there are some mentions of the events in newspapers: *Nouvelles extraordinaires de divers endroits* January 21st 1766 and June 15th 1766.

28 The whole history of the conflict between the English and the Ka'b is described in detail in EBD vol. 195-196. See also IOL, FR, G29/20 fol. 539 sq. (letters from the expedition); ARA, VOC vol. 3184 (part Kharg), fol. 8-9; Lorimer, *Gazetteer*, vol. 1/1B p. 1220; Niebuhr, *Reise*, vol. 2, pp. 229-235 (Niebuhr was not impressed by the English show of power of 1765); Amin, *British interests*, pp. 88-89; Perry, 'Banu Ka'b', pp. 138-149; Perry, *Karim Khan*, p. 165; Saldanha, *Persian Gulf Précis*, vol. 1, pp. 209-211.

29 IOL, FR, G29/20, fol 440 and 488.

30 EBD vol. 200, p. 69.

31 Lorimer, *Gazetteer* vol. 1/2, pp. 1787-1788,1820; Perry, 'Mir Muhanna', 94.

32 See below, p. 390.

33 Lorimer *Gazetteer*, vol. 1/2, pp. 1788-1789; Amin, *British interests*, pp. 77-78.

34 Lorimer, *Gazetteer*, vol. 1/2, p. 1797.

35 EBD vol. 196, p. 312.

36 EBD vol. 197, pp. 19-30.

37 EBD vol. 197, p. 55.

38 EBD vol. 197 pp. 104-105, 116. The English went as far as considering an alliance with Mir Muhanna, cf. Saldanha, *Persian Gulf Precis*, vol. 1, p. 235.

39 EBD vol. 198, pp. 267-281; Lorimer, *Gazetteer*, vol. 1/2, p. 1797; Saldanha, *Persian Gulf Précis*, vol. 1, p. 239-240 (Karim Khan promises Kharg to the English), 240-243; Paris, Archives Nationales, AE B.1, Correspondance consulaire Basra vol. 1, letter of the French consul Pyrault of 4-3-1768.

40 Lorimer, *Gazetteer*, vol. 1/2, p. 1801.

41 EBD vol. 198, p. 367. This is the first mention of this Shaikh of Kuwait, who is not known in the traditional historiography of that place. Theoretically this Khalifa might be an up to now unknown member of the Al Sabah family, but it seems more probable that temporarily Kuwait was ruled at that time by the Al Khalifa, the second great family of Kuwait.

42 Perry, 'Mir Muhanna', p. 94; Saldanha, *Persian Gulf Précis*, vol. 1, pp. 249-251; IOL, FR, G29/16, 1006; *Chronicle*, vol. 1, p. 670; IOL, Bombay correspondence vol. 32 (letter of 20-5-1769). EBD vol 199, pp. 250, 260, 273, 306.

43 EBD vol. 199, p. 318.

44 Lorimer *Gazetteer*, vol. 1/2, p. 1802.

45 IOL Factory Records XVI, 1006: correspondence Bombay presidency 7-3 and 20-5-1769 Husayn Khan was not always unfriendly to the English, he had even invited them to establish themselves in Bandar Rig: IOL, FR, G29/20 fol.489; cf. ARA, Consulaat Smyrna no. 109.

46 EBD vol. 199, pp. 250, 318; Perry, 'Mir Muhanna', 94, IOL, Factory records XVI, 1006; Bombay Correspondence 32 (20-5-1769); *Chronicle*, vol. 1, p. 670. IOL, FR, G29/20 fol. 433 mentions that Dutch newspapers wrote about Mir Muhanna's death, I could only find a reference to his flight from Kharg to Basra in the leading newspaper *Nouvelles extraordinaires de divers endroits*, of 24 June 1769.

47 Paris, Archives Nationales AE B1: Correspondance consulaire Basra vol. 1 fol. 248-259.

48 EBD vol. 200, pp. 178, 238, 160.

49 EBD vol. 201, pp. 5-7; Saldanha, *Persian Gulf Précis*, vol. 1, pp. 268-275; Lorimer, *Gazetteer*, vol. 1/2, pp. 1802-1805.

50 The former commander of the Lower Gulf squadron, Mulla Ali Shah, had disappeared from the scene at that time.

51 EBD vol. 201, pp. 7, 160, 170.
52 Lorimer *Gazetteer* Historical part, vol. 1/2, p. 1809; EBD vol 202, pp. 96, 111.
53 EBD vol. 202, pp. 192, 200, 207, 234; vol 203, pp. 11-29; *Chronicle*, vol. 2, p. 1209; Risso, *Oman and Muscat*, p. 58.
54 Perry, *Karim Khan*, p. 170; Saldanha, *Persian Gulf Précis*, vol. 1m p. 296.
55 EBD vol. 203, pp. 45, 61, 93.
56 EBD vol. 203, p. 133.
57 EBD vol. 203, p. 153 (Shaikh Khalifa gave two Turkish ships to the Ka'b and sent 200 men to Karim Khan for support),167.
58 *Chronicle*, vol. 2, pp. 1209-1210; EBD vol. 203, *passim*; Perry, *Karim Khan*, pp. 175-183; Lorimer *Gazetteer* Historical part, vol. 1/2, pp. 1811-1812; Amin, *British interests*, p. 110; One of the most detailed sources is Parsons, *Travels*, pp. 155-182; ARA, DLH no. 165 containing letter of 16-6-1775 from Aleppo with a newsletter from Baghdad about the siege.
59 Parsons, *Travels*, p. 202.
60 Lorimer, *Gazetteer* Historical part, vol. 1/2, pp. 1812-1819; Amin, *British interests*, p. 111-115.
61 Account by the English traveller John Capper in Makintosh, *Voyage*, vol. 2, pp. 347-350. Perry, *Karim Khan*, p. 196 has a slightly different version. This author states that the Muntafiq were just reacting to Persian attempts to make them pay taxes.
62 Perry, *Karim Khan*, p. 199; Saldanha, *Persian Gulf Précis*, vol. 1, p.308-309; Lorimer, *Gazetteer* Historical part, vol. 1/2, p. 1814; ARA, DLH no. 165: letter from Aleppo of 26-6-1779 about the death of Karim Khan.
63 Perry, *Karim Khan*, p. 120.
64 EGD 18-1-1760.
65 EGD 15-2-1760, 18-2-1760, 20-2-1760, 29-2-1760, 26-3-1760, 31-3-1760.
66 EGD 16-4-1760, 21-4-1760.
67 EGD 18-1-1760 is the last mention of Rahma, ibid. 29-4-1760 is the first mention of Rashid.
68 ARA, VOC 3027 (Kharg part 2), fol. 4; EGD 17-5-1760.
69 EGD, May-June 1760.
70 EGD 26-6 and 27-6-1760; Saldanha, *Persian Gulf Précis*, vol. 1, p. 139.
71 EGD 23-6-1760, 26-6-1760.
72 EGD 15-6(intelligence from Bombay about Dutch plans with Hormuz), 17-6, 20-6, 12-7 and 16-7-1760; Saldanha, *Persian Gulf Précis*, vol. 1, pp. 139-140.
73 EBD vol. 197, p. 116.
74 EGD 3-8-1761.
75 EGD 27-8, 20-9, 6-10, 13-10, 14-10, 7-11, 14-11 and 18-11-1761.
76 EGD 9-3-1762.
77 EGD 26-6-1762.
78 EGD 13-2-1762.

79 Resolutions Batavia High Government 27-4-1764 in ARA, VOC vol. 794.
80 Saldanha, *Persian Gulf Précis*, vol. 1, pp. 146-152, 154-155.
81 Saldanha, *Persian Gulf Précis*, vol. 1, pp. 159-162, 165; ARA, VOC vol. 3123 (Kharg part 2), fol. 5-7: Dutch report on the departure of the English from Bandar Abbas; Lorimer *Gazetteer* Historical part, vol. I/1A 94-95. The Banu Ma'in had occupied Laraq on 27 September 1762: EGD of that date.
82 Saldanha, *Persian Gulf Précis*, vol. 1, p. 158: Laft and Hormuz belong to Banu Ma'in, revenues of land on Qishm divided between the three.
83 Niebuhr, *Beschreibung*, pp. 312, 328.
84 Risso, *Oman and Muscat*, pp. 83, 91, quoting a letter of invitation of Abdallah to the English to return to Bandar Abbas in IOL, Bombay Papers and Proceedings vol. 29, p. 662-663.
85 *Chronicle*, p. 665 quoting PF SC Persia vol. 7, p. 308.
86 Lorimer, *Gazetteer* Historical part, vol. 1/2, pp. 1802, 1824-1825. On Gamir see Niebuhr, *Beschreibung*, p. 313.
87 There is some uncertainty on the state of affairs in the conflict between the Banu Ma'in and the Qawasim. The Banu Ma'in seem to have made some progress on Qishm on the Qawasim in the early 1760's, cf. Lorimer, *Gazetteer* Historical part, vol. 1/2, pp. 1802, 1824-1825, but by 1764 the Qawasim had recovered their losses. The borders between the Qawasim and the Banu Ma'in of that time are given in Niebuhr, *Beschreibung*, p. 329: Basidu belonged to the Banu Ma'in, while Laft was a common possession of Mulla Ali Shah (who also held Qishm fortress) and the Qawasim.
88 Saldanha, *Persian Gulf Précis*, vol. 1, pp. 184-185; Niebuhr, *Reise*, vol. 2, pp. 91-93; Lorimer, *Gazetteer* Historical part, vol. 1/2, pp. 1782-1784.
89 Lorimer *Gazetteer* Historical part,, vol. 1/2, pp. 1794-1797; Saldanha, *Persian Gulf Précis*, vol. 1 , pp. 225-230.
90 Perry, *Karim Khan*, p. 159: by some error, Perry always refers to the ship of Oman as *Ramani* (the *Rahmani* belonged at that time to the Shaikh of Julfar).
91 Lorimer, *Gazetteer* Historical part, vol. 1/2, pp. 1806-1807.
92 Perry, *Karim Khan*, p. 159. Preparations for the war had strated in 1769, cf. Saldanha, *Persian Gulf Précis*, p. 259.
93 EBD, vol. 202, pp. 96, 111, 167, 183, 202, 214; Perry, *Karim Khan*, pp. 160-161; Lorimer, *Gazetteer* Historical part, vol. 1/2, p. 1825. Risso, *Oman and Muscat*, p. 58, has a slightly different version, which she refers to as being based on Persian sources, although in her notes she only mentions Perry's book which for this affair is based on British documents only.
94 Lorimer, *Gazetteer* Historical part, vol. 1/1A, p. 156; Al-Qasimi, *Myth of piracy*, p. 27; Risso, *Oman and Muscat*, pp. 81-82.
95 Risso, *Oman and Muscat*, pp. 59-60; Perry, *Karim Khan*, pp. 160, 180-181; Lorimer *Gazetteer* Historical part, vol. 1/1B 1259; EBD vol. 203, p. 275.

96 Risso, *Oman and Muscat*, p. 61.

97 Lorimer *Gazetteer* Historical part, vol. 1/1B, p. 839.

98 Risso, *Oman and Muscat*, pp. 61-62.

99 Risso, *Oman and Muscat*. pp. 121-124.

100 Bibliothèque Municipale, Caen, Decaen papers vol. 92, fol. 22-35, Archives du Ministère des Affaires Etrangères, Paris, Correspondance Consulaire et Commerciale, Mascate vol. 1, fol. 18-19, 33; Rissso, *Oman and Muscat*, pp. 63-64.

101 Risso, *Oman and Muscat*, pp. 63-65.

102 Lorimer, *Gazetteer* Historical part, vol. 1/1B, p. 1000; Kniphausen report fol. 6v-7 (=Floor, 'Description', p. 172) mentions that the Al Khalifa shaikh had been the wealthiest shaikh of Kuwait, possessing many ships.

103 Lorimer, *Gazetteer* Historical part, vol. 1/1B pp. 788 and 839.

104 Perry, *Karim Khan*, pp. 297-298; Saldanha, *Persian Gulf Précis*, vol. 1, pp. 310-313; Lorimer *Gazetteer* Historical part vol. 1/1A, p. 840.

105 Risso, *Oman and Muscat*, p. 95.

106 Lorimer *Gazetteer* Historical part, vol. 1/1B, p. 788.

107 Lorimer *Gazetteer*, Historical part, vol. 1/1B p. 788.

108 Paris, Archives Nationales, Correspondance Consulaire, Basra vol. 1, fol. 410v (letter Basra 12-3-1784).

109 Lorimer *Gazetteer*, Historical part, vol. 1/1B, pp. 788, 839-840; Perry, *Karim Khan*, p. 298.

110 Risso, *Oman and Muscat*, pp. 94-97, 110. Concerning the intervention of the Qawasim, Risso quotes as her source Miles, *Countries and Tribes*, 189.(=ed. 1919, 281) Miles is a very secundary source, containing no references to sources and his account of this Qawasim intervention looks unreliable. As Omani places conquered by the Qawasim he mentions Sharjah, Jazirat al Hamra, Rams and Khor Fakan, which are places which belonged to the Qawasim already a long time.

111 Risso, *Oman and Muscat*, p. 175.

112 Risso, *Oman and Muscat*, pp. 104-105

المصادر

1 Abstracts from these letters are being published: Coolhaas, W.Ph., *Generale* Missiven van Gouverneur Generaal en Raden aan Heren XVII der Verenmigde Oostindische Compagnie. 9 vols. appeared. 's-Gravenhage 1960- (Rijksgeschiedkundige Publicatiën Grote Serie vol. 104, 112, 125, 134, 150, 159, 164, 193, 205, from vol. 9 on by J. van Goor).

2 The published index on the resolutions *Realia, register op de generale resolutiën van het kasteel Batavia 1632-1805.* Leiden 1882 covers the most important resolutions only and it of small use for serious research. The volumes in Holland only contain chronologic tables of contents, but in Indonesia there are full subject indexes ('korte notulen'), although this series has been damaged by tropical circumstances), cf. the item 3c.

3 *Daghregister van Batavia gehouden in 't Casteel.* 31 vols. Batavia and 's-Gravenhage 1896-1931. (covering the years 1624-1682).

4 *Chronicle of events between the years 1623 and 1733 relating to the settlent of the order of Carmelites in Mesopotamia,* ed H. Gollancz. London 1927. and 'Continuatio domesticae Bassorensis historiae ab anno 1773' *Analecta Ordinis Carmelitarun Discalceatorum.* VIII (1933), pp. 47-68, 108-140, 204-224.

A. THE GENERAL STATE ARCHIVES IN THE HAGUE

1. Archives of the Dutch East India Company: Gentlemen XVII and Amsterdam-Chamber.

a.The Resolutions of the Gentlemen XVII

In the proceedings of the Court of Directors of the East India Company there is only rarely a direct mention of affairs of the Gulf, except on some matters of trade (merchandise to be ordered from Asia) (ARA, VOC vols. 99-146).

b.Proceedings of the Commission of Directors in The Hague (Haags besogne)

Yearly, a commission out of the seventeen Directors met in The Hague to read all the papers received from Asia and to compose the reply and instructions to the Batavia High Government. In these proceedings there always is a chapter on 'Persia'(or Basra or Kharag). This is of a very general content and usually only of interest for the knowledge of the way in which the Directors in Holland thought about matters (ARA, VOC vols. 4455-4506.

c.Outgoing letterbook of the Gentlemen XVII

In this letterbook, the letters to the Governor General in Batavia contain a chapter concerning the Gulf with instructiosn concerning the general policy and trade there. The letters written by de Gentlemen XVII directly to the establishments on the Gulf are of little importance because the Gentlemen XVII only gave instructions to the Gulf through the Governor General (ARA, VOC vols. 314-344).

d.Series of 'Overgekomen Brieven en papieren' (ARA VOC, vols. 1053-3987).

This series is consists of yearly batches of miscellaneous documents received in Holland from the establishments of the East India Company. For this book, 3 kinds of documents are of special importance. Before 1660, these documents are arranged each year in a haphazard way, later the different kinds are separated in subseries.

First: the so-called *Generale Missiven*: letters by the Governor General and Council to the Directors in Holland containing a global survey of all current matters in Asia. Copies of sundry administrative documents concerning the establishments on the Gulf may be joined as annexes. The letters as wel the annexes may each by very large, sometimes several hundreds of pages.[1]

Second: the letters sent over the landroad directly from Bandar Abbas, Isfahan or Basra to Holland. In the yearly batches, they follow behind the *generale missiven* and their annexes and the papers of the High Court of Justice in Batavia.

Third: the registers of copies of incoming letters of the High Government. The Batavia High Government was obliged to send a copy of all letters received from its subordinated establishments to Holland. Usually there are one or more sections containing letters from the Gulf. These may only contain the reports by the establishments in the Gulf to the High Government, but often they contain many enclosures and may stretch sometimes to thousands of pages in the years when copies of practically the complete written administration of the Dutch establishment in Bandar Abbas were sent in this way to Holland.
This complicated and inconsistent structure makes that the quantity of Dutch documentation on the Gulf varies strongly from year to year. For some years, there only are the letters of the establishment in Bandar Abbas to the High Government and to the directors in Holland, in other years there is much more: correspondence between Bandar Abbas and subordinate establishments like Basra, diaries of Bandar Abbas and Basra, reports on expeditions, resolutions of the political council in Bandar Abbas, copies of correspondence with Persian authorities or even Arab Shaikhs.
Finally, it should be mentioned that in the yearly batches the parts containing papers from the Dutch establishments in Ceylon, Malabar and Surat (either those directly sent to Holland or the copies of incoming letters to the Batavia High Government) may contain important papers on the Gulf. This is for instance the case with documents concerning the first Dutch trading ventures in Oman which can be found among the papers of Ceylon.

e. The 'Overgekomen Brieven en Papieren van de Kaap.'

During two years, 1653-1654, batches of important papers concerning Bandar Abbas and Basra were sent to Holland by way of Capetown. They can be found in VOC nos. 3988 and 3990.

f. The Batavia outgoing letterbook and the Resolutions of the Batavia High Government.

The Batavia High Goverment was obliged to send copies of all the letters it sent to subordinated offices as well as of its proceedings ('Resolutions') to Holland. The letterbooks contain letters and instructions to the Dutch establishments on the Gulf as well as to Persian authorities (ARA, VOC, vols. 848-1052). The Resoluties contain decisions taken concerning the Dutch policy in the Gulf. (ARA, VOC, vols. 659-847).[2]

2. The Zealand-chamber of the East India Company.

The archives of the Zealand chamber contain a series of 'Overgekomen Brieven en Papieren' of basically the same contents as those in the archives of the Amsterdam Chamber. This series is far from complete and ordered in a different way. Most (but not all) documents in this series can also be found in the archives of the Amsterdam Chamber.

3. Archives of establishments of the East India Company in Asia.

a. So-called archives of the Batavia High Government

This series consists of papers concerning areas outside Indonesia transferred from the archives in Jakarta during the last century. It mainly contains repertories and indexes on other series and some important reports. (ARA, Hoge Regering nos. 873-877.) The number 877 should be especially mentioned, it is a full report by Van Reede, a member of the Batavia High Government, on Dutch interests in the Gulf, with historical remarks on Persia and on the activities of other European powers, made in 1756.

b. Book-keeping of Batavia

This documentation falls outside the scope of this book, but from the account-books important and detailed data on the Dutch economic activity in the Gulf may be abstracted.

c. Archives in Indonesia.

The original archives of the Batavia High Government are kept in the Arsip Nasional in Jakarta. Most of the series concerning territories outside Indonesia have been destroyed. Most of the general series of administration have survived, but duplicates of the most important series are in The Hague, where they have suffered less from tropical circumstances. Some series are only present in Indonesia. The Batavia Diaries is the most important of these series, for the most important period it has been published.[3] Of some importance are the ordinary and secret minutes of a special committee charged with reading the reports of establishments and making drafts of letters to establishments, the *Besognes*, and indexes to the resolutions of the High Government (these resolutions are also available in The Hague, but without full indexes.)

4. Archives of agencies of the Dutch central government.

a. States General

Information on Basra can be found in the reports of the Dutch ambassador in Istanbul in the archives of the States General (the nos. 6888-6996 contain a chronological series of this correspondence). The number 12595 contains papers concerning diplomatic relations with Iran of the early 17th century and original letters of Shah Abbas and Shah Safi. Some other documents are also referred to in the notes.

b. Dutch embassy in Turkey

Papers on Basra in the 18th century, correspondence and even Ottoman documents can be found in several parts of this archive. There are also many references to the

relations between the Ottoman Empire and Persia in the diaries of the embassy of the 18th century. Correspondence and papers concerning the Dutch establishments can also be found in the correspondence between the Embassy and the Dutch Consulate in Aleppo.

c. Secretariate of the stadtholder

A small number of papers on Basra and Kharag in nos. 1155, 1180, 1230-1232.

5. Private papers of officials of the Dutch East India Company

a. Papers of Wollebrand Geleynssen de Jongh

The collection of Wollebrand Geleynssen de Jongh contains the papers collected by this director of the Dutch establishment in Bandar Abbas in the 1640's. In it there is documentation on many places on the Gulf in the nos. 97-300.

b. Papers of the Radermacher-family.

The Radermachers were important persons in the Zealand-chamber of the Dutch East India Company. Papers on Basra and Kharag can be found in nos. 390, 529-531.

c. Papers of others.

Some other private collections which incidentally contain documents on the Gulf: Hope (no. 8500), Nederburgh (no. 107), Hudde (no. 41), Cnoll (no. 13), Sweers, Specx etc (vols. 5-7).

6. Private papers of Dutch diplomats.

The papers of the families Calkoen and De Hochepied contain some papers on Basra and Kharag. Part of the embassy-diaries of Istanbul, referred to before in (2) are kept in the Calkoen-archives.

7. Collections of sundry manuscripts and documents

Collection of Aanw(insten).

This collection contains some important documents of various origins like the Kniphausen-report and the oldest original Arab letter written from Muscat. The items concerning the Gulf are 1865 B XIV, 1866 A XII, 1894 23, 1889 23B, 1899 XIII 36, 1903 XIX, 1910 XVII 47, 1930 V 48 and 1935 III 2, 1969 7-12.

8. Map-department of the General State Archives.

Extensive use has been made of the manuscript maps in the collections VEL, VELH and AANW, most of which originate from the East India Company, as well as of the old printed atlases, maps and charts (collections MCAL, AKF, VEL and TOPO) of this department.

B. PORTUGUESE ARCHIVES

A number of Portuguese sources has been consulted. The principal are the 'Documentos Remettidos da India' or 'Libros dos Monçoes' in the Portuguese National Archives, a series of which the structure can be compared with the ('Overgekomen Brieven en Papieren' of the Dutch East India Company) and some manuscripts in the Portuguese National Library.

C: BRITISH ARCHIVES

Extensive use has been made of the factory-records of the Gulf (G29) containing the Gombroon-diary in the India Office Libary and Records in London.

D: ARCHIVES OF INSTITUTIONS OF THE ROMAN CATHOLIC CHURCH IN ROME.

The Archives of the Holy Congregation for the Evangelization of the Peoples (formerly called Propaganda Fide) contain letters and reports Roman Catholic priests in the Gulf, some of them of great importance. The General Archives of the Carmelite order contain papers concerning Carmelite monks, a.o. in Basra and Kharg. Abstracts of many of the documents in both archives have been published.[Chick, H.], *A chronicle of the Carmelites in Persia*. London 1939 2 vols. The full text of the chronicle of the Carmelites in Basra has been published in two publications[4]

E. OTHER.

Use has been made of French documents (papers of the consul Jean Otter in Basra in the Bibliothèque Nationale, correspondence of the Basra-consulate in the Archives Nationales, of the Basra and Muscat consulates in the archives of the Ministère des Affaires Etrangères and of the papers of General Decaen in the Bibliothèque Municipale of Caen), and of German documents (papers of Artus Gijsels in the Badische Landesbibliothek in Karlsruhe).

قائمة المراجع

Abu Hakima, A., *History of Eastern Arabia 1750-1800. The rise and development of Bahrain and Kuwait*. Beirut 1965.

Aba Hussain, A., 'A Study of the History of Utoob' *Al Watheeka* 1 (1982), pp. 25-42, 94-107

Adamec, Z.W., *Historical Gazetteer of Iran* vol. 2 (Zahiran and South Eastern Iran). Graz 1988.

Aitchison, C.U., *A Collection of Treaties, Engagements and Sanads relating to India and neighbouring countries* vol. 12. Calcutta 1909.

Amin, A.A., *British interests in the Persian Gulf*. Leiden 1967

Aubin, J. 'Les Sunnites de Larestan et la chute des Safavides'. *Revue des Etudes Islamiques* 33 (1965), pp. 151-175.

Aubin, J. *L'ambassade de Gregorio Pereira Fidalgo a la cour du chah Soltan Hosseyn*. Lisboa, 1971.

Aubin, J., 'Le Royaume d'Ormuz au début du XVIe siecle'. *Mare Luso-Indicum* 2 (1973) pp. 77-179.

Auzoux, A, 'La France et Mascate aux XVIIe et XVIIIe siècles'. *Revue d'histoire diplomatique* 23-24 (1909-1910), pp. 518-540 and 234-265.

Badger, G.P.(ed.), *History of the Imams and Seyyids of Oman by Salil ibn Razik fom A.D. 661-1856*. London, 1871 (Hakluyt Society no. 43).

Baiao, A., *Itinerario da India a Portugal por terra*. Coimbra 1923 (Scriptorum Rerum Lusitanarum Seria B vol. 2)

Balbi, Gasparo, *Viaggi* delle Indie Orientali. Venezia 1590. A modern edition in: O. Pinto (ed) *Viaggi de C.Federici e G.Balbi alle Indie Orientali*. Roma, 1962 (Nuovo Ramusio vol. 4). Dutch version in P. van der Aa, *Naaukeurige versameling der gedenk-waardigste Reysen*, Leiden 1706 , vol. 18.
In the English translations in Purchas, *Pilgrimages* vol. 2 pp. 1727-1729 and in Pinkerton, *Voyages and travels* vol. 9, pp. 395 ff. the essential parts are missing.

Barendse, R.J., 'The long road to Livorno, the overland messenger service of the Dutch East India Company. *Itinerario* 12/2 (1988), pp. 25-44.

Barendse, R.J., *Koningen, Compagnieën en Kapers, de Arabische Zeeën. 1640-1700*. Leiden 1991.

Bastiaansen (ed.), M., *Souvenirs de la Perse Safavide et atres lieux d'Orient (1674-1678) du Père Ange de Saint Joseph*. Bruxelles, 1985.

Bathurst, R.D., 'Maritime trade am imamate government: two principal themes in the history of Oman to 1728', in: *The Arabian peninsula: society and politics* edited by D. Hopwood (London 1972), pp. 89-106.

Bayani, Khanbaba, *Les relations de l'Iran avec l'Europe occidentale a l'epoque safavide (Portugal, Angleterre, Hollande et France*. Paris, 1937.

Bayani, Hanbaba, 'Asnad wa namaha-yi tarihi-yi daura-yi Safawi', *Barrasiha-yi Tarihi* 3 (1347), no. 3-4, pp. 67-96, no. 5, pp. 185-208.

Bayani, Hanbaba. 'Nama-i az Sah Safi ba-maglis-i umumi-yi Huland', *Amuzis wa Parwaris* 10 (1319) 8-9, pp. 32-37.

Beckingham, C.F., 'The reign of Ahmad bin Sa'id, Imam of Oman' *Journal of the Royal Asiatic Society* 18 (1941), pp. 257-260.

Behr, J. von der, *Reise nach Java, Vorder-Indien, Persien und Ceylon*. Breslau, 1668.

Berchet, G., *La reppublica di Venezia e la Persia*. Torino, 1865.

Berchet, G., *Relazioni dei Consoli Veneti nella Syria*. Torino, 1866.

Botelho da Sousa, A., *Nuno Alvares Botelho*. Lisboa, 1940.

Boullaye de Gouz, F. de la, *Voyages et observations*. Paris, 1657.

Biker, J.F.J., Collecção de tratados e concertos che o Estado da India Portugueza fez com os reis e senhores. 14 vols. Lisboa, 1881-1887.

Bocarro, Antonio, *Decada XIII da Historia da India*. Lisboa, 1876.

Boullaye de Gouz, F. de la, *Voyages et observations*. Paris, 1657.

Boxer, C.R., *Commentaries of Ruy Freyre de Andrade*. London, 1929.

Boxer, C.R., 'Anglo-Portuguese rivalry in the Persian Gulf' in E. Prestage, *Chapters in Anglo Portuguese relations* (Watford 1935), pp. 46-129

Boxer C.R. and C. de Azevedo, C., *Fort Jesus and the Portuguese in Mombasa*. London, 1960.

Boxer, C.R., 'New Light on the Relations between the Portuguese and the Omanis, 1613-1633' *The Journal of Oman Studies* vol. 6/1, pp. 35-39.

Bragança Pereira, A.B. de, *Arquivo Portugues Oriental*. Lisboa 1936-1937.

Braudel, F., *La Méditerranée et le Monde méditerranéen à l'époque de Philippe II*. Paris, 1949.

Broecke, Pieter van den, see Coolhaas, W.Ph.

Brucks, G.B., 'Memoir descriptive of the Gulf of Persia with brief notices of of the manners ... of the people inhabiting its shores and islands' in *Bombay Selections* vol. XXIV (Bombay 1856), pp. 331-624.

Brulez, W., Venetiaanse handelsbetrekkingen met Perzië omstreeks 1600. *Orientalia Gandensia* I (Gent 1964), pp. 1-27

Bruyn, Cornelis de, *Reyse over Moscovien door Persien en Oostindien*. Delft, 1711.

Buckingham, J.S., *Travels in Assyria, Media and Persia, including a Journay from Bagdad ...by Shiraz, Bushire,Hormuz and Muscat. Narative of an expedition against the pirates of the Persian Gulf....* London, 1829.

Bulhao Pato, R.A. de, et al. *Documentos remettidos da India ou Livros dos Monções*. vol. 1 - .Lisboa, 1880-1935.

Calendar of State Papers, Colonial, East Indies and Persia, London, 1862-1894 (covering the period up to 1634, for continuation see Sainsbury).

Cambridge History of Iran, vol. 6 by A. Jackson and L. Lockhart. Cambridge, 1986.

Capper: See Makintosh

Carré, B., *Voyage des Indes Orientales*. Paris 1699.(English translation in Hakluyt society, 2nd series 95-97, London, 1947-1948).

Caskel, W., 'Die Wali's von Huweze'. *Islamica* 6 (1934), pp. 415-434.

Cerceau, J.A. du, *The history of the late revolution of Persia*. London, 1740.

Chardin, J., *Voyage du chevalier Chardin en Perse*. Modern edition: *Sir John Chardin's travels in Persia*. London (Argonaut Press), 1927.

[Chick, H.], *A chronicle of the Carmelites in Persia*. 2 vol. London, 1939.

Childs, A., 'Travel', in Purchas, *Pilgrimages*, vol. 1, pp. 606-608.

Chronicle of events between the years 1623 and 1733 relating to the settlent of the order of Carmelites in Mesopotamia, H. Gollancz ed. London, 1927.

Coen, Jan Pietersz., Bescheiden omtrent zijn bedrijf in Indie, ed. H.T. Colenbrander and W.Ph. Coolhaas, 7 vols. 's-Gravenhage, 1919-1953.

'Continuatio domesticae Bassorensis historiae ab anno 1773' *Analecta Ordinis Carmelitarun Discalceatorum*. VIII (1933), pp. 47-68, 108-140, 204-224.

Clairac, L.A. de la Mamie de, *Histoire de la Perse depuis le commencement de ce siècle*. 3 vols. Paris, 1750.

Coolhaas, W.Ph., *Pieter van den Broecke in Azië*. 's-Gravenhage, 1962-1963 (werken uitgegeven door de Linschotenvereniging LXIV).

Coolhaas, W.Ph., *Generale Missiven van Gouverneur Generaal en Raden aan Heren XVII der Verenmigde Oostindische Compagnie.* 9 vols. appeared, covering the period up to 1737. 's-Gravenhage, 1960- (Rijksgeschiedkundige Publicatiën Grote Serie vol. 104, 112, 125, 134, 150, 159, 164, 193, 205, from vol. 9 on by J. van Goor).

Cordeiro, L., *Batalhas da India. Come se perdao Ormuz, processo inedito do seculo XVII.* Lisboa, 1896.

Cordeiro, L., *Dois Capitães* da India. Lisboa, 1898.

Cortesão, A., *Portugalliae monumenta cartographica.* 6 vols. Lisbon, 1960.

Crowhurst, R.F., 'D'Estaing's cruise in the Indian Ocean, a landmark in privateering voyages'. *Studia* 35 (1972) pp. 53-66.

Daghregister van Batavia gehouden in 't Casteel. 31 vols. Batavia and 's-Gravenhage, 1896-1931. (covers the years 1624-1682, the more recent years are available in manuscript in the Arsip Nasional in Jakarta.)

Dalrymple, A., *An account of the navigation between India and the Gulph of Persia.* London, 1786.

Dam, Pieter van, Beschrijvinge van de Oostindische Compagnie ed. F.W. Stapel and C.W.Th. van Boetzelaer. 4 parts in 7 vols. '-Gravenhage, 1927-1954 (=Rijksgeschiedkundige Publicatiën, Grote Serie nos. 63, 68, 74, 76, 83, 87, 96). Book 2 part 3, pp. 275-375 specially concerns Persia.

Danvers, F.C., *Report on the Portuguese records relating to the East Indies contained in the Archivio da Torre do Tombo.* London, 1892.

Danvers, F.C., *Report on the India Office Records relating to Persia and the Persian Gulf.* London, N.D.

Danvers, F.C., *The Portuguese in India.* London, 1894

Dapper, Olfert, *Beschrijvinge des Koningrijcks van Persie en Georgia.* Amsterdam, 1672.

Dapper, Olfert, *Naukeurige Beschryvinge van Asië, behelsende de gewesten van Mesopotamië, ... Arabië.* Amsterdam, 1680.

Das relacões entre Portugal e a Persia Catalogo bibliografico. Lisboa (Fondacão Calouste Gulbenkian), 1972.

Dias Farinha, A, *Os Portugueses no Golfo Pérsico (1537-1538), contribucão documental e critica para a sua historia.* Lisboa 1991.

Documentacão ultramarina Portuguesa. vol. 1- Lisboa, 1960- (Gulbenkiana vols. 2,4,5,9).

[Duarte Barbosa] Longworth Dames, M., (ed.) *The book of Duarte Barbosa.* 2 vols. London, 1918-1921 (=Hakluyt Society 2nd series vol. 49)

Dunlop, H., *Bronnen tot de geschiedenis der Oostindische Compagnie in Perzië.* 's-Gravenhage, 1930 (Rijksgeschiedkundige Publicatiën, Grote serie vol. 72)

Encyclopedia of Islam, new edition. Leiden, 1960-, i.v. Abu Zabi, Bandar Abbas, Afrasyab, Bahr Faris, Al Bahrayn, Basra, Batina, Bushahr, Hurmuz, Iran, Karun, Al Kawasim, Kuwayt, Karim Khan Zand, Lar, Linga, Maskat, Matrah, Mushasha, Nabhan.

Faria e Souza, M. de, *Asia Portuguesa.* 4 vols. Lisboa, 1666-1675.

Faroughy, A., *Histoire du Royaume de Hormuz depuis son origine jusqu'a son incorporation dans l'empire persan des Safavis.* Bruxelles, 1949.

Faroughy, A., *The Bahrain Islands.* New York, 1951.

Ferrier, R.W., 'The trade between India and the Persian Gulf and the East India Company in the 17th century' *Bengal past and present* 89 (1970), pp. 189-199.

Ferrières de Sauveboeuf, L., *Mémoires historiques, politiques et géographiques des voyages du Comte Ferrières de Sauveboeuf faits en Turquie, en Perse et en Arabie.* Maastricht, 1790.

Floor, W., 'Dutch painters in Persia during the first half of the 17th century' *Persica* 8 (1979), pp. 145-161.

Floor, W., 'A description of the Persian Gulf and its inhabitants in 1756'. *Persica* 8 (1979), pp. 162-185.

Floor, W., 'Pearlfishing in the Persian Gulf in 1757'. *Persica* 10 (1982), pp. 209-222.

Floor, W., 'First contacts between the Netherlands and Masqat or a report on the discovery of the coast of Oman in 1666'. *Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft* 132 (1982) pp. 289-307.

Floor, W., 'Dutch trade with Masqat during the 18th century'. *Journal of Asian and African studies* 16 (1982), p. 197-213.

Floor, W., 'The Bahrain project of 1754'. Persica 11 (1984), pp. 130-148.

Floor, W., 'A description of Masqat and Oman anno 1673/1084'. *Moyen Orient et Ocean Indien - Middle East and Indian Ocean XVIe-XIXe s.,* 2-1 (1985) pp. 1-69

Foster, W., 'A view of Hormuz in 1627' *Geographical Journal* 4/2 (1894) pp. 160-162.

Foster, W., *English Factories in India. 1618 - .* (vol. 1 - ..) Oxford 1906 -

[Freire, Ruy] *Comentarios do grande Capitão Rui Freire de Andrada.* Lisboa, 1940.

Fryer, *A new account of East India and Persia 1672-1681.* London 1688. (also Hakluyt Society 2nd series 19,20,39, London, 1909-1915)

Furber, H., *The overland route to India in the seventeenth and eighteenth centuries.* Journal of Indian History XXIX/II (August 1951) pp. 106-133.

As Gavetas de Torre del Tombo vol. 4. Lisboa, 1964 (Gulbenkiana vol. 7).

Generale Missiven see Coolhaas, W. Ph.

Glamann, K., *Dutch-Asiatic trade 1620-1740*. Copenhagen-The Hague, 1958.

Godinho, Manuel, *Relacãos da novo caminhò que fez por terra e mar vindo da India para Portugal*. Lisboa, 1665. (Later editions 1842 and 1944 by Agencia-Geral das Colonias with introduction by Augusto Reis Machado)

Gouvea, A. de, *Relation des grandes guerres et victoires obtenues par les Roys de Perse*. Rouen, 1646.

Graaf, N. de, *Reisen naar Asia, Africa, America en Europa*. Hoorn, 1701.

Gulbenkian, R., 'Philippe de Zagly, machand arménien de Julfar et l'établissement du commerce persan en Courlande en 1696'. *Revue des Etudes Arméniennes* 7 (1970), p. 361-399.

Gulbenkian, R., *L'Ambassade en Perse de Luis Pereira de Lacerda et des Pères Portugais de l'Ordre de Saint-Augustin, Belchior de los Anjos et Guilherme de Santo Agostinho 1604-1605*. Lisbonne, 1972.

Hagenaer, H., *Verhael van de Reyse van Hendrik Hagenaer*. Amsterdam 1645 (also in Commelin, *Begin ende Voortgangh* vol. 2 nr. 21, Amsterdam, 1645).

Hamilton, A., *A New account of the East Indies* ed. W. Foster. London, 1930.

Hammer, Joseph von, *Geschichte des Osmanischen Reiches*. 10 vols. Pest, 1827-1835.

Handbook of Arabia, vol. I compiled by the geographical section of the Naval Intelligence division, Naval Staff, Admiralty. London, 1920

Hansman, J., *Julfar, an Arabian port*. London, 1985

Hanway, J., *A historical account of British trade over the Caspian Sea ... to which are added the revolutions of Persia...* London, 1753.

Henry, P.F., *La route de l'Inde*. Paris, 1799. Also a Dutch translation *Reisweg naar Indien*. Den Haage, 1799.

Herbert, Thomas, *Some years travel in Asia and Afrique*. London 1634. (reprint New York, 1971).

Hoek, D., *Haags Leven bij de inzet van de Gouden Eeuw*. Assen, 1966.

Hotz, A., (ed.) *Journael van de reis van de gezant der Oostindische Compagnie Joan Cuneaus naar Persia door C. Speelman*. Amsterdam, 1908 (=Werken van het Historisch Genootschap 3e serie vol. 26).

Hotz, A., (ed.) 'Cornelis Cornelisz. Roobacker's scheepsjournaal Gamron-Basra (1645), *Tijdschrift van het Koninklijk Nederlands Aardrijkskundig Genootschap*, 2nd

series vol. 24 (1907), pp. 289-405.

Ives, E., *A voyage from England to India in the year 1753*. London, 1773

Kaempfer, Engelbert, *Amoenitates exoticae*. Lemgoviae, 1712.

Keulen, Johannes van, *Nieuwe groote lichtende Zeefakkel*, vol. 6. Amsterdam, 1753.

Klerk de Reus, G.C., *Geschichtlicher Ueberblick der administrativen, rechtlichen und finanziellen Entwicklung der Niederländisch-Ostindischen Compagnie*. Batavia - 's-Gravenhage, 1894.

Kroell, Anne, *Louis XIV, la Perse et Mascate*. Paris, 1977 (also appeared in *Le monde iranien et l'islam* 4 (1977), pp. 1-77).

Krusinski, T.J., *Histoire de la dernière revolution de Perse*. 2 vols. La Haye 1728.

Laet, J. de, *Persia*. Leiden, 1643. (2nd, augmented edition).

Leandro di Santa Cecilia, *Persia ovvero secondo viaggio dell'Oriente*. 2 vols. Rome, 1757.

Letters received by the East India Company from its servants in the East (1602-1617). 6 vols. London 1896-1902 (continued as *English Factories in India*).

[Leupe, P.A.] 'Overlandreis van India naar Europa in 1757'. *Kronyk van het Historisch Genootschap* series 4, vol. 1 (1860), pp. 124-128 (This is an account by a Dutch East India Company dignitary, Loten, on the travel overland)

Linhares, Miguel de Noronha de, *Diario*. 1 vol. in 2 parts. Lisboa, 1937-1943.

Linschoten, Jan Huygen van, *Itinerario*. Amsterdam, 1596.

Lockhart, L., 'The Iranian campaigns in Oman'. *Bulletin of the school of oriental and African Studies* vol. VIII (1935-37) 157-171.

Lockhart, L., *Nadir Shah*. London, 1938.

id. 'The menace of Muscat and its consequences in the late 17th and early 18th centuries'. *Asiatic Review* 42 (1946), 363-369.

Longrigg, S.H., *Four centuries of modern Iraq*. Oxford, 1925.

J.G. Lorimer, *Gazetteer of the Persian Gulf*. Calcutta, 1908-1915 (reprint Dublin, 1986).

Lucas, Paul, *Voyage au Levant*. Paris, 1731.

Mac Leod, N., *De Oost Indische Compagnie als zeemogendheid in Azië*. 2 vols. Rijswijk, 1927

Ibn Madjid, 'Urdjuzat Bahr al Aran fi Khalidj Fars' in G. Ferrand, *Instructions nautiques et routiers arabes des XVe et XVIe siecles*. Paris, 1921-3.

Mil, P. van, et al. *De VOC in de kaart gekeken, Cartografie en Navigatie van de VOC 1602-1799.* 's-Gravenhage, 1988.

Mirza Mahadi, *Histoire de Nader Shah.* Londres, 1770

Makintosh, William, *Voyages en Europe, Asie et Afrique..., suivis du voyage de James Capper.* Londres, 1786.

Malcolm, John, *Sketches of Persia.* London, 1861.

Martineau, A., 'Le premier consulat de France a Bassora (1739-1745)', *Revue de l'histoire des Colonies Francaises* 5 (1917) 5-78 and 397-438.

Meilink-Roelofsz, M.A.P. , *Asian Trade and European influence in the Indonesian Archipelago between 1500 and about 1630.* The Hague, 1962.

Meilink-Roelofsz, M.A.P., 'The structures of trade in Asia in the sixteenth and seventeenth centuries. Niels Steensgaard's *Carracks, caravans and companies. The Asian trade revolutions,* a critical appraisal'. *Mare Luso-Indicum* IV (1980) 1-43

Meilink-Roelofsz, M.A.P., 'The earliest relations between Persia and the Netherlands.' *Persica* 6 (1974) 1-50.

Meilink-Roelofsz, M.A.P., 'Een vergelijkend onderzoek van bestuur en handel van de Nederlandse en Engelse handelscompagnieën op Azië in de eerste helft van de zeventiende eeuw'. *Bijdragen en mededelingen betreffende de geschiedenis der Nederlanden* 91 (1976), p. 196-217.

id. 'Een Nederlandse vestiging in de Perzische Golf'. *Spiegel Historiael* 2 (1967), p. 480-488.

Miles, S.B., *The countries and tribes of the Persian Gulf.* London, 1919.

Monnox, E., 'Travels'. In Purchas, *Pilgrimages,* vol. 2, p. 1793-1805.

Newbery, John, 'Voyage' (1581) in Purchas, *Pilgrimages,* vol. 2, p. 1410-1421.

Niebuhr, C., *Beschreibung von Arabien.* Kopenhagen, 1772.

Niebuhr, C., *Reisen in Arabien,* Kopenhagen, 1772.

Nouvelles Extraordinaires de divers Endroits. 53 vols. Leyde 1764-1811, 1814-1817.

Olivier, G.A., *Voyage dans l'empire Ottoman et la Perse.* 3 vols. Paris 1801.

Oman, a seafaring Nation, published by the Ministry of Information and Culure, the Sultanate of Oman, 1979.

Otter, J., *Voyage en Turquie et en Perse.* Paris, 1748.

Ovington, John, *A voyage to Surat in the year 1689.*(ed. H.G. Rawlinson) London, 1929.

Parsons, A., *Travels in Asia and Africa*. London, 1808.

Perry, J.R., 'Mir Muhanna and the Dutch, patterns of piracy in the Persian Gulf'. *Studia Iranica* II/1 (1973), 79-95.

Perry, J.R., 'The Bani Ka'b, an amphibious brigand state in Khuzistan'. *Le Monde iranien et l'Islam* I (1971) 131-152

Perry, J.R., *Karim Khan Zand*. Chicago, 1979.

Perry, J.R., 'Forced migration in Iran during the 17th and 18th centuries'. *Iranian Studies* 8 (1975) 199-215.

Persian Gulf Pilot. London, Hydrographic Office, 1967.

[Peyssonnel Charles de -, fils] *A historical account of the present troubles of Persia in a continuation of Mr. Hanway's history to the year 1753 by M. de P****. London, 1756.

Phillips, W., *Oman, a history*. London, 1967.

Picault, C., *Histoire des revolutions de Perse pendant la durée du XVIIIe siecle*. Paris, 1810.

Pissurlencar, P.S.S., *Assentos do conselho de Estado*. 5 vols. Bastora (Goa), 1953-1957.

Purchas, S., *Pilgrimages*. 4 vols. London, 1626.

Qasimi, Sultan Muhammad, *The myth of Arab piracy in the Gulf.* London 1986.

Ragabi Tabrizi, P., *Iran under Karim Khan*. Göttingen, 1970.

Realia, register op de generale resolutiën van het kasteel Batavia 1632-1805. Leiden, 1882.

Relação das plantas & dezcripsões de todas as Fortalezas, cidades e povoações que os Portuguezes tem no estado da India Oriental. Lisboa (Biblioteca Nacional), 1936.

Risso, P., *Oman and Muscat, an early modern history*. London, 1986.

Roe, Thomas, *Journael van de Reysen*. Amsterdam, 1756.

Röhrborn, K.M., *Provinzen und zentr[illegible]lt Persiens im 16 u. 17 Jahrhundert*. Berlin, 1968.

Roncière, M. de la, and Mollat du Jardin, M., *Les Portolans, cartes maritimes du XIIIe au XVIIIe siècle* Fribourg, 1984.

H. Rooke,, *Travels to the coast of America*. London, 1783.

Ross, C., *Annals of Oman*. Journal of the Asiatic Society of Bengal 1878.(this is an extract from the Kashf al-Ghummah al-jami li akhbar al-ummah by Shaikh Sirhan bin Omar). Here is used the reprint of London, 1964.

Rush, A., *Al Sabah, History and Genealogy of Kuwait's Ruling Family*. London, 1987.

Saar, J., *Reise nach Java ... und Persien*. Nürnberg, 1672 (also in Honoré Naber, *Reisebeschreibungen von deutschen Beamten und Kriegsleute*, 's-Gravenhage 1930, vol. 6).

Said Ruete, R., *Said bin Sultan*, 1791-1856. London, 1929

Sainsbury, E.B., *A calendar of the court minutes of the East India Company (1635-1679)*. Oxford, 1907-1938. (See also Calendar of State papers)

Salbanke, J., 'Travel' in Purchas, *Pilgrimages*, vol. 1, p. 235-238

Saldanha, J.A., *Persian Gulf Précis 1600-1800* in *Selections from State Papers, Bombay, regarding the East India Company's connection with the Persian Gulf*. Calcutta, 1908.

Salmon, Th. and Goch, M. van, *Tegenwoordige staat van Persia, Arabia*. Amsterdam 1732 (Hedendaagsche Historie vol. 4)

Sanson, N., *Voyage ou relation de l'état présent de la Perse*. Paris, 1695.

Sanson, N., *L'Asie en plusieurs cartes nouvelles*. Paris, 1652.

Savory, R.M., The Sherley myth. *Iran* 5 (1967), p. 73-81.

Schimkoreit, Renate, Regesten publizierter Safawidischer Herrscherurkunden. Berlin, 1982.

Scoville, Sheila S., *Gazetteer of Arabia* vol. 1. Graz, 1979

L'ambassade de D. Garcia de Silva Figueroa en Perse contenant la politique de ce grand empire ... Paris, 1667.

Slot, B.J. *Archipelagus turbatus, les Cyclades entre colonisation latine et occupation ottomane*. Istanbul-Leyde 1982.

Slot, B.J., *The Origins of Kuwait*. Leiden, 1991.

Sousa Coutinho, Antonio da, *Relação da iornada que fes o Governador - ao Streito de Ormus* ..... Lisboa, 1653.

Steensgaard, N., *Carracks, caravans and companies. The structural crisis in the European-Asian trade in the early 17th century*. Copenhagen 1973 (2nd edition with the title *The Asian trade revolutions of the seventeenth century. The East India Companies and the decline of* the caravan trade. Copenhagen, 1975).

Stodart, R., *Journal, being an account of his experiences as a member of Sir Dodmore Cotton's mission in Persia in 1628-1629*, ed. E Denison Ross. London, 1935.

Struys, Jan Jansz., *Drie aanmerkelijke en rampspoedige reysen*. Amsterdam, 1676.

Sykes, P., *A History of Persia*. 2 vols. London 1921.

Tavernier, J.B., *Les six voyages*. 3 vols. Paris, 1676.

Taylor, R., 'Extracts from brief notes ....connected with the Province of Oman; Muskat, and the adjoining country, Bahrain, Ormùz, Kishm...' *Bombay Selections* XXIV . Bombay 1856, p. 1-140.

Teixeira, Pedro, *Travels* ed. W.F. Sinclair and D. Ferguson.(Hakluyt Society) London 1902 = *Relacioes del origen ... de los reyes de Persia y de Hormuz*. Amberes 1610. A Dutch translation is: *Voyagien nae en door het groot en magtig koninkrijk van Persia*. Amsterdam, 1670 (S. Imbrechts).

Teixeira da Mota, A., *Cartas Portuguezas antigas na collecção De Groote Schuur*. Lisbon, 1977 (Publicações do Centrro de Estudos de Cartografia antiga, vol. 105).

Teixeira da Mota, A., *Tabularum Geographicarum Lusitanorum Specimen*. Olispone, 1960.

Terpstra, H., *De opkomst der Westerkwartieren der Oostindische Compagnie*. 's-Gravenhage, 1918.

Thevenot, Jean, *Suite du Voyage du Levant*. Paris, 1674 (vol. 2 of *Relation d'un Voyage du Levant* of 1667).

Thomas, B., 'The Kumzari Dialect of the Shihuh Tribe and a Vocabulary.' *Journal of the Royal Asiatic Society* (1930), p. 785-854.

Thornton, *English Pilot*, vol. 3. London, 1703.

Tibbetts, G.R., *Cartography of Arabia*. New York, 1978

Tuson, P., *The records of the British residency and agencies in the Persuan Gulf*. London, 1979.

Valentijn, F., *Oud en Nieuw Oost-Indiën*. vol. 5. Dordrecht, 1726.

Valle, Pietro della, *Viaggi di Pietro della Valle il Pellegrino*. Roma, 1650.

Vermeulen, U., 'L'Ambassade Persane de Musa Beg aux Provinces Unies (1625-1628).' *Persica* 7 (1975-1978), p. 145-154.

Vermeulen, U., 'L'Ambassade Néerlandaise de Jan Smit en Perse (1628-1630).' *Persica* 7 (1975-1978), p. 155-162.

Wätjen, *Die Holländer in Mittelmeergebiet zur Zeitpunkt ihrer höchsten Machtstellung*. Berlin, 1909.

Warden, F., 'Extracts from brief notes relative to the rise and progress of the Arab tribes of the Persian Gulf, prepared in August 1819.' *Bombay Selections* XXIV. Bombay 1856, p. 55-60.

Warden, F., 'Historical sketch of the rise and progress of the government of Muskat'. *ibid*. p. 167-234.

Warden, F., 'Historical sketch of the Joasmee tribe of Arabs.' *ibid*. p. 299-351

Warden, F., 'Historical sketch of the Uttoobee Tribe of Arabs (Bahrein) from the year 1716 to the year 1817'. *ibid.* p. 361-425.

Wilson, A.T., *The Persian Gulf.* Oxford, 1954.

Wijnaendts van Resandt, W., *Gezaghebber der Oost Indische Compagnie op haar Buiten-comptoiren*. Amsterdam, 1940.

Worms, J.G., *Indien und Persianische Reisen.* Dresden-Leipzig, 1737.

شركـة أبـوظبـــي للطبـاعـة والنشر
هاتف: ٧٣٢٨٢٨ - فـاكس: ٧٣٢٧٢٥





THE ARABS OF THE GULF 1602 - 1784

عـــــرب الخليـــج

١٦٠٢ - ١٧٨٤



المجمع الثقافي

ابوظبي - ص.ب . ٢٣٨٠ - هاتف: ٢١٥٣٠٠ دولة الامارات العربية المتحدة
CULTURAL FOUNDATION - ABU DHABI- P.O BOX: 2380 - TEL.21530 - U.A.E